افتتاحية العدد

مسار العودة

حين يكون هذا العدد من مجلة الاكليل، عزيزي القارىء، بين يديك، تكون المجلة قد بدأت مرحلة جديدة من مسار العودة.

فالاكليل، هذه المجلة الفكرية التراثية، قد نشأت في الاساس لخدمة تراثنا الوطني والعربي، وثقافتنا العالمية والشعبية.

ونستعير هنا تعبير الدكتور محمد عابد الجابري، الذي ميّز الثقافة العالمية والشعبية بهذا الاصطلاح.

وهنا ونحن في مرحلة إعادة الاصدار لهذه المجلة، نود أن نذكر بابرز اتجاهاتها . فهي وان كانت تعنى بالتراث، الا انها تؤمن أن تحقيق قراءة معاصرة لهذا التراث هو الأمر المطلوب ، فليس همنا، هنا، أن نستعيد تراثنا الفكري والحضاري، ضمن رؤى المنتجين لذلك التراث والمعاصرين لهم ، بل هدفنا هو تحقيق حوار فكري معهم، ولن يتم ذلك إلاّ بالقراءة والتأويل واعادة التأويل لنصوص التراث.

لكن، ورغم قولنا بالتأويل وامكانياته، إلا اننا ننبه هنا، الى أن ذلك لايعني أن نقرأ أفكارنا في نصوص التراث ، وأن نقوّلها مالا تقول ، وذلك عيب كثير من القراءات المعاصرة للتراث، التي حاولت تقديم قراءة ايبيولوجية له، فانتصرت للغزالي ، ضد إبن رشد، أو ناصرت إبن رشد في وجه تهافت الغزالي ، ونسيت الوحدة الجدلية في الفكر الاسلامي ، هذه الوحدة التي جعلت من الغزالي وابن رشد، على سبيل المثال ، وجهين لعملة واحدة، تمثل مسار التيار العقلاني في الفلسفة الاسلامية، وتوضح من خلال النقائض وحدة هذا الفكر واتجاه تطوره.

واليوم ونحن نعيش في بلادنا اجواء الديمقراطية والتعددية السياسية ، يدخل التراث كعامل اساسي محدد.. في كثير من أمور الحياة، من السياسة إلى الطب الشعبي، ومن الفقه الى الفلسفة، وقد رأينا ترفيع المسألة التراثية إلى أعلى مستوى في كثير من معاركنا السياسية، مثل معركة الدستور . أو قانون التعليم، وأصبح كثير من السياسيين يتركون الحديث المباشر في السياسة واختياراتها الواضحة والمحددة، وخاضوا بدلا من ذلك في مسائل تراثية ، كأننا نستعيد ثانية محنة ابن حنبل أو مشكلة المعتزلة الشهيرة حول الخلق والتنزيل.

وبصرف النظر عن اتفاقنا او اختلافنا مع هذا الشكل من الاستخدام المعاصر للتراث، إلا أننا نقرّ بواقعة هامة، وهي ان هذا التراث يفرض نفسه علينا في كثير من أمورنا المعاصرة، فنلجأ اليه باحثين أو مبررين، مفكرين أو صائغي ايديولوجيات. وهذا يفرض علينا الاهتمام بانجاز الدراسات العلمية للتراث وتقديمه بطريقة مناسبة تجعل في الامكان دراسته واستخلاص العبر منه.

وسوف نحاول في الأكليل، قدر جهدنا تحقيق ذلك، لنكشف الجوانب الخفية في التراث، أو لنجلى المسكوت عنه أو المطوى من صفحاته :

ومن أضاع تراثاً من أبوّته

لم يَستَفِدْ من سواه قَدْرَما فقدا

إن قروناً من الانحدار والانحطاط قد مرت بشعبنا وأمتنا العربية ، وإن كثيراً من الكتب والمؤلفات قد أحرقت أو أخفيت أو ضاعت، وإن أفكاراً حوصرت واتهم أصحابها بالكفر والزندقة.. وكل هذه الافعال جعلت كثيراً من التيارات والمذاهب تلجأ إلى العمل السري ، إذا جاز القول ، فتم تهريب الكتب واخفاؤها ، وقد كانت اليمن مركزاً هاماً من هذه المراكز التي لجأت اليها الافكار المحاصرة ، وهرّبت اليها الكتب والمخطوطات.. ونتذكر أن الدكتور طه حسين حين تولى وزارة التعليم في مصر، قد أرسل بعثة للبحث عن آثار المعتزلة المخبأة في اليمن، حين ضاقت بافكارهم عواصم المركز الحضاري الاسلامي، فلجأوا إلى الاطراف ، فارّين بافكارهم وعقائدهم وكتبهم.

ونحن نعتقد أن البحث التراثي ميدان واسع في اليمن، خاصة إذا أعدنا إلى الأذهان أن العديد من الكتب التراثية اليمنية لاتزال مركونة في المكتبات الخاصة لبعض الأسر اليمنية، وأن أمامنا الكثير من العمل لانجازه.

أما دراسة التراث الشعبي فنعتقد أنها لاتزال أرضاً بكراً، على الرغم من بعض التجارب الرائدة في هذا المجال، مثل دراسة القاضي اسماعيل الأكوع عن الأمثال الشعبية ، أو محاولات حمزة لقمان وعلي محمد عبده لتقديم نماذج من الحكاية الشعبية.

إن إصدار هذا العدد من مجلة الأكليل، هو بمثابة دعوة مفتوحة لكل الباحثين في ميدان التراث ، للمساهمة معنا في الكتابة والبحث والتحرير، والمجلة تتطور وتتكامل بواسطة المساهمات الجادة للباحثين وبآراء القراء في موادها وتحريرها واخراجها.

وهو مانأمل أن نراه قريباً في صندوق بريد المجلة أو مكتبها في عدن .

مدير التحرير

إبن الديبع
مؤرخ اليمن
(٩٤٤ - ١٥٣٧هـ/ ٨٦٦ - ١٤٦١م) :

بقلم :راضي دغفوس

الجامعة التونسية - كلية الآداب

مقدمة :

يعد اليمن من الاقطار العربية والاسلامية التي لها ماض مجيد وعريق من الناحيتين التاريخية والحضارية . ولا شك ان الدور الذي لعبه هذا القطر سواء أثناء الفترة التي سبقت ظهور الاسلام وانتشاره في كامل الجزيرة العربية وخارجها، أو في المدة الاسلامية، فهذا الدور يرجع في الواقع . الى عوامل عديدة منها العامل الجغرافي فاليمن كما وقع تحديده من طرف الجغرافيين والرحالة العرب (١) وغيرهم، يحده الحجاز ونجد من الشمال، الخليج العربي، من الشرق ، البحر العربي من الجنوب والبحر الأحمر من الغرب . كذلك هنالك العامل الاقتصادي وخاصة منه التجاري حيث ان اليمن عبارة عن همزة وصل بين الغرب والشرق (٢) .

أما من الناحية الحضارية فيتجلى لنا تقدم اليمن في عظمة بعض الآثار الباقية كالسدود والقصور والمدن والحصون الى غير ذلك من المعالم المختلفة (٣)

لكن يجب علينا الا ننسى ان اليمن قد ساهمت أيضاً في النهضة الفكرية (٤) وذلك عن طريق كل العلماء والمؤرخين والرواة والفقهاء والاخباريين الذين ولدوا بها ووصلنا منهم العديد من الآثار المتنوعة والمؤلفات الممتازة.

ومن جملة هؤلاء العلماء الذين خصهم التاريخ بالذكر والذين هم من مواليد اليمن نذكر عبيد بن شرية الجرهمي (٥) الذي توفي سنة ٦٧ / ٦٨٦.

ووهب بن منبه (٦)(١١٤-٣٤/ ٧٣٢-٦٥٤) صاحب « كتاب التيجان » والحسن بن أحمد الهمداني (٧) (٣٦٠ - ٢٨٠ / ٩٧٠ - ٨٩٣) صاحب كتابي «الاكليل » و« صفة جزيرة العرب» ونشوان الحميري (٨) المتوفى سنة (٥٧٣ / ١١٧٧) .

تاريخ اليمن وابن سمرة الجعدي (١١)(٥٨٦ - ٥٤٧/ ١١٩٠ - ١١٥٢) مؤلف كتاب (طبقات فقهاء اليمن) والجندي (١٢) المتوفى سنة (٧٣٢/١٣٣١) صاحب(كتاب السلوك)وابن عبد المجيد (١٣) (٧٤٤ -٦٨٠/ ١٣٤٣ - ١٢٨١) مؤلف « بهجة الزمن » والخزرجي (١٤) مؤرخ الدولة الرسولية باليمن المتوفى سنة ٨١٢ / ١٤١٠ وابن الديبع (١٥) (٩٤٤ - ٨٦٦ / ١٥٣٧ - ١٤٦١)وبا مخرمة (١٦) (٩٤٧ - ٨٧٠ / ١٥٤٠ - ١٤٦٥) مؤرخ عدن إلى غير ذلك (١٧) .

فقد خلف لنا كل هؤلاء المؤلفين تراثا هاما جدا ما زالت آثاره باقية الى حد الان في العديد من المكتبات العربية والاجنبية (١٨)

حيث نجد مئات بل آلاف من المخطوطات اليمنية التي تهم أصنافا متنوعة من العلوم خاصة منها

المؤلفات التاريخية.

وقد أدانا اهتمامنا الخاص بتاريخ اليمن الى الاطلاع على بعض المخطوطات اليمنية الموجودة في المكتبة القومية بباريس (١٩) . ومن بين هاته المخطوطات التي مازالت غير منشورة اطلعنا على مخطوطة لمؤرخ يماني عاش مخضرماً مابين القرنين التاسع والعاشر للهجرة اي مايناسب القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد . وهذا المؤرخ هو وجيه الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الشيباني الشافعي الزبيدي المعروف بابن الديبع (٢٠) . أما كتابه المقصود فيسمى « بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» (٢١). وهو من المؤلفات الاساسية عن تاريخ مدينة زبيد (٢٢) منذ تاسيسها في سنة ٢٠٤ / ٨١٤ من طرف ابن زياد حتى نهاية القرن التاسع / القرن السادس عشر للميلاد، اي في عهد الملك الطاهري الرابع الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب (٩٢٣ - ٨٩٤ / ١٥١٧ - ١٤٨٩) الذي اتصل به مؤلفنا وأهدى له البعض من مؤلفاته التاريخية - كما سنشير اليه بعد حين .

ويقع كتاب ابن الديبع « بغية المستفيد...» في مقدمة وعشرة أبواب .

أما المقدمة فيذكر لنا المؤلف فيها « اليمن وفضله وإسلام أهله» كما يحدثنا فيها عن « ابتداء التاريخ الاسلامي وسبب عمله» ثم يذكر « ولاة رسول الله» (صلعم) و« ولاة أصحابه الى زمن اختطاط مدينة زبيد ».

وفي الباب الاول يتناول بالدرس « مدينة زبيد وفضلها وصفتها ومحلها وأشجارها وأنهارها واختطاطها وأبوابها ومساحتها وعدد أبراج سورها» ثم ينتقل الى الباب الثاني حيث يذكر لنا « تملك بني زياد ووزرائهم».

ومن ثمة يذكر لنا في البابين الثالث والرابع « ملوك الحبشة من آل نجاح» « والصليحيون ووزاء بني نجاح ».

أما الباب الخامس فهو في « ذكر قيام السيد علي بن مهدي وزوال ملك الحبشة » وفي الباب السادس ينقل لنا ابن الديبع أخبار « دولة ملوك بني أيوب» ثم يذكر في الباب السابع « دولة الملوك من بني رسول الغسانيين » . ويدرس في بقية الابواب « دولة الملك المجاهد شمس الدين علي وأخيه صلاح » (الباب الثامن) و (دولة الملك تاج الدين بن داود بن طاهر) (الباب التاسع) وأخيرا « دولة صلاح الدين بن طاهر» (الباب العاشر) (٢٣) .

وفي خاتمة هذا الكتاب يذكر لنا ابن الديبع ترجمته Auto-biograhie التي سنقدمها بعد حين - للتعرف بالمؤلف . وإن كانت هاته الترجمه من شأنها أن تغنينا - كما أكد ذلك ايمن فؤاد سيد (٢٤) - عن البحث عن حياته ونشأته في المراجع الاخرى (٢٥) .

وقد عثرنا على نسختين مخطوطتين لهذا الكتاب « بغية المستفيد» بالمكتبة القومية بباريس مع العلم أن هنالك العديد من النسخ لنفس هذا الكتاب محفوظة في مكتبات عربية وأجنبية، عامة وخاصة (٢٦) ويصعب علينا في هاته الظروف التحصل على كل النسخ الموجودة للكتاب نظرا لانتشارها في نواحي متعددة في العالم.

النسخة الاولى التي سنسميها (مخطوطة أ) تقع ضمن مخطوطات مجموعة شيفير SCHEFER رقمها ٦٠٦٩ وقد فرغ من نسخها في التاسع عشر من شوال ١٥٧٧/٩٨٥ وتشتمل على ١٤٧ ورقة مكتوبة من الجهتين طوال كل ورقة ٢٩ سم وعرضها ٢٠ سم أما النسخة الثانية (مخطوطة ب) فمن نفس المجموعة . رقمها في ٥٨٩٧ وقع نسخها السادس والعشرون من ربيع الثاني ١٢٩٠ / ١٨٧٣ وتحتوي على ١٠١ ورقه مكتوبة من الجهتين طول كل ورقة ٢٤ وعرضها ١٧ سم وكلتا النسختين في حالة طيبة ذات كتابة حسنة وقد قام C.TH.JOHANSEN (٢٧) بطبع قسم من كتاب «بغية المستفيد» وترجمة للاتينية في بون سنة ١٨٢٨ غير ان النسخة المخطوطة التي اعتمد عليها في هذا المضمار (نسخة كوبنهاق copenhague) ليست سليمة بالمرة حسب المستشرق فون أرندنك.(٢٨)

ومما تجدر الاشارة إليه أن الترجمة الذاتية التي سنوردها بعد حين في هذا البحث تقع في الاوراق ١٤٧ . أمن المخطوطة (أ) بينما نجدها في الاوراق ١٠١

أ - ٩٨ ب من المخطوطة (ب).

وقد وجدنا من ناحية أخرى اشارة هامة في خاتمة النسخة الثانية (مخطوطة ب) مفادها أن المؤلف - يعني ابن الديبع - فرغ من تعليقه - أي كتاب «بغية المستفيد» - عشية الثلاثاء ٦ صفر سنة ٩٠٦ / ١٥٠٠ بينما لم نعثر على مايناسب هذا التاريخ الدقيق في النسخة الاولى (مخطوطة أ) وهذا يعني في رأينا أن الترجمة الشخصية للمؤلف دونها ابن الديبع في تلك السنة (١٥٠٠/٩٠٦) وعمره اذاك يناهز الاربعين.

ونحن نعرف أنه توفى سنة ٩٤٤ / ١٥٣٧(٢٩) بحيث هناك فترة هامة من حياته لم يحدثنا المؤلف عنها خاصة وأن تلك الفترة الاخيرة من حياته توافق من الناحية الزمنية نهاية مملكة الظافر عامر بن عبد الوهاب الذي توفي سنة ١٥١٧/٩٢٣ وبالتالي سقوط الدولة الطاهرية وبداية الحكم المملوكي ٩٢٧/٩٢٣/ ١٥٢١ - ١٥١٧ الذي سيمتد حتى الفتح العثماني سنة ١٥٣٦/٩٤٣(٣٠).

٢) الترجمة الذاتية لابن الديبع كما جاءت في خاتمة كتابه «بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد».(٣١)

قال مؤلفه (يعني كتاب «بغية المستفيد»..) بلغه الله مراده وختم له بالسعادة كان مولدي بمدنية زبيد المحروسة في آخر يوم الخميس الرابع من المحرم اول سنة ٨٦٦/ (٩ أكتوبر/١٤٦١) بمنزل والدي (٣٢) منها وغاب والدي عن مدينة زبيد في آخر السنة التي ولدت فيها ولم تره عيني قط ونشأت في حجر جدي لأمي العلامة الصالح العارف بالله شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن محمد بن مبارز الشافعي (٣٣) رحمة الله تعالى وانتفعت بدعائه لي في أوقات الاستجابة وغيرها وهو الذي حدب (٣٤) ورباني وأطعمني وسقاني وكساني ووساني وعلمني وأوصاني جزاه الله عني بالاحسان وقابله بالرحمة والرضوان. وكان المذكور على قدم في عبادة الله غفر وجل محافظا على قيام الليل واحياء ما بين العشائين وملازمة الجماعة في الصلوات المفروضة تاليا لكتاب الله تعالى عارفا بسنة رسول الله صلعم أخذ العلم عن غير واحد من مشايخ قطره وغيرهم كالعلامة نور الدين القحري (٣٥) والخطيب كمال الدين الضجاعي (٣٦) (والنفيس العلوي (٣٧) والشيخ ابي الفتح المدنى (٣٨) والمقري شمس الدين الجزري (٣٩) والقاضي زين الدين البرنشكي (٤٠) وغيرهم رحمة الله عليهم.

وصحب الشيخ الصالح شرف الدين ابا المعروف اسماعيل بن ابي بكر الجبرت (٤١) الصوفي نفع الله به وقرأكتب القوم وحققها وكانت له اليد الطولى في فتح مغلقها وكان رحمه الله تعالى يوثرني حتى على اولاده الذين لصلبه آثره الله بحبه وقربه.

ثم إني تعلمت القرآن الكريم عند سيدي الفقيه نور الدين على بن أبي بكر بن خطاب (٤٢) كان الله له حتى بلغت سورة يسين وانتفعت به كثيرا وظهرت نجابتي عنده ثم انتقلت الى سيدي وخالي الفقيه العلامة جمال الدين أبي النجا محمد الطيب بن إسماعيل بن مبارز (٤٣) (جزاه الله عني خيرا فلما رأى نجابتي أمرني بنقل القرآن العظيم من أول سورة البقرة إلى اخره فقرأته عنده شرفا واحدا حتى ختمته وحفظت ذلك الشرف عن ظهر القلب وأنا اذاك ابن عشر سنين ولله الحمد.

ثم توفى الله والدي رحمته ببندر الدير (٤٤) بالهند في أواخر سنة ١٤١٩/٨٩٧ ولم يحصل لي في ميراثه سوى ثمانية دنانير ذهبا. ثم اني اخذت القرآن على خالي المذكور في علم القراءات السبع فنقلت الشاطبية (٤٥) ثم قرأت القراءات عنده مفردة ومجموعة وتم لي ذلك بحمد الله وعونه.

ثم أخذت في علم العربية على خالي المذكور وعلى غيره وأخذت عليه خصوصا في علم الحساب والجبر والمقابلة والمساحة والفرائض والفقه حتى انتفعت في كل علم منها ثم قرأت كتاب الزبد في الفقه للامام شرف الدين البارزي(٤٦) على شيخنا الامام العلامة الصالح المعمر تقي الدين مفتي المسلمين أبي حفص عمر بن محمدالفتى بن معيد الاشعري (٤٧) رحمه الله، قراءة بحث وتحقيق وفهم وتدقيق في سنة ٨٨٣/ (٧٩ - ١٤٧٨) ثم حججت إلى بيت الله الحرام في آخرها وأنفقت الثمانية دنانير التي ورثتها من والدي رحمه الله في تلك الحجة. ثم قدمت بعد الحج إلى مدينة زبيد وقد توفي بها جدي المذكور في حال غيبتي وكانت وفاته ضحى يوم الاربعاء منتصف المحرم (٨٨٤/ ١٤٧٩م) (٤٨) عن ثمانين سنة غير أربعة أشهر رحمه الله تعالى.

وكان قدومي يوم رابع موته فاقمت بزبيد عند خالي

المذكور في أطيب عيش وأتم سرور ولم أزل عنده حتى ذهبت إلى الحجة الثانية في أواخر سنة (٨٨٥/ ٨١ - ١٤٨٠) فحججت ثم رجعت إلى مدينة زبيد سالما غانما ثم من الله على بصحبة شيخنا الامام العلامة المحدث فقيه أهل اليمن زين الدين أبي العباس أحمد بن احمد بن عبد اللطيف الشرجي (٤٩) كان الله له، فاخذت عليه في علم حديث رسول الله (صلعم) وكان هو المرشد إلى ذلك. جزاه الله عني أحسن الجزاء. فقرأت عنده صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وموطأ الامام مالك والشفا للقاضي عياض وعمل اليوم والليلة لابن السنى (٥٠) والشمائل للترمذي (٥١) والرسالة للقشيري(٥٢) وجميع مؤلفاته ومصنفاته وما لايحصى من الاجزاء والكتب اللطيفة وبه تخرجت وانتفعت وألفت في حياته كتابي المسمى «بغاية المطلوب وأعظم المنة فيما يغفر الله من الذنوب ويوجب الجنة» (٥٣) وهو الذي تعلمت به صنعة التأليف والتصنيف والترصيف والتصفيف.

وارتحلت في حياته بإشارته إلى بيت الفقيه(٥٤) ابن عجيل لزيارة فقهاء بني جعمان (٥٥) فاخذت في الفقه بها على شيخنا الامام الصالح المقرب ولي الله تعالى جمال الدين أبي أحمد محمد بن الطاهر بن أحمد بن عمر بن جعمان فقرأت عليه «منهاج الطالبين» للنووي (٥٦) جميعه ومن كتاب «الحاوى الصغير» وتيسيره للبارزي (٥٧) ونظمه لا بن الوردي (٥٨) الى ثلث كل كتاب منها وأخذت في الحديث بها على شيخنا الامام الأوحد الصالح ذى الفنون العديدة والمآثر الحميدة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي القاسم ابن جعمان فقرأت عليه «كتاب الاذكار» للامام النووي «والشمائل» للترمذي (٥٩) و«عدة الحصن الحصين» للجزري (٦٠) وغير ذلك وسمعت عنده بقراءة غيري مجالس من صحيح البخاري ومسلم وبعضا من كتاب الارشاد ومختصر الحاوي للعلامة شرف الدين ابن المقري (٦١) وغير ذلك وانتفعت بدعاء كل واحد ومن مشايخي المذكورين ومحبتهم لي رحم الله جميعهم وشكر صنيعهم.

ثم حججت الحجة الثالثة في سنة -(٨٩٦ / ١٤٩٠ - ١٤٩١) وزرت بعد الحج قبر سيدنا رسول الله صلعم في أواخر ذي الحجة منها ثم رجعت الى مكة المشرفة في المحرم من سنة (٨٩٧/ ١٤٩١) فمن علي الله بلقيا الشيخ حافظ العصر مسند الدنيا فريد الوقت شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمان السخاوى (٦٢) المصري الشافعي فيها فصحبته وانتفعت به وأخذت عليه في علم الحديث النبوي وسمعت عنده كثيرا من صحيحي البخاري ومسلم ومن كتاب «مشكاة المصابيح» للتبريزي (٦٣) وجملة من ألفية الحديث للحافظ أبي الفضل العراقي (٦٤) ومن شرحها له المسمى «بفتح المغيث لشرح ألفية الحديث» (٦٥) وقرأت عليه كتاب «بلوغ المرام من أدلة الاحكام» للحافظ أبي الفضل بن حجر (٦٦) وبعضا من كتاب سيرة ابن سيد الناس اليعمري (٦٧) المسماة «بعيون الاثر» وبعضا من كتاب «رياض الصالحين» للنووي وثلاثيات البخاري وما لا يحصى من الاجزاء والمسلسلات وكان يجلني ويشير الي ويعظمني ويقدمني على سائر الطلبة ويوثرني وأحسن الي كثيرا جزاه الله عني خيرا.

ثم لما رجعت من الحج الى وطني الفت كتابي المسمى «كشف الريبة في شرح دعاء الامام أبي حربه» (٦٨) ثم ألفت بعده كتاب التاريخ هذا المسمى «بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» (٦٩) ولما وقف عليه مولانا السلطان صلاح الدين الملك الظافر عامر ابن عبد الوهاب بن داود بن طاهر(٧٠) جدد الله سعوده ونصر جنوده - طلبني الى مجلسه الشريف العالي واستجاده واستحسنه دعا لي ونبهني على إلحاق أشياء فيه كنت أغفلتها واستدراك فوائد شوارد لم أكن ذكرتها. ثم اختصرت له منه كتابي المسمى «بالعقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر» (٧١) وذكرت فيه دولة جديه ووالده (٧٢) ومآثرهم الحميدة ودولته المباركة الميمونة السعيدة فلما وقف عليه مولانا السلطان أفاض علي مواهب الجود والاحسان وأجازني من مواهبه الهنية بجائزة ميمونة ثم حصلت هذا التاريخ تحصيلا عظيما وتقدمت به إلى مولانا السلطان وهو اذاك بمحروسة المقرانة(٧٣) مقيما وتقدمت إليه فأثابني بثواب عظيم عليه وأفاض علي من مواهب كرمة مايقصر صوب الغمام عن غزير ديمه. ولم أزل عنده في روض وجود

فائض عريض حتى أذن لي في الرجوع إلى وطني وخلع علي خلعة نفيسة وأكرمني وتصدق علي بدمنة سلطانية بمدينة زبيد للسكنى أعطاني (٧٤) قطعة نخل بوادي زبيد وصيرني لاحسانه قنا وتلافاني بعد التلف وتدارك وجعل لي قراءة الحديث بجامع زبيد على المنبر المبارك فرجعت مسرورا الى الوطن في نعمة وافرة وحال حسن شاكرا لجوده وإحسانه معترفا بفضله وامتنانه سائلا الله تعالى أن يجمع الخلق على طاعته وأن يمد في أيام دولته وأن يعز بمتابعة كل صبار شكور ويذل بمخالفته كل جبار كفور، ويجمع له بين نصره العزيز وفتحه المبين ويجعل كلمة الملك باقية فيه وفي عقبه الى يوم الدين

أمين أمين لا أرض بواحدة
حتى أضيف إليها الف أمينا (٧٥)

٢) ملاحظات حول شخصية ابن الديبع المؤرخ:

لم يكن ابن الديبع محدثا وفقيها فحسب بل كان كذلك مؤرخا وله مؤلفات تاريخية تهم اليمن بصفة عامة وزبيد بصفة خاصة.

وقد رأينا من الصالح أن نشير في دراستنا لحياة ابن الديبع ولمؤلفاته لبعض النقاط نعتقد أنها لعبت دورا كبيراً في تكوين شخصيته العلمية وتتعلق هذه النقط بمسقط رأسه زبيد وبوسطه العائلي وأسفاره وإقامته في بلاط السلطان عامر بن عبد الوهاب.

أما زبيد (٧٦) فنحن نعرف حق المعرفة أنها مدينة من أشهر المدن اليمنية وترجع أهميتها الى الدور الرئيسي التي لعبته سواء في المجال السياسي حيث كانت عاصمة لعدة دول مستقلة (٧٧) نذكر منها الدولة الزيادية (٤٩٠ - ٢٠٤/١٠١٨ - ٨٢٩) والدولة النجاحية (٥٥٣-٤١٢/١١٥٨-١٠٢١) ودولة بني مهدي - ١١٥٩) (٥٦٩ - ٥٥٤/١١٧٩) أو في المجال الثقافي والديني اذ أنها كانت مركزا هاما من مراكز العلم في اليمن ومما يؤيد اعتقادنا هذا ما ذكره لنا ابن الديبع بنفسه في عدة مناسبات عندما تحدث عن حنينه لوطنه وتعلقه الشديد بمدينة زبيد التي قضى أغلب فترات حياته فيها والتي خصص لها العديد من مؤلفاته التاريخية. وقد اشار بالخصوص في كتابه «بغية المستفيد (٧٨) في أخبار مدينة زبيد» أن هذا الكتاب عمل لم يشرع فيه أحد من قبله مما يدلنا على الاهمية التي يعلقها ابن الديبع لمدينة زبيد ولتاريخها وحضارتها.

ومن جملة ما قاله ابن الديبع عن زبيد نذكر مايلي: «وهي بلاد العلم والعلماء والفقه والفقهاء والدين والصلاح والخير والفلاح ولم نعلم مدينة من مداين المعمورات ومساكنها المشهورات ظهر فيها ما ظهر في مدينة زبيد من العلم والعلماء والاثبات. هذا مع قلة أهلها وارزاقهم الدقيقة فهم أهل السعادة في الدارين حقيقة وهي أم قرى اليمن ومحط رحال العلماء في كل فن»(٧٩)

ثم لا ننسى أن ابن الديبع ولد كما جاء في ترجمته وفي بقية كتب التراجم (٨٠) في وسط عائلي مثقف وقد نشأ وترعرع وتلقى قسما من تعليمه في هذا الوسط. فجده ابن مبارز (٨١) الذي رباه واهتم بتربيته اثر تغيب ابيه في الهند ثم موته كان مشهورا بعلمه للفقه والحديث.

كذلك الحال بالنسبة لخاله أبي النجا محمد بن اسماعيل (٨٢) الذي اعتنى بمؤلفنا بعد وفاة جده وقد كان مثل ابيه فقيها ومفسرا. فلعل نشأة ابن الديبع في مثل هذا الوسط العائلي المثقف وفي مدينة هامة كزبيد من العوامل التي مكنته من الاطلاع على العديد من كتب الفقه والحديث والمؤلفات الدينية المختلفة.

ومما تجدر الاشارة إليه أن ابن الديبع ذكر لنا في ترجمته ما لايقل عن عشرين عالما وفقيها أخذ عليهم العلم بصفة مباشرة وعدد لنا ما يقارب الثلاثين كتابا درسها على أساتذته بقطع النظر عن حفظه للقرآن منذ طفولته وتعلمه أصنافا شتى من العلوم كالقراءة وفنونها، والحساب والجبر والمساحة والمقابلة والفرائض.

ومما لفت انتباهنا في تعداد ابن الديبع لأساتذته وللكتب التي درسها عليهم هو أن جل هؤلاء العلماء من الشافعية وهذا أمر من شأنه أن يعطينا فكرة عن الحالة الثقافية وعن البيئة الاجتماعية والدينية في زبيد في أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر (القرنان الخامس والسادس عشر). ثم إن مثل هاته الاشارة تشعرنا بأهمية التراث الفكري الذي بدأ يدخل اليمن منذ القرنين الرابع والخامس (٨٣) (العاشر والحادي عشر للميلاد) وتواصل بعد ذلك بصفة منتظمة. ثم إن الكتب التي قال ابن الديبع أنه قرأها مليا وتعمق فيها أغلبها كتب فقه وحديث وهذا أمر يدلنا على طبيعة

ومحتوى التكوين الذي يتلقاه طلبة العلم آنذاك في القطر اليماني.

اما فيما يتعلق بأسفار ابن الديبع خارج زبيد فقد رأينا أنه بدأ يطلب العلم والمعرفة في زبيد ثم انه قام ببعض الاسفار خاصة الى الحجاز حيث ادى فريضة الحج ثلاث مرات على الاقل: المرة الاولى في سنة (١٤٧٩/٨٨٣) وعمره إذاك ١٧ او ١٨ سنة، المرة الثانية سنة ٨٨٥/ ١٤٨١، والحجة الثالثة سنه / ١٤٩١ ٨٩٧ ولا ندري هل قام بحجات أخرى في آخر حياته - وقد زارمنناحية أخرى بيت الفقيه ابن عجيل حيث اتصل ببعض الفقهاء من بني جعمان كما التقى بمكة أثناء حجته الثالثة بالعالم المصري السخاوي (٨٤) الذي أفاده كثيرا وأطلعه على العديد من كتب الفقه والحديث والتفسير. ثم نجده بعد ذلك في مدينة المقرانة مستقر السلطان الطاهرى عامر بن عبد الوهاب الذي دعاه الى بلاطه اهتماما منه بمصنفاته وتشجيعاً له على الكتابة التاريخية وقد أشار ابن الديبع في ترجمته الى أن الظافر (٨٥) أمده بنصائح مفيدة تهم تاريخ زبيد وبني طاهر كما انه أكرمه وجعل له في آخر إقامته قراءة الحديث بجامع زبيد.

كيف توصل ابن الديبع الى بلاط هذا السلطان وما هي العوامل التي تفسر رعايته لمؤلفنا؟

لا شك أن رعاية رجال الحكم من السلاطين والأمراء والملوك للمؤلفين من شعراء ومؤرخين من الاشياء المعهودة التي نجدها في العديد من البلدان والاقطار وفي مختلف الازمنه. وهي تدل - فيما يخص ابن الديبع الذي يهمنا في هاته الدراسة - على مدى الاهمية التي يعلقها هذا السلطان على دولته وعلى إشعاعها في اليمن وخارجها فلا ننسى أن ابن الديبع استدعى لبلاط الطاهريين بعد تأليفه لكتاب «تاريخ زبيد» ثم إنه كلف بكتابة تاريخ دولة بني طاهر وخصص لذلك كتابا سماه «العقد الباهر في تاريخ دولة طاهر». فهذا يعني إذن أن ابن الديبع كان مشهورا لدرجة أن عامر بن عبد الوهاب راى من الصالح أن يستقبله في بلاطه ويسند اليه الهدايا ويكلفه بعد ذلك بدور هام الا وهو قراءة الحديث بجامع زبيد.

فالسؤال الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا هو هل أن هذه الرعاية كل ما أبداه السلطان من تشجيع مادي ومعنوي لابن الديبع هل أن كل هذا من شأنه أن يؤثر في موقف ابن الديبع المؤرخ إزاء السياسه الطاهرية في اليمن آنذاك (٨٦) ؟

هل يمكن أن نقول :إن ابن الديبع كان منحازاً للنظام الطاهري ومدافعا عن سياسة الطاهريين بصفة عامة؟

ثم نود أن نشير الى نقطة أخرى تهم موقف ابن الديبع المؤرخ والشاهد عيان ازاء قضايا عديدة عاصرها. منها - ماذا كان موقفه كمؤرخ وكزبيدي إزاء الجراكسة (٨٧) أو (المماليك) الذين دخلوا اليمن في آخر ايام بني طاهر وقضوا على الدولة الطاهرية التي نشأ في ظل آخر سلطان لها ؟

- ثانياً: ماهو رأيه في الدولة الهدوية التي عاصرها والتي كانت تحكم قسما هاما من اليمن منذ سنة (٩٤) ٢٨٤ / ٩٩٨ .

إن دراسة دقيقة لجميع مؤلفات ابن الديبع التاريخية من شأنها أن تعيننا على الاجابة على كل هذه التساؤلات التي أثرناها.

وعلى العموم فحياة ابن الديبع يمكن أن نقسمها الى أربعة فترات زمنية مختلفة:

- أولا : فترة الطفولة وبداية التعلم التي رأينا أن نحصرها بين سنتي ٨٦٦ / ١٤٦١ و ٨٨٤ /١٤٧٩ تاريخ وفاة جده . وتمتاز هاته الفترة بحدثين هامين : أولهما موت أبيه بالهند سنة ١٤٧٣/٨٧٦ وقد ذكر لنا ابن الديبع أنه لم يره قط . ثانيهما نشأته في حضن جده لامه وتعلمه القرآن وعلوما أخرى مثل الحساب والفقه..

- ثانياً : فترة الشباب التي قضاها كما رأينا في طلب العلم على شيوخ وأساتذة مختلفين من جملتهم خاله أبو النجا والعالم الشرجي والفقيه السخاوي .

وقد أداه اطلاعه وتعلمه خلال هاته الفترة الى التنقل خارج موطنه وتمتاز هاته الفترة التي تمتد الى حوالي سنة ١٤٩١/٨٩٧ (تاريخ سفره الى مكة ولقائه مع العالم السخاوى ثم رجوعه الى زبيد) ببداية تصنيفه للكتب وخاصة كتاب « غاية المطلوب» و « كشف الكربة».

- ثالثاً : فترة أصبح فيها ابن الديبع مؤلفا

مشهوراً وعالما ذا قيمة مما يفسر لنا إقامته في بلاط السلطان عامر بن عبد الوهاب مدة من الزمن لم يحددها لنا . وقد ألف خلال هاته الفترة التي تواصلت الى سنة ١٥٠٠/٦٠٦ تقريبا) كتبا تاريخية منها «بغية المستفيد » و« العقد الباهر».

- رابعاً : الفترة الأخيرة من حياة ابن الديبع وهي فترة لا نعرف عنها أشياء كثيرة حيث أن المؤلف - كما قلنا ذلك من قبل - قد يكون وضع ترجمة الشخصية سنة ١٥٠٠/٦٠٦ بعدما أتم كتاب « بغية المستفيد » وهذا يعني أن المؤلف قد يكون قضى كل هاته المدة (١٥٠٠/٩٠٦ و ١٥٣٧/٩١٤) في بيته ومسجده لتصنيف الكتب وتدريس الحديث . وقد جاء في ترجمة الغزى لابن الديبع ان هذا الاخير اجتمع سنة ١٥٠٨/٩١٤ بالشيخ جار الله فهد المكي الذي زار اليمن آنذاك وأخذ العلم من مؤرخنا .

كما ذكر لنا الشوكاني (٨٨) من ناحيته أن ابن الديبع كان عالما مشهورا لاسيما في فن الحديث وأن شهرته في اليمن تواصلت حتى القرن الثالث عشر / القرن التاسع عشر..

أما ابن العماد (٦٦) فاكد أن مؤلفنا كان حافظا للاثار والاخبار أخذ عنه الأكابر كالحافظ السيد الطاهر بن حسين الاهدل (٩٧) وغيره وقد انتهت إليه رئاسة الرحلة في علم الحديث والعبادة الى أن توفي ضحى يوم الجمعة السادس والعشرين من رجب ١٥٣٧/٩٤٤ . وقد صلي عليه بمسجد الاشاعرة(٩١) ودفن بترية باب سهام عند قبة الشيخ الجبرتي وخلف ولده يقرأ الحديث عوضه في جامع زبيد الكبير .

٤) ملاحظات حول مؤلفات ابن الديبع :

كان ابن الديبع من العلماء الذين قاموا بتأليف العديد من الكتب والمصنفات في شتى العلوم (٩٢) .

. غير أن هذه المؤلفات لم يصلنا منها إلا القليل النادر . وسنحاول أن نقسمها الى ثلاثة أنواع : المؤلفات التاريخية وكتب الفقه والتفسير والحديث ثم بقية مؤلفاته من قصائد وأراجيز وغير ذلك .

١) المؤلفات التاريخية : يمكن لنا حصرها فيمايلي :

- كتاب « بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد »(٩٣) الذي ألفه ابن الديبع وأتمه سنة ١٥٠٠/٦٠٦ وقد سبق أن تحدثنا عن محتواه وأهميته التاريخية .

- « الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» (٩٤١) وهو عبارة عن تكملة لكتابه السابق يصل فيه ابن الديبع الى حوادث سنة ١٥١٧/٩٢٣ (أي تاريخ موت آخر سلاطين بني طاهر ودخول المماليك الى اليمن).

- « قرة العيون في أخبار اليمن الميمون» (١٠٢) وهو كتاب عام في تاريخ اليمن يقع في ثلاثة أبواب :

- الباب الاول : في ذكر اليمن ومن ملك صنعاء وعدن ويقع في ١٠ فصول .

- الفصل الاول : في فضل اليمن وما يتعلق بذلك.

- الفصل الثاني : في ذكر إسلام أهل اليمن وذكر عمال الرسول (صلعم) .

- الفصل الثالث : في ذكر عماله بعد وفاته عليه السلام.

- الفصل الرابع : في ذكر عمال بني أمية.

- الفصل الخامس : في ذكر عماله في الدولة العباسية.

- الفصل السادس : في ذكر القرامطة باليمن وذكر علي بن الفضل .

- الفصل السابع : في ذكر الامراء المتغلبين على صنعاء.

- الفصل الثامن : في ذكر ظهور الدولة الصليحية .

- الفصل التاسع : في ذكر ملوك صنعاء بعد الصليحيين.

- الفصل العاشر : في أخبار الدولة الزريعية واستيلاء الزريعيين على عدن.

- الباب الثاني : في ذكر مدينة زبيد وأمرائها وملوكها ووزرائها ويقع في ١٨ فصلا .

- الفصل الاول : في ذكر اختطاط مدينة زبيد وتملك بني زياد.

- الفصل الثاني : في ذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نجاح.

الفصل الثالث : في ذكر وزراء آل نجاح.

الفصل الرابع : في قيام ابن مهدي وزوال ملك الحبشة.

- الفصل الخامس : في ذكر دولة بني أيوب .
- الفصل السادس : في ذكر دولة بني رسول وأولهم الملك الناصر عمر بن علي .
- والفصل الثامن حتى الفصل الثامن عشر : ذكر ملوك بني رسول الواحد بعد الآخر .
- الباب الثالث : في ذكر الدولة الطاهرية ويقع في ٣ فصول :
- الفصل الاول : في ذكر دولة الملك المجاهد وأخيه الظافر.
- الفصل الثاني : في ذكر الملك المنصور تاج الدين عبد الوهاب بن داود.
- الفصل الثالث : في ذكر الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب .

ويعد هذا الكتاب (٩٦) من أهم المؤلفات التاريخية عن دولة بني رسول (٨٥٨ - ١٤٥٤/٦٢٦ - ١٢٢٩) ودولة بني طاهر (٩٢٣- ١٥١٧) (٨٥٠ - ١١٤٦) اللتين حكمتا زبيد وقسما من اليمن مابين القرنين السابع والعاشر (القرون الثالث عشر حتى السادس عشر).

- « العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر» (٩٧) وهو كتاب ضائع اختصره المؤلف للملك الظافر بن عبد الوهاب وذكر فيه دولة جديه (الظافر الاول عامر بن طاهر والمجاهد علي بن طاهر) ووالده (المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر).
- «تاريخ الدولتين الناصرية والظاهرية » (٩٩) وهو عبارة عن كتاب يذكر فيه ابن الديبع دولة الناصر بن الاشراف المتوفي سنة ٨٢٧/ ١٤٢٤ والظاهر بن الاشرف المتوفى ١٤٣٨/٨٤٢ .

وهو من الكتب التي لم تصلنا أو على الاقل لم يعثر عليها العلماء الى حد الان.

٢) القصائد والاراجيز : نذكر من بينها :

- (أحسن السلوك في نظم من ولي مدينة زبيد من الملوك) (١٠٠) وهي أرجوزة تقع في ١١٩ بيت لها مقدمة في ٧ أبيات يليها قسم أول في « ذكر اختطاط زبيد وذكر بني زياد وولايتهم ومن وزر لهم» (٢٤ بيت) ثم قسم ثان في « ذكر وزراء بني نجاح والصليحيين » (١٦ بيت) وثالث في « ذكر دولة بني مهدي» (٦ أبيات) ويذكر لنا ابن الديبع في بقية الارجوزة « دولة بني أيوب » (١٠ أبيات) و«دولة بني رسول » (٣٣ بيت) ، وهو أطول قسم للارجوزة وأخيرا « دولة بني رسول»(٢٠ بيت)، اطلعنا على هاته الارجوزة التي جاءت في آخر مخطوطة كتاب « بغية المستفيد » الموجود في المكتبة القومية بباريس (١٠١) كما وجدنا نفس الارجوزة في مخطوطة أخرى بنفس المكان (١٠٢) .
- « منظومة في تاريخ مدينة زبيد » (١٠٣) .
- « قصيدة في تفصيل تعز وبعض المدن الجبلية (١٠٤)

٢) المؤلفات الاخرى :

- « فضائل اليمن وأهله» (١٠٥) وهي عبارة عن رسالة تقع فى ثلاثة فصول وقد ذكر لنا أيمن فؤاد سيد أن مكتبة الامبرزيانا بميلانو تملك نسختين مخطوطتين منها.
- « مختصر العطايا السنية» (١٠٦) وهوعبارة عن كتاب لخص فيه ابن الديبع ماجاء في كتاب آخر ألفه الملك الافضل عباس بن علي بن داود بن رسول اليمني المتوفى سنة ٧٧٨ / ١٣٧٧ وعنوانه الكامل« العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية» (١٠٧) . وقد ذكر فيه المؤلف من دخل اليمن من الصحابة كما ترجم للعديد من العلماء والاولياء والوزراء . وهذا الكتاب مرتب على الحروف فرغ منه الافضل الرسولي سنة ٧٧٠ / ١٣٦٨.
- تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث»(١٠٨) وهو كتاب في الحديث نشر بالقاهرة سنة ١٣٢٤.
- « تيسير الوصول الى جامع الاصول » (١٠٩) ويقع هذا الكتاب في مجلدين. وقد هذب فيه حسب الغزي (١١٠) جامع الاصول وجمع فيه الكتب الستة وله فيه بعض الابيات من الشعر:

(الطويل)

كتابي تيسير الاصول الذي حوى
أصول الحديث الستة عز نظيره
فمن معانيه اعتنى ودروسه
وتحصيله استغنى ودام سروره

أما الشوكاني فقد قال عنه « أن المؤلف اختصره اختصارا حسنا وتداوله الطلبة وانتفعوا به»(١١٧) وقد نشر هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٢٤(١١٢) في ٣ أجزاء. وذكر لنا صاحب هدية العارفين تنقيحا لهذا الكتاب « تنقيح الوصول وجامع الاصول لاحاديث الرسول»(١١٢)

- « غاية المطلوب وأعظم المنة فيما يغفر الله به من الذنوب ويوجب الجنة» (١١٤) وهو من الكتب التي ذكرها ابن الديبع في ترجمته وقال إنه ألفه بعد سنة ٨٨٥ / ١٤٨٠ عندما كان العلم على الشيخ الشرجي. وقد يكون أول تأليف قام به ابن الديبع وتعلم به « صنعة التأليف والتصنيف » (١١٥)

- « كشف الكربة في شرح دعاء الامام أبي حربه» (١١٦) ذكره لنا ابن الديبع في ترجمته وقال إنه أتم كتابته في مدينة زبيد بعد رجوعه من مكة سنة ٨٩٧ / ١٤٩١ وهو من الكتب الضائعة التي لم تصلنا.

(١١٧) - ويذكر لنا صاحب شذرات الذهب ٢٥ مؤلفات أخرى من بينها « مصباح المشكاة » وكتاب «المعراج » دون أن يعطينا فكرة واضحة عن محتواها. كما يذكر لنا البعض من أشعاره خاصة ماقاله في صحيحي البخاري ومسلم :

(الطويل)

تنازع قوم في البخاري ومسلم
لدى وقالوا أي ذين يقدم
فقلت لقد فاق البخاري صنعة
كما فاق في حسن الصياغة مسلم.

أو قوله فيهما :

قالوا لمسلم سبق قلت البخاري حلى
قالوا تكرر فيه قلت المكرر أحلى

وقد نقل لنا يحيى بن الحسين في كتابه « غاية الاماني » بعض الابيات التي كان قالها ابن الديبع في رثاء السلطان عامر بن عبد الوهاب (١١٨) وأخيه عبد الملك.

(الطويل)

اخلاي ضاع الدين من بعد عامر
وبعد أخيه اعدل الناس بالناس
فمذ فقدا والله والله اننا
عن الامن والسلوان في غاية اليأس

وله أيضاً

تحطم من ركن الصلاح مشيده
وقوض من بنيانه كل عامر.
فما من صلاح فيه بعد صلاحه
ولا عامر والله من بعد عامر.

أخيرا يمكن القول إن ابن الديبع يمثل حقاً أنموذجا للمؤرخ اليمني المحلي الذي عاش مخضرما مابين القرنين التاسع والعاشر (الخامس عشر والسادس عشر) وأرخ خاصة لدولة بني رسول ودولة بني طاهر التي عاش مدة زمنية في ظل آخر سلاطينها عامر بن عبد الوهاب.

وقد كان ابن الديبع بقطع النظر عن مؤلفاته التاريخية التي نعتبرها هامة جدا لدراسة تاريخ اليمن وزبيد في العهد الرسولي والطاهري خاصة، عالما ذا شهرة كبيرة ومحدثا ذاع صيته في كامل اليمن ألف العديد من كتب الحديث والفقه وأفاد الكثير من الطلبة الذين جاءوا إلى زبيد وأخذوا العلم عنه.

وعلى العموم فبعد ابن الديبع « مؤرخ اليمن وزبيد» قبل كل شيء.

٥) أرجوزة ابن الديبع حول زبيد « أحسن السلوك في نظم من ولي مدينة زبيد من الملوك» (١) .

قال فقير الله عبد الرحمان
ابن علي الديبع (٢) راجي الغفران.
الحمدلله العلي الأمجد
وصل يارب علي محمد
وبعد فالتاريخ علم نافع
فاعن به فكم له منافع
فان من يعلم علم من مضى
لدى جميع العالمين مرتضى
وهاك خُذْ يا ذا النها موفقا
نظما فصيحا محققا
فيمن ولي زبيد منذ اختطت
الى زماننا بتسع المائة
فالق سمعا نحو ما أقول
والله عوني وهو لي كفيل.

ذكر اختطاط مدينة زبيد (٣) وذكر بني زياد (٤) وولايتهم بها ومن وزر لهم.

زبيد بالتحقيق يا أخا الرشد
اختطها في شهر شعبان وقد
مضى من الهجرة ضعف المائة
وأربع من سنوات الهجرة
محمد نجل زياد الأموي (٥)
مستخلف المأمون ذي البأس القوي
جعلها المذكور دار ملكه
ولم يزل إقليمها في ملكه
وعام خمسة وأربعينا
ومائتين مات ذا يقينا
فخلف ذا المذكور إبراهيم (٦)
سليله الموفق الحليم
وبعد تسع وثمانين مضت
ومائتين مات ذا ثم ثبت
في الملك نجله زياد (٧) ثم لم
تطل به مدته بل انعدم
ثم أبو الجيش(٨) أخو ذا اسحاق
نخبة إبراهيم زاكي الأعراق
ودام ملكه ثمانين سنة
وثلاثمائة ولسنه
من بعد تسعين (٩) توفي عن ولد
طفل زياد اسمه هذا أحد
ماقيل بل قيل إبراهيم
وقيل عبد الله (١٠) يا حليم
ثم تولى أمره رشيد (١١)
عبد أبيه البطل الشديد
فضبط الملك له وماتا
غير بعيد فحوى الثباتا
في أمره عبد رشيد الحسين
ابن سلامة (١٢) الموفق الأمين.
كان من الملك له حقيقته
وابن أبي الجيش له تسميته.
وكان عند المسلمين مرتضى
وضبط الملك زمانا وقضى
قام ثلاث بعد أربع المائه
فرحمة الله عليه هاميه
ثم أقاموا من بني زياد
طفلا صغيرا غير ذي رشاد

واسم هذا الطفل عبدالله (١٣)
كفله عبد الحسين الزاهي
مرجان مقتني نفيس ونجاح(١٤)
فقتل الطفل نفيس وأزاح
سنة سبع ثم أربع مضت
من المائتين وبدا الطفل انقضت.

دولة الانجاد بني زياد
فملكهم يكون بالتعداد.

مدته بالضبط ضعف المائه
ثم ثلاث من سنين صحت

ذكر الوزراء بني نجاح (١٥) وذكر الصليحيين (١٦).
ثم تنافس نفيس ونجاح
على تولي ملك مولاهم فصاح
نفيس من باب زبيد قتلا
وأخذ الملك نجاح سهلا
وجازه من عام اثنتي عشرة
وأربع المائين بعد الهجرة
الى وفاته بعد اثنتين
وأربع من المائة وخمسين (١٧).
وثار بعده الصليحي على (١٨)
على بنيه بالبلا حتى ولي
الملك عام خمسة وخمسين
وأربع من المائين تمضين
ومات بالمهجم قتلا قاتله
سعيد الأحول (١٩) فهو صائله
وملك البلاد وولي
الملك قهرا أحمد نجل علي
أعني به المكرم الصليحي(٢٠)
وعاد الأحوال بالتصحيح
سنة تسع بعد سبعين وقد
مضت من المائين أربع عدد
فلم يزل مالكها حتى قتل
سنة إحدى وثمانين نقل
ثم استمر بعده أخوه
جياش (٢١) حتى مات فاطموه

عام ثمان بعد تسعين وقل
أربع مائة قبل ذلك يارجل
ثم ابنه الفاتك (٢٢) حين ماتا
من بعد خمسمائة وفاتا
عام ثلاث ثم منصور ابنه
ثم ابنه فاتك (٢٣) كان دفنه
سنة إحدى وثلاثين مضت
من بعد خمسمائة قد انقضت.
فابن أخيه فاتك (٢٤) بعد ولي
ابن محمد بن منصور انقل
قتله عبيده في سنة
ثلاث وخمسين وخمسمائة
ثم انقضت دولتهم موفيه
إحدى وأربعين من بعد المئة

ذكر دولة بني مهدي (٢٥)

وقام في الملك ابن مهدي علي (٢٦)
سنة أربع ولما ان ولي
مات بعامه فقام مهدي(٢٧)
ولده من الملك ثم اردى
بالموت في عام ثمان الخمسين
بعد المئات الخمس بغير تخمين
ثم ولي عبد النبي (٢٨) أخوه
من بعده ومات فاعلموه
لتسع ستين وخمسمائة
قد انقضت من سنوات الهجرة
مدتهم في الملك خمس عشره
رأى بها دين الهدى مايكره

ذكر دولة بني أيوب (٢٩)

وطلب الدين عزيز النصره
فحازه توران (٣٠) رب الشهره
وذاك بعد قتله عبد النبي
فاحفظ هدية ماأقول تصب
ثم تولى توارن شاه ملك اليمن
ثم أخوه طغتكين (٣١) ذو المنن
للتسع والخمسين والخمسمائة
والثلاث وتسعين هيه
من بعد خمسمائة مات وقد
ولي ابنه المعز بعده عدد
سنين ثم مات قتلا في سنة
ثمان وتسعين(٣٢) وفي الملك ثبت
سنة إحدى عشرة مات وقد
وليها المسعود(٣٤) بعده وسد
خللها من اثنتي عشر الى
سنة خمس مع عشرين ولا
أو التي تلي وكان آخرا
ملك بني أيوب عنه آخرا

ذكر دولة بني رسول (بنو غسان) (٢٥) .

ثم ولي منصورها الرسولي (٣٦)
نيابة الملك فحقق قولي.
ثم استقل لثلاثين سنة
بعد المائة الستة وكان حسنه
من حسنات الدهر ثم ماتا
سنة سبع الأربعين فاتا
ثم ولي ولده المظفر(٣٧)
ودام ملكه القوى القاهر
لأربع التسعين والستمائة
مات وقد أقام فيما وليه.
ولده الأشرف (٣٨) ثم ماتا
لست تسعين ولما فاتا
ولي أخوه الملك المؤيد(٣٩)
وبعد سبعمائة تعدد
مات سنة إحدى مع العشرينا
وقد وليه بعده سنينا
سليله المجاهد الرسولي(٤٠)
وقام في مقامه علانيه
ولده الأفضل (٤١) مات لثمان
من بعد سبعين وفي الملك استبان
الاشرف ابن الافضل الغساني (٤٢)
ومات بالتحقيق والبيان
عام ثلاث وثماني مائه
ثم ابنه الناصر(٤٣) عالي الهمة
مات لسبع ولعشرين مضت
بعد الثمان المائة التي خلت

ثم ابنه المنصور(٤٤) حتى ماتا
عام ثلاثين وبعده أتى
أخوه إسماعيل ثم الظاهر (٤٥)
وكان ملكه العظيم الفاخر
سنة إحدى وثلاثين كما
حققه المؤرخون القدما
ومات يحيى الظاهر بن الأشرف
سنة اثنتين وأربعين في
آخر شهر رجب ثم ولي
سليله الأشرف (٤٦) ما كان ولي
ومات عام خمس وأربعينا
بعد ثماني مائة سنينا
ثم وليها بعده المظفر(٤٧)
سليل عمه وذاك عمر
ابن المليك الأشرف الغساني
ولتعز كان ذا استيطان
فخرج الاتراك في زبيد
عن طاعة المظفر السعيد.
وملكوا محمد بن عثمان (٤٨)
ابن المليك الافضل بن غسان
أول عام ست وأربعين
ثم العبيد ملكوا المسكينا
أحمد نجل الطاهر بن يوسفا
سليل عبدالله فيما عرفا
ابن المجاهد الرسولي علي
فلم يكن أهلا لماله ولي
وملكوه في جمادي الاخر
ولقبوه بالمليك الناصر
ونهبت زبيد في ايامه
فلقب الخاسر(٤٨) لاستشئامه
خلعوه في ربيع الاول
سنة سبع الأربعين فانقل
ملكوا المسعود(٥٠) نجل الأشرف
ابن المليك الناصر بن الاشرف
من ذلك التاريخ حتى خلعا
لتسع خمسين وفيها ودعا
فمائتان وثلاثون سنة
وأربع دولتهم مبينه

ذكر دولة بني طاهر الامويين(٥١)

واذا أراد الله رحمة الورا
أقام شبلي طاهر(٥٢) ويسرا
عليهما عسيره فقاما
وأحرزا الذي عليه حاما
وملكا البلاد ثم أخذا
زبيد عام تسع وخمسين ذا
من بعد أخذ عدن لعام
وكم نالنا من الانعام
علي المجاهد بن طاهر(٥٣)
وصنوه عامر خير ظافر
وملكا البلاد والعبادا
وقهرا وحسما الفسادا
وكم لهم ياصاحبي مآثر
وعام سبعين توفي عامرٌ
وعاش بعده علي وقضا
عام ثلاث وثمانين مضى
ثم ولي المنصور عبد الوهاب (٥٤)
ابن أخيهما الحليم الاواب
داود ذي الايد سليل طاهر
أعظم به من مالك وقاهر
وكم ماثر حميدة
كثيرة شهيرة عديدة
ومات للأربع والتسعين
ثم ولي ابنه صلاح الدين
عامر الظافر(٥٥) خير مالك
نجا به الله من المهالك
فهو خيار من خيار ولم تزل
دولته تسمو على كل الدول
فاق الملوك بالتقى والدين
ورحمة الضعيف والمسكين
يعطي الجزيل ويزيل الفقرا
ويبذل الدنيا ويبقى الاخرا
لله كم أحيا بيوت الله
لازال محروسا بعين الله
وعونه مؤيدا منصورا
مظفرا طول المدى مسرورا (٥٦)

والحمد لله على ما ألهما
وبعد صلى الله ثم سلما
على محمد اجل شافع
وآله وصحبه والتابع.

الهوامش:

١) انظر الجغرافيين العرب الذين حددوا اليمن مثل ابن خرداذابة واليعقوبي وابن الفقيه الهمداني وابن رسته وابن حوقل . انظر كذلك كتب الرحالة مثل المقدسي وابن جبير وابن بطوطة الى غير ذلك . راجع أيضا باب اليمن في دائرة المعارف الإسلامية .

٢) ظل اليمن على هاته الحالة إلى أن اكتشف البحار اليوناني HIPALUS في القرن الاول الميلادي اتجاه الرياح الموسمية في المحيط الهندي بحيث تحولت الطريق البحرية وضعفت الحركة التجارية باليمن . انظر أحمد حسن شرف الدين . «اليمن عبر التاريخ» . القاهرة 64 — 1963 . ص 137 .

٣) راجع في هذا الشأن ما ذكره لنا الحسن بن أحمد الهمداني في تآليفه . خاصة «صفة جزيرة العرب» الذي حقق ثلاث مرات : أولا في ليدن 91 — 1884 عن طريق مولر ، Moller ، ثم في القاهرة 1953 من طرف محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي وأخيرا في الرياض 1974 على يدي القاضي محمد بن علي الاكوع . راجع أيضا «الاكليل» الجزء الثامن . تحقيق نبيه أمين فارس سنة 1940 ببرنستن .

٤) انظر ما جاء في كتاب أحمد حسن شرف الدين «تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن» القاهرة 1968 .

٥) انظر أيمن فؤاد سيد «مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي» المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1974 . ص 54 — 53 .

٦) انظر نفس المرجع ص 56 — 55 . انظر كذلك عبد العزيز الدوري «بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب» المطبعة الكاثوليكية بيروت 1960 ص 103 وما بعدها .

٧) نفس مصادر ص 70 — 68 .

٨) انظر نفس المصدر ص 79 — 78 .

٩) راجع نفس المصدر ص 104 .

١٠) انظر نفس المصدر ص 108 وما بعدها .

١١) راجع نفس المصدر ص 111 وما بعدها .

١٢) انظر نفس المصدر ص 139 وما بعدها .

١٣) راجع نفس المصدر ص 43 — 142 .

١٤) انظر نفس المصدر ص 161 وما بعدها .

١٥) انظر نفس المصدر ص 200 وما بعدها .

١٦) انظر نفس المصدر ص 205 وما بعدها .

١٧) انظر نفس المصدر وراجع أيضا عبد الله محمد الحبشي . «مراجع تاريخ اليمن» دمشق 1972 . أحمد حسن شرف الدين «تاريخ الفكر»...

١٨) انظر مصادر حيث يذكر لنا أيمن فؤاد سيد قائمة المخطوطات اليمنية المنتشرة في أنحاء العالم . راجع كذلك فؤاد سيد . مخطوطات اليمن . في مجلة معهد المخطوطات العربية (1) 1955 ص 224 — 194 صلاح الدين المنجد . فهرس المخطوطات العربية في الامبروزيانا بميلانو . الجزء الثاني . القسم الاول — القاهرة 1960 .

١٩) انظر
DE SLANE - Catalogue des manuscrits arabes à la B. N. Paris, 1883-1885.
DE BLOCHET - Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisitions, Paris, 1929. Supplément du catalogue des manuscrits arabes.
من جملة المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة القومية بباريس هنالك ما يقارب الخمسين مخطوطة التي تهم تاريخ اليمن في العهد الاسلامي . هذا وقد ألقينا بحثا حول هذا الموضوع في نطاق مؤتمر الدراسات التاريخية لشرقي

الجزيرة العربية الذي انعقد في الدوحة من 21 إلى 27 مارس 1977 . انظر المؤرخ العربي . العدد العاشر ، 1979 ، ص 132 — 115 .

٢٠) انظر مصادر ص 200 وما بعدها . انظر أيضا (Van ARENDONK) E. I, II : 769 من الجدير بالذكر أن الديبع (بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الموحدة وفي آخره مهملة) كلمة تعنى بلغة النوبة المبيض أو الابيض . راجع خاصة الغزى « الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة » . 3 أجزاء . تحقيق جبريل سليمان جبور . بيروت 1959 — 1954 . انظر الجزء الثاني ص 158 . الشوكاني « البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع » جزءان . طبعة القاهرة 1348 . انظر الجزء الأول ص 335 . وهو لقب لجده الأعلى علي بن يوسف .

٢١) انظر BLOCHET - Catalogue : المخطوطتين رقم 5897 و 6069 .

٢٢) انظر 50 — 1249 : (R. STROTHMANN) E. I, IV : زبيد هي مدينة تقع في تهامة اليمن . وهي مقر مخلاف من مخاليف اليمن . وعاصمة لدولة مستقلة منذ القرن الثالث / القرن التاسع . انظر ما جاء في كتاب « صفة جزيرة العرب عن زبيد » . راجع كذلك ابن المجاور . « تاريخ المستبصر » — « صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز » — تصحيح O. LOFGREN ليدن ، 1951 .

٢٣) انظر S. LANE POOLE - Mohammaden dynasties, Paris 1925 وخاصة الباب الخاص باليمن « العربية السعيدة » ARABIA FELIX ص 103 — 89 لمعرفة كل دول اليمن منذ القرن الثالث/القرن التاسع .

٢٤) انظر مصادر ... ص 201 وما بعدها .

٢٥) انظر كتب التراجم خاصة « الكواكب السائرة » II ، 185 . « شذرات الذهب » 8 ، 255 « البدر الطالع » : ص 335 . راجع كذلك عمر رضا كحالة . معجم المؤلفين»، 15 جزء دمشق 1961 — 1957 . انظر الجزء الخامس ص 195 . «الزركلي» « الاعلام » — 15 جزء . القاهرة 59 — 1954 . انظر الجزء الرابع ص 91 ومابعدها . ٢٤

٢٦) يشير أ . فؤاد سيد في كتابه «مصادر تاريخ اليمن» إلى وجود عدة نسخ لكتاب ابن الديبع « بغية المستفيد » في دار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية ومكتبة أحمد الثالث وعلي اميرى بقطع النظر عن النسخ الشخصية والنسخ المحفوظة في برلين وبرنستون والمتحف البريطاني وصوفيا ... إلى غير ذلك . انظر مصادر ... ص 202 .

٢٧) انظر (Van ARENDONK) E. I, II : 769 باب ابن الديبع .

٢٨) انظر نفس المصدر اعلاه ص 769 .

٢٩) انظر « الكواكب السائرة » . الجزء الثاني — ص 189 . ابن العماد الحنبلي « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » . 8 أجزاء نشر حسام الدين القدسي — القاهرة 1351 — 1350 . انظر الجزء الثامن ص 256 . راجع كذلك « البدر الطالع » الجزء الاول ص 335 . « الاعلام » الجزء الرابع ص 92 — 91 .

٣٠) انظر Mohammaden dynasties ص 103 — 89 .

٣١) انظر المخطوطة (أ) الورقة 143 أ وما بعدها حتى الورقة 147 أ والمخطوطة (ب) من الورقة 98 حتى الورقة 101 . هذا وقد نقل لنا العيدروس في مؤلفه « النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر » هذه الترجمة بأكملها . انظر ص 218 — 212 من طبعة بغداد ، 1934 .

٣٢) لا يذكر لنا ابن الديبع الا الشيء القليل عن أبيه الذي يسمى علي بن محمد بن عمر الشيباني . انظر « شذرات الذهب » الجزء الثامن ص 256 — 255 السخاوي « الضوء اللامع لاهل القرن التاسع » 12 جزء نشره حسام الدين القدسي — القاهرة 55 — 1953 . انظر خاصة الجزء الرابع ص 105 — 104 . راجع أيضا إسماعيل باشا البغدادي « هدية العارفين — أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » جزءان استانبول 55 — 1951 . انظر الجزء الأول ص 545 « الأعلام » الجزء الرابع ص 92 — 91 .

٣٣) انظر « الضوء اللامع » الجزء الثاني ص 306 — 305 حيث يقول لنا السخاوي أن جد ابن الديبع يسمى إسماعيل: بن محمد بن أحمد بن مبارز الشرف أبو المعروف اليمني الزبيدي الشافعي . كما يبين لنا في نفس الوقت أنه والد أبي النجا محمد الطيب (الذي هو خال ابن الديبع) وقد كان فقيها اشتغل خاصة بحفظ القرآن والتفسير والحديث والتصوف كان مولده سنة 804 — 1401 وموته يوم الاربعاء منتصف المحرم 10/884 مارس 1479 . انظر للمصدر المذكور ص 306 .

٣٤) جاءت حدب في مخطوطة (أ) ص 143 وجذب في مخطوطة (ب) ص 98 .

٣٥) لم نجد له ذكر في تراجم ابن العماد والسخاوي لكننا عثرنا عند مؤلف شذرات الذهب على ترجمة لعالم زبيدي اسمه موفق الدين علي بن محمد بن تحر الشافعي الزبيدي . كان اماما ومفتيا لزبيد وقد ولد سنة 1356/758 وتوفي في شوال سنة 1438/842 . انظر « شذرات الذهب » الجزء السابع ص 243 . نلاحظ في هذا الصدد أن العالم الزبيدي الذي أخذ عنه الفقه جد ابن الديبع قد يكون هو نفس العالم الذي ترجم له ابن العماد وخاصة وانه عاصر ابن مبارز وعرف بعلمه في الفقه والفتاوي غير أن الاسم لا يناسب ما ذكره لنا ابن الديبع . فلعله الفخري كما ذكره صاحب النور السافر ص 212 .

٣٦) انظر « الضوء اللامع » الجزء العاشر ص 190 حيث يذكر لنا السخاوي أن موسى محمد بن موسى بن علي بن محمد بن علي بن هاشم الكمال الضجاعي الزبيدي كان مفتي زبيد ومحدثها في نهاية القرن التاسع/القرن الخامس عشر . كلما انه كان الخطيب بجامع زبيد . وقد مات بعد مرض طويل سنة 1498/904 حسب ابن العماد . انظر « شذرات الذهب » الجزء الثامن ص 25 .

٣٧) لم نجد له ترجمة عند السخاوي وابن العماد وانما ذكره الضوء اللامع في ترجمة ابن مبارز كأحد الشيوخ الذين اخذ عليهم هذا الأخير العلم والفقه – انظر « الضوء اللامع » الجز الثاني ص 305 .

٣٨) جاءت في تراجم السخاوي ترجمة لأبي الفتح بن محمد بن محمود بن عادل الحسيني المدني المتوفي بعد الثمانين 1475/880 عن احدى وعشرين سنة والجدير بالذكر انه مع الصعب جدا أن يكون من شيوخ ابن مبارز نظرا لصغر سنه خاصة وان جد ابن الديبع الذي من المفروض ان يكون اخذ عليه العلم توفي من جهته سنة 1379/884 . انظر « الضوء اللامع » الجزء الحادي عشر ص 125 . لعله المارني كما جاء عند العيدروس ص 212 .

٣٩) انظر « شذرات الذهب » الجزء السابع ص 206 – 204 حيث يذكر لنا ابن العماد ترجمة الحافظ شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري الشافعي مقرىء الممالك الاسلامية . وقد ولد بدمشق ليلة السبت 25 رمضان 1350/751 وتوفي في ربيع الأول 1429/833 . وكان لهذا الحافظ صيت كبير في الممالك الاسلامية خاصة في اليمن . وقد ذكره كذلك أبو مخرمة صاحب « تاريخ عدن » في تراجمه للعلماء الذين دخلوا عدن في القرن التاسع . انظر تاريخ « ثغر عدن » لأبي مخرمة تحقيق O. LOFGREN ليدن 1936 . انظر نفس الكتاب الذي أعيد طبعه بالاوفسيت بمكتبة المثنى ببغداد . راجع الجزء الثاني ص 229 . ومما جاء في هاته الترجمة أن الجزري كانت له اليد الطولى في الحديث والقراءات وقد ألف العديد من التصانيف في شتى العلوم . كما انه عرف بالتنقل في العديد من البلدان خاصة مصر وشيراز والشام والحجاز واليمن – وقد قرأ عليه الكثير من فقهاء الوقت عندما دخل زبيد وعدن وتعز . انظر نفس المصدر ص 229 .

٤٠) لم نجد عنه شيئا في كتاب التراجم التي اطلعنا عليها . جاء عند العيدروس ص 212 مكي .

٤١) انظر « الضوء اللامع » الجزء الثاني ص 292 حيث يعطينا السخاوي ترجمة لاسماعيل بن أبي بكر بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الصمد الشرف ابو المعروف بن الرضي الجبرتي اليماني . وقد ولد هذا الأخير سنة 1405/808 وتوفي في ربيع الاول سنة 470/875 بزبيد وكان إماما للصوفية .

٤٢) لم نجد عنه شيئا في كتب التراجم التي اطلعنا عليها .

٤٣) انظر « الضوء اللامع » الجزء الثامن ص 72 . وقد كان خال ابن الديبع جمال الدين محمد بن إسماعيل بن مبارز اليمني فقيها واماما عالما توفي حسب السخاوي عشية يوم الاثنين خامس شهر ربيع الاخر سنة 1509/915 .

٤٤) هكذا جاءت في المخطوطتين (أ) و (ب) : الدلي والديو عند العيدروس ص 213.

٤٥) الشاطبية نسبة إلى أبي القاسم الشاطبي (1194 – 590/1144 – 538) الذي شهر بمعرفته الواسعة في علم القراءة وتفسيره للقرآن . انظر E. I, IV : 349-350
كما أن الشاطبية اسم لقصيد مشهور جدا « حرز الأماني ووجه التهاني » يذكر لنا فيه الشاطبي طريقة قراءة الحروف ونطقها كما يبين فيه القراءات المختلفة للقراء السبعة . أنظر نفس المصدر ص 350 – 349 .

٤٦) انظر « شذرات الذهب » الجزء الخامس ص 119 – 118 حيث نجد ترجمة لشرف الدين أبي القاسم هبة الله بن قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن القاضي شمس

الدين إبراهيم المعروف بابن البارزي الشافعي . وقد كان قاضي حماة ، ولد في رمضان سنة 1247/645 وتوفي في ذي القعدة سنة 1337/738 عن 93 سنة . وله تصانيف كثيرة منها « روضات الجنان في تفسير القرآن » وكتاب « الفريدة البارزية في حل الشاطبية » . أما « كتاب الزبد » فلا ذكر له عند ابن العماد و لا حتى عند حاجي خليفة في « كشف الظنون » .

٤٧) انظر « الضوء اللامع » الجزء السادس ص 34 — 132 وهو ولد عمر بن محمد بن حميد السراج أبو حفص الأشعري نسبا الزبيدي بلدا ومولدا اليماني الشافعي ويعرف بالفتى من الفتوة وهو لقب أبيه ، ولد حسب السخاوي في سنة 1398/801 بزبيد ونشأ بها وقرأ على عدة شيوخ إلى أن أصبح فقيها مشهورا . ويقول لنا صاحب الضوء اللامع في نفس الترجمة أن ابن سعيد أكرم من طرف علي بن طاهر عندما استولى هذا الاخير على اليمن وقد تفقه عليه الكثيرون من العلماء وانتفع به في الفقه أهل اليمن حتى أن غالب فقهاء اليمن من تلامذته وأصحابه . وقد توفي في سفر 1482/887 .

٤٨) يناسب هذا التاريخ (1479/884) — تاريخ وفاة جد ابن الديبع — ما نقله بالفعل السخاوي في الترجمة التي خصصها لابن مبارز . انظر « الضوء اللامع » الجزء الثاني ص 306 — 305

٤٩) انظر « شذرات الذهب » الجزء السابع ص 96 حيث يذكر لنا ابن العماد أن أبا العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي توفي سنة 1487/893 وقد كان ألف كتابا في تراجم الصوفية عنوانه « طبقات الخواص » . نشر في القاهرة سنة 1321 بالمطبعة اليمنية . انظر « مراجع تاريخ اليمن » ص 206 ويذكر لنا الحبشي كتابا آخر من مؤلفات الشرجي اسمه « لطائف المنن في ذكر من دخل من قريش الشام واليمن » . نفس المصدر ص 273 . انظر كذلك مصادر ص 217 .

٥٠) « عمل اليوم والليلة » هو في الواقع عنوان لكتب عديدة صنفها علماء مختلفون مثل الامام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المتوفى سنة 1258/656 والامام أبو عبد الرحمان النسائي المتوفى سنة 915/303 والحافظ أحمد بن محمد المعروف بابن السني الدينوري المتوفى سنة 974/364 . انظر « كشف الظنون » الجزء الثاني ص 1173 — 1172 .

٥١) كتاب الشمائل الذي يحمل هذا العنوان « الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية » فقد نشر في القاهرة سنة 1306 من طرف محمد بن قاسم بن جاسوس. انظر SHORTER E. I. : 595 . أما حاجي خليفة وإسماعيل باشا فيذكران هذا الكتاب تحت عنوان آخر « الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية » . انظر « كشف الظنون » الجزء الثاني ص 1060 . « هدية العارفين » الجزء الثاني ص 19 .

٥٢) لم نعثر في تاليف حاجي خليفة وإسماعيل باشا على كتاب يحمل هذا العنوان « الرسالة » . كذلك لم نعثر على مؤلف يحمل اسم القشيري ما عدا طبعا « مسلم » (الذي يسمى أبو الحسين القشيري النيسابوري صاحب « الجامع الصحيح ») . راجع في هذا الخصوص SHORTER. E. I : 417-18

٥٣) هو من جملة كتب ابن الديبع وقد ذكره كل من ابن العماد (انظر « شذرات الذهب » الجزء الثامن ص 56 — 255) وإسماعيل باشا . (انظر « هدية العارفين » الجزء الأول ص 545) .

٥٤) تقع بيت الفقيه ابن عجيل شمال مدينة زبيد ، أي في تهامة . ولا يجب علينا أن نخلط بينها وبين بيت الفقيه الزيدية . انظر يحيى بن الحسين « غاية الاماني في أخبار القطر اليماني » تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور . القاهرة 1968 . انظر ص 603 و 605 وغيرهما ...

٥٥) انظر ما جاء في تراجم السخاوي (« الضوء اللامع » الجزء السابع ص 26) عن بني جمعان .

٥٦) انظر ترجمة النووي في « شذرات الذهب » الجزء الخامس ص 356 — 354 وبقية كتب التراجم . انظر كذلك SHORTER. E. I : 444-445
وقد ولد محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الفقيه الشافعي الحافظ الزاهد . النواوي — بحذف الا لف ويجوز إثباتها . في محرم سنة 631/أكتوبر 1233 وتوفي في 24 رجب 22/676 ديسمبر 1277 — ومن بين تصانيفه العديدة يذكر لنا ابن العماد « كتاب الاذكار » و « رياض الصالحين » « وأما كتاب « منهاج الطالبين » فقد أتم كتابته سنة 1270/669 وقد نشر في القاهرة سنة 1297 . انظر « كشف الظنون » الجزء الثاني ص 76 — 1873 .

٥٧) انظر ترجمة البارزي وتآليفه في « كشف الظنون » الجزء الاول ص 26 — 625 . « ذيل كشف الظنون » الجزء الاول ص 390 . وقد توفى البارزي الذي يسمى (فخر الدين عثمان

بن كمال الدين محمد بن محمد ابن البارزي الحموي الجهني الشافعي) سنة 1329/730 . وألف حسب ما جاء في كشف الظنون «مفتاح الحاوي» و«توضيح الحاوي» ومما تجدر الاشارة إليه أن هذا الكتاب «الحاوي» هو من تأليف القزويني الذي توفى كما جاء عند صاحب «كشف الظنون» سنة 1266/665 . انظر ترجمة القزويني «تاريخ ثغر عدن» القسم الثاني ص 11 . هذا ومن الملاحظ أن هذا المؤلف ليس نفس الذي كنا ذكرناه سابقا حيث أنه توفي بعده بثماني سنوات . انظر تنبيه 15 .

٥٨) انظر ترجمة ابن الوردي في «شذرات الذهب» الجزء السادس ص 162 — 161 . وقد كان زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ابن الوردي المصري الحلبي الشافعي إماماً بارعاً في اللغة والفقه والنحو والادب ومن جملة تصانيفه العديدة نذكر بالخصوص «نظم الصغير» الذي سماه «البهجة الوردية» وهي قصيدة طويلة تعد خمسة آلاف بيت أولها : قال الفقير ابن الوردي : الحمد لله أتم الحمد . انظر في هذا الصدد «كشف الظنون» الجزء الاول ص 627 . وقد توفي ابن الوردي في سابع ذي الحجة 1349/759 بحلب .

٥٩) انظر ما جاء اعلاه في هامش (21) .

٦٠) انظر هامش (9) فيما يخص ترجمة الجزري وذكر تاليفه . هذا وقد جاء في ترجمة ابن العماد الابن الجزري المتوفي سنة 1429/833 بشيراز (انظر «شذرات الذهب» الجزء السابع ص 206 — 204) أن مصنف «الحصن الحصين» وهو كتاب في الادعية لهج به أهل اليمن . انظر مخطوطة الأمبروزيانا لهذا الكتاب وقد ذكرها صلاح الدين المنجد في فهرس المخطوطات العربية بميلانو ، 1960 ، ص 74 تحت رقم Série D 351/131

٦١) انظر ترجمة ابن المقرى في «شذرات الذهب» الجزء السابع ص 222 — 220 . وقد ولد شرف الدين أبو محمد إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقرى ابن علي بن عطية الشاولاري اليمني الشافعي المعروف بابن المقرى سنة 1363/765 وتوفي بزبيد آخر صفر سنة 1433/837 — ومن المعلوم أن ابن المقرى كان عالما مشهورا في اليمن صنف العديد من الكتب مثل «مختصر الروضة» للنووي الذي سماه «الروض» ومختصر الحاوي الصغير» وشرحه للقزويني . انظر نفس المصدر ص 222 — 220 .

٦٢) انظر الترجمة الشخصية للسخاوي التي وردت في «الضوء اللامع» الجزء الثامن ص 2 وما بعدها . وقد ولد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي سنة 1427/831 وتوفي سنة 1497/902 وشهر خاصة بمساهمته في التفسير والحديث والادب وبتصانيفه في علم التراجم وهو تلميذ ابن حجر العسقلاني ومما نشير اليه بصفة خاصة أن ابن الديبع الذي أخذ العلم عن السخاوي قد التقى معه في سنة 1491/897 (حينما كان مؤلفنا يبلغ من العمر 31 سنة بينما كان الآخر سنه 68 سنة) ويدخل لقاء السخاوي بابن الديبع في نطاق زيارته التي أداها لليمن والتي مكنته من الالتقاء بالعديد من العلماء اليمنيين . انظر «شذرات الذهب» الجزء الثامن ص 16 — 15 ، «هدية العارفين» الجزء الثاني ص 221 — 219 . راجع كذلك مصادر 192 — 191 .

٦٣) انظر ترجمة التبريزي في «شذرات الذهب» الجزء السادس ص 114 . وقد عاش قطب الدين محمد بن عمر التبريزي الشافعي الذي شغل منصب قاضي ببغداد ما يناهز 68 سنة وتوفي سنة 1335/736 ومن جملة تصانيفه كتاب «مشكاة المصابيح» الذي حققه محمد ناصر الدين الالباني في 3 أجزاء ونشره المكتب الاسلامي .

٦٤) انظر ترجمة الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان بن أبي بكر ابن ابراهيم المهراني العراقي الشافعي في «شذرات الذهب» الجزء السابع ص 56 — 55 وهو من مواليد جمادي الاولى سنة 1325/725 . ومما يذكر أنه قام بعدة رحلات إلى دمشق وحلب والحجاز وولي القضاء بالمدينة سنة 1384/788 وصنف كتبا كثيرة في علم الحديث . وكانت وفاته سنة 1402/805 أو 1403/806 عن 81 سنة . ومن جملة تآليفه «ألفية العراقي» في أصول الحديث وأولها .

يقول راجي ربه المقتدر عبد الرحيم بن الحسين الاثري

وقد انتهى منها حسب صاحب «كشف الظنون» (انظر الجزء الثاني ص 1235) في جمادي الآخرة سنة 1367/768 — 1366 .

٦٥) «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» هو كتاب من تأليف الحافظ أبي الفضل العراقي . وقد أتمه في رمضان 1370/771 . انظر في هذا الخصوص «كشف الظنون» الجزء الأول ص 156 .

٦٦) انظر ترجمة ابن جعفر في « شذرات الذهب » الجزء السابع ص 73 — 270 و « الضوء اللامع » الجزء الثاني ص 40 — 36 وبقية كتب التراجم . انظر كذلك ما خصصه المستشرق F. ROSENTHAL لهذا العالم في 802 — 799 : E. I (N.E.), III
ومن المعلوم أن ابن حجر هي نسبة إلى آل حجر وهو يسمى شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن نور الدين ابن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني الاصل المصري المولد وقد ولد في شعبان 28/773 فيفري 1372 وتوفي ليلة السبت 28 ذي الحجة 8/52 11 فيفري 1449 وله تآليف عديدة نذكر من بينها (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » وقد حققه في القاهرة في 4 أجزاء محمد سيد جاد الحق سنة 1966 : « أنباء العمر بابناء العمر » ، « بلوغ المرام بادلة الأحكام » انظر نفس المصادر المذكورة أعلاه . وقد جاء الكتاب الاخير تحت عنوان « بلوغ المرام في أحاديث الأحكام » في « كشف الظنون » (انظر الجزء الاول ص 254) .

٦٧) انظر ترجمته في كتاب السبكي « طبقات الشافعية » القاهرة 1324 الجزء السادس ص 31 — 29 . راجع كذلك « هدية العارفين » الجزء الثاني ص 149 وما خصصه له F. ROSENTHAL في E. I (N.E.). III : 957 وكان ابن سيد الناس اليعمري يسمى محمد بن أبي عمرو محمد بن أبي بكر محمد بن أحمد الامام أبو الفتح الاندلسي ولد بالقاهرة في 14 ذي [illegible] 2/[illegible] جوان 1273 وتوفي في 1 شعبان 17/734 أفريل 1334 .
ومن تآليفه « عيون الاثر في [illegible] المغازي والشمائل السير » وهي عبارة عن دراسة شاملة لحياة الرسول صلعم و [illegible] حقق هذا الكتاب في القاهرة ونشر سنة 1356

٦٨) هو من تآليف ابن الديبع ولكنه ضائع . وقد ذكره كل من ابن العماد (انظر « شذرات الذهب » الجزء الثامن ص 255) وإسماعيل باشا . (انظر « هدية العارفين » الجزء الأول ص 545) .

٦٩) يعتبر هذا الكتاب — كما سبق أن قلناه — من أهم الكتب التاريخية التي ألفها ابن الديبع ووصلتنا . وهو عبارة عن تاريخ شامل لمدينة زبيد مسقط رأس المؤلف منذ تأسيسها إلى سنة 96/901 — 1495 . وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة موزعة في عدة مكتبات في العالم وقد اطلعنا على نسختين منه توجدان بباريس تحت رقم 5897 و 6069 . انظر مصادر ص 202 .

٧٠) هو رابع وآخر سلاطين زبيد من الدولة الطاهرية وقد جاء ملكه بعد موت منصور تاج الدين عبد الوهاب الذي توفي سنة 1488/894 . وبقي في الحكم إلى أن مات سنة 1517/923 . وتناسب هذه السنة دخول المماليك الى اليمن وفتحهم لها . انظر « بغية المستفيد » الباب العاشر . دولة صلاح الدين عامر بن طاهر بن طاهر : مخطوطة باريس رقم 5897 من الورقة 79 حتى 98 ومخطوطة رقم 6069 من الورقة 113 الى 139 . راجع كذلك Mohammaden dynasties : 101

٧١) «العقد الباهر» هو في الواقع مختصر لكتاب «بغية المستفيد» لابن الديبع وقد ذكره كل من حاجي خليفة (انظر «كشف الظنون» الجزء الاول ص311 الجزء الثاني ص 1150) واسماعيل باشا (انظر «هدية العارفين» الجزء الأول ص 545) وهو من الكتب الضائعة راجع كذلك مصادر ص 204 وما كتبه V. ARENDONK في E. I (N.E.), III : 769

٧٢) بين لنا ابن الديبع انه ذكر في « العقد الباهر » تاريخ جدي السلطان عامر بن عبد الوهاب ووالده . وهذا يعني بالتدقيق السلطان ظافر صلاح الدين عامر الاول (870 — 66/858 — 1454) والمجاهد شمس الدين علي (883 — 79/870 — 1478 — 1466) من ناحية والسلطان منصور تاج الدين عبد الوهاب (894 — 89/883 — 1488 — 79 — 1478) من ناحية أخرى — انظر في هذا الخصوص « بغية المستفيد » الباب الثامن والتاسع مخطوطة رقم 5897 من الورقة 51 الى 79 ومخطوطة رقم 6069 من الورقة 72 الى 113 . راجع كذلك Mohammaden dynasties : 101 مصادر ص 399 — 398 .

٧٣) المقرانة : هو حصن باليمن — انظر ياقوت . معجم البلدان وهو مستقر ملك الطاهريين . انظر في هذا الشأن « غاية الاماني » ص 564 — [illegible] — 615 الى غير ذلك . وقد خربت في سنة 1517/923 عند دخول الجراكسة [illegible]) الى اليمن انظر « غاية الأماني » ص 651 .

٧٤) جاءت منسوخة « أعفالي » في كلتا النسختين ولعلها « أعطاني » .

٧٥) كانت نهاية الكتاب في مخطوطة رقم 5897 كما يلي :
« والحمد لله الواحد الوهاب . قال مؤلفه رحمه الله تعالى وغفر له ونفع به ووصل سببي بسببه . فرغت من تعليقه عشية الثلاثاء السادس من شهر صفر المبارك من سنة ست وتسعمائة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . »

٧٦) انظر مقال R. STROTHMANN عن زبيد في E. I (A.E.), IV : 1249

٧٧) انظر خاصة « بغية المستفيد » (مخطوطة في نسختين توجد بالمكتبة القومية بباريس تحت رقم 5897 و 6069) ما خصصه ابن الديبع لدراسة هذه الدول . انظر بصفة أدق الابواب الأربعة الاولى للكتاب . مخطوطة (أ) 6069 من الورقة 15 الى 38 . ومخطوطة (ب) 5897 من الورقة 11 الى 27 . انظر كذلك مقال زاهر رياض « دولة حبشية في اليمن » في المجلة التاريخية المصرية (8) 1959 ص 130 — 101 .

٧٨) انظر مقدمة كتاب ابن الديبع « بغية المستفيد » المذكور أعلاه .

٧٩) انظر نفس المصدر الورقة 16 (ب) من المخطوطة (أ) 6069 والورقة 11 (ب) من المخطوطة (ب) 5897 : الباب الاول : « ذكر مدينة زبيد وفضلها » .

٨٠) انظر ترجمة ابن الديبع في « الكواكب السائرة » الجزء الثاني ص 185 « شذرات الذهب » الجزء الثامن ص 255 ، « البدر الطالع » الجزء الاول ص 335 . راجع كذلك « الأعلام » الجزء الرابع ص 91 و 769 . E.I (N.E.), III

٨١) انظر ترجمته في « الضوء اللامع » ص 306 — 305 .

٨٢) انظر ترجمته في الضوء اللامع » الجزء الثامن ص 72 .

٨٣) انظر ابن سمرة الجعدي « طبقات فقهاء اليمن » (تحقيق فؤاد سيد . القاهرة 1957) ص 79 وما بعدها .

٨٤) انظر ترجمة السخاوى لنفسه في « الضوء اللامع » الجزء الثامن ص 2 و ما بعدها .

٨٥) الظافر هو السلطان عامر بن عبد الوهاب . انظر مصادر ص 399 .

٨٦) انظر ما كتبه الديبع عن بني طاهر في كتابه « بغية المستفيد » و « العقد الباهر » . انظر كذلك ما جاء في غاية الاماني » عن بني طاهر ص 586 وما بعدها .

٨٧) من المعلوم أن الحكم المملوكي دام في اليمن قرابة العشرين سنة (بين 1517/923 و 943/ 1537) جاء إثره الحكم العثماني (1045—943/1635 — 1537) . انظر مصادر ص 399 وما بعدها .

٨٨) راجع « البدر الطالع » الجزء الاول ص 336

٨٩) انظر « شذرات الذهب » الجزء الثامن ص 255 . وقد نقل لنا ابن العماد بعض الابيات التي كان ابن الديبع قالها في أهل عصره :

(وافر)

اجزت لمدركي عصري ووقتي	رواية ما تجوز روايتي لـــه
من المقرؤ والمسمـع طـــر	وما القت من كتب قليلـــة
ومالي من مجاز عن شيوخي	من الكتب القصيـرة والطـويلـة
وارجـو الله يختـم لي بخيـــر	ويرحمني بـرحمته الجـزيلـة

انظر نفس المصدر . انظر كذلك ما نقله لنا العيدوس من الشعر المنسوب لمؤلفنا . النور السافر ، ص 218 وما بعدها .

٩٠) انظر « مراجع تاريخ اليمن » ص 58 حيث يذكر لنا الحبشي من جملة المؤلفين محمد بن الحسين الاهدل صاحب كتاب « بغية الطالب بمعرفة أولاد علي بن أبي طالب » بدون أن يذكر لنا بصفة مدققة تاريخ وفاته . فلا نرى أن كان هذا المؤلف هو الحافظ الذي أخذ العلم عن ابن الديبع . هذا ويذكر لنا ايمن فؤاد سيد في كتابه « مصادر تاريخ اليمن » (انظر ص 178) الشيخ الحسين بن عبد الرحمان بن محمد الاهدل الذي توفي سنة 1451/855 وقد كان مشهورا في زمانه باليمن .

٩١) الاشاعرة هم الاشعريون (نسبة إلى قبيلة أبي موسى الاشعري) وكانوا من زبيد .

٩٢) انظر مصنفات ابن الديبع كما ذكرها أصحاب كتب التراجم خاصة ابن العماد (انظر « شذرات » : 8 ص 256 — 255) الغزى (انظر « الكواكب السائرة » : 2 : ص 159 — 158) الشوكاني (انظر « البدر الطالع » : ص 336 — 335) . راجع كذلك « كشف الظنون » ص 250 « وذيل كشف الظنون » ص 225 .

٩٣) انظر ما قلناه عن الكتاب في مقدمة دراستنا لابن الديبع .

٩٤) انظر « شذرات » : 8 : ص 255 ، « كشف الظنون » ص 250 ، « هدية العارفين » ص 545 . راجع كذلك مصادر ص 202 ، مراجع ص 244 ، الاعلام ص 91 . ومما تجدر الاشارة إليه أن لهذا الكتاب نسخا مخطوطة توجد في مكتبات القاهرة وبرلين وصوفيا ولندن وقد قام بتحقيقه حسب ما ذكره لنا أيمن فؤاد سيد في كتابه

« مصادر تاريخ اليمن » محمد عيسى صالحية ونال به درجة الماجيستر من كلية الآداب بجامعة عين شمس .

٩٥) انظر نفس المصادر أعلاه خاصة مصادر ص 202 وما بعدها . مراجع ص 251 . الاعلام 4 ص 91 .

٩٦) يقع هذا الكتاب في عدة نسخ مخطوطة تمكننا من الاطلاع على نسختين وجدناهما في المكتبة القومية بباريس تحت رقم 5821 و 6058 . وتقع النسخة الاولى رقم 5821 في 74 ورقة مكتوبة من الجهتين . طول كل ورقة 29 وعرضها 20 cm ولم نجد تاريخا لهاته النسخة . اما النسخة الثانية رقم 6058 فتقع في 18 ورقة مكتوبة من الجهتين كل ورقة طولها 24 cm وعرضها 17 cm وقد نسخت 96/1313 — 1895 . هذا وقد قام بتحقيقه أخيرا والتعليق عليه القاضي محمد بن علي الاكوع الحوالي انظر طبعة القاهرة جزءان 1977 .

٩٧) انظر « كشف الظنون » : 2 : ص 1150 ، « هدية العارفين » : 2 : ص 545 . مصادر ص 204 . مراجع ص 222 .

٩٨) انظر مصادر ص 205 . مراجع ص 77 . انظر كذلك الجرافي « تحفة الاخوان بحلية علامة الزمان وحليف السنة والقرآن » (طبعة القاهرة سنة 1361) ص 58 .

٩٩) انظر « كشف الظنون » : 1 : ص 311 — 310 ، « هدية العارفين » : 1 ص 15 . راجع كذلك مصادر ص 202 . مراجع ص 21 . الاعلام : 4 : ص 91 .

١٠٠) انظر مخطوطة رقم 5897 بالمكتبة القومية بباريس وتقع الارجوزة في الاوراق 95 — 98 . ثم نفس المخطوطة في نسخة أخرى رقم 6069 وتقع القصيدة في الاوراق 139 —143 .

١٠١) انظر المخطوطة رقم (5832) التي تحتوي على كتاب للخزرجي « تاريخ اليمن » ثم أرجوزة ابن الديبع عن زبيد التي تقع في الاوراق 126 و 127 وقد نسخت هاته المخطوطة سنة 1719/1130 .

١٠٢) انظر مصادر ... ص 203 . نعتقد أنها الأرجوزة التي ذكرناها .

١٠٣) انظر نفس المصدر ص 203 .

١٠٤) انظر نفس المصدر ص 205 .

١٠٥) انظر مصادر ... ص 205 . مراجع ص 282 .

١٠٦) انظر مصادر ص 148 . مراجع ص 220

١٠٧) انظر « هدية العارفين » : 1 : ص 545 . راجع كذلك الاعلام 4 ص 91 — و E. I (A.E.), III I : 392

١٠٨) انظر « شذرات » : 8 : ص 256 — 255 ، « الكواكب السائرة » : 2 : ص 159 — 158 . انظر كذلك « البدر الطالع » : 1 ص 336 — 335 ، الاعلام : 4 : ص 91

١٠٩) انظر « الكواكب السائرة » : 2 : ص 159 — 158 .

١١٠) انظر « البدر الطالع » ص 336 — 335 .

١١١) انظر E.I (A.E.), III, 392

١١٢) انظر « هدية العارفين » : 1 : ص 545 .

١١٣) انظر « شذرات » : 8 : ص 256 — 255 ، « هدية العارفين : 1 : ص 545 .

١١٤) انظر ما جاء في ترجمة ابن الديبع عن هذا الكتاب هامش (23) .

١١٥) انظر ما جاء في ترجمة مؤلفنا عن هذا الكتاب . راجع اعلاه هامش (38) .

١١٦) انظر « شذرات » 8 ص 256 . يذكر لنا صاحب « النور السافر » بعضا من مؤلفات ابن الديبع (انظر ص 220) ومنها « مصباح المشكاة » ، « مولد شريف نبوي » « كتاب المعراج » .

١١٧) انظر « غاية الاماني » ص 653 .

١١٨) راجع نفس المصدر .

هوامش الارجوزة :

١) ننشر هذه الأرجوزة كما جاءت في ثلاثة مخطوطات وجدناها في المكتبة القومية بباريس رقم 5897 — 6069 و (2) 5832 .

٢) جاءت هاته القصيدة على لسان مؤلفنا ابن الديبع .

٣) انظر مقال R. STROTHMANN في E. I (A.E.), IV : 1249

٤) تعتبر دولة بني زياد من أول الدول المستقلة باليمن وقد أسست سنة 819/204 واستقرت الى سنة 1018/409 . انظر خاصة ما جاء في كتاب عمارة اليمني عن هاته الدولة «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» تحقيق حسن سليمان محمود (القاهرة 1957) ومحمد بن علي الاكوع (القاهرة 1976) .

٥) يشير ابن الديبع الى تأسيس واختطاط زبيد عن طريق محمد بن زياد الذي يدعى أنه من سلالة الامويين . انظر في هذا الشأن «قرة العيون» . مخطوطتا باريس رقم 5821 (الورقة 19 وما بعدها) و 6058 (الورقة 28 وما بعدها) . «تاريخ الخزرجي» مخطوطة باريس (1) 5832 (الورقة 23 وما بعدها) . راجع كذلك «بغية المستفيد» ، مخطوطتا باريس رقم 6069 (الورقة 17) و 5897 (الورقة 12) «تاريخ الجندي» ، مخطوطة باريس رقم 2127 (الورقة 29 وما بعدها) . راجع أيضا حسن سليمان محمود «تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي» (بغداد 1969) ص 124 — 117و E. I (A.E.), IV : 1249

٦) إبراهيم هو ابن محمد بن زياد مؤسس الدولة الزيادية وقد ملك زبيد من سنة 245/ 859 الى سنة 901/289 . انظر نفس المصادر أعلاه . راجع كذلك Mohammaden dynasties : 90

٧) لم تطل مدة زياد بن إبراهيم في الملك لأنه توفي بعد ستين (291 — 290/ 903 — 901) . انظر نفس المصادر أعلاه . راجع كذلك تاريخ «ثغر عدن» : 2 . 3 . الاعلام 3 . 89 .

٨) هو أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم وقد حكم زبيد من سنة 904/291 الى سنة 983/371 . وهو أخو زياد بن إبراهيم . انظر نفس المصادر . راجع كذلك «ثغر عدن» 2 : 16 . الأعلام 1 : 285 .

٩) هذا غلط لأن الجيش حكم كما قلنا ثمانين سنة فتكون وفاته لا سنة 391 بل سنة 371 .

١٠) لا يذكر لنا ابن الديبع اسم ولد أبي الجيش بصفة دقيقة وهذا يعني أنه لم يكن معروفا . انظر نفس المصادر أعلاه . وراجع كذلك «تاريخ ثغر عدن» 2 : 59 . الأعلام 2 : 257 تاريخ اليمن السياسي» ص 117 .

١١) هو أستاذ حبشي تكلف بكفالة ولد إسحاق من طرف هند بنت إسحاق . ولم تطل مدته (انظر نفس المصادر أعلاه) ومما يذكر أن رشيد كان وزيرا لبنت إسحاق أبي الجيش.

١٢) الحسين بن سلامة هو كذلك عبد حبشي تقلد الوزارة بعد موت رشيد ولعب دورا كبيرا في توطيد الدولة الزيادية . كما اشتهر باختطاطه لمدينتي الكدراء والمقر وبناءه للجوامع والمنارات . وقد توفي سنة 1012/403 — 1013 ودامت وزارته ما يقارب الثلاثين سنة . انظر نفس المصادر أعلاه .

١٣) هو آخر ملوك بني زياد وقد قتل سنة 1017/407 من طرف عبد لوزيره مرجان اسمه نفيس . انظر نفس المصادر أعلاه .

١٤) نفيس ونجاح هما عبدان لمرجان تنافسا على الحكم فقتل نفيس سيده ابن زياد سنة 1017/407 وعمته هند — ثم تمكن نجاح من قتل نفيس سنة 1021/412 وبهذا تنتهي دولة بني زياد . انظر نفس المصادر أعلاه .

١٥) جاءت الدولة النجاحية بعد انتهاء دولة بني زياد . وقد أسسها نجاح عبد مرجان سنة 412/ 1021 واستمرت في الحكم الى سنة 1149/554 . انظر كل المصادر المذكورة أعلاه بالاضافة الى مقال زاهر رياض «دولة حبشية في اليمن» في المجلة التاريخية المصرية (8) 1959 ص 130 — 101 و 93 — 92 : Mohammaden dynasties

١٦) الصليحيون هو في الواقع حكام صنعاء وذي جبلة (535 — 1140/439) وقد قاموا بعدة محاولات للسيطرة على زبيد لذلك جاء ذكرهم مع بني نجاح . انظر ما جاء في المصادر المذكورة عن الدولة الصليحية .

١٧) بعد قتل نفيس اضطلع نجاح بمهام الحكم في زبيد وتمكن من البقاء على العرش من سنة 1012/412 الى سنة 1060/452 . انظر نفس المصادر اعلاه .

١٨) هو علي بن محمد بن علي الصليحي مؤسس الدولة الصليحة سنة 1047/439 . وقد تمكن من السيطرة على زبيد مدة طويلة من سنة 1062/454 الى سنة 439 1080 (تاريخ قتله من طرف سعيد الأحول بن نجاح) . انظر ما جاء عن الدولة النجاحية في «بهجة الزمن» مخطوطة باريس 5977 (الورقات 32—29) «قرة العيون» مخطوطة باريس 5821

(الفصل الثاني من القسم الثاني الورقات 45-91) «تاريخ الجندي» مخطوطة باريس 2127 (الورقات 186 وما بعدها) «تاريخ الخزرجي» مخطوطة باريس (1) 5832 (الورقات 28 — 26) . راجع كذلك ما جاء في هاته المصادر عن الصلحية ثم انظر رسالة حسن سليمان محمود : «الصليحيون وعلاقاتهم بالفاطميين في مصر» القاهرة دون تاريخ .

١٩) سعيد الأحول هو ابن نجاح وقد استطاع القضاء على علي واسترداد زبيد في سنة 1060/452 حتى سنة 1089/481 .

٢٠) المكرم أحمد بن علي الصليحي كان على رأس الدولة الصليحية بصنعاء من سنة 1081/473 الى سنة 1091/484 وقد استرجع زبيد سنة 1082/475 حتى سنة 1086/479 ثم أخذها من جديد سنة 1088/481 قبل أن يفقدها بصفة نهائية سنة 1091/483 . انظر نفس المصادر أعلاه .

٢١) هو جياش بن نجاح تمكن من استرجاع زبيد بعد القضاء على المكرم الصليحي سنة 1091/483 واستمر في الحكم حتى سنة 1104/498 .

٢٢) هو الفاتك بن جياش ملك زبيد مدة تتراوح بين سنتي (1104/498) و (1109/503) انظر نفس المصادر أعلاه .

٢٣) بعد موت فاتك تملك ابنه المنصور حتى سنة 521 / 1127 ثم جاء الفاتك بن المنصور حتى 1137/531 . انظر نفس المصادر أعلاه .

٢٤) هو آخر ملوك بني نجاح وقد ملك زبيد بعد موت الفاتك بن منصور من سنة 1137/531 حتى انقراض الدولة النجاحية سنة 1158/553 .

٢٥) جاءت دولة بني مهدي القرمطية إثر زوال دولة بني نجاح وقد استمرت تحكم زبيد مدة تتراوح بين سنتي 1158/553 و 1174/569 . انظر في هذا الصدد «بهجة الزمن» (م 5977) الاوراق 46 — 42 . «قرة العيون» (م 5821) الباب الرابع من القسم الثاني . «تاريخ الجندي» (م 2127) الورقة 188 . «تاريخ الخزرجي» (م 5832) 30 — 28 . راجع كذلك ما جاء في Mohammaden dynasties : 96

٢٦) علي ابن مهدي هو مؤسس الدولة وقد حكم زبيد مدة قصيرة من سنة 1158/553 الى سنة 1159/554 . انظر المصادر أعلاه .

٢٧) هو مهدي بن علي وقد حكم زبيد بعد موت أبيه سنة 1159/554 حتى سنة 1163/558 . انظر نفس المصادر أعلاه .

٢٨) هو عبد النبي بن علي . جاء بعد أخيه مهدي (569—558/1174—1163) . انظر نفس المصادر أعلاه بالاضافة الى «تاريخ ثغر عدن» 2 : 127 . «طبقات فقهاء اليمن» ص 182 . «الاعلام» 4 : 320 . وبموته انقضت دولة بني مهدي .

٢٩) فتح بنو أيوب اليمن سنة 1174/569 ونحن نعلم أنهم كانوا يملكون كل من مصر والشام والعراق وقد تمكنوا بعد ذلك من السيطرة على كامل اليمن والقضاء على الدول المستقلة هناك كدولة بني مهدي في زبيد ودولة بني همدان في صنعاء والدولة الزريعية بعدن وقد استمرت سيطرة بني أيوب على اليمن حتى سنة 1227/625 . انظر في هذا الصدد «بهجة الزمن» (م 5977) الأوراق 50 — 46 . «قرة العيون» (م 5821) الباب الخامس في القسم الثاني . «تاريخ الجندي» (م 2127) الورقة 189 . «تاريخ الخزرجي» (م 5832) الأوراق 39 — 31 . راجع كذلك E. I (IV) : 930 مقال R. STROTHMANN و Mohammaden dynasties : 98

٣٠) هو توران شاه بن أيوب ولي زبيد واليمن من سنة 1174/569 إلى سنة 1181/577 انظر نفس المصادر أعلاه . «الأعلام 2 : 74 .

٣١) السلطان طغتكين بن أيوب جاء بعد أخيه سنة 1181/577 حتى سنة 1196/593 . انظر نفس المصادر أعلاه . الأعلام 4 : 327 .

٣٢) ولي المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب الحكم سنة 1197/593 ومن الملاحظ أنه خرج عن المذهب السني واتبع مذهب الاسماعيلية وقد ادعى الخلافة قبل أن يقتل في زبيد سنة 1202/598 . انظر نفس المصادر أعلاه . بالاضافة الى «تاريخ ثغر عدن» 2 : 29 . الأعلام : 1 : 372 .

٣٣) تولى الملك الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب الأمر باليمن بعد قتل أخيه المعز وبقي في الحكم حتى سنة 1214/611 . انظر نفس المصادر أعلاه . « تاريخ ثغر عدن » 2 : 24 . الأعلام : 1 : 372 .

٣٤) يعتبر المسعود يوسف بن الكامل محمد آخر من تولى أمر اليمن من الأيوبيين وقد استقر حكمه من سنة 1214/612 الى سنة 1228/626 . انظر نفس المصادر بالاضافة الى الأعلام : 9 : 328 .

٣٥) بانتهاء سيطرة بني أيوب على اليمن تولى الأمر الرسوليون من بني غسان . ومن الملاحظ أن مؤسس الدولة الرسولية المنصور عمر بن علي بن رسول هو ابن والي مكة من طرف آخر ملوك بني أيوب المسعود . وقد استمر بنو رسول في الحكم أكثر من القرنين من سنة 1229/626 الى سنة 1454/858 . انظر في هذا الصدد « بهجة الزمن » (م باريس 5977) الاوراق 122 — 50 . « قرة العيون » (م باريس 5821) . انظر القسم الثاني من باب السادس حتى الثامن عشر . « تاريخ الخزرجي » (م باريس (1) 5832) الأوراق 125 — 38 . انظر كذلك الخزرجي « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » . (جزءان – تصحيح محمد بسيوني عسل القاهرة 1911) و 99 : Mohammaden dynasties

٣٦) استمر المنصور عمر بن علي في الحكم حتى سنة 1249/647 . انظر المصادر المذكورة أعلاه . بالاضافة الى « تاريخ ثغر عدن » 2 : 174 .

٣٧) تولى المظفر يوسف بن عمر الأمر بعد أبيه وبقي على رأس الدولة الرسولية مدة طويلة (694–647/1295–1249) . انظر نفس المصادر . الاعلام : 9 : 321 .

٣٨) الأشرف الأول عمر بن يوسف لم تدم فترة ملكه الستين (96–694/1297–1295) . انظر نفس المصادر أعلاه . الاعلام : 5 : 232 .

٣٩) ولي بعده أخوه المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف مدة تتراوح بين سنتي 1297/696 و 1322/721 . انظر نفس المصادر أعلاه . بالاضافة الى الاعلام : 3 : 12

٤٠) يعتبر المجاهد علي بن المؤيد داود خامس سلاطين بني رسول باليمن وذلك من سنة 1322/721 الى سنة 1363/764 . انظر نفس المصادر أعلاه بالا ضافة إلى « تاريخ ثغر عدن » : 2 : 139 . الاعلام : 5 : 97 .

٤١) بقي الافضل عباس بن علي بن داود في الحكم إلى سنة 1367/778 . انظر نفس المصادر أعلاه .

٤٢) الاشرف (الثاني) إسماعيل بن الافضل هو سابع سلاطين بني رسول وقد دامت مدة حكمه 25 سنة (803–778/1400–1376) . انظر نفس المصادر أعلاه . « تاريخ ثغر عدن » : 2 : 20 .

٤٣) الناصر أحمد بن الاشرف ولي الامر سنة 1376/803 الى سنة 1424/827 . انظر نفس المصادر أعلاه . الاعلام : 1 : 93 .

٤٤) لم يبق المنصور عبد الله بن الناصر أحمد إلا مدة قصيرة على رأس الدولة الرسولية (830–827/27–1424) . انظر نفس المصادر أعلاه . الاعلام : 1 : 304 .

٤٥) الأشرف (الثالث) إسماعيل بن الناصر احمد لم يتول الامر إلا بعض الاشهر وذلك لصغر سنه ولكثرة الاختلاف والفساد في البلاد . انظر نفس المصادر أعلاه بالاضافة إلى « غاية الاماني » ص 567 . وقد جاء بعده يحيى بن اسماعيل بن العباس الملقب بالملك الظاهر الذي حكم اليمن ما بين سنتي 1428/831 و 1438/842 . انظر غاية الاماني ص 68 — 567 .

٤٦) بعد موت الظاهر قام بالأمر ابنه إسماعيل بن يحيى الملقب بالملك الاشرف (الرابع) الى سنة 1442/845 . انظر « غاية الأماني » ص 578 .

٤٧) قام المظفر ويسمى يوسف بن المنصور الرسولي بالأمر سنة 1442/845 وقد لبث بمدينة تعز. وفي سنة 1443/846 أقام عبيد زبيد ملكا آخر يسمى محمد بن إسماعيل ابن عثمان ولقبوه بالملك الافضل (انظر في هذا الصدد « غاية الاماني » ص 580) .

٤٨) جاء عن ابن الديبع حسب ما ذكره يحيى بن الحسين أن الأمور تعقدت خلال هاته المدة وذلك لأن المظفر بعث من قبض على الأفضل ولم يقبل أن يسلم للعبيد نفقتهم كما طلبوا منه ذلك فخرجوا الى حيس وأقاموا أحمد بن الناصر من ولد المجاهد الرسولي على رأسهم ودخلوا به إلى زبيد ولكنهم أخرجوا فيما بعد سنة 1443/847 أحمد الناصر وأقاموا

لهم رجلا من بني رسول لقبوه بالملك المسعود . انظر « غاية الاماني » ص 81 — 80 .

٤٩) لم يبق الملك الناصر عبد الله إلا مدة وجيزة وقد خلفه الجند في سنة 1443/847 وملكوا مكانة المسعود أبا القاسم بن إسماعيل بن أحمد : انظر « غاية الأماني » 581 ومابعدها .

٥٠) مما يذكر أن في سنة 1451/855 استفحل أمر العبيد في زبيد فاقاموا حسين بن الطاهر الرسولي ولقبوه بالمؤيد ولكن هذا الأخير وقع القبض عليه سنة 1454/858 من طرف بني طاهر فاضطر العبيد الى موالاة السلطان المسعود . وانقرضت نهائيا دولة بني رسول سنة 1454/858 وجاءت بعدها دولة بني طاهر . انظر « غاية الاماني » ص 585 وما بعدها .

٥١) تقلد بنو طاهر الأمر باليمن سنة 1454/858 وبقيت دولتهم ما يقارب 75 سنة أي حتى حتى سنة 1526/933 . انظر في هذا الخصوص « قرة العيون » (م باريس 5821) الاوراق 45—57 . « غاية الاماني » ص 586 وما والاها ، راجع كذلك
E. I (N.E.), I, 453 - Mohammaden dynasties : 101

٥٢) ترجع نسبة الطاهريين إلى طاهر بن معوضة بن تاج الدين الاموي القرشي . وأول من استقل منهم بملك اليمن الأخوان علي بن طاهر وأخوه عامر . انظر نفس المصادر اعلاه .

٥٣) تلقب علي بن طاهر بالملك المجاهد وكان دخوله الى زبيد في سنة 1455/859 قادما من عدن . أما أخوه عامر الاول فلقبه الملك الظافر . وقد تواصل حكمهما الاول في عدن والثاني في زبيد الى سنة 1466/870 اثر وفاة عامر وتولى كامل أمر اليمن من طرف المجاهد وذلك الى سنة 1479/883 . انظر نفس المصادر أعلاه .

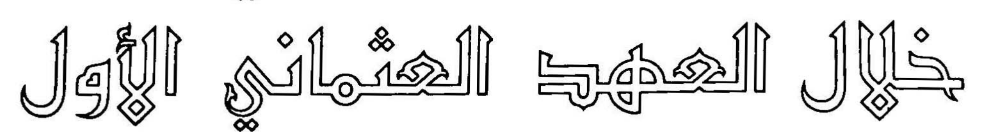
٥٤) بعد موت المجاهد سنة 1479/883 جاء بعده المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر وقد استمر في الحكم سنة 1489/894 . انظر نفس المصادر أعلاه . بالاضافة الى الاعلام : 4 : 332 .

٥٥) عامر بن عبد الوهاب الملقب بالظافر الثاني الثاني يعتبر آخر ملوك بني طاهر وقد ولي الأمر بين سنتي 1489/894 و 1517/923 . ومن الملاحظ أن ابن الديبع أقام في بلاطه مدة وجيزة وأهدى اليه كتابا عن تاريخ بني طاهر . انظر ما جاء أعلاه — وراجع فيما يتعلق بدولة الظافر المصادر المذكورة أعلاه بالاضافة الى الأعلام : 4 : 22 و
E. I (N.E.), I, 453

٥٦) نلاحظ من ناحية اخرى أن الارجوزة تنتهي الى عهد الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب وقد وضعها ابن الديبع قبل نهاية حكم هذا الاخير أي قبل انقراض الدولة الطاهرية . انظر أعلاه ما جاء في هذا الخصوص . وجاء في مقدمة هاته القصيدة أنها تنتهي في بداية القرن العاشر . انظر البيت السادس .



قافلة الحج اليمني



د. محمود علي عامر
جامعة صنعاء قسم التاريخ

إن الله عز وجل فرض الحج على كل مسلم ومسلمة يؤديه مرة في العمر على الأقل مادام قادراً عليه، وجعله ركناً من اركان الأسلام، وتتميز الأمة الأسلامية عن غيرها من الأمم بالحج إلى بيت الله الحرام، حيث يلتقون كل سنة في رحاب البيت الطاهر وسط جو روحاني يتساوى فيهم غنيهم وفقيرهم ، حاكمهم ومحكومهم.

فالمسلمون يتوافدون إلى تلك المشاعر الدينية المقدسة من مشرق الأرض ومغربها خلال فترة زمنية، حددها رسول الهدى في النصف الأول من ذي الحجة وإذا كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد اخذ بالسنة القمرية فلأن الله عز وجل، جعل الأهلة مواقيت للناس والحج. وقال الله في محكم كتابه «يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج» «١» وبالرغم من ان الحج فريضة أساسية من فرائض ا لإسلام ، إلا ان تأديتها تسقط عن المسلم عند عدم توفر تيسر الزاد او دواب الحمل أوغيرها من المواصلات او أمن الطريق ، ومع هذا فإن العديد من المسلمين قاموا بتأدية هذه الفريضة متجشمين مشاق الطريق قاصدين مكة المكرمة براً وبحراً ، راجلين أو على ظهور الدواب.

لقد حرص المسلمون على تأدية هذه الفريضة بعد وفاة الرسول «صلعم» وفي الوقت نفسه حرصت الحكومات الإسلامية على بذل كافة مالديها من امكانيات لمساعدة الحجاج وتسهيل حجهم، رغم ضيق ا لإمكانيات والظروف التي تحيط بها، وتخوفاً من مشاق ا لطريق ، فقد اتفق أبناء الحي أو المنطقة الواحدة على السير كجماعات الى بيت الله الحرام ، ثم تطور الامر الى ان غدت تلك الجماعات تشكل لنفسها راية خاصة بها ، اتفق تاريخياً على تسميتها بالمحمل «الشامي او المصري أو التركي أو اليمني» إلى ماهناك من شعوب وأمم تتوجه كل سنة لتأدية فريضة الحج ، وقد اتخذ المحمل في الفترات المتأخرة طابعاً قومياً ودينياً، يميز ابناء البلاد الواحدة من غيرها من البلدان والشعوب الأخرى، وواقع الأمر تعتبر الدولة العثمانية باعتبارها ممثلة للخلافة الإسلامية من اوائل الدول ا لتي اولت قوافل «محامل» الحج أهمية كبرى، علماً أن قسماً كبيراً من المؤرخين يردون ذلك الى اسباب سياسية وتظاهرة دينية قصدت من ورائها التقرب إلى افئدة المسلمين ، ومهما كان الامر فالدولة ا لعثمانية سعت جاهدة الى تنظيم الحج في الولايات الاسلامية ا لتابعة لها تنظيماً جيداً، وسخرت كافة امكانياتها ا لاقتصا دية والعسكرية للمحافظة على سلامة ا لحجاج، فقبل ذلك التاريخ كان ابناء الشعوب الأسلامية يتجهون الى مكة المكرمة جماعات متفرقة او متحدة دون أي حماية أو رعاية، وإذا كانت بعض الحكومات تبدي بعض الاهتمام بحجاجها ، لكن ليس الى الحد الذي بلغته الدولة ا لعثمانية التي ورثت الخلافة العبا سية وراثة شرعية، واخذت على عاتقها مسؤولية حماية المسلمين على ا لصعيدين الداخلي والخارجي على حد سواء، وقدمت لحجاج بيت الله الحرام مساعدات مادية ،

وحمايتهم من اي خطر يهدد حياتهم ، وكلفت و لاتها بذلك ، وحملتهم المسؤوليه كاملة ، وعاقبت بشدة الولاة المهملين (٢) ، ولهذا تبارى حكام الولايات على الاهتمام بحجاج ولاياتهم، وغدت حياة كل وال من ولاة الدولة العثمانية رهناً بسلامة محمل ولايته ذهاباً و إياباً، علاوة على ذلك ففترة بقائه كوال يتمتع بمميزات لا مثيل لها ارتبطت أيضاً بسلامة محمل ولايته «٣». وان جميع المصادر ا لتركية والعربية والأجنبية أكدت اهتمام السلاطين العثمانيين بقوافل الحج اهتماماً فائقاً، وغض هؤلاء ا لسلاطين طرفهم عن اخطاء ولاتهم، الا فيما يتعلق با لحجاج.

لقد تناول المؤرخون بعض المحامل الاسلامية بالدراسة، ومن المحامل التي لم تعط اهمية إلى حد الآن - حسب علمي - المحمل المغربي والمحمل اليمني، ورغم مافي هذه الدراسة من صعوبات فقد آثرت التعرض للمحمل اليمني بالدراسة والتحليل من خلال الوثائق والمصادر التركية، وماحصلت عليه من وثائق لايغطي الموضوع بكامله ، وستظل هناك بعض الثغرات التي تحتاج الى دراسة وتحليل، و دراستي هذه ستلقي ضوءاً كبيراً ومهما عن طبيعة المحمل اليمني، والمشاق والمتاعب التي تعرض لها الحاج بسبب الظروف الداخلية ا لتي كان يعانيها علاوة على ضيق حاله وصعوبة مناطق عيشه.. وماهي المساعدات التي قدمتها الدولة العثمانية تجاه الحجاج اليمنيين.

لقد كانت اليمن ساحة واسعة وفسيحة للمبارزات السياسية طوال العصور المتأخرة، فبرزت على ساحتها شخصيات دينية وسياسية وجدت في بعد اليمن عن مركز الخلافة إضافة الى وعرة طرقها ومسالكها مرتعاً خصباً يساعدها على تحقيق امانيها ، وهدفت بمجموعها الى اقامة كيانات خاصة بها موضحة من خلال تلك الكيانات وجهات نظرمؤيدة أو معارضة لآراء السلطات ا لقائمة في المركز وبخاصة خلال العهدين الأموي والعباسي ، علاوة على الاعتداءات الخارجيةالتي تعرضت لها اليمن. مع مطلع العصرالحديث «٤» فعاش الانسان اليمني في حالة شتات أفقده توازنه السياسي والاداري ووصل الامر بهم الى حد الاقتتال والتناحر في سبيل كيانات اخذت في ظاهرها الطابع الديني إلاّ انها كانت في جوهرها تحوي مضامين سياسية واقتصادية وسلطوية ارتبطت الى حد بعيد بتيارات توافدت عليها من جهات مختلفة غريبة عنها . وجاء العصر الحديث ليواجه اليمنيون - بعد فترة الفرقة - متحدين الاعتداءات ا لخارجية ولهذا فإن معالجة قوافل الحج اليمني - خلال تلك العصور التاريخية - يحتاج الى جهد كبير«٥».

ان التناحر و الصراعات التي شهدتها الساحة اليمنية على مر العصور ، كل هذا كون لدى الحاج اليمني تخيلات كثيرة من اهمها جهله بمناطق بلاده، وتخوفه من المرور بمناطق جماعات بينه وبينها ثار او صراع سياسي ، ولهذا نجد خلال دراستنا لطرق قوافل الحج اليمني تعدداً وتنوعاً لانجده الا في مناطق المغرب العربي لكونها عاشت ظروفاً مشابهة الى حد ما من ظروف اليمنيين «٦» علاوة على ذلك فإننا نلمس بوضوح انعدام التآلف بين معظم المناطق ، ونتج عن عدم التآلف والانسجام تشكيل قوافل حج بكل منطقة ، واستقرارها في أماكن متباعدة عن بعضها البعض خلال فترة الحج «٧» ومما يؤكد ذلك إهمال شريف مكه لحجاج اليمن إهمالاً كبيراً وعدم اقامة المراسيم المعتادة لهم لدى وصولهم الى مكة المكرمة ، والسبب في ذلك يرجع الى وصولهم جماعات متفرقة، وكانت تلك الجماعات عرضة للتنقل من مكان لآخر ، ويستدل من الوثيقة الموجهة الى شريف مكه من قبل أمراء الحج الذين يطالبونه بتحديد منطقة خاصة با ليمنيين ومنعهم من الاستقرار والتمركز في عدة مناطق ، ولكن الشريف عجز عن جمعهم كراية واحدة بغية تحديد منطقة يستقرون بها لدى قدومهم للحج ، وفي منتصف سنة ١٥٣٩م تلقى شريف مكه فرماناً همايونياً يطلب منه الاهتمام بحجاج ولاية اليمن ، ومنذ ذلك التاريخ بدأاليمنيون يستقرون في منطقة المعلاة كمنطقة خاصة بهم«٨» وعرفت تلك المنطقة في المصادر العثمانية بالمدخل اليماني «٩».

ومما لاشك فيه ان العثمانيين حرصوا على الاهتمام

بشؤون المسلمين وبخاصة الجزيرة العربية،لان تواجدهم فيها يعتبر اول تواجد لدولة غير عربية منذ فجر الإسلام.وتجلى اهتمام السلاطين العثمانيين بعد الكعبة الشريفة،على استقطاب اليمنيين. وحينما فشلوا في ذلك لجأوا الى استخدام القوة العسكرية ، الا ان اتباعهم لقوة السلاح ، لم تنس العثمانيين الاهتمام بالناحية الدينية ، باعتباره واجباً دينياً يمليه عليهم توليهم زعامة العالم الاسلامي وتلقب السلطان سليم الاول « ١٥١٢ - ١٥٢٠ » بحامي الحرمين الشريفين وتسلمه لمفاتيح الكعبة سنة ١٥١٧م كذلك فأن العثمانيين يدركون تمسك الإنسان ا ليمني با لدين الإسلامي ، وقد لمسوا ذلك خلال استخدامهم القوة ضدهم ، فاليمنيون واظبوا على اقامة الفرائض الاسلامية بالرغم من ان ارضهم كانت سابقاً تعيش حالة قلق واضطراب ، وبمجيء العثمانيين ازداد الامر سوءاً وبصورة خاصة تأدية فريضة الحج، ولكن بنسبة اقل مما كانت عليه قبل قدوم العثمانيين ،أما من ناحية توجه اليمنيين الى الحج فقد استمر على ماهو عليه الى ان قام مصطفي غزه سنة ١٥٣٩م بتولي امارة الحج « ١٠ » ولدى وصوله الى مكه كان في استقباله شريف مكه بالطبول والمزامير ، ورفعت راية المحمل اليمني مثل بقية المحامل الأخرى ، ومما يؤخذ على مصطفى غزه انه لم يضم اليه حجاج عدن والبيضاء بسبب تأخرهم عن التاريخ المحدد اللقاء به فلحقوا به في مكه ، وكان ينوي معاقبتهم الا انه تخوف من قيامهم بتقديم شكوى الى قاضي مكه العثماني والمتمركز فيها، وقد تكفلت الدولة العثمانية بنفقات الحجاج اليمنيين لهذه السنة، ووجهت فرمانات سلطانية الى ولاة اليمن بشأن المواظبة على رعاية اليمنيين ومعاملتهم بالرفق واللين واستمرار قافلة الحج بكامل المراسيم المعتادة «١١» واعلام السلطان بحاجتهم وشدد السلطان بضرورة المحافظة على سلامة الحجاج ، وطلب من ولاته ، تأمين القوة العسكرية اللازمة من خلال انشاء الجرده «١٢» اما بشأن الصره «١٣» كما كلف الولاه بجمع مال الميري بحدود معينة، واعفاء الفقراء منهم ، كذلك فقد طلب من الولاة تعيين قاض مفت لقافلة الحج مع الاعتماد على اليمنيين كادلاء للقافلة، وسلك الطرق الخاضعة للسيطرة العثمانية مع اجراء إحصاء لاعدادهم قبل الخروج من صنعاء ، وفي كل استراحة وقبل مغادرتهم مكة المكرمة عائدين الى الولاية «اليمن» وعدم السماح لأي شخص بالتخلف عن القافلة ، أو مغادرتها لأي سنبب من الأسباب ، وان تسجل اسماؤهم في دفتر خاص اما نفقات القافلة ذهاباً واياباً يسجل في دفتر المحاسبات مع جملة المصاريف «١٤» وعدم اعتماد الوثيقة التي يحملها الحاج من شيخ قبيلته مالم تكن ممهورة من قبل مفتي الناحية وعليها ختم القاضي «اي قاضي صنعاء» ويتبين من الوثيقة الموجهة الى امير امراء اليمن ان مال الصره كان ١٢٠٠ فلوري وبما ان هذا المبلغ غير كاف لنفقات الحجاج ذهاباً واياباً (فأمر السلطان بزيادة ألفي فلوري بغية تأمين راحة بال الحجاج «١٥» ولدى التدقيق في الوثائق لم نتمكن من معرفة عدد الحجاج الا انه من المحتمل ان اعدادهم لم تتجاوز ثلاثمئة حاج «١٦» وان هذه الاعداد انخفضت عن السنة الاولى لأن اعداداً منهم تخوفوا من مسألة تسجيلهم في دفتر الولاية، وسرت شائعة بين معظم قرى اليمن ، من ان العثمانيين يهدفون من وراء ذلك زيادة فرض الضرائب أو استدعائهم للقيام باعمال السخرة كجر المدافع او شق الطرق لتسهيل مرور القوات العسكرية ، وغدا قسم كبير منهم يتوجه لتأدية فريضة الحج منفرداً، ورداً على تصرفهم أمر امير امراء اليمن بعدم تأمين الحماية لهم، وعدم السماح لهم لدى وصولهم الى مكه من الاختلاط بحجاج القافلة ، ولا حتى الاقتراب من المكان المخصص لحجاج اليمن، وكان هؤلاء الحجاج يتوجهون الى مكه منذ اوائل شهر شوال ويستمرون حتى اواخر شهر صفر «١٧» . وبالرغم من هذا الاجراء فقد ظلت اعداد منهم تحج منفردة ، ولدى الرجوع لدفاتر بلاد الشام والعراق نجد ان قسماً من حجاج اليمن كانوا يرافقون محامل تلك البلاد بهدف العمل ، والبعض منهم كان موزعاً في مناطق مكة والمدينة باحثاً عن عمل يكسب من جرائه المال لتأمين شراء الهدايا الى اهله او تامين قيمة ثور او بقرة كان قد باعها ليتمكن

من تأدية فريضة الحج «١٨».

ان التدقيق في السجلات «الدفاتر» الخاصة باليمن والحجاز يؤكد لنا أن قسماً من شباب اليمن، كان يتوجه الى مكة بنية الحج ومنها يتنقل الى المناطق الأخرى هرباً من الضرائب او الزامه باعمال السخرة، لان عدم استجابة اليمنين لطلب ولاة الامر من العثمانيين كان يعتبر خروجاً عن طاعة ا لدولة العلية او انهم كانوا من المؤيدين للآئمة «١٩» وهذه التهمة وحدها كافية لتقييدهم وارسالهم للقيام باعمال التجديف في الاسطول الهمايوني او نقل الذخيرة من قطع الاسطول المرابطة في المخا او الحديدة «٢٠» ولهذا فإن العديد منهم كان يغتنم فرصة الحج ولم يكن بامكان ولاة الامر من العثمانيين منع اي شخص من تأدية فريضة الحج، وفي حال حدوث اي ممانعة، كان بامكان الشخص مراجعة المفتي، لانه يتمتع بصلاحيات واسعة في هذا المجال، فيمنح الشخص وثيقة أحقية تأدية فريضة الحج، وبموجبها يتوجه الى مكة دون ان يتجرأ اي شخص على منعه، ولكن لايحق له الانضمام الى القافلة، بل يسافر منفرداً او مع رفاق له «٢١».

ان قافلة الحج اليمني اكتسبت منذ ولاية مصطفى باشا النشار الطابع الرسمي «٢٢» وحصلت من الخزانة العامرة على مساعدات مالية تبرع بها السلطان سليمان القانوني «١٥٢٠ - ١٥٦٦م»«٢٣» وظل خلفاؤه من بعده يهتمون بها ويتبرعون لها بالمال اللازم، كما كان السلاطين حريصين عليها كل الحرص، ولهذا فقد طلب من ولاة اليمن تحديد طريق سيرها من صنعاء الى مكه وبالعكس، وحذر الولاة بعد تحديد الطريق وإعلام السلطان من تغييره، وقد تلقى من حسن باشا الوزير «١٥٨٠ - ١٦٠٤م» لوماً شديداً من السلطان مراد الثالث «١٥٧٤ - ١٥٩٥م» عندما امر قائد المحمل بتغيير طريقه لدى وصوله الى جيزان عائداً من مكه، وكلفه بالاتجاه من جيزان الى صعده ومنها الى صنعاء ومنها الى زبيد «٢٤» وقد برر حسن باشا الوزير في كتابه المرسل الى السلطان في ١٧ ربيع اول ٩٩٨هـ ان زيادة عدد قطاع الطريق هو الذي دفعه الى ذلك، وانه قصد بتصرفه حماية حجاج بيت الله الحرام، وان الطريق التي سلكته القافلة عائدة الى صنعاء كان اكثر امناً من طريق تهامه، وواقع الامر فإن حسن باشا قصد من تصرفه اظهار قوته وسيطرته على تلك المناطق «٢٥». ولو اننا دققنا في كتب ولاة اليمن الموجهة الى الديوان الهمايوني نجد ان كافة الولاة كانوا يرسلون عيوناً لهم لاستطلاع الطريق وفي حال ورود اخبار اليهم بوجود قطاع طرق كانوا يكلفون مفرزة من الجردة بالتوجه إليهم لمحاربتهم وطردهم لتأمين الطريق وإذا دعت الضرورة كانوا يلجأون الى إحداث تغيير جزئي بمسير القافلة، أو يطلبون المساعدة من أهالي القرى القريبه إليهم ورغم ذلك لم يقع بايدينا مايؤكد حدوث اصطدام بين قطاع الطرق والجردة المرافقة لقافلة الحج كما حدث في بعض الولايات الأخرى..

أن الحج اليمني على الرغم من اهتمام الدولة العثمانية لم يكن منتظما بعكس بقية محامل الولايات الاخرى مثل المحمل الشامي والمصري، ويرجع السبب الى استمرار حالة الاقتتال مابين العثمانيين واليمنيين، وكُره ا ليمنيين للقيود والاوامر. فاليمنيون لدى انتظامهم بالقافلة كانوا يشعرون بانهم مقيدون، علاوة على ذلك فقد كانوا يكنون للولاة العثمانيين كرهاً شديداً، وفي الوقت ذاته لم تنتظم قافلة الحج اليمني بادارة العثمانيين خلال الفترة الأولى «١٥٣٨ - ١٦٣٥م» اكثر من ثلاثين عاماً، وبشكل متقطع «٢٦» وتعتبر فترتا ازدمير باشا «١٥٤٩ - ١٥٥٥م» ومصطفى باشا النشار الثانية من اكثر الفترات هدوءاً واستقراراً، فانعكس هذا على انتظام قافلة الحج واستمر الامر حتى سنة ١٥٦٦م حيث توقفت بسبب توجه الدولة العثمانية الى تقسيم اليمن الى ولايتين: ولاية زبيد والتهائم والسواحل وولاية صنعاء وتعز والجبال، واكتنف فترة محمود باشا «١٥٦٠ - ١٥٦٥م» وفترة رضوان باشا «١٥٦٥ - ١٥٦٧م» غموض تام وبخاصة فيما يتعلق بمصير قافلة الحج «٢٧» ولدى التدقيق في السجلات ا لهمايونية نلمس بوضوح قلة تعرضها للإبادة الجماعية، كما حدث لقافلة الحج الشامي او المصري واكثر ماكان يتعرض له الحجاج اليمنيون هو السلب والنهب فقط

وتذكر تلك السجلات ان أعمال السلب والنهب كانت تمارس من قبل قبيلة تسمى بالحرامية «٢٨» ،
* راجع ماتحته خط في الهامش «٢٨» من هذه المقالة

وجاء هذا في رد ارسله والي اليمن في ٢٠ صفر سنة ٩٧٣هـ كذلك فإن الولاة لم يقوموا بتاجير دواب الركوب من القبائل البدوية ، لان اليمن تخلو من البدو وهم مجموعات قبلية مستقرة ، يمارسون الاعمال الزراعية ، فمن لايملك منهم دابة كان يسير ماشياً الى مكه رحلته ذهاباً واياباً، والتي كانت تستغرق قرابة اربعة اشهر، وكانت سلطات استانبول على دراية تامه باوضاع اليمنيين ، ولهذا ارسلت الفرمانات الهمايونية تأمر الولاة بشراء دواب الركوب من مال الصره،لان مال الصره مخصص في الاصل لشراء رضا القبائل البدوية القاطنة على الطرق المؤدية الى مكة والتي تعتمد على تأجير جمالها وخيولها الى الحجاج ، اما الاموال التي تبرع بها السلاطين فهي لمساعدة الحجاج وإعالتهم ، وكان بعض الولاة يأخذون هذه الاموال لانفسهم ، ويفرضون على الاهالي ضريبة الميري بحجة أنها للحجاج «٢٩».

ومما يجدر ذكره ان امارة القافلة كانت وقفاً على بك كوكبان بالدرجة الأولى او على احد بكوات الصناجق، ولم نعثر في الوثائق والمصادر العثمانية على تولي احد الانكشاريين قيادة القافلة «المحمل» كما ان الظروف التي كانت تعانيها اليمن لاتسمح لامير الامراء باستمرار تولي هذه المهمة فالصراع الدائر بين الامام يحيى شرف الدين والعثمانيين فرض على الولاة البقاء في الولاية لادارة الاعمال الحربية ، وفي حالات كثيرة كان يعهد لنائبه تولي هذه ا لمهمة او شخص يتفق عليه مجلس الولاية وينال ثقة المفتي والقاضي . وكان القاضي المكلف بمرافقة القافلة من السكان المحليين وفي حال عدم وجود قاضٍ محلي بارز وثقة يظهر القاضي المعين من قبل استانبول القيام بالمرافقة ، لكن هذا لم يحدث ، لان قضاة اليمن تمتعوا بثقة استانبول ، ويرافق القاضي مفتي الولاية ونائبه ، والمفتي يجب ان يكون بالضرورة من اليمنيين ، لان مهمته الاساسية تعليم الحجاج اصول الحج والسهر على راحتهم ورعاية شؤونهم وتأمين حوائجهم ومنح الأموال للحجاج عند الحاجة، فعلاوة على تحمل مسؤولية الأموال المقدمة من السلطان فإن الحجاج يضعون مالديهم من أموال أمانة معه، ولدى العودة يعيد ماتبقى لديه من أموال مع كشف بالمبالغ التي صرفها ، وكانت تلك المصاريف تسجل في دفتر القافله ويمهره القاضي بمهره «٣٠» وكانت القافلة تتحرك من صنعاء في أواخر شهر شوال من باب شعيب «٣١» حيث تقام الافراح قبل اسبوعين من انطلاقها ، وفي اليوم المحدد للتحرك ينهض القاضي والدفتردار لتفقد القافلة من خلال السجل الذي بين ايديهم وبعد انتهاء التفقد يأتي امير الامراء مع كبار ضباطه ولدى وصوله يشير الدفتردار الى الفرقة الموسيقية ، فتنفخ الابواق، وبعدها تنتظم القافلة فتقرأ الفاتحة ، وتردد الاناشيد الدينية ، وتنطلق القافلة وسط الزغاريد ا لممزوجة بالدموع من قبل المودعين ويتقدم قائد المحمل الى أمير الأمراء ليقسم يمين الولاء والمحافظة على الحجاج وبذل جهوده كاملة، وبعدها يتجه الى مقدمة القا فلة وأمامه الراية وعلى يمينة القاضي وعلى يساره المفتي ، اما قائد الجرده فيكلف عساكره باحاطة موكب الحجاج من جميع الجهات ويسير مع بعض العساكر في المؤخرة ويستمر هذا التنظيم حتى خروجها خارج حدود صنعاء ، ومن بعد ذلك يأخذ التنظيم شكلاً آخر فقائد المحمل مع قوة عسكرية يسير في مؤخرة ا لقافلة تاركاً القاضي والمفتي في المقدمة ، اما نائب المفتي ومساعدوه فيتوسطون القافلة يتلون القرآن الكريم ويشرحون الاحاديث النبوية ، اما قائد الجرده فمهمته تقدم القافلة بمسافة بسيطة متتبعاً الادلاء الذين يقومون بارشاد القافلة على الطريق السهل وكان لكل منطقة يمرون بها ادلاؤها ، واثناء الاستراحة يتم تفقد الحجاج من قبل القاضي والمفتي «٣٢» وفي حال تعرض احد الحجاج لمرض اثناء الذهاب يكلف المرض المرافق للقافلة بمداواته ، فاذا كان مصاباً بمرض معدٍ يعزل عن بقية الحجاج، ويمنع من مواصلة السير الى ا لحج وكانت الحالات التي يتعرض فيها الحجاج للأمراض المعدية اثناء العودة، وغالباً مايكون سببها الارهاق الشديد او انتقال العدوى من

الحجاج الآخرين. وفي حال وفاة احد الحجاج ، يقوم القاضي باستدعاء معارفه ويدفن امام الجميع بعد اقامة صلاة الميت عليه من قبل المفتي.وبعد الانتهاء من عملية الدفن يسجل اسمه واسم منطقته وتاريخ وفاته والسنة واسم قائد المحمل والقاضي والمفتي ، وتجمع اغراضه وتسلم كأمانة لدى احد معارفه وغالباً كان يعطى ذووه مبلغ من المال يسلم اليهم بعد وصول القافلة الى صنعاء من المحكمة العدلية في صنعاء «٣٣»

ولدى الرجوع الى السجلات المتعلقة بالحجيج ، نجد ان نسبة الوفاة في كل مرة تتوجه بها قافلة الحج الى مكة تتراوح من ٦ - ٨٪ خلال الرحلة ذهاباً واياباً واغلب الاصابات اثناء الذهاب كانت بسبب الارهاق او الملاريا، اما عند الاياب فاما من الارهاق و اما من انتقال الامراض اليهم من مكة أثناء فترة الحج وفي السنوات التي كان فيها الحجاج يتعرضون للاصابة بمرض الطاعون كان يحصدهم حصداً، وفي مطلع القرن السابع عشر تعرض حجاج اليمن لهذا الداء المخيف ولم ينج من القافلة الا ربعها وخاصة سنة ١٦١٢م وقد انتقل هذا المرض من حجيج المغرب العربي والذي نقل اليهم بواسطة بحارة ازمير «٣٤» اما فيما يتعلق بعدد الحجاج فقد كان متوسط اعدادهم من ٣٠٠ - ٤٠٠ حاج وكان هذا العدد قابلاً للزيادة او النقصان في كل سنة واكثر عدد بلغته قافلة الحج اليمني كان سنة ١٥٥٢م حيث بلغ عددها قرابة الف حاج «٣٥».

يستمر تنظيم القافلة على نفس المنوال الذي كانت عليه بعد خروجها من صنعاء الى ان تصل يلملم وهناك يفارق قائد الجردة القافلة بقواته عائداً الى منطقة كتنه منتظراً القافلة حتى انتهاء فترة الحج اما الحجاج فيستريحون في يلملم للاحرام، وبعدها ينطلقون باتجاه البيت الحرام ويرفقتهم بعض العساكر المخصصة لقيادة الدواب التي تحمل المؤنة والمياه ويتولى المقدمة قائد المحمل وعلى جانبيه القاضي والمفتي ، وقبل بلوغهم مكة بمسافة يكلف قائد المحمل شخصا اوشخصين بالاسراع الى مكة لابلاغ الشريف بقدوم المحمل اليمني ، وعلى الفور يهيىء شريف مكة المكان المخصص لحجاج اليمن ، وبعدها يتوجه للقائها واستقبالها بالمراسيم الرسمية ويرافقها الى منطقة المعلاة،وبعد استراحة مدتها ثلاثة ايام يقوم قائد المحمل والقاضي والمفتي بتفقد الحجاج ويزودهم ببعض التوصيات الضرورية ، ثم يتوجه الى مقر شريف مكة للتباحث معه بشؤون حجاجه«٣٦».

كان اهالي الحجاج وأقرباؤهم يعلمون اخبارهم طوال فترة الذهاب وذلك من خلال الادلاء الذين ينقلون الاخبار كل منهم لحدود مناطقهم ، في حين تنقطع اخبارهم اثناء العودة وكثيراً مايترددون الى مجلس الولاية للاستفسار عن موعد وصول القافلة وفي الوقت المحدد لعودة القافلة يخرج امير الامراء مع كبار ضباطه واعوانه الى خارج صنعاء وبرفقته الفرقة الموسيقية ، ولدى ظهور راية المحمل تبدأ الزغاريد واطلاق النيران ويتدافع اهل الحجاج الى المنطقة لاستقبال حجاجهم ، وتشهد كافة المناطق التي مرت بها القافلة أفراحاً واعراساً لامثيل لها وبخاصة مدينة صنعاء، حيث تستمر الافراح والزينات فيها لمدة اسبوعين او ثلاثة اسابيع، اما الطعام الذي كان يتزود به الحاج الى بيت الله الحرام فهو طحين من قمح او ذرة وسمن بلدي ولبن وقشده وعسل وزبيب وبقسماط، أما مسؤولية حمل المياه والمؤنة فقوات الجردة تتكفل بذلك طوال الطريق ، واما الهدايا التي كان الحجاج يحضرونها الى ذويهم فبالدرجة الاولى قربة من ماء زمزم وكحل وكوافي «طاقيات» ومسابح وماشابهها من اشياء خفيفة الوزن. «٣٧»

اما الطريق الذي سلكته القافلة، وكما ورد في الوثائق والمصادر العثمانية ، فيبدأ من صنعاء ريده - أثافت - خيوان - العمشية - صعده - الفرقة - أرنيب - سروم - الفينفي - «٣٨» - كتنه وهي اول الحجاز ومنها الى الهبرة - بنات حرب - الجسود«٣٩» - بيشه - تباله - القريحا - كرا - تربه - العفين - الفتق - وهي اول الطائف ثم راس المناقب - قرن - رفه - الذيمه - او الذبحة ثم مكة، وبعض الدفاتر تذكر: صنعاء - ريده - خمر - خيوان - - صعده - ضحيان سروم - كتنه - تباله - القريحا - كرا تربة - الفتق وتقف هنا ، والبعض الآخر يذكر صنعاء - الحديدة - عبر التهائم

إلى جيزان، ويذكر هذا المصدر ان قوة الجردة تتمركز في جيزان، ويتابع ا لحجاج سيرهم ا لى قنفده حيث يستريحون لمدة يوم واحد وفي ا ليوم الثاني يحرمون ثم يتجهون الى بيت الله الحرام ، اما الطريق ا لبحري فقد اعتاد على ا تباعه ميسورو الحال ، فيبدأ من الحديدة حيث يركبون سفينة فرنسية فيمرون على جزيرة كمران - اللحية - جيزان قنفده - السعدية - جده «٤٠» وهؤلاء يحرمون في السعدية ومن جده يتجهون براً ا لى مكة وكانوا يقطعون المسافة من جده الى مكه على متن ا لجمال حيث كانت بعض ا لقبائل تقوم بتأجير دوابها الى الحجاج ، ولم تذكر لنا المصادر ا لاجر الذي يدفعه الحاج سواء في السفينة او للجما ل ، ولم يكن ولاة الأمر من العثمانيين يهتمون بحجاج الطريق البحري اما ادلاء المسافة مابين صنعاء والحديدة فقد وجد مجموعة من الشبان يرافقون هؤلاء الحجاج مقابل اجر ، اما حجاج عدن فكانوا يلتقون مع حجاج صنعاء في الحديدة وينضمون ا لى ا لقافلة ، وقسم كبير منهم كان يصل الحديده عن طريق ا لبحر وفي احيان كثيرة كانوا ينزلون المخا، و منها يسيرون براً إلى الحديدة وفي عام ١٦٠٨م قدم حجاج الطريق البحري شكوى الى ا لمفتي يطلبون منه التوسط لدى امير امراء اليمن من اجل تأمين سفينة عثمانية بالأجره لانهم لايرغبونَ الابحار او ا لسفر على متن سفينة عائدة ملكيتها لغير المسلمين ، لكون سفرهم بسبب ا لحج إلى بيت الله ا لحرام ، لكننا لم نعثر على اي شيء يقدم لنا معلومات توضيحيه بهذا الخصوص .

استمرت قافلة الحج اليمني تشهد اهتمام ورعاية العثمانيين حتى سنة ١٦٢٠م ومن بعدها توقفت بسبب زيادة الاضطرابات واشتداد حالة ا لعداء مع العثمانيين واصبح ا ليمنيون بغالبيتهم يقاتلون العثمانيين كصف واحد وانتهى الأمر بخروج ا لعثمانيين من اليمن سنة ١٦٣٥م فعاد حجاج اليمن يحجون بطريقتهم ا لخاصة، والفترة سنة ١٦٣٥ - ١٨٧٢م تعتبر فترة غامضة فيما يتعلق باحوال الحجاج وكل مانملكه من معلومات يتعلق باتخاذ شريف مكه موقفاً عدائياً من ا ليمنيين وتخليه عن استقبالهم بناء على توصيات صدرت اليه من الباب العالي ، واعتبر اليمنيون عصاة خارجين عن طاعة الدولة ا لعليه ، ولهذا فإن ذلك يقتضي حرمانهم من اي امتيازات بل على العكس من ذلك فقد شهد حجاج اليمن مضايقات كثيرة ، واستمرت مضايقتهم حتى سنة ١٨٧٢م ولدى عودة العثمانيين الى اليمن، عادت قافلة ا لحج الى الانتظام وبشكل اكثر اهتماماً وعناية من الفترة الأولى وقدمت لليمنيين عامة والحجاج خاصة تسهيلات مادية كثيرة وحماية عسكرية جيدة ، ونالوا امتيازات عالية في مكه وتم استقبا لهم بالمراسيم ا لرسمية وعلى الرغم من غنى هذه الفترة بالوثائق التي تعالج اوضاع اليمن الاقتصادية و الاجتماعية وخاصة قافلة الحج ا لا ان معظم هذه الوثائق لم تصنًف ، وهكذا يمكننا القول ان الدولة العثمانية سعت جاهدة لحماية حجاج المسلمين ، وظل السلاطين العثمانيون يهتمون بمصالح المسلمين ويقدمون لهم المساعدات ا لمادية والعسكرية وتجلى اهتمامهم بصورة خاصة با لحجاج وتأمين ا لحماية التامة لهم ، ورفع الظلم عنهم ويتضح هذا من خلال الفرمانات الموجهة الى ولايتهم في مختلف الولايات التابعة لهم ومعاقبتهم للولاة المهملين.

قسم الوثائق

وثيقة رقم «١»

دفتر ٤٦ : حكم إلى بكلر بكى اليمن

لما كنا قد اعلمنا ان حجاج ا لمسلمين المتوجهين من ولاية اليمن للطواف ببيت الله الحرام ، وزيارة ا لروضة المطهرة بحضرة سيد الانام عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام، يتكلف ذهابهم كل عام من مال الميري ١٢٠٠ فلوري، وان هذا المبلغ لايكفي فقد امرت بالفي فلوري لاجل مصاريف ا لحجاج القادمين الى الحج من الولاية المذكورة .

في وقته وزمانه حتى يكون ا لحجاج على د رجة من سعة الحال وفراغ البال وكل مايصرف لهذا الصدد تسجله على الدفتر مشروطاً ومفسراً وتأمر بقيده مع ساير المحاسبات.

وثيقة رقم «٢»
دفتر :٤٦
حكم : ١١٥
ص : ٥٤
: حكم الى بكلر بكى اليمن مصطفى باشا

لما كنا قد علمنا بان ولاية اليمن من ولاياتنا الممتازة المحروسة ، لايتم فيها اقامه محمل كسائر الولايات التابعة لسدتنا العلية، وهي ليست اقل شأناً امرت عند وصول «هذا الحكم» ان تقوم في وقته وموعده بالاعداد التام والكامل بتجهيز المسلمين فيها لزيارة الروضة المطهرة بحضرة سيد الانام عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام بعد ماتظهر العدل بضبط وربط الأمور وان تعد في استشارة اولى الأمر من علمائها وفقهائها باختيار ا لزمان والطريق ا لمناسب ، وان تعين من طرفك بكاً من ذوي الخبرة والنباهة وتمده بالعساكر اللازمة ، وتجعله يتمنطق بسيف وقلعه ، وتقيم الأفراح للقاصي والداني وتتخذ مكاناً يليق بحجاج المسلمين امام مشهد ا لصغير والكبير ، وتحدد ا لجردة المطلوبة من خيرة العساكر الامناء وتمنح كل حاج مصاريف الحج المقدمة اليهم من سدتنا العلية ، وقد خصصت مامقداره الف فلوري علاوة على سبعة تعطى اليهم من اموال الميري لكي يعم الفرح والسرور وجوههم ويؤدوا شعائرهم بقلب رحب وليطمئن أهاليهم على سلامتهم ، واعلامنا بالنقص والصعوبات و المسالك ا لتي يسلكها ا مير الحجاج.

١٧ ربيع الثاني ٩٦٤هـ

وثيقة رقم «٣»
دفتر :٥٢
حكم : ١١٧
ص : ٩٣
حكم الى بكلر بكى اليمن

كنا قد اعلمنا شريف مكه انه سيقوم باستقبال الحجاج المسلمين من اليمن بغاية الاستقبال والمحبة، وانه خصص المعلاة بجوار الروضة المطهرة كمنزل يحط اليمنيون ترحالهم فيه، وانه رفع عنهم اموال اللزمة التي كان اليمنيون يدفعونها فقدمنا له خلعة بهية تليق به، وامرنا بتجهيز القبة الشريفة مايلزم من الكساء تبقى شيخ بني مرزوق كقاض ومستشار لامير الحجاج .، واحذر اي نقص لحجاج ولايتنا المحروسة وتشرف بنفسك على اعدادها وتكن مع سائر الامراء والقواد في وداعها واقم الافراح والطبول منذ غرة شوال وحتى مغادرة ا لحجاج لأرض اليمن «المقصود هنا صنعاء» وتعهد الى مفتي اليمن شيخ بني الحوالي بالعهدة الميرية ، ولاتغفل عينك عن الاعداء الخارجين عن طاعتنا ومن باب الحيطة والحذر امرنا بكلر بكى مصر بامدادك بالرجال مع كمية من السلاح فاسهر بعين الحريص على كسب ودنا قم بعملك بكل مايلزم من الحيطة والانتباه اما في سائر الخصوصيات فعليك بحسن ا لاستمالة وبذل المقدور بما غرس في جبلتك من حيث ضبط وربط القبائل والعشائر، وتمسك بالشرع الشريف وارفع الظلم عن المسلمين امة محمد ، وراقب حدود الولاية من الكفار اعداء الدين واعلمنا عن اوضاع الولاية.

٢٥ ذي الحجة ٩٦٥هـ

وثيقة رقم «٤»
دفتر «٦٦»
حكم : ١٣٧
حكم الى بكلر بكى اليمن

اصدرنا امرنا الهمايوني الشريف بتعيينك والياً على اليمن ، ولهذا فإننا نأمرك بتطبيق ا لعدل وتنصف الرعية ، وتلاحق ا صحاب الفتن والشرور وتقطع دابر الاشقياء الذين يعتدون على الرعية ، فاعمل بجد وهمة عالية على اعزاز المحمل اليمني ، وتأمين الطريق له ذهاباً واياباً وعليك عند وصول «هذا الحكم» ان تقوم باعداد المحمل وتخصيص العساكر الشاهانية اللازمة حتى يكونوا في حال وسعه، واحذر تكليفهم بضرائب خارجه عن النص الشريف ، وان تسجل اسماء الحجاج في دفتر خاص ، مع الاموال ا لتي تمنح لهم وتمهره و اعمل على ضبط وربط ا لبلاد وامنع العساكر من ظلم الأهالي ، واستجلب قلوب المسلمين اليك.

٢٥ شوال ٩٦٩هـ

وثيقة رقم «٥»
دفتر : ٥٩
حكم :١٠٠١
حكم الى بكلر بكى اليمن محمود باشا
لما كنا قد علمنا بانك تأخرت عن تهيئة حجاج اليمن للطواف بالروضة المطهرة والتبرك برسول الهدى وتذرعت بشريف مكه، وقيام الفتن في مملكتنا المحروسة ، لاعذر لك عليك عند وصول «هذا الحكم» ان تبذل الجهود المشكورة لخدمتنا وخدمة امة محمد الراغبين بزيارة روضته الطاهرة، وان تؤمن الطريق وتضرب الخارجين عن الشرع ، ولما كان الامر يقتضي منك حسن التصرف والنباهة التي بذلت من جبلتك فاعمل بجد على ارضائنا وتؤمن الحجاج وترفع الاذى عنهم، واحذر من اتباع الظلم مع ساير الامراء ، امرت عند وصول «هذا الحكم» ان تقوم بشراء مايلزم الحجاج من دواب الركوب وان ترسل الجرده معهم ذهاباً و اياباً واختر الادلاء من ابناء مملكتنا المحروسة ، وان تسلك الطريق المتبع.
١٧شعبان ٩٧٠هـ
وثيقه رقم «٦»
دفتر :٥٩
حكم : ١٠٠٢
حكم الى بكلر بكى اليمن محمود باشا
لما علمنا بانك فرضت على الحجاج المسلمين من ولايتنا المحروسة اليمن مامقداره نصف فرنك فرنسي ، وانك بالدورة ، واخذت مال الميري امرت برد المال الى اهله عند وصول «هذا الحكم» واحذر العمل بمثله ثانية.
٢٧ ربيع الثاني ٩٧٢هـ
وثيقة رقم «٧»
دفتر :٥٩
حكم : ١٠٠٣
حكم الى بكلر بكى اليمن
فيما يتعلق بانه لما علمنا ان والي اليمن قد جمع من القبائل والمشائخ ٧٠ حصاناً مع عدد كاف من البنادق والسيوف امرت عند وصول «هذا الحكم» ضمها الى الحجاج وارسال العساكر الى وادي شيب ونزع السلاح منه والزامهم بالخضوع للطاعة ، لكي لايقوموا بالاعتداء على الحجاج وسلب مامعهم من ادوات ومال فالزم الشرع الشريف وحافظ على ارواح الحجاج ونامرك قبل خروجهم من صنعاء تسجيلهم في دفتر خاص على ان يمهر هذا الدفتر من امير الحج محمد ومن القاضي وترسله الى سدتنا العلية بأسرع وقت ممكن.
غرة ربيع الأول ٩٧٥هـ
وثيقة رقم «٨»
حكم الى بكلر بكى اليمن زيد فضله
لما كنا قد علمنا أنك تأخرت هذا العام عن تأمين الحجاج ، فتعرضوا للاذى والمهانة التي يرفضها الشرع الشريف ، وتذرعت بوعرة الطريق من صنعاء الى الروضة الطاهرة ورجوتنا بارسال سفينة خاصة لنقلهم من المخا الى جده امرنا بكلر بكى مصر بارسال السفينة المذكورة ، لكنك لم تقم بنقلهم كما وعدت ، نامرك بعدم تكرار ذلك لما فيه إساءة لسمعة دولتنا واقلال لمهابتنا وامرت عند وصول «هذا الحكم» اعلمنا سبب تقصيرك واخلالك بالمواثيق والعهود المرجوة مع شاويشنا احمد واحذر الاساءة الى حجاج المسلمين وعليك رفع الاذى والضرر عنهم ، وزيادة مال الميري من ٢٠٠٠ فلوري إلى ٢٥٠٠ فلوري وان توزع هذه المبالغ المخصصة من سدتنا العليه بالتساوي عليهم فتنال الرضا وتحظى برضانا.
غرة شوال ٩٧٣هـ
وثيقة رقم «٩»
حكم الى بكلر بكى اليمن وزيرنا حسن دام عزه
علمنا بانك دفعت حجاج المسلمين من ولايتنا المحروسة اليمن الى قضاء كبير ولكن الله عز وجل رعى وحمى حجاج بيته، لماذا قمت بتغيير الطريق المتبع وتحركت بهم بالقرب من مواقع الخطر ، احذر تكرار ذلك مهما كانت الاسباب فلا عذر لك فالزم الطريق وحافظ على ارواح المسلمين وامرت عند وصول «هذا الحكم» اعلمنا عن سبب مخالفة اوامرنا فلقد عرفنا اخلاصك لدولتنا العلية ، فلقد جبلت على الاخلاص ونلت ثقتنا.
٢٤ صفر سنة ٩٧٧هـ

وثيقة رقم «١٠»
دفتر : ٥٠
حكم : (١٤٥)
ص : ٢٨
حكم الى بكلر بكى اليمن

لما كنا قد علمنا بانك تقوم بنقل الحج من صنعاء الى الحديدة مسيره ثمانية ايام تم تترك لهم السفر بحراً دون رعاية او عناية منك، وينقلون على سفينة تابعة لاعداء الدين وبما ان اسطولنا الهمايوني يقاتل الاعداء في شواطىء اوجاقنا الغربية «آي مناطق الشمال الافريقي» وتعذر عليك : الامر في احضار سفينة من السفن التي حوزتك ، انها عند وصول «هذا الحكم» أن تتدبر الامر وتعمل على نقلهم بطريق البر المتبع من صعده فالفرقة فارنيب ومنها الى سروم فكتنه ، وقبل وصولك القنق ، اطلب الامداد من شريف مكه لمواجهة قبيلة الحرامية ، واذا لزم الامر خذ من عساكرنا ا لهمايونية الموجودة في كوكبان ولا تتحرك بالحجاج قبل تـأمين الطريق ، واعد القوة اللازمة في الجردة والتزم بنصوص الشرع، انك تعمل بما جبلت عليه من عزة النفس وان تسعى جاهداً لإرضائنا قبل تحركك ، احذر اعداء الدين بالبر والبحر ولاتغفل مع أُمرائك ، وامنع الانكشارية من التعدي على الرعيه،، وارفع الظلم عن امة محمد . سجل جميع المصاريف في الدفاتر وعند العودة اقم الافراح وارفع الزينات وتمنطق بالسيف والخلعة.
غرة شوال ٩٧٩هـ

الحواشي والهوامش :

١- القرآن الكريم سورة البقرة الاية : ١٨٩
٢- قسم الوثائق الوثيقة ١-٩
٣- عبدالكريم رافق ، العرب والعثمانيون «١٥١٦ - ١٩١٦» دمشق ١٩٧٤ الطبعة الاولى ص (٢٣٨)
٤- تاريخ يمن وصنعاء استانبول ١٢٩١هـ ج ٢ ص١٣٤ - ١٣٨
٥- المصدر السابق
٦- المصدر السابق
٧- دفتر اليمن والحجاز رقم ١٤
٨ - المصدر السابق رقم ١٤
٩- المصدر السابق رقم ١٤
١٠- تذكر المصادر العثمانية ان اول والٍ عثماني تولى قيادة قافلة الحج اليمني الى مكة المكرمة هو مصطفى غزة، في حين يذكر قطب الدين المكي في كتابه«البرق اليماني في الفتح العثماني» ان الوالي الذي توى قيادة قافلة الحج لأول مرة هو مصطفى باشا النشار ومن المحتمل ان يكون مصطفى غزه هو فيما بعد اصبح يعرف كما اورده قطب الدين المكي، ولكن اثناء تدقيقنا في قاموس الأعلام العثماني ، وفي كتاب فذلكة التواريخ بمجلديه الأول والثاني لم نتمكن من التوصل الى معرفة أصل مصطفى باشا النشار ، ومصطفى هذا حصل على لقب الباشوية من مصر، اما لقب النشار فقد حصل عليه لانه كان ينشر اللصوص والخارجين عن الطاعة الى نصفين.

١١- قسم الوثائق وثيقة رقم «٢»
١٢- الجرده، وهي قوة عسكرية مخصصة لحماية قوافل ا لحج، وكان في كل ولاية قوة عسكرية تسمى بالجردة.
١٣- الصُرة وهي اموال يجمعها الوالي لاستئجار حيوانات «جمال وخيول» القبائل البدوية ا لقاطنة على الطرق المتجهة الى مكه وهذه القبائل بالأصل قبائل رحل تعتمد في حياتها على التنقل والترحال من مكان الى آخر وتغتنم ا وقات الحج لتأجير حيواناتها وحماية الحجاج والولاة يدفعون لهم أجر مبالغ مالية مقابل الحماية ايضاً وبما ان اليمن لاتوجد بها قبائل بدوية ، فقد صدر فرمان سلطاني يقضي بشراء حيوانات ركوب لنقل حجاج ا ليمن الى مكه وتقديم قسم منها لمساعدة حجاج اليمن.
١٤- قسم الوثائق وثيقة رقم «١» ورقم «٢»
١٥) قسم الوثائق وثيقه رقم (١) ورقم (٨)
١٦- مالية مدور دفتري رقم «٢٣٤»
١٧- دفتر اليمن والحجاز رقم ١٩-٢٠
١٨- المصدر السابق رقم ١٩ - ٢٠
١٩- المصدر السابق رقم «١٩» - «٢٠»
٢٠- مجموعة البحرية العثمانية ص ٣٣٢.

٢١- دفتر قضاة الحجاز رقم٩

٢٢- سيد مصطفى سالم الفتح العثماني الاول لليمن / ١٩٧٨ الطبعة الثالثة ص ٣٤٨ و ص٤٧٨، وقطب الدين المكي «البرق اليماني في الفتح العثماني بيروت ١٩٨٦ص ٩٤ و ١٢١.

٢٣- قسم الوثائق وثيقة رقم «١»

٢٤ -قسم الوثائق وثيقة رقم «٩»

٢٥ - الفتح العثماني الاول ص٤٧٨

٢٦- بعد مراجعة لكافة الدفاتر ثبت أن قافلة الحج اليمني منذ ١٥٣٨ وحتى سنة ١٦٣٥م لم تتجه الى مكة المكرمة الا ثلاثين مرة وبشكل غير منتظم.

للتأكد راجع دفاتر اليمن والحجاز إرشيف محاكم الشرعية استانبول.

٢٧- العرب والعثمانيون ص٩٣-٩٤.

٢٨- رد حسن باشا إلى السلطان ورد فيه اسم قبيلة الحرامية، وجاء في رده بان هذه القبلية تتمركز في شمال غرب صعده ، في كتابه الثاني الموجه الى السلطان بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني سنة ٩٧٤هـ جاء ان هذه القبلية تتمركز في وادي شيب فارسل اليه فرمان يقضي بتجريدهم من السلاح، ولدى مراجعة كافة المصادر العربية عامة واليمنية خاصة لم نجد أي قبيلة من القبائل تسمى بهذا الاسم ومن المحتمل انهم مجموعة من قطاع الطرق، ولكي يبرز موقفه تجاه السلطان حمل مسؤولية ذلك على هؤلاء واطلق عليهم اسم قبيلة الحرامية . وهو احتمال اقرب إلى الصحة وثيقة رقم ١٠.

٢٩- قسم الوثائق وثيقة رقم «٦» وواقع الامر فقد عرف عن محمود باشا ظلمه للرعية وحبه لجمع المال.

٣٠- قسم الوثائق وثيقة رقم «٤»

٣١- ورد في دفتر الحجاز واليمن باسم شعيب والأصح باب شعوب .

٣٢- هذا التنظيم هو النظام المتبع لدى كافة قوافل الحج في مختلف الولايات العثمانية ، فقافلة الحج الشامي والمصري وغيرها اتبعت هذا التنظيم ، وهو نظام اقره السلطان سليمان القانوني في كتاب وجهه الى مفتي الاسلام ومفتي الاسلام امر نوابه في الولايات من المفتين باتباع ذلك، راجع نظام قافلة الحج العثماني لسنة ٩٢٧هـ علاوة على ذلك فإن جميع الفرمانات السلطانية اكدت على ولاتها الالتزام بذلك.

٣٣- دفتر قضاة الحجاز رقم «٢٤»

simali AFrikda Turkler Aiziz samih Istanbul 1936

٣٤- c . 1,S 80-89 :

٣٥-مالية مدور دفتري«١٤٨»

٣٦- تصنيف جودت ارشيف رئاسة الوزراء استانبول.

٣٧ - مالية مدور دفتري«١٤٨»

٣٨- الفينفي : بعد البحث في مختلف المصادر لم اجد هذا الاسم

٣٩- الجسود الاصح الجسداء

٤٠- تم تتبع الطريق من خلال دفاتر المحكمة الشرعية في استانبول ، علاوة على ذلك فإن الطريق من صعده ومابعد ورد في الوثيقة رقم «١٠» .

اما احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .

فقد ذكر طريق الحج اليمني بمايلي

«ومن ارادها «أى مكـــــة» من صنعاء اخذ الى الريدة «الصحيح ريدة» مرحلة ثم الى اثافت، ثم إلى خيوان ثم الى الاعمشية «العمشية» ثم الى صعده ثم الى غرقه «عرقهة أو عرقه» ثم الى المهجرة «الهجرة» ثم الى شروراح« شروم أو سروراح او شرورام او سروم راح او سروم راح او سروم الفيض» ثم الى الثجة «او الثجه» ثم الى كثبة، ثم الى يبنبم «يبمبم او النجم او يلملم» على ٨ اميال من جرش ثم الى بنات جرم«بنات حرب» مرحلة ثم الى الجسداء «جسد» ثم الى بيشه ثم الى تباله ثم الى رنيه «ربيه» ثم الى كدى «كرى» ثم إلى صفر « ضفن، خفر، صفن،صقر» ثم الى ترية، ثم الى الفتق«العتق» ثم الى الجدد «الجمر الجدد» ثم الى الغمرة وطريقها القاصدة على الطائف ولم اسلكها ومن مكة الى الطائف طريقان تأخذ من بئر ابن المرتفع مرحلة ثم الى قرن مرحلة، ثم الى الطائف مرحلة».

(احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم)لمؤلفه محمد بن احمد بن ابي بكر المقدسي التبارى «ت حوالي ٣٨٠هـ الطبعة الثانية بيروت ١٩٠٦م. ص ١١١ - ١١٢.)

- اما كتاب البلدان لمؤلفه احمد بن يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي «ت ٢٨٤هـ» ص٣١٧ «من مكة الى صنعاء احدى وعشرون مرحلة فاولها ملكان ثم يلملم ومنها يحرم حاج اليمن ثم الليث ثم عُليب، ثم قريا «قربي» ثم قَنُوْنا، ثم يبه، ثم المعقر«المقفر المقعد» ثم ضنكان ثم رنيف «رمل»، ثم ريم، ثم بش، ثم العرش من جازان، ثم الشرجة ثم السلعاء، ثم ملحة «ملحة»، ثم المهجم ثم العارة، ثم المردة، ثم سودان «قلعة سودان» ثم صنعاء

- اما كتاب المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة بتحقيق حمد الجاسر الرياض ١٩٦٩م ص٦٤٣و٦٤٤و٦٤٥و٦٤٦.

فقد ورد فيه«طريق اليمن الى مكه : وهما طريقان، فطريق على البحر وطريق على تهامة - فطريق البحر : من صنعاء الى الرحابة، ومن الرحابة الى ريدة وبين الرحابة وريدة من الماء بركتان ثم راس الحيفة ثم ماجل الطريق ومن ريدان الى خيوان وبينهما بركة ذى قين (ذى فنن أو ذوقين)، ثم اثافت، ثم الفقع، ومن خيوان الى حافق وبينهما بركة الرادعين، ثم صالعين، ثم العرايق، ثم الاعيسة،ثم عرعرة، الغراب،ثم الحبط،ثم الأعين، ثم سوق العين، ومن حافق الى صعده ومن صعده الى سروم الأبل، وبينهما الغيل، ثم العشرة، ثم البطة ثم العرض ثم البقعة، ثم عمدان، ثم مهجرة، ثم الغيل اصل النقيل الذي يسمى المنضح، ثم ارنيب، ومن سروم الابل حلاحل الجميلين، ثم الفرجة، ثم الثجة، ومن حلاحل «جلاجل» الى طلحة الملك ومنها الى قبور الشهداء ومن قبور الشهداء الى ذات عش ومن ذات عش الى كتنه ومن كتنه الى يبنسم وبينهما الماء ومن يبنسم الى بنات حرب، وبينهما الماء ينجر، ثم ماء يهرجاب ومن بنات حرب الى بيشه وبينهما المسلة ثم جسداء ثم الميثاء، ومن بيشه الى تباله ومن تبالة الى اجرب ومن اجرب الى كراء وهي حرة بين سليم، وبينهما بئر خلافه، ثم الماء بارح ثم القريحاء، ومن كراء الى ثربة ومن ثربة الى صفن ومن صفن الى اوقح وبينهما ناحية من اوقح الى القتق ومن فتق الى قرن وبينهما شرب ثم العايب «المناقب» وقرن الى نخله وهو البستان ومن نخلة الى مكة أبار الرمه أبار الحداء ساس، الحد، الصفاح، الانصاب، بئر عبدالصمد.

طريق تهامة من صنعاء الى رحابة ومن رحابة الى البون ومن البون الى ضباعين ومن ضباعين الى اثافت ومن اثافت الى النقيل وهي الشقيقة، ومن النقيل الى همل ومن همل الى الكلابح ومن الكلابح الى النساع ومن النساع الى مورومن مور الى حور ومن الحور الى الخصوف ، ومن الخصوف الى جازان، ومن جازان الى بيش ومن بيش الى عثر، ومن عثر، الى ضنكان ومن ضنكان الى حلى ومن حلي الى بيض، ومن بيض الى وادي المقل ومن وادي المُقل الى وادي دوقة ومن وادي دوقة الى السرين ومن السرين الى وادي السباع ومن وادي السباع الى الليث ومن الليث الى مركوب، ومن مركوب الى يلملم، «ومن يلملم» الى ملكان ومنها الى مكة.

- اما كتاب المسالك والممالك لمؤلفه ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبه «ت٣٠٠» ص١٣٤-١٣٦».

فذكر الطريق «الطريق من مكة الى اليمن من مكه الى بئر ابن المرتفع فيه بئر، ثم الى قرن المنازل قرية عظيمة ثم الى الفتق، قرية كبيرة، ثم الى صفن فيها بئران ثم الى تربة قرية كبيرة ثم الى كرى، فيها نخل وعيون، ثم الى رنيه، فيها نخل وعيون، ثم الى تباله مدينة كبيرة فيها عيون، ثم الى بيشة بعطان، كبيرة فيها ماء ظاهر، قال حميد بن ثور الهلالي، اذا شئت غنتنى باجزاع بيشه الى النخل من تثليث أو بينهما ثم الى جسداء فيها بئر ولا اهل فيها ثم الى بنات حرب، قرية عظيمة فيها عين وبئر ثم الى يبمبم ولا اهل فيها، ثم الى كتنه، قرية عظيمة فيها آبار ثم الى التجه فيها بئر ثم الى سدوم راح قرية عظيمة فيها عيون وكروم، وجرش منها على ثمانية اميال، ثم الى المهجرة قرية عظيمة فيها عيون، وفيما بين سروم راح والمهجرة طلحة الملك شجرة عظيمة تشبه الغرب غير انها أعظم منه وهي الحد مابين عمل مكه وعمل اليمن ثم الى عرقة وماؤها قليل ولا أهل فيها، ثم الى صعدة مدينة عظيمة يدبغ فيها الادم والنعل ثم الى الاعشمية لا اهل فيها وفيها عين صغيرة ثم الى خيوان وهي قرية عظيمة كثيرة الكروم عظيمة

العناقيد وفيها بركتان واهلها العمريون ثم الى اثافت مدينة فيها كروم وزروع وعيون ثم الى صنعاء مدينة اليمن قال الراجز:

لابد من صنعاء وان طال السفر
وان تحنى كل عود وانعفر

وقال ابو نواس

ونحن ارباب ناعط ولنا
صنعاء والمسك في محاربها

ويشق صنعاء واديها السرار يجري اذا جاء المطر في شهور الصيف ويصب في سنوان ويكون كانها بحيرة قال الشاعر :

ويلي على ساكن شط السرار
يسكنه ريم شديد المطر

للمزيد انظر :

- كتاب نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لابي الفرج قُدامه بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٢٠ وهو يلي كتاب المسالك والممالك طبع في بغداد ص١٨٨

- صفة جزيرة العرب : تاليف لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني بتحقيق محمد بن على الاكوع الطبعة الثالثة ١٩٨٣ ارجوزة الحج لاحمد بن عيسى الرداعي ص٣٥٤-٤٠٤.

- الرحالة اليمنيون رحلاتهم شرقاً وغرباً تاليف عبدالله محمد الحبشي الطبعة الاولى صنعاء - مكتبة الارشاد ١٩٨٩ ص١٣٢ و١٥١.

- كتاب صورة الارض - لابي القاسم بن حوقل «٣٦٧هـ»

❁❁❁❁❁❁❁
❁❁❁❁❁❁❁

إسهام قبائل اليمن في تحرير العراق وفي نشأة المدن العربية الإسلامية

د. خليل شاكر حسين
جامعة المستنصرية - العراق

مقدمة :

يتناولُ البحث إسهام قبائل اليمن في حروب التحرير التي خاضتها الجيوش العربية الاسلامية في جبهة العراق والمشرق والجهود التي بذلها أهل اليمن في سبيل تحرير العراق من التسلط الفارسي. فقد قامت قبائل اليمن بدور فعال مع طلائع التحرير التي قادها القائد المظفر خالد بن الوليد عقب القضاء على حركة الردة في الجزيرة العربية اذ ارتأت القيادة العربية الاسلامية في عهد الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه أن يتوجه خالد بن الوليد نحو العراق متخذاً طريق الأبلة كمسار نحو تحقيق هدف التحرير العظيم.

وتمكنت القوات العربية الاسلامية من كسر شوكة القوات الفارسية في مواقع عسكرية عديدة كان لقبائل اليمن حضور مؤثر فيها ابتداءً من معارك ذات السلاسل والمذار وحتى معارك الحيرة والانبار وعين التمر. وعندما قررت الخلافة العربية الاسلامية إرسال القائد خالد بن الوليد لإسناد الجهد العسكري في الجبهة الشمالية وهي جبهه الشام، استبقى القائد خالد بن الوليد قسماً من المقاتلين اليمنيين لدعم الوجود العسكري العربي الاسلامي في جبهة العراق والعمل على الحفاظ على المكتسبات العسكرية التي حققتها القوات الاسلامية في ظل قيادة خالد بن الوليد. وبرحيل خالد بن الوليد من جبهة العراق حيث لن يعود اليها مرة ثانية، بدأت مرحلة جديدة بتولي قيادة الجبهة الشرقية القائد المثنى بن حارثة الشيباني الذي عرفته هذه الجبهة بشدة مراسه في قتال الفرس قبل قدوم خالد بن الوليد الى العراق، حيث ولاّه الخليفة ابوبكر الصديق - رض- مهمة قتال الفرس من قبل . وبوفاة الخليفة ابوبكر الصديق - رض- تولى قيادة الدولة العربية الاسلامية الخليفة عمر بن الخطاب - رض- الذي حرص منذ الايام الاولى من توليه للخلافة على تعزيز جبهة العراق بالمقاتلين خاصة بعد تحقق الانتصارات الباهرة في جبهة الشام في معارك اجنادين واليرموك والتي تمخضت عن تحرير بلاد الشام باكملها، اصبح اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب - رض- منصباً على دعم جبهة العراق بعد ان رجحت كفة الميزان العسكري لصالح الدولة العربية الاسلامية في الجبهة الشمالية، وبناء عليه عيّن الخليفة عمر بن الخطاب - رض - قائداً جديداً على جبهة العراق وهو ابو عبيد الثقفي، واستطاعت هذه القيادة الجديدة أن تحقق الانتصارات على القوات الساسانية في وقعات عسكرية غير أنها أصيبت بنكسة عسكرية في معركة الجسر عام ١٣هـ

حيث أستشهد القائد أبوعبيد الثقفي وتولى المثنى بن حارثة الشيباني قيادة الجبهة من جديد . لم تفت هذه الانتكاسة العسكرية من عزيمة الخليفة عمر بن الخطاب - رض - بل أنه واصل بعزيمة المؤمن تعزيز جبهة العراق وكانت القبائل اليمنية أولى القبائل العربية المبادرة والمستجيبة لنداء الخليفة عمر بن الخطاب - رض - بالمسير للعراق وعلى رأسها قبيلة بجيلة ويتزعمها جرير بن عبدالله البجلي. وتمكنت القوات العربية الإسلامية بقيادة المثنى بن حارثة من هزيمة القوات الفارسية في معركة البويب حيث تمّ إزالة آثار هزيمة المسلمين في وقعة الجسر وإعادة ثقة المقاتل العربي بنفسه. وشهدت جبهة العراق تطوراً مهماً،إذ عيّنت السلطة المركزية العربية الإسلامية في المدينة قيادة جديدة تمثلت بشخص الصحابي سعد بن أبي وقاص - رض - لمواجهة الفرس والعمل على إزاحتهم من العراق. تعد هذه المرحلة إنعطافاً حاسماً لصالح القوات العربية الاسلامية إذ رمت القيادة العربية الإسلامية بقدر كبير من ثقلها العسكري لحسم الصراعَ لصالح المسلمين في جبهة العراق. كان لقبائل الأزد وكندة والنخع وخثعم وتميم وبجيلة اليمنية دور كبير في تعزيز الجهد العسكري العربي الاسلامي في تحقيق النصر الكبير في معركة القادسية عام ١٤هـ واستكماله في تحرير المدائن عاصمة الدولة الساسانية - ثم ساهمت قبائل اليمن في معارك جلولاء ونهاوند التي قصمت ظهر الدولة الساسانية والتي بها لم تقم لدولة الفرس قائمة فأنهارت مقاومتهم وانفتحت الهضبة الايرانية أمام القوات العربية الإسلامية - وعندما وجدت القيادة العربية الاسلامية الحفاظ على المكتسبات العسكرية ضرورياً قررت بناء مدن جديده في العراق هي بمثابة معسكرات لاستقرار المقاتلة وعيالاتهم ذلك لأن القبائل اليمنية قد اصطحبت معها نساءها وذراريها وهذا يدلل على العزم الاكيد على النصر. فعند ذلك تأسست مدينة البصره بقيادة الصحابي عتبة بن غزوان وشيّدت مدينة الكوفة على يد الصحابي سعد بن ابي وقاص - رض - واستقرت قبائل اليمن في هذين المصرين وساهمت في تطورهما. وكان لأهل اليمن دور بارز في أحداث البصرة والكوفة السياسية والاجتماعية والفكرية

أولاً: إسهام قبائل اليمن في طلائع التحرير بقيادة خالد بن الوليد

كان الانتهاء من قمع حركة المرتدين في بلاد العرب ايذاناً ببدء العمليات العسكرية في سبيل تحرير العراق. فقد كتب الخليفة أبوبكر الصديق - رض - إلى القائد خالد بن الوليد يشير اليه بالتوجه نحو العراق معّيناً له المسار الجغرافي الذي يتبع وهو جنوب العراق من ناحية الأبلة «١». وحدد الخليفة أبوبكر الصديق - رض - الحيرة كهدف أولي لتحرير العراق حتى يكون المجال الفاصل مابين نهر الفرات وعاصمة الدول العربية الاسلامية منطقة أمنة وخاضعة للدولة العربية الأسلامية «٢» ويجدر بنا القول إن مقاتلين من أهل اليمن ممن حَسُن إسلامهم ولم يرتدوا عنه صاحبوا القائد خالد بن الوليد في عملياته العسكرية المظفره - وكانت أولى المعارك التي اصطدم بها خالد بن الوليد مع القوات الفارسية هي معركة ذات السلاسل في الكاظمة سنة ١٢ هـ وكان يقود القوات الفارسية هرمز. «٣» وتذهب رواية بالقول إن الفرس استخدموا الفيله في هذه الوقعة«٤» ولكننا نستبعد ذلك لأن القوات العربية الاسلامية قد قاتلت الفرس وهم يستخدمون الفيلة في معركة الجسر.ويعد ذلك اسلوباً عسكرياً فارسياً.ولو أن المسلمين كانوا مسبوقين بقتال الفيلة لكان لهم تدبير وخطط عسكرية معها عند التصدي للجيش الفارسي في معركة الجسر،كما حدث وان احسن معالجة وضعها في معركة القادسية التي لحقت معركة الجسر. وهذا لايعني بالضرورة أن العرب،وخاصة أهل اليمن،بعيدون عن اساليب القتال عند الشعوب الأخرى فقد سبق للأحباش أن استخدموا الفيلة عند غزوهم لليمن واستخدمها القائد أبرهة الحبشي في حملته العسكرية ضد مكة عام ٥٧٠م «٥» وعلى اية حال، فإن القوات العربية الإسلامية اشتبكت، أثناء تقدمها شمالاً، مع قوات فارسيه جديدة بقيادة قارن بن قريانس في معركة المذار وتمكنت القوات العربية من نحر القوات الفارسية وقتل قائدها قارن بن قريانس كما حدث في هزيمتهم في معركة ذات السلاسل.«٦» وحرر المسلمون هذه المناطق وبدأوا ينظمون إداراتها بتعيين العمال

وفرض الجزية والخراج على أهلها. وبغية إيقاف الزحف المظفر للجيش العربي الاسلامي ارسلت القيادة الفارسية جيشاً آخر بقيادة الاندر زغر ثم دعمته بتعزيز عسكري يقوده بهمن جاذويه. واتخذت القوات الفارسية من الولجة موضعاً لتجمعها بيد أن اصرار المسلمين على تشتيت القوات الفارسية وثقة المقاتلين المسلمين بوعد الله سبحانه وتعالى بنصر المؤمنين ونصرة دينه الحنيف قد دفعت القوات العربية الاسلامية على إحلال الهزيمة بهذا الحشد الجديد للقوات الفارسية في معركة الولجه «٧» بعد ذلك اتجهت القوات العربية صعوداً نحو أُلّيس الصغرى حيث بلغتهم الاخبار عن وجود حشد فارسي جديد هدفه يعيق جهودهم في تحرير العراق ، ويترأس القوات الفارسية هذه المرة القائد بهمن جاذويه الذي تمكن من الافلات من القوات العربية الاسلامية في معركة الولجة ولم يكن حظ الفرس في هذه المعركة بأحسن من سابقاتها من المعارك فقد اندحرت القوات الفارسية فاسحةً المجال للمسلمين بمواصلة تقدمهم المظفر الى الشمال.«٨» ولم يغفل القائد خالد بن الوليد بأن يبعث بأنباء هذه الانتصارات الى خليفة المسلمين أبي بكر الصديق - رض - ويطلعه على آخر ما استجد في جبهة العراق منتظراً بذلك توجيهات الخليفة.«٩» وكعادته في سرعة المناورة والحركة فإن القائد خالد بن الوليد لم يكن ليفسح المجال للقوات الفارسية المهزومة لكي تعيد تنظيم صفوفها فما أن علم بوجود حشد عسكري آخر في امغيشيا حتى قصده من فوره وتمكن من دحره. «١٠» هذا وتمكن الجيش العربي الاسلامي من احراز نصر جديد على الفرس في موقعة يوم المقر وفم الفرات، وبهذا انفتح الطريق امام القوات العربية الاسلامية نحو الحيره.«١١» وتمكنت القوات الاسلامية من تحرير مدينة الحيرة عندما دخل زعماؤها في طاعة الدولة العربية الاسلامية امثال ضرار بن الازور واياس بن قبيصة الطائي وضرار بن الخطاب وغيرهم. والحال هذا فقد وضع هؤلاء الزعماء كل امكانياتهم في خدمة القوات العربية الاسلامية الامر الذي مهّد في توسيع نطاق انتشار السيطرة العربية. ، وبذلك تتوجت الجهود العسكرية بتحرير المناطق الواقعة حول الحيرة وتحرير الانبار.«١٢» وتأسيساً على ذلك، فان القائد خالد بن الوليد ومن موقع القوة كاتب القيادة الفارسية واضعاً اياهم امام الحقيقة الجديدة ومنذرهم من الاستمرار في الوقوف امام كتائب التحرير الاسلامية.«١٣»

توجه القائد خالد بن الوليد بعد هذه النجاحات العسكرية نحو تحرير عين التمر حيث حَشّد الفرس قوات لهم بقيادة مهران ابن بهرام ولم تصمد القوات الفارسية امام اندفاعات القوات العربية فحلت بها الهزيمة المنكرة، ولم ينفعهم التجاؤهم الى الحصن إذ اقتحمته القوات العربية ودحرت من فيه.«١٤» عين خالد بن الوليد القائد عويم بن الكاهل الاسلمي عاملاً على عين التمر لتنظيم شؤون المنطقة، جرياً على عادة المسلمين في ترك المسالح وتعيين العمال لضبط المناطق المحررة وتمشية شؤونها«١٥» بعد ذلك ، قصد خالد بن الوليد تصاحبه جحافله المظفره الى دومة الجندل لوجود حشد فارسي وتمكن المسلمون من هزيمة هذا الحشد«١٦» واستجمع الفرس قواتهم وقوات حلفائهم في العراق وتحشدوا من جديد في مناطق الحصيد والخنافس وبادرهم خالد بن الوليد بعبقريته العسكرية الفذة قبل أن يتقوى جمع الفرس وحلفائهم، فقسم القوات العربية الاسلامية الى ثلاث فرق. جعل القعقاع بن عمرو التميمي يقود فرقة وجعل هدفه منطقة الحصيد. وترأس الفرقة الثانية ابو ليلى بن فدكي وهدفها الخنافس وقاد خالد بن الوليد الفرقة الثالثة وقصد مواقع تجمع القوات الفارسيه فداهمها«١٧» استطاع القعقاع قتل القائد الفارسي زرمهر وتشتيت جمعه. اما عن ابي ليلى بن فدكي فقد وجد الميدان خالياً من الجيش الفارسي بقيادة المهبوذان منسحباً نحو المصيخ . كاتب خالد بن الوليد قواده بالاجتماع اليه ثانية وهدفهم المصيخ حيث اقتحمت القوات العربية الاسلامية معسكر الفرس من ثلاثة اتجاهات فأذهلت المفاجأة الفرس ودب بهم الذعر والهزيمة ، ولم يدع خالد بن الوليد الفرصه امام الفرس لتجميع قواتهم فقد باغتهم في مناطق البشر والثني «١٨» وبذلك تم تحرير جنوب العراق ووسطه وضفاف نهر الفرات فأصبحت مناطقاً خاضعة لسيادة الدولة العربية الاسلامية بجهود المقاتلين العرب ومنهم أبناء اليمن.

ثانياً : جهود قبائل اليمن في ظل قيادة المثنى وابي عبيدة الثقفي :

نظراً لحراجة الموقف العسكري للجيوش العربية الاسلامية في جبهة الشام. كتب الخليفة أبوبكر الصديق - رض - الى خالد ابن الوليد طالباً منه التوجه الى جبهة الشام لحاجة القوات العربية لوجوده ولعبقريته الحربية. وتولى قيادة جبهة العراق المثنى بن حارثه الشيباني بعد رحيل خالد بن الوليد الذي لن تراه سوح المعارك مرة ثانية في العراق. «١٩» لوفاة الخليفة أبي بكر الصديق - رض- تولى قيادة الدولة العربية الاسلامية الخليفة عمر بن الخطاب - رض- فحرص جاهداً منذ توليه الخلافة الى استكمال تحرير العراق وذلك بتعزيز القوات العسكرية للقوات العربية الاسلامية الموجودة في الجبهة الشرقية وندب الخليفة عمر- رض- المسلمين للالتحاق بجبهة العراق وكان أول الملبين لنداء الخليفة عمر - رض - هو ابو عبيد الثقفي الذي اصبح القائد الجديد للجيش العربي الاسلامي في العراق «٢٠» ولابد من القول ان اباعبيد الثقفي لايمتلك مثل خبرة المثنى بن حارثه الشيباني في قتال الفرس وفيما يتعلق باساليبهم العسكرية والحال هذا فإننا لانمتلك معلومات دقيقة حول عدد المقاتلين اليمنيين الذين شاركوا في ظل قيادة ابي عبيد الثقفي ولكن كل الذي نعرفه هو ان حضور المقاتلين اليمنيين كان مؤكداً رغم رحيل نسبة مهمة منهم مع جيش خالد بن الوليد الى جبهة الشام هذا ومما تجدر اليه الاشارة فان الفرس قد تشجعوا بعد رحيل خالد ابن الوليد من العراق وبدأوا يعبئون قواتهم ويكاتبوا حلفاءهم لكي يتمردوا على المسلمين وبالفعل حشد الفرس قواتهم في النمارق واصطدم المسلمون بهم بقيادة ابي عبيد والمثنى واندحر جمع الفرس واسر القائدان الفارسيان جابان ومردانشاه. وحاول الفرس تجميع قواتهم في السقاطية بكسكر بيد أن القوات العربية الاسلامية كانت لهم بالمرصاد فشتتت قواتهم ولا حقت حشودهم في مناطق باروسما والزوابي ونهر جوبر والزاب «٢١» وهزمتها ونظرت القيادة الفارسية الى النجاحات العسكرية بعين الجد فحشدت قوات كبيرة واختارت بهمن جاذريه قائداً عاماً عليها نظراً لخبرته في قتال المسلمين «٢٢». ونرى من المناسب قوله في هذا الباب ان اباعبيد الثقفي قد اندفع لملاقاة القوات الفارسية خاصة بعد الانتصارات العسكرية التي حققها وكان من المفروض ان يستعين بالخبرات القتالية التي كان يمتلكها المثنى بن حارثة الشيباني وسليط بن قيس، وغيرهم ممن تمرس على قتال الفرس. يضاف الى ذلك ان الخليفة عمر بن الخطاب - رض- الذي كان يحرص على المشاورة في اتخاذ القرار ايماناً بمصلحة المسلمين كان قد أوصى اباعبيد الثقفي ان يشاور القادة المسلمين وان لاينفرد لوحده باتخاذ القرارات «٢٣». تحشدت القوات الفارسية في قس الناطق على الفرات بينما اتخذ المسلمون موضع المردمة مكاناً لتجمعهم ولم يعد غير نهر الفرات يفصل بين الجيشين. جلب الفرس معهم الفيلة وبادر قائدهم بهمن جاذويه الى الاتصال بالمسلمين وخيرهم بين العبور اليهم أو أن يعبر العرب الى ضفة النهر حيث توجد قوات الفرس. وعدّ القائد أبو عبيد الثقفي طلب القائد الفارسي بهمن جاذويه تحدياً لايمكن احتماله فقرر العبور بالقوات العربية رغم معارضة المثنى بن حارثه الشيباني وسليط بن قيس وبهذا أصبحت القوات العربية بين القوات الفارسيه ومن ورائها عمقها الجغرافي ونهر الفرات الذي يعد المانع الطبيعي «٢٤». واصطدمت القوتان العربية الاسلامية والفارسية وكانت بوادر الظفر تلوح في أفق المعركة لصالح الجيش العربي الاسلامي بيد أن سير المعركة أصبح في صالح الفرس عندما استشهد القائد أبو عبيد الثقفي وهبطت معنويات المقاتلين العرب. وبهذا اندفعت القوات الفارسية ضاغطة على القوات العربية الاسلامية وزاد من اضطرابها حينما عبر أحد المقاتلين الى الجسر فقطعه وبذلك قطع على المسلمين خط الرجعه وعين القائد المثنى بن حارثه الشيباني من ربط الجسر مرة ثانيه وتأمين انسحاب بقية القوات الاسلامية واقام مع قواته العربية في الضفة الغربية من الفرات في منطقة المروحه وكتب بما جرى للخليفة عمر بن الخطاب - رض - «٢٥» ومع ذلك فان هذه المعركة زادت من اصرار القيادة العربية الاسلامية للمضي قدماً بتعزيز جبهة العراق. وكانت أولى القبائل العربية التي استجابت لنداء الخليفة هي قبيلة بجيله بقيادة جرير بن عبدالله البجلي. وكان مسيره نحو العراق سنة

١٣ هـ بين معركة الجسر والبويب «٢٦». ويمكننا القول بأن الفضل يعود للقبائل اليمنية في تعزيز الجهد العسكري العربي الاسلامي في جبهة العراق في هذه الظروف الصعبة وخاصة بعد نكسة وقعة الجسر. وآزاء هذا الحال فإن الخليفة عمر ابن الخطاب - رض - سمح للمقاتلين من اهل اليمن الذين اظهروا التوبه وحسن اسلامهم بعد ارتدادهم عن الاسلام وارادوا أن يكفروا عن خطيئتهم بالجهاد في سبيل الله في سوح الوغى «٢٧» هذا وتوالت القبائل اليمنية على جبهة العراق مثل قبائل الازد وخثعم حيث التحقت بالمثنى بن حارثه الشيباني. «٢٨» واستنفر الخليفة عمر بن الخطاب - رض - عماله بحشد المقاتلين وذلك بقوله: « احملوا العرب على الجد إذا جدَّ العجم فلتقوأ جدهم بجدكم» «٢٩» وأن لايدعوافارساً إلا وجهوه. وبهذا توجهت قبائل النخع مصطحبة النساء والاطفال الى جبهة العراق مؤكدين عن اصرارهم بتحقيق النصر «٣٠». ونجد من الضروري ان نسلط الضوء على مسألة مهمة تتعلق بنفور قبائل اليمن من جبهة العراق ومن مواجهة الفرس. وان القبائل العربية ومنها قبائل اليمن كانت تفضل المسير الى جبهة الشام بدلاً من جبهة العراق «٣١» والمرجح عندنا أن القيادة العربية الاسلامية اهتمت بجبهة الشام منذ عصر الرسالة حيث بعث الرسول محمد - ص - حملات عسكرية الى جبهة الشمال - وسار الخليفة ابوبكر الصديق - رض - على نفس سياسة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. لذلك نراه عندما وجد حاجة جبهة الشام الى حضور القائد خالد بن الوليد استدعاه من جبهة العراق ووجهه الى الشام - وبعد تحقيق النصر المؤزر على الروم في معركة اليرموك اصبح الميزان العسكري في صالح الدولة العربية الاسلامية في جبهة الشام وأصبحت جبهة العراق لها الأولوية - فلا غرابة أن نجد أن تركز الحشد العسكري بدأ مباشرة بعد معركة الجسر ثم توالى توافد القبائل العربية وخاصة قبائل اليمن مثل مذحج والنخع وكنده وهمدان. والجدير بالذكر ان قبائل اليمن قد قصدت جبهة العراق مع النساء والذراري وهم عاقدون العزم على التحرير والاستقرار . فقد كانت قبيلة بجيله تشتمل على الف امرأة والنخع هي الآخرى قد اصطحبت معها حوالي الألف امراة «٣٢». هذا واجتمعت للمثنى ابن حارثه الشيباني قوات كبيره تمكن بها ان يحرز نصراً حاسماً على القوات الفارسيه بقيادة مهران في البويب وذلك بفضل حسن قيادته وتعبئته للقوات العربية. وقتل القائد الفارسي مهران وقضى على معظم القوات الفارسيه وبهذا أرجع الاعتبار للمقاتل العربي المسلم واصبحت كفة الميزان العسكري لصالح العرب وبيدهم المبادأة العسكرية . وتسمى معركة البويب بيوم الاعشار وذلك لوجود مئة من المقاتلين العرب الذين تمكن كل واحد منهم ان يقتل عشره من المقاتلين الفرس، ناهيك عن بقية المقاتلين المسلمين الذين قتلوا دون العشره من الفرس . «٣٣»

وتبع المسلمون القوات الفارسيه المدحوره حتى السيب وساباط. وعادت سيطره المسلمين بعد معركة البويب على المنطقة الواقعة بين دجله والفرات. وتحقيقاً لغرض بسط السيطره العربية الاسلامية على هذه المناطق المحرره بث المثنى بن حارثه الشيباني المسالح حتى يحافظ على المكاسب العسكرية. ثم اتبع سياسة الغارات العسكرية المفاجئة على تجمعات الفرس العسكرية حيث قام بغارات على سوق الخنافس وعلى الكباث ووصلت غاراته الى صفين في اعالي الفرات «٣٤»

ثالثاً : دور قبائل اليمن في معارك القادسية وجلولاء ونهاوند :

ادركت القيادة الفارسية انها امام جهد عسكري منظم ويجب عليها أن تتخذ التدابير العسكريه اللازمة لايقاف تقدم القوات العربية الاسلامية الظافر فبدأ وا يحشدون قواتهم وعلى رأسهم ملكهم يزدجرد الذي كان يقيم في المدائن- وبالفعل انتفض على المسلمين المعاهدون والسكان الذين اعطوا الجزيه وصالحوا المسلمين. وشعر المسلمون ساعتها انهم مقبلون على تطور خطير يعد له الفرس العدة، أبلغ الخليفة عمر بن الخطاب - رض - بما استجَد من اوضاع في جبهة العراق. وبغية اعادة تنظيم قواتهم انسحب المسلمون الى الطف وعسكروا فيه وبذلك تخلوا عن جميع المناطق التي جهدوا على تحريرها وبذلوا التضحيات الكبيرة من اجلها حتى لايؤخذوا على حين غره «٣٥» - لقد استعدت

القيادة العربية الاسلامية في المدينة استعداداً يليق بمستوى أهمية جبهة العراق. فقابلت نفير الفرس بنفير عام على لسان الخليفة عمر بن الخطاب - رض - بقوله لعماله: « لاتدعوا احداً له سلاح أو فرس أو نجده أو رأي الا إنتخبتموه ثم وجهتموه إليّ. والعجل العجل»«٣٦». وقد صدق أحد الباحثين المحدثين بوصفه هذه الظروف الدقيقة التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية حين يقول: « نحن اذن امام هذه القوى الضخمة التي تتجمع لتصطرع: القوى الساسانية تنتفض انتفاضة الحياة التي تأبى أن تموت، والقوى العربية تدافع عن كيانها الناشيء ودعوتها الممتده، وهؤلاء واولئك لايدعون سبيلاً إلاسلكوه ولاعدّه إلا اعتدوا بها ولاجنداً إلا حشدوه».(٣٧) وكانت معركة مصيرية نظرت اليها القيادة العربية الاسلامية نظرة الجد وكان المسلمون في انحاء الدولة العربية الاسلامية يترقبون نتائجها حتى بلغ الأمر بهم أن لايقطع المرء امراً إلا بانتهاء معركة القادسية وماستؤول اليه.(٣٨) وهيأ الله سبحانه وتعالى للمسلمين قيادةً لاتعرف الفتور والفشل متمثلة بشخص الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث انتدب القبائل العربية وسيّرها الى جبهة العراق. وكان لقبائل اليمن دور كبير وفعّال في هذا الحشد الرائع حيث بلغ تعداد قبائل اليمن فيه ربع الجيش الاسلامي (٣٩) ونظراً لاهمية الدور العسكري الذي قامت به قبائل اليمن ذكرت لنا الروايات اسماء القبائل وعدد المقاتلين الذين ساهموا في معركة القادسية. فقد بلغ اسهام قبائل اليمن في القادسية سبعة آلاف مقاتل أو دون ذلك. فروايته تذكر أن عدد مقاتلي قبيلتي بجيلة وكندة خمسة آلآف مقاتل.(٤٠) يضاف الى ذلك مشاركة قبائل الازد المتكونة من مقاتلي قبائل بارق وكنانه والتي عبأت سبعمائة مقاتل. وسبق لقبيلة خثعم أن اشتركت في القتال مع المثنى بن حارثه. ويؤكد الطبري بأن الصحابي سعد بن أبي وقاص - رض - عندما قصد العراق سارت معه قبائل اليمن وتعدادها ثلاثة آلاف مقاتل من قبائل بارق والمع وغامد وحضرموت والصدفه يقودهم شداد بن ضمعج وكان عددهم ستمائة مقاتل.(٤١) كما توجهت قبيله مذحج ومعها الف وثلثمائة مقاتل يقودهم معد بن يكرب وابو سبره ابن ذؤيب. وسارت قبائل صداء وجنب ومسليه في ثلثمائة مقاتل.(٤٢) كما اشتركت قبيلة السكون باربعمائة مقاتل(٤٣) وحضرت قبيلة كنده بقيادة الاشعث بن قيس وعدد مقاتليها ألفا وسبعمائة.(٤٤) وجاءت قبيلة همدان يقودها سعيد بن قيس وعدد مقاتليها الفي رجل.(٤٥) وساهمت قبيلة مراد يرأسها هاشم بن عتبه.(٤٦) ومما تجدر اليه الاشاره أن قبائل اليمن تنتمي الى شعب ذي حضارة وعراقة في فنون القتال وصناعة الاسلحة، فلاغرابة أن نجد القيادة العربية الاسلامية توليهم ذلك الاهتمام الكبير وتنيط برجال اليمن البارزين مواقع قياديه في معركة القادسية. فقد تولى شرحبيل بن السمط الكندي قيادة الميسرة. وتولى عمرو بن معدي كرب الميمنة. وأصبح عبدالله بن ذي السهمين الخثعمي قائداً على الركبان. وتولى جرير ابن عبدالله البجلي مناصب عسكريه(٤٧). لقد سبقت المعركة استحضارات عسكريه هيأت مستلزمات النصر منها يقظة القيادة الاسلامية من كيد الفرس وعدم الانجراف بمغامرة قد تؤدي الى نتائج عسكريه سلبية. فالقيادة العربية الاسلامية المركزية في المدينة كانت واعية لظروف الصراع وخططه والأمر نفسه بالنسبة للقيادات الميدانية المتمثلة بالمثنى بن حارثة الشيباني وجرير بن عبدالله البجلي والصحابي سعد بن ابي وقاص. لقد كان الحرص من الجميع خليفةً وقيادة عسكرية ميدانية على تحاشي اخطاء الأمس التي وقعت في معركة الجسر بل كان هدف المسلمين استدراج الفرس الى ضفة الفرات الغربية جاعلين من الصحراء خط رجعه اذا حدث حادث بالمسلمين وهو نفس تخطيط المسلمين في معركة اليرموك.(٤٨) كان يقود القوات الفارسية القائد المشهور رستم، وسبقت المعركة مفاوضات ثم بدأ الصدام العسكري الكبير الذي إمتد اربعة ايام سمتها لنا الروايات بيوم أرفات واغواث وعماس وليلة الهرير وهي ليلة القادسية حيث استمر القتال فيها الليل كله حتى نهار اليوم الثاني حيث دبت الهزيمة في الجيش الفارسي(٤٩) ويجدر بنا القول هنا أن قبائل اليمن قد قدمت التضحيات الكبيرة من أجل التصدي للقوات الفارسية وخاصة للفيله وتعد قبيلة بجيله اليمنية هي القبيلة التي وقع عليها عبء تحمل ضغط الفيله

والكراديس التي بحمايتها (٥٠) وقتل القائد رستم وولت فلول القوات الفارسية الادبار ووصلت انباء الهزيمة الى كسرى يزدجرد الذي لم يتحمل هذه الهزيمة النكراء فترك عاصمته نحو عمق بلاد فارس ودخلها المسلمون محررين وعلى رأسهم الصحابي سعد بن ابي وقاص - رض - ، وهو يتلو قول الله تعالى « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم »(٥١)وجاءت المسلمون الاخبار بتحشد الفرس في منطقة جلولاء قام به يزدجرد فقصده الجيش الاسلامي بقيادة هاشم بن عتبه بن ابي وقاص وكان عدد الجيش الاسلامي إثني عشر الف مقاتل وكان يعاون القائد هاشم بن عتبه القائدان اليمنيان حجر بن عدي الكندي وعمرو بن معدي كرب وطليحه بن خويلد على الرجال وهو من رجالات اليمن كما ساهم في وقعة جلولاء القائد اليمني جرير بن عبدالله البجلي وقامت قبائل اليمن بدور فعال في دحر القوات الفارسية وحدث ذلك في أواخر سنة ١٦ هـ(٥٢).

وفر يزدجرد بعد هذه الهزيمة وكاتب اهل فارس وحلفاءهم في الاقاليم المجاورة فأجتمع له جيش كثير من قومس وطبرستان وجرجان والري واصبهان وهمدان والماهين وعين على هذا الجيش القائد مروان شاه واتخذ من نهاوند موضعاً لهم وعسكروا فيه.(٥٣)وعلمت القيادة العربية الاسلامية بتحشدات الفرس فأتخذ الخليفة عمر بن الخطاب - رض - الاجراءات العسكرية اللازمة لمواجهة هذا الخطر الجديد الذي يهدد الانجازات العظيمة التي حققها المسلمون في القادسية وجلولاء. عينت القيادة العربية النعمان بن مقرن المزني قائداً على القوات العربية الاسلامية(٥٤) وجعل القيادة للجيش العربي اذا حدث بالقائد النعمان المزني حادث ، لحذيفه بن اليمان ومن بعده جرير بن عبدالله البجلي وكان ثلث اهل الكوفة قد ساهموا في جيش النعمان بن مقرن وساهمت قبائل اليمن في هذه المعركة كما كان لقبائل اليمن المقيمة في البصره حضور فيها.

ومَنَّ الله على الجيش العربي الاسلامي بالنصر الكبير وانهزمت القوات الفارسية شر هزيمة واستشهد القائد النعمان بن مقرن المزني. وتعد هذه الوقعة قاصمة الظهر للدولة الساسانية حيث لم تقم لها قائمة بعدها ابداً واعتبرها المسلمون من فتح الفتوح حيث انفتحت الهضبة الايرانية امام القوات العربية الاسلامية وتاريخ حدوث هذه المعركة الفاصلة هو سنة ٢١هـ (٥٥).

رابعاً : قبائل اليمن وبناء البصرة والكوفة:

عمد المسلمون الى بناء مدن جديدة في العراق تعد بمثابة معسكرات لإنزال واقامة الجند وعيالاتهم وتطورت هذه المدن واصبحت مراكز للادارة العربية الاسلامية مراكز حضاريه للاشعاع الفكري العربي الاسلامي وتعد البصرة اول مدينه عربية اسلامية يتم انشاؤها في العراق وابتدأ العرب المسلمون في تخطيط البصره عام ١٤هـ عندما بدأ المقاتلون العرب بالنزول فيها وكان اول امير عربي نزلها هو الصحابي عتبة بن غزوان. (٥٦) . وتطورت البصره في عهد الوالي ابو موسى الاشعري الذي عني بشؤونها من عام ١٧هـ، وحتى عام ٢٥هـ، .وعند تحديد مواضع نزول القبائل بالبصره استقرت قبائل اليمن في اماكن خاصة بها. اما عن الكوفه، فقد اسسها الصحابي سعد بن ابي وقاص عام ١٧هـ بين الحيره والفرات (٥٧) .هذا وتعتبر البصرة اول مدينة عربية اسلامية يشيدها العرب خارج الحدود الجغرافيه لجزيرة العرب . وكانت وظيفة المدينه في البدء عسكريه بحتة اذ كان الهدف من بنائها هو ايواء المقاتلة العرب ومركزاً لانطلاق الحملات العسكريه وتجهيزها بأتجاه الشرق . ومما تجدر اليه الاشاره أن القبائل العربية ومنها قبائل اليمن هي التي خططت المدينه وان البصره لم تبن على انقاض الخربيه وكان اول من خططها نافع بن كلده الثقفي (٥٨). وكان اول الوافدين مع الامير عتبه بن غزوان من المقاتلين ويتراوح عددهم مابين ثلثمائه مقاتل وثمنمائه مقاتل بعد تحرير كوردجله . ولكن مدينه البصره تطورت اثناء ولاية ابو موسى الاشعري مابين ١٧ هـ وإلى ٢٥ هـ حيث امتدت الفتوحات العربية الاسلامية ووصلت إلى اصفهان وقم وقاشان وجذبت هذه الانتصارات اعداداً من المقاتلين وبالتالي ازداد عدد سكان البصره. وبناءً على ذلك فإن القبائل العربية قد اختلطت في سكناها ولم تكن هناك خطط مستقلة بالقبائل الأمر الذي جعل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يشير على ابي موسى الاشعري بأن يجعل لكل قبيلة محلة خاصة بها ويأمر السكان بالبناء.(٥٩) وتأسيساً

على ذلك فإن مدينة البصره تقسمت الى خمسة اخماس وهي : خمس بني تميم ويقع هذا الخمس في الناحية الجنوبية من مدينة البصره ويضم هذا الخمس محلة بني منقر وخطة بني سعد وخطة بني عامر ومحلة بني حمان وخطة بني مالك وبني عمرو بن تميم وبني مازن ويتضمن الخمس القبائل التي حالفت بني تميم.(٦٠) والخمس الثاني هو خمس اهل العاليه. ويتكون هذا الخمس من قبائل هذيل وخريمة وقيس عيلان ومحلة بني سليم وخطة بني ناجيه ومحله هذيل ومحلة بني عقيل ومحلة بني نمير ومحلة بني حرام.(٦١) والخمس الثالث هو خمس بكر بن وائل: ويشتمل هذا الخمس على محلة بني سدوس وخطة بني عدي بن جشم ومحلة بني صنيعة بن قيس ومحلة المسامعة ومحلة بني شيبان ومحلة بني عجيل(٦٢) والخمس الرابع هو خمس عبد القيس : ويقع شمال مدينة البصره ويمتد من دار الرزق وجسر البصره ويشتمل على محلة بني عامر ومحلة الجارودين وخطط ربيعة بن نزار.(٦٣) والخمس الخامس هو خمس الأزد: وينتشر في المنطقة الجنوبية الشرقية من البصره ويضم بني مالك بن نهم والقسامل وبني نصر وبني مازن.(٦٤) اما عن تخطيط وبناء الكوفه، فقد عين القائد سعد بن ابي وقاص شخصا اسمه ابو المياح الاسدي كمشرف على اسكان القبائل العربية في الكوفه، ضمن اسس قبلية وشخصية صرفة كان موضع استقرار قبائل اليمن في مدينة الكوفه في جانبها الشرقي (٦٥) وطابع بناء الكوفه يتسم بالصفة العسكرية في بدء البناء ولكن الكوفه تطورت وبدأت تأخذ شكلها الحضري والمديني بعد الانتصار الساحق الذي حققته القوات العربية الاسلامية في معركة نهاوند عام ٢١ هـ . وفيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية لسكان الكوفه عند تخطيطها فقد بلغ عدد سكان الكوفه في البدء عشرين الف شخص. وكان عدد أهل اليمن اثني عشر الف شخص وقسمت الكوفه أسباعاً، وكان لقبائل اليمن اربعة اسباع وبقيت ثلاثة اسباع لبقية القبائل من نزار.(٦٦) وحصل اندماج في الاسباع بالنسبة لاستقرار اهل اليمن مثل اندماج قبائل الازد وبجيلة وكنده وحضرموت وشبام وقضاعه في سبع واحد. كما اندمجت قبائل اليمن من حمير وهمدان ومذحج في سبع واحد كما سكنت مذحج والاشعريين في سبع واحد (٦٧) وتعد بجيلة اقدم القبائل اليمنية التي استقرت في مدينة الكوفه وسكنت بجيلة بين همدان من الشمال وتميم من الجنوب وهي اقرب الى الصحراء - ومن بطون بجيلة احمس وقتبان وخزيمة وعرينة، وتأتي قبيلة همدان بالمرتبة الثانية وزعيمها سعيد ابن قيس الهمداني وسكنت همدان بين بجيلة والميدان وعرفت بحي اهل العراق ومن ابرز بطونها السبيع وارحب والثوريين وحاشد وشبام (٦٨) وتأتي بالمرتبة الثالثة قبيلة مذحج وابرز زعمائها عمروبن معدي كرب الزبيدي، واياس بن شرحبيل الجعفي ، ومن بطونها مراد وسعد العشيرة (٦٩) وتأتي النخع بالدرجة الرابعة ضمن قبائل اليمن التي استقرت في الكوفه وساهمت في تطورها ورئيسها ارطأة بن كعب وقد استشهد في وقعة القادسية واصطحبت النخع نساءها، شأنها شأن قبيلة بجيلة ومن ابرز رجالها الذين قاموا بادوار مهمة في حروب التحرير الاشتر النخعي . ومن بطونها المشهورة بنو سعد بن مالك وبنو عوف بن مالك (٧٠) وتعد قبيلةكنده من قبائل اليمن المهمة التي سكنت الكوفه منذ تمصيرها على يد الصحابي سعد بن ابي وقاص وزعيم كنده هو شرحبيل بن السمط الكندي من السكون وشارك في معركة القادسية بسبعمائه مقاتل الاشعث بن قيس الكندي وهو سيد كنده في مدينة الكوفه واشتهر رجالات من قبيلة كنده القاضي شريح بن هاني وكانت تسكن في سبع بجيلة والازد وخثعم (٧١) .

الخاتمة :

وبعد فإن البحث سلط الضوء على دور القبائل اليمنية في حروب تحرير العراق وبناء المدن العربية الاسلامية فيه وعلى الرغم من ان الاسهام الذي قامت به قبائل اليمن في هذه الجهود العسكرية والاعمال العمرانية لم يكن لوحدها ولم تنفرد بها الا ان دورها كان كبيراً ومؤثراً من خلال ذلك الحضور الكبير الذي تمثل بوجود المقاتلة من اهل اليمن وببروز القادة الذين كانت لهم اسهامات رائعة في معارك تحرير العراق . وتوصل البحث الى ان ارض العراق قد شهدت جهود ابناء اليمن منذ قدوم طلائع التحرير بقيادة خالدبن الوليد ثم بتولي المثنى بن حارثه الشيباني لقيادة جبهة العراق وخلفه

ابو عبيده بن مسعود الثقفي في ذلك وتمكن البحث من مناقشة مسألة نفور القبائل العربية من قتال الفرس لشدة بأسهم وتفضيلها المسير الى جبهة الشام هذا وان البحث ذكر الشواهد التي تفند هذا الطرح من خلال المعطيات التاريخية التي تؤكد الحقائق التالية :

اولاً : ان القبائل العربية في العراق مثل قبائل بني شيبان وربيعة كانت تغير باستمرار على الدولة الساسانية ولاتهاب قوتها ولقبت قبيلة ربيعة بربيعة الاسد نظراً لشجاعة مقاتليها وشدة تصديهم للفرس.

ثانياً : ان بني شيبان وعلى رأسهم المثنى بن حارثه الشيباني قددوخواالفرس بغاراتهم ووصلت انباءأعمالهم العسكرية الى اسماع القيادة العربية الاسلامية في عهد ابي بكر الصديق -رض- وان المثنى ابن حارثه قصد المدينة عاصمة الاسلام وتمكن من اقناع الخليفة أبي بكر الصديق – رض– من منحه تفويضاً بكونه قائداً لجبهة العراق .

ثالثاً : ان القيادة العربية الاسلامية ومنذ فترة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كانت تولى جبهة الشام اهمية خاصة وبالفعل ارسل الرسول محمد – ص – حملات عسكرية الى جبهة الشام وسارت قيادة الخليفة ابوبكر الصديق وعمر بن الخطاب – رض– على نفس سياسة الرسول عليه الصلاة والسلام العسكرية فاعطت الاولوية لتحرير بلاد الشام لاهميتها الجغرافية ولتماسها المباشر مع بلاد الحجاز وبناء على ذلك فإن قيادة ابي بكر الصديق – رض – حولت جهود خالد بن الوليد من جبهة العراق الى جبهة الشام نظراً لحاجة جبهة الشام لحضوره العسكري القدير ولامكاناته العسكرية الكبيرة ولاريب ان رحيل القائد المظفر خالد بن الوليد من جبهة العراق قاصداً جبهة الشام قد ترك فراغاً لما يمثله خالد بن الوليد من عبقرية عسكرية فذة تمكنت من ارهاب الفرس اذ انتصر عليهم في كل المعارك التي خاضها في العراق ابتداءً من معركة ذات السلاسل والولجة وحتى معركة الحيرة وعين التمر.

ان تولي المثنى بن حارثه الشيباني وللمرة الثانية لقيادة الجهد العسكري العربي الاسلامي في جبهة العراق كان اختياراً موفقا سد به ذلك الفراغ الذي اراد الفرس استغلاله بعد مغادرة خالد نحو بلاد الشام ونجح المثنى في تفويت الفرصة على الفرس لما يتمتع به من خبرة قتالية ودربة طويلة في قتال الفرس ومن هذا المنطلق فأن تعيين قائد جديد من قبل القيادة العربية الاسلامية لجبهة العراق وهو أبو عبيد بن مسعود الثقفي يعد اغفالاً لدور وكفاءة المثنى في حرب الفرس وجاءت نتيجة معركة الجسر لتبرهن ان القائد ابو عبيد الثقفي لم يكن من طراز القادة الذين ياخذون برأي اهل الخبرة من القاده الميدانيين بل من الذين تدفعهم الشجاعة والاقدام دون التحسب لعواقب هذا الاندفاع وبعد نكسة معركة الجسر تولى المثنى بن حارثه الشيباني وللمرة الثالثة قيادة جبهة العراق بعد ان نجح في انقاذ الجيش العربي الاسلامي من كارثة عسكرية محققة.

هذا واكد البحث على دور الخليفة الحازم عمر بن الخطاب – رض– في تعزيز جبهة العراق بالامدادات البشرية من المقاتلة العرب . وكانت القبائل اليمنية هي أول من استجاب لنداء الخليفة عمر ابن الخطاب – رض – وبقيادة جرير بن عبدالله البجلي ثم توالى توافد القبائل اليمنية على جبهة العراق فكان انتصار العرب في معركة البويب التي اعادت التوازن العسكري في جبهة العراق وأزالت آثار نكسة معركة الجسر. وبعد انتصار العرب في معركة اليرموك قررت القيادة العربية الاسلامية في المدينة ان ترمي بثقلها العسكري لتعزيز جبهة العراق، فعينت الصحابي سعد بن ابي وقاص – رض– لقيادة جبهة العراق وهيأت له كل اسباب النصر وكان لقبائل اليمن حضور كبير في هذا الحشد إذ بلغ تعدادهم في معركة القادسية ربع المقاتلين . وشهدت هذه الملحمة تضحيات ابناء اليمن وهم يتصدون لكراديس الفيله. وبعد القادسية كان تحرير المدائن عاصمة الدولة الساسانيه حيث هرب كسرى يزدجرد. وتوالت الانتصارات في معركة جلولاء ومعركة نهاوند التي سحقت بها حشود الفرس وآخر جهد عسكري لهم لوقف التقدم الظافر للقوات العربية الاسلامية. وتعد معركة نهاوند عام ٢١هـ النهاية الحقيقية للدولة الساسانية فهي بحق فتح الفتوح كما اطلق عليها العرب هذا الاسم. ولم يقف دور قبائل اليمن الى حد تحرير ذلك لأنها آصطحبت معها النساء والذراري للاستقرار

في ارض العراق، وبغية تثبيت تحرير العراق تأسست مدن البصره والكوفة - فكانت قبائل تميم والازد أول القبائل العربية التي استقرت في البصره على نظام الاخماس. ثم نزلت قبائل اليمن في الكوفة منذ تأسيسها على نظام الأسباع فكان لها اربعة اسباع كدليل على كثرتها وبقيت ثلاثة اسباع للقبائل العربية الأخرى حيث استقرت في الكوفة قبائل بجيله وهمدان ومذحج وكنده والنخع وخثعم. واصبح لهذه القبائل عبر ابنائها دور مشرف في تطوير هذين المصرين بنقلهما من مجرد معسكرات لإنزال الجند وانطلاق الحملات العسكرية نحو المشرق الى مدن عامرة ومراكز للاشعاع الحضاري والفكري

الهوامش والمراجع :

(١) محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك ج ٣ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط ٤، القاهره : ٣٤٣ .

(٢) أحمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢٤٣.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٤٨.

(٤) شكري فيصل، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٦٣.

(٥) أبو محمد بن عبد الملك بن هشام (ت: ٢١٣ هـ)، السيره النبويه، ج ١، تحقيق : محمد فهمي السرجاني المكتبة التوفيقية، القاهره، ١٩٧٨، ص ٤٧.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥١ ومايليها.

(٧) الصبري، المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٥٣ ومايليها.

(٨) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥٥.

(٩) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥٩.

(١٠) الطبري، المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٥٨.

(١١) الطبري، المصدر السابق ج ٣، ص ٣٥٩ ومايليها.

(١٢) البلاذري، المصدر السابق، ص ٢٤٥.

أحمد بن أبي يعقوب البغدادي اليعقوبي (ت: ، ٢٩٢ هـ)، اليعقوبي، ج ٢، دار صادر، بيروت، بلرت، ص ١٣١.

(١٣) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٠ ومايليها

(١٤) البلاذري، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

(١٥) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٧٨.

(١٦) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٥١.

(١٧) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣١٠.

(١٨) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٨٢.

(١٩) البلاذري، المصدر السابق، ص ٢٥١.

(٢٠) الطبري، المصد السابق، ج ٣، ص ٤٤٤.

(٢١) البلاذري، المصدر السابق، ص ٢٥١.

(٢٢) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٥٥.

(٢٣) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٥٤.

(٢٤) ابو حنيفه الدينوري (ت: ٢٨٢ هـ)، الاخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ط ١ القاهره ١٩٦٠، ص ١١٣.

(٢٥) الدينوري، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٢٦) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٢٧) نزار عبد اللطيف الحديثي، اهل اليمن في صدر الاسلام المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٨م، ص ١٣٧، ينظر كذلك الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨٩.

(٢٨) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٢٩) الطبري، المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٧٨.

(٣٠) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨٤.

(٣١) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٤٤.

(٣٢) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦٠.

(٣٣) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦٨.

(٣٤) البلاذري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥٤ وما بعدها.

(٣٥) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨٢.

(٣٦) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٧٩.

(٣٧) شكري فيصل، المرجع السابق، ص ٨١.

(٣٨) وصل الأمر بالرجل في بلاد الاسلام لايقطع امراً حتى يقول : لا أنظر فيه حتى انظر مايكون في القادسية. شكري فيصل، المرجع السابق، ص ٨٢ نقلاً عن الطبري.

(٣٩) البلاذري، المصدر السابق، ص ٣١٠.

(٤٠) محمد بن علي الاهدل الحسني، الدر المكنون في اخبار اليمن الميمون، ط(١)، مطبعة زهران، مصر، ص ٢٠ نقلاً عن الحديثي، المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٤١) الطبري ج (٣) ص ٤٨٤.

(٤٢) الطبري، المصدر السابق ج ٣، ص ٤٨٥.

(٤٣) الطبري، المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٨٥.

(٤٤) الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨٦.

(٤٥) أبو محمد الحسن بن احمد (ت: ٣٣٤ هـ)، الاكليل، ج ١٠، تحقيق : محي الدين الخطيب المطبعه السلفية، القاهره، ١٣٦٨ هـ، ص ١١٥.

(٤٦) البلاذري، المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٤٧) ابو حنيفة الدينوري المصدر السابق، ١٢١.

(٤٨) البلاذري، المصدر السابق، ص ٢٥٥ ومايليها.

(٤٩) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٢٩ ومايليها.
(٥٠) الطبري ، المصدر السابق، ج ٣ ، ص ٥٢٨.
(٥١) سورة الدخان، اية ٢٥ - ٢٦ .
(٥٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥.
(٥٣) الدنيوري ، المصدر السابق، ص ١٣٥ ومايليها.
(٥٤) البلاذري، المصدر السابق، ص ٣٠٠ ومايليها.
(٥٥) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندريه، ص ٢٣٥ حول الاختلاف في تاريخ وقوع معركة نهاوند ينظر : البلاذري، المصدر السابق ، ص ٣٠٢ ومايليها .
(٥٦) الدينوري، المصدر السابق ، ص ١١٦.
(٥٧) البلاذري، المصدر السابق ، ص ٢٧٤.
(٥٨) البلاذري، المصدر السابق، ص ٣٤١. صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، بيروت ، ١٩٦٩، ص ١٤.
(٥٩) خليفه بن خياط العصفري (ت : ٢٤٠ هـ)، كتاب التاريخ، ج (١) ، تحقيق : سهيل زكار، دمشق ، ١٩٦٨ ، ص ١٦٠ ومايليها.
(٦٠) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت : ٢٥٥ هـ) ، كتاب الحيوان ، ج (٢) ، عبد السلام هارون، القاهره ١٩٣٨ ، ص ٣٣٣.
(٦١) البلاذري، المصدر السابق، ص ٣٤٢.
(٦٢) الطبري ، المصدر السابق، ج (٥) ص ٣٩٦.
(٦٣) عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، جامعة البصره ١٩٨٦ ص ١٣٢.
(٦٤) شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي (ت : ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان،،ج.
تحقيق : محمد امين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة،١٩٠٦ ص٣٤٦.
(٦٥) البلاذري ، المصدر السابق، ص ٤٧٥.
(٦٦) الطبري، المصدر السابق، ج ٤ ، ص ٤٩.
(٦٧) الطبري، المصدر السابق، ج ٤ ، ص ٤٨
(٦٨) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٢ ، ص ٢٩٤.
(٦٩) الطبري، المصدر السابق، ج ٣ ، ص ٤٨٤
(٧٠) الطبري ، المصدر السابق، ج ٣ ، ص ٤٨٤
(٧١) الطبري ، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٨.

● المصادر والمراجع :-

أولاً : المصادر الاوليه :-

١ - القرآن الكريم
٢ - ابو حنيفه الدينوري (ت : ٢٨٢ هـ) ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبر النعم عامر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ط ١ القاهره، ١٩٦٠م.
٣ - ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، كتاب الحيوان ، ج ٢ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهره ، ١٩٣٨.
٤ - ابو محمد بن عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣ هـ) السيرة النبوية ، ج ١، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، المكتبة التوفيقية ، القاهره ، ١٩٧٨.
٥ - ابو محمد الحسن بن احمد الهمداني (ت ٣٣٤هـ) ، كتاب الاكليل ، ج ١٠ ، تحقيق محبي الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهره، ١٣٦٨ هـ
٦ - احمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ). فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان. دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٧٨.
٧ - احمد بن يعقوب البغدادي اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) ، كتاب التاريخ ج ٢ ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ.
٨ - خليفة بن الخياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ) كتاب التاريخ ج ١ ، تحقيق : سهيل زكار، دمشق، ١٩٦٨م
٩ - شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي (ت : ٦٢٦ هـ) معجم البلدان ، ج ، تحقيق : محمد امين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهره، ١٩٠٦.
١٠ - ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ). تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف ، ط ٤ ، القاهره ، ١٩٦٤.
١١ - محمد بن علي الاهدل الحسني. الدر المكنون في اخبار اليمن الميمون ، ط ١ ، مطبعة زهران مصر ، بلا، تاريخ.

ثانياً :- المراجع الثانوية :-

١ - شكري فيصل ، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول الهجري، ط ٣ ، دار العلم للملايين. بيروت ، ١٩٧٤.
٢ - صالح احمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري. بيروت ، ١٩٦٩.
٣ - عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية ، جامعة البصرة، ١٩٨٦.
٤ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة الثقافة الجامعية في الاسكندرية ، بلا تاريخ.
٥ - نزار عبد اللطيف الحديثي، اهل اليمن في صدر الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨.
٦ - خليل شاكر حسين، الخلافه الراشده . دراسة سياسية واجتماعية ، رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الاداب، جامعة اكس - بيرفانس فرنسا ، ١٩٧٨.



الجامع الكبير بصنعاء

رؤية تاريخية أثرية فيما أثير حول عمارة الرواق الشرقي

عبدالله كامل موسى

يعد الجناح الشرقي من الجامع الكبير بصنعاء (١) من الناحية الأثرية من أهم أروقة الجامع نظرا لما اثير من آراء حول شخصية مجدده أو ربما شخصية صاحب عمارته في الأصل سواء أكان من آل يعفر الحواليين(٢) (٢٢٥ - ٢٩٣ هـ/ ٨٣٩ - ١٠٠م) ام من أعمال الملكة الحرة السيدة بنت احمد الصليحي(٣) (٥٢٥ هـ / ١١٣٠م)، اذ ان أهم مايميز سقف هذا الجناح روعة الزخارف النباتية والهندسية على المصندقات الخشبية (٤) والتي لاتزال في حالة طيبة من الحفظ.(٥).

فمن القائلين بنسبة عمارة الجناح الشرقي الى آل يعفر (السياغي في معالم الآثار)حيث يذكر مانصه « ومن الآثار العجيبة الاسلامية بصنعاء مسجدها الجامع وسقفه البديع ولاسيما الجناح الشرقي منه فإنه مزخرف زخرفة عجيبه بالفسيفساء وأنواع الاصبغة التي لم تتغير بطول الزمن فكل خشبة منه منقوشة ومزخرفة وفي بطن السقف مايلي الخشب من أعلى الجدار كتابة محفورة في الواح من الخشب مثبته في بطن السقف دايره على الجامع كله وهي بالخط الكوفي ولم يكن قد وقع الكشف عليها (٦)./ انظر لوحة رقم (١) ، ولوحة رقم (٢) ويضيف السياغي :« وأما عمارة الجامع على ماهو عليه الان من بالبناء المتقن بالأحجار فهو من بناء الأمير أبو محمد يعفر بن ابراهيم بن محمد بن يعفر الحوالي عام ٢٦٦هـ، ولكنه توفي قبل أن يكمله فأكمله بعده الامير ابو يعفر حسان أسعد الملك بن ابراهيم بن محمد بن يعفر المتوفى ٣٣٢ هـ، ووقف عليه الاموال الطائلة منها وادي شاهره وأوصى ان يقبر فيه وأجرى للجامع من العناية والزخرفة مالايوصف ولاسيما الجناح الشرقي(٧).

ويذكر القاضي اسماعيل الاكوع ان الجناح الشرقي من عمارة اسعد بن ابي يعفر يدل على ذلك ما ذكره مؤرخون ثلاثة هم عبدالرحمن بن محمد الحبيشي في «الاعتبار في التواريخ والاختيار» وكذلك ما قاله المؤرخ ابن الديبع وما قاله ابن ابي الرجال في «مطلع البدور» وهناك دليل اخر فلو كان للسيدة بنت احمد عمارة الجناح الشرقي لذكر ذلك مؤرخو الدولة الصليحية لانهم لم يغفلوا شيئاً من محاسنها، كما ان طراز الجناح الشرقي مشابه تماماً لجامع شبام(٨) الذي هو بالاجماع من بناء اسعد بن ابي يعفر ومخالف لجامع ذي جبلة(٩) الذي هو بالاجماع من بناء السيدة بنت احمد(١٠). وليس من المنطق ان يكون جامع السيدة في ذي جبلة اقل مستوى من الجناح الشرقي بجامع صنعاء(١١) ويذكر د. مصطفى شيحة ان الجناح الشرقي (٥٠/ ٤١ / ١١ م) من اهم اروقة الجامع والارجح ان عمارته ومعظم السقوف الخشبية بالجامع ترجع الى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي نظراً للتشابه الكبير بينها وبين مثيلاتها في جامع شبام كوكبان، كما ان الكتابات الاثرية الباقية على جدران الجامع يمكن نسبة الكثير منها الى فترة ما قبل العصر الصليحي (١٢). ويضيف، نقلاً عن القاضي اسماعيل الاكوع ان تجديد عمارة الرواق الشرقي لم يرد في وصية السيدة بنت احمد(١٣).

اما عن القائلين بنسبة الجناح الشرقي من خلال عمارته الى الملكة الحرة السيدة بنت احمد فنذكر منهم علي سبيل المثال لا الحصر المؤرخ يحيى بن الحسين في (غاية الاماني) حيث ذكر ما نصه: «وفي سنة ٥٣٢ هـ ماتت الحرة بنت احمد الصليحي في مدينتها ذي جبلة وعمرها ثمان وثمانون سنة ودفنت في الجامع المشهور الذي من بنائها، ايضاً الجانب الشرقي من جامع صنعاء «١٤» واهمية هذا النص الذي اورده

المؤرخ يحيى بن الحسين ان معظم المؤرخين نقلوا عنه حيث جاء في «مساجد صنعاء» للحجري ان الباني للجناح الشرقي هي السيدة بنت احمد الصليحي(١٥).

وجاء في «المقتطف» للجرافي: «وللسيدة اروى بنت احمد(١٦) مآثر عظيمة باليمن منها بناء جامع جبلة والجناح الشرقي بجامع صنعاء وان جودة الاخشاب ورشاقة نقوشها في سقفه يشهدان على مخالفته لعمارة محمد بن يعفر(١٧)

انظر عن زخارف جامع السيدة بنت احمد في جبلة لوحة رقم (٣) لوحة رقم (٤) وتذكر «سعاد ماهر ان من محاسن الملكة اروى بنت احمد بن محمد الصليحي زيادة الجناح الشرقي في سنة ٥٢٥ هـ كما هو عليه الان(١٨).

ويذكر د. حسن سليمان محمود ان الملكة اروى هي التي وسعت جامع صنعاء في الجناح الشرقي منه وصححت عمارته وزينته وامرت ان يكتب فيه اسماء جميع الائمة من علي بن ابي طالب الى امام عصرها، واثبتت ذلك في الحائط القبلي من المسجد الجامع.وكان اسمها مكتوباً على الاحجار البيضاء التي بين ابواب الجامع ولكن العصبية لم تترك من الكتابة غير البسملة واعيد بجص ثم كشط في عهد دولة آل يحيى من الاشراف(١٩).

وتعليقاً على ما ذكره د. حسن سليمان يذكر د. عصام الدين عبدالرءوف انه ينقصه الدليل المادي لانه لا اثر لهذه الكتابة كما ان الجناح الشرقي من عمل آل يعفر(٢٠).

هذا ماورد بشان مشكلة تجديد الجناح الشرقي في الجامع الكبير بصنعاء، ولست هنا بصدد دراسة هذا الموضوع من الناحية الاثرية فقد تعرض لها د. مصطفى شيحة وارجع عمارة هذا الجناح الى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وانما ساتعرض لهذا الموضوع من الناحية التاريخية، حيث انه بتحليل الاراء السابقة يمكن القول ان اول من اشار الى نسبة عمارة الجناح الشرقي الى الملكة الحرة السيدة بنت احمد هو المؤرخ يحيى بن الحسين في سنة ٥٢٥ هـ . على انه من الصعب أن نعتقد بصحة هذه الرواية حيث انه الوحيد الذي ذكرها، كما انه ليس معاصراً للدولة الصليحية، ولم يذكر ممن استقى معلوماته في هذا الصدد وقد تبعه الكثير من الباحثين وقد تقدم ذكر عدد منهم.

فمن الثابت ان صنعاء في عصر الدولة الصليحية وبوفاة الامير سبأ بن احمد ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩م (٢١) خرجت واعمالها من بني الصليحي ولم يبق لهم فيها امر واستولى عليها السلطان حاتم بن الغشيم الهمداني ولم تحاول الملكة الحرة السيدة بنت احمد اعادة صنعاء بل قبلت الامر الواقع وعملت على تدعيم ما بقي من مملكتها(٢٢).

ويبين هذا ان صنعاء في سنة ٥٢٥ هـ والتي وردت في رواية يحيى بن الحسين لم تكن تحت سيادة الدولة الصليحية حتى تتمكن السيدة بنت احمد من عمارة الجناح الشرقي بهذة الدقة والروعة ، اضافة الى ان الدولة الصليحية في هذه السنة كانت قد وصلت الى قمة ضعفها. ولم تمر سبع سنوات بعدها الا وقد انهارت الدولة الصليحية تماماً حيث بدأ الضعف يدب في اوصالها في بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حتى ان السيدة بنت احمد ارسلت الى الخلافة الفاطمية تطلب منها المدد فارسلت لها الخلافة الفاطمية سنة ٥١٣ هـ الامير الموفق علي بن نجيب الدولة (٢٣).

وقد بدأ هذا الضعف منذ سنة ٥٠٣ هـ ذلك ان اولاد جياش بن نجاح اختلفوا فيما بينهم وكانت الفتن الداخلية تعصف بهم فلجأ اليهم المنصور بن فاتك بن جياش ضد عمه عبدالواحد بن جياش، فامرت السيدة بنت احمد المفضل بن ابي البركات بنصرة المنصور، وتم لها ما ارادت ولكنها لم تستطع السيطرة على زبيد(٢٤) حيث كانت الفرصة سانحة لها وهو الامر الذي يدل على مدى ضعف الدولة الصليحية (٢٥)

وليس من المنطقي في ظل هذه الظروف ان تخرج عمارة بهذه الدقة والروعة وتنسب الى السيدة بنت احمد. اضافة الى ان اهتمام السيدة بنت احمد كان منصرفا الى جبلة(٢٦) والتعكر(٢٧) وتشييد العمائر فيها بمختلف انواعها.

هذا من جهة ومن جهة اخرى يمكننا القول ان صنعاء كانت مقر ملوك الـ يعفر من ٢٤٧ هـ - ٣٧٨ هـ/ ٨٦١-

٩٩٧م بداية من يعفر بن عبد الرحمن وحتى عبدالله بن قحطان.

وهناك نص هام للرحالة ابن حوقل الذي زار صنعاء في ظل حكم الامير اسعد بن ابي يعفر، فذكر عنه ما نصه: «اسعد بن ابي يعفر من امراء بني يعفر الذين حكموا اليمن. وكان من اجل ملوك تهامة اليمن المعروفين بملوك الجبال فانه ملكها سنين كثيرة وملك صنعاء وخطب لال زياد وضرب دراهمهم باسمهم بغير هدية او مبرر تصل منه اليهم وكانت امواله دون أربع مائة الف دينار تنصرف في مرعوته والى أضيافه وقاصديه وكان من سلالة التبابعه» (٢٨)

ويبين النص أن صنعاء كانت مقر حكم آل يعفر كما يبين مدى الازدهار والثراء الذي كانت عليه خاصة في عصر الأمير أسعد بن ابي يعفر ولابد ان يكون هذا قد انعكس ايجابياً على عمائر مدينة صنعاء بصفة عامة وجامعها الكبير بصفة خاصة .

ويجعلني هذا كله اضافة الى ما سبق ذكره من ان صنعاء لم تكن تحت سيادة الدولة الصليحية عام ٥٢٥ هـ ان أقرر مطمئنا أن عمارة الجناح الشرقي في الجامع الكبير بصنعاء هي من عمل آل يعفر، وليست من عمل السيدة بنت احمد. لان دقة وروعة عمارة هذا الجناح وزخارفه الخشبية انما هي مرآة حقيقية لعصر الامير اسعد بن ابي يعفر.

الحواشي والتعليقات

١ـ الجامع الكبير بصنعاء: يعد الجامع الكبير المسجد الاول الذي بني خارج المدينة المنورة اذ يرجع تاريخه الى الفترة ما بين اعوام (٦ ـ ٩هـ) اي انه يسبق في ذلك جامع البصرة ١٤هـ وجامع الكوفة ١٧هـ. وقد اختلف حول شخصية مؤسسه فقيل فروة بين مسيك المرادي وقيل ابان بن سعيد العاص القرشي وقيل وبر بن يحنس الانصاري/ انظر عن الجامع:

الرازي (احمد بن عبدالله) تاريخ مدينة صنعاء تحقيق د. حسن عبدالله العمري ـ ص ٦٢ ـ ٧٥، صنعاء ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

(الحجري محمد بن احمد) ـ مساجد صنعاء ـ ص ٢٣ ـ ٣٢ ـ طبعة بيروت ـ ١٣٩٨هـ.

د. مصطفى شيحة ـ مدخل الى العمارة والفنون الاسلامية في الجمهورية العربية اليمنية ص ٢٩ ـ ٣٦ من لوحة ١ ـ ٧ من شكل ١ ـ ٢ ـ القاهرة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م

٢- آل يعفر الحواليين: ارتفع شأن ال يعفر في بداية العصر العباسي الثاني حتى عهد الخليفة المعتمد للامير محمد بن يعفر بن عبدالرحيم بحكم صنعاء ومخاليفها حيث اقام الخطبة للخليفة العباسي والامير الزيادي في زبيد ودخلوا في منازعات عديدة حتى تمكن اسعد بن ابي يعفر ٢٨٢ ـ ٣٣١هـ من استعادة زمام الامور/ انظر:

د. ايمن فؤاد سيد ـ تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ـ ص ٥٤ ـ ٥٥، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣ـ الملكة السيدة بنت احمد: شهدت بلاد اليمن في عصرها اقصى درجات رفعتها وازدهارها واستمرت تنهج سياسة الداعي علي بن محمد الصليحي وزوجها الملك المكرم احمد بن علي بن محمد الصليحي في تحمل مسئولية استمرار الدولة الصليحية واقامة الدعوة الفاطمية ونجحت في ذلك الى حد كبير. ففي عهدها قويت العلاقات بين الخلافة الفاطمية في مصر، والدولة الصليحية في اليمن وكان لها ماثر عظيمة خلال فترة حكمها الطويل في اليمن حتى وفاتها عام ٥٣٢هـ ومن مآثرها الباقية: المسجد الجامع والمشهد بذي جبلة ولها علاوة على ذلك اعمال جليلة وآثار باقية الى جانب العمارة الدينية.

**انظر عن السيدة بنت احمد واعمالها في بلاد اليمن:

رسالتنا للماجستير« دراسة معمارية مقارنة للعمائر الدينية في عصر الدولة الصليحية في اليمن والفاطمية في مصر» مخطوط رسالة ماجستير ـ كلية الاثار ـ جامعة القاهرة ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م

٤- المصندقات الخشبية: سقف مكون من عوارض خشبية سميكة متقاطعة مؤلفة من مساحات صغيرة ومربعة يطلق عليه المصندقات الخشبية. وقد ازدانت هذه المصندقات في بلاد اليمن بزخاريف خشبية غاية في الدقة والابداع وقد ظهر هذا الاسلوب مبكراً في بلاد اليمن.

٥ـ د. مصطفى شيحة: مدخل الى العمارة ـ ص ٣٤

٦ـ السياغي: معالم الاثار اليمنية، ص ـ ١٣ ـ ١٤ مركز صنعاء ـ ١٩٨٠م

٧ـ السياغي: معالم الاثار ـ ص ١٥ ـ ١٧

٨ـ جامع شبام كوكبان: المرجح ان هذا الجامع بني قبل عام ٣٠٠هـ في الفترة ما بين ٢٢٥ ـ ٢٩٣هـ لارتباطه بالدولة اليعفرية ولعله من بناء الامير اسعد بن ابي يعفر وقد اتخذت الدولة اليعفرية من مدينة شبام كوكبان عاصمة لها.

**انظرعن عمارة جامع شبام كوكبان:

د. مصطفى شيحة: مدخل الى العمارة، من ص ٤١ ـ ٤٥، ومن لوحة ١٠ ـ ١٢، شكل ٢

٩ـ جامع ذي جبلة: لم يتبق من اثار الدولة الصليحية الدينية في بلاد اليمن الا مسجد واحد يتوسط تلا مرتفعا في مدينة جبلة وبحالة لاباس بها، هو جامع السيدة بنت احمد ويمثل هذا الجامع قمة العمارة الدينية في عصر هذه الدولة نظرا لتكامل ملامح العمارة الصليحية في اليمن فيه بعد ان قطعت اليمن شوطاً كبيراً في مجال العمارة الاسلامية بدءاً من الجامع الكبير بصنعاء، كما ان هذا المسجد بتكامله المعماري يعد بمثابة حلقة تتوسط ماقبله وتتواصل في مجال العمارة اليمنية التي انطلقت بعد ذلك من عصر دولة بني رسول، هذا فضلاً عن جوانب الشبه الكبير من حيث المؤشرات المعمارية والفنية بينه وبين معظم العمائر الدينية الفاطمية في مصر.

وهو الموضوع الذي كان محور دراستنا في رسالتنا للماجستير بعنوان:

«دراسة معمارية مقارنة للعمائر الدينية في عصر الدولة الصليحية في اليمن والفاطمية في مصر»

مخطوط رسالة ماجستير ـ كلية الاثار ـ جامعة القاهرة ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩١م

١٠ـ الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج ٣ ـ تحقيق القاضي اسماعيل الاكوع، ص ١٢هـ ـ ٥١٣ ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

القاضي اسماعيل الاكوع مجلة الفيصل ـ امرأة تتولى الحكم في اليمن ـ عدد ٨٨ ـ شوال ٤٠٤هـ يوليو ١٩٨٤م الرياض

١١ـ القاضي اسماعيل الاكوع : لمحة تاريخية عن صنعاء (الآثار الاسلامية في الوطن العربي) ص ٥٣ - ٥٤ - صنعاء - ١٩٨٥م .

١٢ - د . مصطفى شيحة : مدخل الى العمارة ،ص ٣١ - ٣٢، ٣٤ .

١٣ - المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

١٤ - يحي بن الحسين: « غاية الأماني في اخبار القطر اليماني، تحقيق د.سعيد عبد الفتاح عاشور ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ ، نشر دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨م .

١٥ - الحجري : مساجد صنعاء ، ص ٢٧.

١٦ - السيدة أروى بنت احمد : الواقع ان المؤرخين قد اختلفوا في اسم الملكة الحرة السيدة بنت احمد وفي ذلك يذكر القاضي اسماعيل الاكوع انه قد وقع بعض المؤرخين في الخطأ حينما سموها أروى وان اسمها سيدة والالف واللام في السيدة للتحلية مثل الحسن والحسين وتوجد من بيت الصليحي إمراة اسمها أروى وهي اروى بنت شمس المعالي علي بن عبدالله الصليحي تزوج بها المنصور بن الفضل بن ابي البركات فالتبس على المؤرخين المتأخرين فسموها الملكة اروى.

وقد تعرضت لهذا الموضوع بالدراسة من خلال المؤرخين المعاصرين للسيدة بنت احمد كالحمادي اليماني واللاحقين كالمؤرخ ابن سمرة والملك الاشرف عمر بن يوسف بن رسول وانتهت الى تأكيد وتقرير ماذهب اليه القاضي إسماعيل الاكوع في دراسته الموضوعية تماما والتي انتهى منها في هذا الصدد بان اسمها سيدة وليست اروى .

انظر مزيدا من التفاصيل في رسالتنا للماجستير ص. ٥٠ - ٥١ - مخطوط.

١٧ - الجرافي (عبدالله عبدالكريم) «المقتطف من تاريخ اليمن» نشر مؤسسة دار الكتاب الحديث بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤م.

١٨ - د. سعاد ماهر محمد «العمارة الاسلامية على مرالعصور» الطبعة الاولى - جده ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٩ - د. حسن سليمان محمود «الملكة اروى سيدة ملوك اليمن ، ص ٩٣ - ٩٤ - نشر دار الثناء للطباعة والنشر.

٢٠ -د. عصام الدين عبدالرعوف «اليمن في ظل الاسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول ، ص ٣٣ نشر دار الفكر العربي - الطبعة الاولى ٨٢ ١٩م.

٢١ - الامير سبأبن احمد : من الامراء الذين كانوا مع الداعي علي بن محمد الصليحي عصر القوة والازدهار في تاريخ الدولة الصليحية وهو ابن عم الملك المكرم احمد بن علي بن محمد الصليحي وكان يلقب الامير الاجل الاوحد المظفر عمدة الخلافة أبي حمير سبأبن المظفر بن علي الصليحي، وكان مشرفا على اطراف الدولة الصليحية في عصر الملكة الحرة السيدة بنت احمد في الفترة من ٤٧٨هـ - ٤٩٢ هـ بعد وفاة الملك المكرم احمد ، وبوفاة الامير سبأ خرجت صنعاء واعمالها من ايدي الصليحيين واستولى عليها الهمدانيون وبدأ الضعف والانهيار يهدد الدولة الصليحية . انظر :

عمارة اليمني - المفيد في أخبار صنعاء وزبيد - تحقيق القاضي محمد بن علي الاكوع ، ص ١٤٦ نشر مطبعة السعادة - الطبعة الثانية - ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م.

د. ايمن فؤاد سيد - تاريخ المذاهب الدينية - ص ١٥٢ - ١٥٣ .

٢٢- د . أيمن فؤاد سيد، تاريخ المذاهب الدينية، ص ١٥٨. عمارة اليمني - المفيد ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

٢٣ - د. حسن سليمان محمود . الملكة اروى ، ص ٥٠ ، ٥١ .

٢٤ - زبيد : اسم وادبه مدينة يقال له الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي ، وهي مدينة مشهورة باليمن احدثت في ايام المأمون.ماؤها آبار ولها نخيل كثير. وعليها سور وفيه ثمانية ابواب ولها اربعة خنادق ، وهي مدينة عظيمة وليس باليمن بعد صنعاء اكبر منها ولا اغني من اهلها. واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه وهي برية الاشطية كثيرة العمارة ولاهلها حسن الاخلاق وجمال الصور وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها اهل صلاح ودين وامانة ومكارم وحسن خلق ياقوت الحموي معجم البلدان ، المجلد الثالث - الجزء العاشر ، ص ١٣١ ، نشر دار صادر ، دار بيروت - بيروت ١٣٧٤هـ / ١٣٧٦ هـ ١٩٥٥م - ١٩٥٧م.

المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - ص ٨٥ ، ليدن - ١٩٠٩م ابن بطوطه - تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، تحقيق د. علي المنتصر الكتاني ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

القرماني - اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ ، ص ٤٥ نشر عالم الكتب - بيروت مكتبة المتنبي - القاهرة.

٢٥ - الوصابي - تاريخ وصاب : الاعتبار في التواريخ والآثار «تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، ص ٤٣ ، نشر مركز الدراسات صنعاء الطبعة الاولى ، ١٩٧٩م.

٢٦ - جبلة : تعد مدينة جبلة من اعظم المدن التي شيدها الصليحيون وقد تغنى بوصفها ورقة هوائها وعذوبة مائها وكرم اخلاق اهلها الشعراء والادباء واكثروا من ذلك تسمى ذات النهرين وهي من احسن مدن اليمن وانزهها واطيبها ذات نخل وفواكه وأنهار وتقع بين صنعاء وبين عدن وهي على نهرين ينزل احدهما من جبل المذيخرة العالي الذي في شمال صنعاء ويمر على غربيها وجنوبيها ثم يمر على جبلة ويمتزج مع النهر الآخر ويصبان في شرقي ابين.

ذكرها الشاعر عبدالله بن يعلى فقال :

مامصر مابغداد ماطبرية بمدينة قد حفها نهران
خدد لها شام وحب مشرق والتعكر العالي المنيف يماني.

انظر عن مدينة جبلة

رسالتنا للماجستير من ص ٩٢ - ٩٨ .

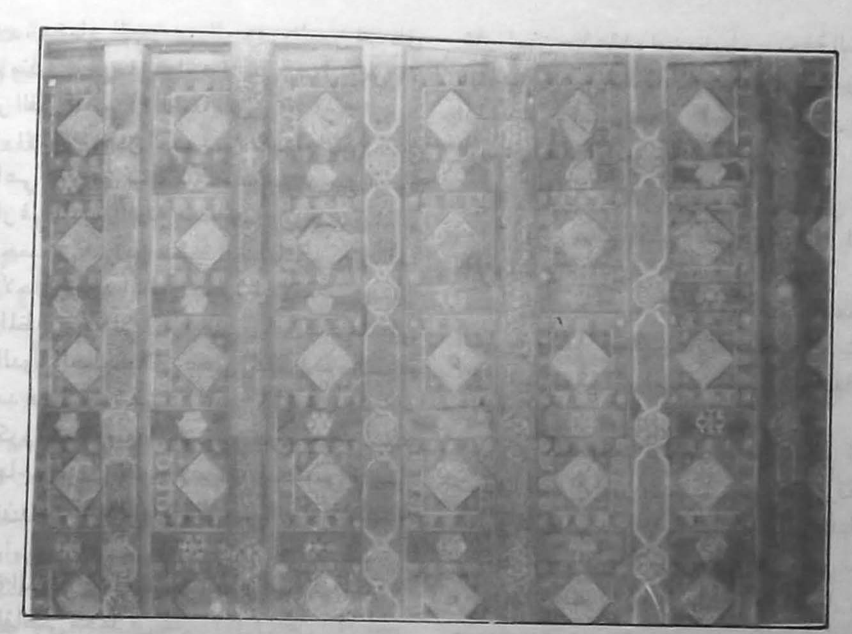
٢٧ - التعكر : يعد حصن التعكر من اهم القلاع في الصليحية في اليمن نظراً لانه كان بمثابة مقر لذخائر بني الصليحي ودار إقامة للملكة الحرة السيدة بنت احمد وبالتالي فإنه كان عامرا بالقصور والمنشآت العامة .

والتعكر قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر مطلة على ذي جبلة وليس باليمن قلعة أحصن منها.

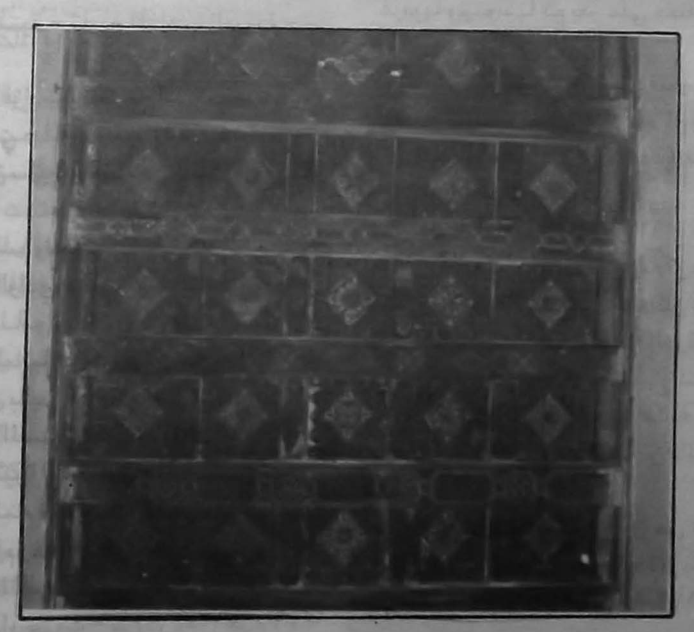
انظر رسالتنا للماجستير من ص ٩٩ - ١٠٠ .

٢٨ - ابن حوقل - صورة الارض ، ص ٢٢ - ٢٣ نشر دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٧٩م.

ooo



لوحة رقم ١ : زخارف سقف الرواق الشرقي في الجامع الكبير بصنعاء



لوحة رقم ٢ : زخارف سقف الرواق الشرقي في الجامع الكبير بصنعاء



لوحه رقم ٣، ٤

زخارف من سقف رواق القبلة من جامع السيدة بنت أحمد في جبلة



أعلام أدباء من اليمن في نفحة الريحانة للمحبي

د. محسن جمال الدين

اتحاد المؤرخين العرب

احببت «اليمن» صبياً، يوم ان كانت خزانة والدي – رحمه الله – تضم من بين محتوياتها كتاب «نفحة اليمن» للشيخ الأديب أحمد الشرواني اليمني «١» وهو في طبعة شعبية مصرية تجارية، لم اكن اميز صالح محتوياته، من طالح هفواته، الثقافية والطباعية.

- وعشقت اسماعي «اليمن» شاباً، في نشيد كنا نردده طلابا في مدارسنا ومعاهدنا العراقية. وهو من نظم الشاعر «فخري البارودي» «٢» ومن قوله:

بلاد العرب اوطاني	من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن	إلى مصر فتطوان
فلا حد يباعدنا	ولادين يفرقنا
لسان الضاد يجمعنا	بغسان وعدنان
لنا مدنية سلفت	سنحييها وإن دثرت
ولو في وجهنا وقفت	دهاة الأنس والجان

وأخذت اسعى كهلاً، في متابعة تاريخ «اليمن» وآداب أهله وأعلامه، واشعار النوابغ من شعرائه، وكتبت عنه بعض الدراسات والمقالات، في صحف ومجلات «٣». وفي كل يوم ازداد فيه ايماناً ومحبةً وثقةً، بأن أهل «اليمن» في تاريخهم المجيد، وماضيهم العتيد، وحاضرهم الذي يسعى ابناؤه اليوم للخير والبناء والتعمير والتشييد لابد ان يحتلوا في القريب العاجل، وهم في ثورتهم، الجديدة، وفي جمهوريتهم السعيدة. الموضع الذي يستحقونه من العناية والأهتمام والبحث والدراسة للكشف عن جواهر أرضهم المخفية، وثروة مخطوطاتهم العربية الغنية، لكل ماهو رائع ومدهش، من المؤلفات التي كتبها اليمانيون، في مجالات علوم القرآن والحديث الشريف والفقه، واللغة، والتاريخ، والأنساب، والأماكن، والشعر، والأدب، وغيرها من الفنون والصنائع !!

ولقد استهوتني منذ سنوات قريبة مراجعة مؤلفات أدباء اليمن وشعرائه، ومن كتب عنهم وترجمهم أو أشار الى آثارهم، من العرب والمستعربين والمستشرقين.

ورجعت الى البدر الطالع «٤» استنير به في ليل البحث !!

والى «نفحة اليمن» أشم عبيرها العابق !!

وإلى «حديقة الافراح» «٥» اتجول في رحابها، وأقطف من جميل أزهارها !!

وهكذا كنت تراني باحثاً منقباً عن كل ماله صلة باليمن، وتاريخها، وأدبائها، ولغتها، ورجالها، ومشاهير علمائها، ونوابغ شعرائها، ونفائس

مخطوطاتها، في ديار المشرق، والمغرب، وأرض الاندلس.

أخذت فكرة معالجة تراجم شخصيات الأدباء والشعراء حسب بلادهم واقطارهم وأقاليمهم، تتجلى قبل القرن الرابع الهجري، بصورة منظمة، ومرتبة، حيث بدأ علماء العربية ومؤرخوها، يوزعون نتاج الأدباء حسب التقسيم الجغرافي والبلداني وكان من رواده العلماء التالية اسماؤهم :-

١) هارون بن علي المنجم، المتوفى سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م مؤلف كتاب «البارع» «٦»

٢) ابو منصور الثعالبي - المتوفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م «٧» صاحب «يتيمة الدهر» الذي يعتبر كتابه الرائد الحقيقي لهذا التقسيم.

٣) أبو الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م «٨» الذي ألف «دمية القصر»

٤) الحظيري الوراق المتوفى سنة ٤٦٨هـ/١١٧٢م «٩» الذي وضع «زينة الدهر».

٥) وتلاه العماد الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م «١٠» مؤلف كتاب «خريدة القصر».

وهذه الكتب في الاغلب لم تفرد كتاباً أو باباً خاصاً مفصلاً باليمن، الا مانقله «العماد الكاتب» في خريدته بقسم الشام وقد نقل اغلبه معتمداً على تأليف «الشاعر عمارة اليمني» المتوفى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م، واستمرت القرون تتوالى، الى ان جاء القرن الحادي عشر الهجري، فرأينا أقلاماً جديدة، وأدباء باحثين، يهتمون بتلك الديار العربية العريقة ذات الحضارة والامجاد التاريخية والعلمية والأدبية.

ولعل لعزلة اليمن، وبعد الشقه، وقلة الزيارة لها، وأسباب أخرى يومذاك، جعلت اولئك المؤلفين الجامعين للشعر وأعلامه يطوون صفحتها، ويتناسون شخصياتها ومن بين هؤلاء المهتمين وكتبهم يظهر لنا :-

١) كتاب «ريحانه الألبا وزهرة الحياة الدنيا» لشهاب الدين الخفاجي المصري الاندلسي،/ المتوفى سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م «١١».

٢) كتاب «خلاصة الأثر» في ادباء القرن الحادي عشر لمحمد بن المحبي الحموي الدمشقي المتوفي سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م «١٢».

٣) كتاب «سلافة العصر» في محاسن الشعراء بكل مصر للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني المتوفى سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م «١٣».

٤) كتاب (سلك الدرر) في أعيان القرن الثامن عشر للهجرة لمحمد خليل المرادي الدمشقي المتوفى سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م (١٤)

٥) كتاب «حلية البشر» في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار المتوفى سنة ١٩١٦م «١٥».

أما في المؤلفات العراقية، التي سارت في دروب تلك القرون، أو التي جاءت من بعدها، فقد اعتنت باليمن رجالاً، وأدباً، وتاريخاً وثقافة، وشعراً، ومحبة، وصلة وتعاطفاً، ومشاعراً، واهتماماً، وزيارة، ومراسلة!!

وفي مؤلفات المؤرخين والجغرافيين واللغويين، والمفسرين، والنسابين من أهل الرافدين، وبلاد مابين النهرين، ومن علماء بغداد والبصرة والموصل، والكوفة، والنجف الاشرف الكثير من الأخبار، والطرائف، والأشعار، والتراجم والأعلام مايحتاج الى دراسة خاصة، وبحث مستقل!! وعلى سبيل المثال لا الحصر «١٦».

١) تاريخ ابن الأثير الجزري الموصلي.

٢) تاريخ الخطيب البغدادي.

٣) معجم البلدان لياقوت الحموي البغدادي.

٤) مراصد الأطلاع لعبد المؤمن البغدادي.

٥) سبائك الذهب، في معرفة قبائل العرب للسويدي «١٧»

٦) رحلة الى بلاد اليمن لابن الحكيم البغدادي «١٨»

٧) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي «١٩».

وتلي ذلك جملة تآليف أدبية شعرية، مرت على أهل اليمن مروراً سريعاً، وباشارات عابرة. أمثال بعض مؤلفات :

٨) آل العمري الموصيلي «٢٠».

٩) آل الغلامي الموصيلي «٢١»

١٠) بعض تحقيقات الأب انستاس مارى الكرملي «٢٢»

١١) بعض مؤلفات الاستاذ عباس العزاوي «٢٣» وغيرهم كثيرون «٢٤»

اما مايتعلق باليمانيين أنفسهم، وماتركته أقلامهم، وأثارهم، المخطوطة والمطبوعة، فقد أغنانا الأستاذ العالم القاضي المعروف المرحوم الشيخ / محمد محمد زبارة/ المتوفى سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م«٢٥» بما خلفه لنا من كتب مطبوعة ومخطوطة، نرجع اليها في أخبار وتراجم ومدن وقرى ونواحي المعروفين، من أدباء اليمن وشعرائه، وفضلائه. ومن هذه الكتب«٢٦»:

١) ملحق«البدر الطالع»للشوكاني«٢٧»

٢)«نيل الوطر» في رجال اليمن في القرن الثالث عشر«٢٨»

٣) نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف. في تراجم أعيان اليمن في القرن الثاني عشر«٢٩».

٤)«نزهة النظر» في تراجم اعيان القرن الرابع عشر«٣٠»

٥) (الحسنين)، بأنساب من اليمن من بيوت عترة الحسين«٣١».

وجاء بعده الاستاذ الباحث الأخ«عبدالله الحبشي»«٣٢».

فألف لمراجعي ودارسي ومحبي اليمن كتابه ومعجمه المفيد القيم«مصادر الفكر العربي الأسلامي في اليمن» وله كذلك:

١) دراسات في التراث اليمني.

٢) مراجع تاريخ اليمن.

٣) فهرس المخطوطات اليمنية.

٤) حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول.

٢٥) الصوفية والفقهاء في اليمن.

الى غير ذلك من تحقيقات وبحوث ودراسات، كان قد نشرها في أمهات المجلات السعودية كـ«العرب» ومجلة «اليمن الجديد» الصادرة في«صنعاء».

ولا نغفل علم وفضل وجهود العلماء من«آل الاكوع»«٣٣» وماقدموه من مساع طيبة، في إحياء آثار علماء اليمن ومؤرخيه. وماقام به الأستاذ العالم الأديب القاضي (الارياني) من نشر مخطوطات يمانية أدبية وماكتبه وحققه الاستاذ الشاعر احمد بن محمد «الشامي»«٣٤»

إضافة الى الثمرات الطيبة اللذيذة المستساغه من شعر وأدب مجموعة كبيرة من الشعراء والكتاب اليمانيين الذين عاصرنا بعضهم وصادقناه وكتبنا عنه. كما جمع بعض تراجمهم وشعرهم الاستاذ الباحث الاخ المحامي«هلال ناجي». ومنهم الأخوة:-«٣٥»

١) محمد محمود الزبيري

٢) ابراهيم الحضراني

٣) عبدالله البردوني.

٤) احمد محمد الشامي.

٥) الدكتور محمد عبده غانم.

٦) الدكتور عبدالعزيز المقالح.

٧) محمد الشرفي.

وغيرهم من الكتاب والنقاد والشعراء الكثيرين. وليس هذا بمستغرب، فتاريخ الأدب اليماني يزخر بالمئات والألوف أمثالهم !!

ألم يقل الرسول الأعظم، النبي العربي «ص» بان المعرفة الحكيمة مصدرها «اليمن»، حيث جاء في صحيح البخاري«٥» قوله «ص»«٣٦». «الحكمة يمانية».

ثم ألم يذكر العالم العراقي اللغوي الشهير «أبو عمرو ابن العلاء» عن شعر اليمن وأدبها بقوله «٥»«٣٧»«كادت اليمن ان تذهب بالشعر كله» !!

إلى ماهناك من أقوال ونقول وكلمات تدلل على رسوخ اللغة العربية وآدابها واشعارها الأولى في اليمن. وان اغلب مشاهير الشعراء في الجاهلية والأسلام في الجزيرة العربية والمغرب والأندلس، من جذور وفروع، يمانية ولولا ظهور الرسالة الأسلامية المحمدية في «مكة المكرمة»، و«المدينة المنورة» وبين قبيلة قريش، ونزول القرآن الكريم، في تلك البيئة وذلك المحيط أول مرة. لكان لليمن حديث غير هذا الحديث!! ولايخفى أن رسالة النبي العربي وقرآن ربه المبين، قد جاء لهداية العالم كله، وللعرب كلهم، وللأنسانية جمعاء!!

التعريف بالمحبي وكتابه نفحة الريحانة :

هو الأديب العالم الشاعر محمد أمين بن فضل الله ابن محب الله المحبي الحموي الدمشقي الحنفي«٣٨».

كانت ولادته بدمشق سنة ١٠٦١هـ/١٦٥٠م. وتوفي فيها سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م. عاش في فترة حكم بعض سلاطين الدولة العثمانية وهم:-

١) السلطان محمد خان الرابع : ١٠٥٨هـ/١٠٩٩هـ.

٢)السلطان سليمان خان الثاني : ١٠٩٩هـ/١١٠٢هـ.
٣) السلطان احمد خان الثاني : ١١٠٢هـ/١١٠٦هـ.
٤) السلطان مصطفى خان الثاني : ١١٠٦هـ - ١١١٥هـ.

من اساتذته :

تتلمذ اولاً على يد والده الشيخ فضل الله المحبيّ المتوفى سنة ١٠٨٢ه/١٦٧١م.

ثم أتصل بمجموعة من علماء بلده المعروفين المقيمين فيه، والطارئين عليه، ومن جملتهم : «٣٩».

١) إبراهيم الخباري المدني المتوفى سنة ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م. صاحب الرحلة المعروفة.

٢) إبراهيم بن منصور الفتال المتوفى سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م.

٣)شهاب الدين احمد بن محمد النخلي المكي الشافعي المتوفى سنة ١١٣٠هـ/١٧١٧م.

٤) احمد بن محمد بن عبدالوهاب الحلبي الحنفي المتوفى سنة ١١٠٥هـ/١٦٩٣م.

٥) حسين بن محمود العدوي الشافعي المتوفى سنة ١٠٩٧هـ/١٦٨٥م

٦) عبد الغني بن اسماعيل النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م.

٧) علاء الدين محمد بن علي الحصكفي الحنفي المتوفى سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م.

٨) محمد بن لطف الله العربي المتوفى سنة ١٠٩٢ هـ/ ١٦٨١م

٩) محمد بن سليمان الفاسي المغربي المالكي المتوفى سنة١٠٩٤ه/١٦٨٢م.

١٠) يحيى بن محمد بن عيسى النايلي الجزائري المالكي المتوفى سنة ١٠٩٦/١٦٨٤م.

وغير هؤلاء عدد وافر من الادباء والقضاة والوجهاء ممن تعددت بلدانهم ومشاربهم واتجاهاتهم الفقهية واللغوية والأدبية.

وقد تولع «المحبي» بالسفر وطلب العلم من منابعه ومناهله. وقام برحلات متعددة منها «٤٠»:

١) رحلة الى القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية ، التي كانت تعرف ببلاد الروم، ايام السلطان «محمد خان الرابع».

٢) رحلة الى الديار المقدسة، لأرض الحجاز لفرض الحج، والمجاورة في الحرمين الشريفين، والاتصال بعلماء المسلمين الوافدين لزيارة «مكة المكرمة» و«المدينة المنورة».. ولقد استقى معلوماته عن «اليمن» وأدبائه وشعرائه وشخصياته البارزة، أيام وجوده مجاوراً هناك قبل عودته لوطنه بلاد الشام.

٣) زيارته للديار المصرية، وتعرفه على جماعة من أهل العلم والفضل في «القاهرة»، والأفادة منهم ، ثم رجوعه لبلده. وهو في كل حالات الأقامة والسفر والقرب من أهله وخلانه وربوع آبائه وأوطانه، لم ينس يوماً فضل أساتذته، ولم يغفل واجب من أخذ بيده منهم، في طريق بحثه ودراسته!!

وكان يسجل مايراه، وينقل مايسمعه، ويستزيد من علم من يفيده ويرشده!! مع تواضع في الطلب، ولطف في التحدث، وسماحة في النفس وإيمان في القلب، وتحمل على المكاره، وتذليل للصعاب !!

من طلابه :

لاشك ان لمؤلف نفحة الريحانة الشيخ «المحبي» الكثير من الطلبه الذين أخذوا العلم عنه، وتلقوا المعرفة عن طريقه وهم متناثرون هنا وهنا ك وهنالك ، في ديار الشام والجزيرة العربية ومصر، ولعل منهم من العراق ، واماكن من الدولة العثمانية . غير ان ابرزهم الذي سار في دربه، وتتبع خطواته في التأليف هوتلميذه:«٤١»

١) الشيخ محمد بن محمد المحمودي السؤالاتي الحنفي العثماني، الذي كان حياً سنة ١١٣٤ه/١٧٢١م. وهو الذي جمع ورتب بعد استاذه «ذيل نفحه الريحانة».

٢) الشيخ محمد بن السمّان، الذي صنع ذيلاً آخر لنفحة أستاذه، وهو معاصر ولاشك لزميله الشيخ محمود بن محمود السؤالاتي الحنفي.

آثاره ومؤلفاته :

ترك «المحبي» رحمه الله - العديد من المؤلفات التي لها قيمة ادبية سامية، بما حوته من تراجم واشعار ونصوص نثرية فقدت اكثر مصادرها ومراجعها، ومظانها ، ونسيت اصحابها، لتقادم الزمن عليهم، ولعدم معرفة الناس بهم، فطوى ذكرهم مرور الأيام ،

وتعاقب ذوي السلطة والجاه من بعدهم من الملوك والرؤساء والحكام !!

ولقد خلف لنا مجموعة من الكتب ، التي لازال بعضها مخطوطاً منسياً، وبعضها الآخر مطبوعاً متداولاً ومن هذه المؤلفات المختلفة الأتجاهات العلمية والأدبية، واللغوية، التي عددها الاستاذ الفاضل الدكتور «عبدالفتاح محمد الحلو» محقق الكتاب في مقدمة «النفحة». نجد الكتب التاليه : «٤٢».

١) كتاب الأمالي - لم نره - وهو في الأدب.

٢) كتاب جنى الجنتين، في تمييز نوعي المتنين - وهو في النحو .. وقد طبع.

٣) حصة على ديوان المتنبي - ولم نره - وهو في الأدب.

٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. وهو في التراجم والسير وقد طبع في أربعة مجلدات في مصر منذ سنوات طويلة.

٥) الدر الموصوف، في الصفة والموصوف - ولم نره - وهو في النحو.

٦) ديوان شعره، وبعضه في «الخلاصة» و «النفحة» - ولم نره - مجموعاً قائماً بذاته.

٧) قصد السبيل، بما في اللغة العربية من الدخيل. ولم نره - وهو في اللغة لازال مخطوطاً . ولعله سار فيه على طريقة «الخفاجي» المتوفي سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م.

مؤلف كتاب «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» المطبوع قديماً في «الاستانة» سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م. مع درة الغواص في اوهام الخواص. «للحريري» البصري المتوفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م.

٨) مايعول عليه ، في المضاف والمضاف اليه. في الأدب واللغة ولم نطلع عليه.

٩) الناموس، حاشية على القاموس. في اللغة، لم نطلع عليه.

١٠) نفحة الريحانة، ورشحة طلاء الحانة، في التراجم والسير والأدب ، وقد طبع في ستة مجلدات في مصر بدار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ. وهو شقيق متمم لكتابه الآخر «خلاصة الأثر، في اعيان القرن الحادي عشر» ، الذي طبع في القاهرة لأول مرة سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م.

خطة الكتاب وحصة «اليمن» منه :

سار المؤلف على خطه ثمانية أبواب، وجعل لكل باب من أبوابه دربا يسير عليه من دروبه الثمانية ، وجاء بهذه الصوره «٤٣».

١) الباب الأول - عن محاسن شعراء دمشق ونواحيها.

٢) الباب الثاني - في نوادر أدباء حلب.

٣) الباب الثالث - في نوابغ بلغاء الروم «أي الدولة العثمانية».

٤) الباب الرابع - في ظرائف ظرفاء العراق والبحرين.

٥) الباب الخامس - في لطائف لطفاء اليمن.

٦) الباب السادس - في عجائب نبغاء الحجاز.

٧) الباب السابع - في غرائب نبهاء مصر.

٨) الباب الثامن - في تحائف أذكياء المغرب.

وكان مصدره عن اليمن والحجاز، ماسمعه مشافهة ونقله خطاً ومكاتبة، من الذين عايشهم واتصل بهم اثناء وجوده في بيت الله الحرام ، ومسجد الرسول الكريم «ص».

كما انه اعتمد على مجموعة من المؤلفات الأدبية والشعرية، والصوفية، والتاريخية لمؤلفين من بلاد اليمن، ومن بلاد الشام، وبلاد الدولة العثمانية، ومن هذه المؤلفات التي اعتمدها في «النفحة» «والخلاصه» «٤٤».

١) بعض مؤلفات الغزي.

٢) بعض مؤلفات البوريني.

٣) بعض مؤلفات الخفاجي.

٤) بعض مؤلفات البديعي.

٥) بعض مؤلفات الفيومي.

٦) بعض مؤلفات ابن معصوم المدني.

٧) بعض مؤلفات ابن أبي الرجال اليمني.

وغيرهذه المصادر التي سبقت أيامه وعاصرها.

عدد تراجم أدباء اليمن فيه :

أحتوى «الباب الخامس» من الكتاب على «٧٥» ترجمة، وردت من صفحة ٢٣٩ لغاية صفحة ٦٠٩ في المجلد الثالث وهي تتوزع بين حكام ، وفقهاء، وقضاة وأدباء، وشعراء ، احتضنتهم واخرجتهم مدن، وقرى ونواح

يمانية أمثال : صنعاء، وذمار، وتعز، والسحول، وكوكبان، ومخا، والوشل، وصعده، والشرف، والحيمة وحضرموت وغيرها من الأماكن

أسلوب المؤلف في طريقة عرض التراجم :

إن أسلوب «المحبي» وطريقته في التراجم، لاتختلف عن نهج كتابة العامة، التي امتازت بها مؤلفاته، فقد طغت عليها اساليب عصره، من الأطناب، والسجع والمزاوجة، والتقديم، والتأخير في الجملة، والاستناد على الشواهد القرآنية، والأحاديث النبوية والأمثال والأبيات الشعرية العربية. وذلك لحاجته للبرهان، والاقناع والأبانة والدليل !!

قال الأستاذ «الحلو» محقق «النفحة» عن اسلوبه «٤٦» فهو صاحب نثر فني يقارع به كتاب عصره، ويغلبهم على ماارادوا من سجع ملتزم، وازدواج يسيطر على أسلوبهم.»

واستمر يقول :

«تجد هذا واضحاً في صدر التراجم التي أثبتها لمعاصريه، في «خلاصة الأثر» وفي «نفحة الريحانة». كما نجده فيما دار بينه وبينهم من مراسلات ومحاورات. وبين لنا عن براعة «المحبي» في الشعر فقال :

«وكما برع المحبي في النثر، فقد ضرب بسهم وافر في الشعر، والنفحة مشحونة بمعارضاته، ومراسلاته للشعراء كذلك فقد اورد طرفاً من شعره في «خلاصة الاثر» ونحن الآن نورد «نموذجاً» مختصراً من نثره وبعض شواهد شعره «٤٧»

قال : «في الباب الخامس» في لطائف لطفاء «اليمن» مقدماً لتراجمه :

«حلية الأرض ونقش فص الأماني، الواصلون في الردع خصومهم بكل رقيق الشفرتين يمانيٍ.»

« مامنهم الا كتب المسند، وحدث من العلياء وأسند».

وإذا طاول المدى جياد الشعر في الميدان، مسحوا منه بغرة أبلق ليس له في حومة السبق من مدان.. وأردف قائلاً:

«الراسخون علوماً، البانخون حلوماً»

سموا للمعالي وهم صبية
وسادوا وجادوا وهم في المهود

ونالوا بجدهم جدهم
فان الجدود علاً للجـــدود

وختم قوله:

وقد سخر الله لهم الفصاحة حتى انقادت في أعنتهم، ووهبهم البراعة حتى عرفت في أجنتهم.

المختار من أعلام اليمن

في نفحة الريحانة:

إن التراجم اليمانية في الكتاب كثيرة، والقصائد والرسائل طويلة وقصيرة. لذا سأحاول تقديمها بصورة موجزة بحيث تعطينا الأطار العام لشاعرها، والتاريخ المختصر لناظمها وسأجعل لكل مقطوعة شعرية عنواناً لمضمونها، ورقماً متسلسلاً لصاحبها، مع الأشارة للمصدر أو المرجع الذي ترجم له، وعرف بحياته وآثاره إن وجد بين يدي!! (٤٨)

«١» علي بن اسماعيل بن القاسم

التعريف بشخصيته الأدبية:(٤٩)

هو الشاعر اليماني علي بن اسماعيل بن القاسم بن محمد بن علي ولد سنة ١٠٥٠ هـ/ ١٦٤٠م. درس العلوم العربية والدينية على والده - تولى أعمالاً إدارية. وقد توفي بتعز سنة ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٤م.

وصف آثاره وأدبه صاحب (النفحة) فقال:

«له عيون آثار أزهى من الخدود إذا اعتراها الخجل، ومحاسن أشعار تستوقف صاحب المهم وهو في غاية العجل» !! «الى الفاظ كأنها لآلىء في درج، أو كواكب في برج»

«ومعان كأنها راح في زجاج، أو روح في جسم معتدل له مزاج»

ترجمه صاحب «حديقة الافراح» النشرواني

وترجمه كذلك (المحبي) في خلاصة الآثر.

مقتطفات من شعره:

نورد بعض الزهيرات الجميلة من شعره، بعد أن قطفناها من روضة أدبه ولحسنها، وطرافة معانيها، ورقة الفاظها جعلتنا نختارها، مع أنه لايختلف عن باقي شعراء عصره، الا بقوة سبكه وسعة خياله. لأن أغلبهم قد طغت على أشعارهم المحسنات البديعية وكثرة

التشبيهات المفرقة بالأردية اللفظية!!

١ - إن كتمان الهوى داء القلوب!! «٥٠»

جذّبي الشوق الى الظبي اللعوب
فتصابيت به وقت المشيب

رشأ مدمن هجري لم يزل
قلبي المشتاق منه في وجوب

يا أخلائي بها تيك الربى
وأصيحابي بذياك الكثيب

مذ نأيتم قد جفاجفني الكرى
وفؤادي والتسلي في حروب

خانني صبري وأوهى جلدي
حب ذات الدل والثغر الشنيب

آه كم اكتم في القلب الجوى
والى م الصبر عن لقيا الحبيب

لاح لي ياعاذلي كتم الهوى
ان كتمان الهوى داء القلوب!!

فاطرح لومي فاني مغرم
وأشع ماشئت عني يارقيبي

وقال:

انا من قوم إذا ما غضبوا
أطعموا الأرماح حبات القلوب

وهم في السلم كالماء صفا
لصديق وحميم وقريب

فهم فخري وفيهم قنوتي
وبهم نلت من العليا نصيبي

وبفضل الله ربي لم أزل
في مراقي العز والعيش الرطيب

ليس لي الا المعالي أرب
فعلى كاهلها صار ركوبي

إن دعا داع الى غير العلى
لاتراني لدعاه من مجيب

٢- محمد بن عبدالله بن شرف الدين:

التعريف بشخصيته الأدبية:(٥١)

هو الشاعر عز الاسلام محمد بن عبدالله بن شرف الدين ولد في كوكبان، وتوفي في سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧م وله ديوان شعر جمعه الأديب عيسى بن لطف الله بن المطهر له شعر رقيق لطيف يمتاز بجمال الصورة وصدق العاطفة جمع بين الحكمة والأدب وطلب المعرفة والعلم.

ترجمه صاحب (البدر الطالع) الشوكاني. وعرف بأشعاره ونثره وأخباره مؤلف (خلاصة الأثر) و (نفحة الريحانه). ولقد تميز عن غيره من أبناء عصره وفنه، انه جمع بين النثر والشعر قال عنه (المحبي).

«ماء الفصاحة لايجري في غيرناديه،وينابيعه لاتتدفق إلامن أياديه.»

«كم حبر الطروس ففضحت أزهار الرياض، وحكت على الابصار فلم تر أحسن من ذلك السواد والبياض. وكانت بينه وبين والده العالم الأديب الحاكم مراسلات ومكاتبات تضم رائق الاشعار وبديع النثار»

زهرات من شعره:

له شعر كثير، وقصائد وجدانية اخوانية وكلها تشير الى حسن شمائله، ومن روائعه. قوله:

٢ - أقول أنت بحالي ياعليم ترى !! (٥٢)

ياراقد الليل لم يشعر بمن سهرا
أسهرت عيني فعيني لاتذوق كرى

تنام عيني وأجفاني مؤرقة
عبراء ما مرها نوم ولاعبرا

سلبت عقلي وأودعت الهوى كبدي
يامنيتي وملكت السمع والبصرا

فانثني واضعاً كفاً على كبد
حرى وكفاً يكف الدمع حين جرى

يدني لي الوهم غصناً منك أعشقه
حتى أكاد أناجيه إذا خطرا

وأرفع الكف أشكو ما أكابده
أقول أنت بحالي ياعليم ترى

أدعو إذا جنني ليل ولي مقل
تفيض دمعاً وقلب ذاب واستعرا

لا وآخذ الله من أهوى بجفوته
ولاملا مثل قلبي قلبه شررا

ومنها قوله:

رق النسيم لتبريح الصبابة لي
لما انثنى ذيله من أدمعي خضرا

والبرق شق جيوب السحب عن كبدي
والرعد حن وأبكى دمعي المطرا
ياصاحبي إن لي سراً أكاتمه
أخفيه من نسيم الريح حين سرى
إن كنت تضمن لي الاتبوح به
سمعت من سري المكنون ما استترا

ومنها:

بدر على غصن بان في محبته
أكاد أعشق غصن البان والقمرا
أقبّل البدر من عشقي لمبسمه
لما رأيت ثنايا ثغره دررا
والنرجس الغض غضّ الطرف حين رنا
واحمرّ ورد الربى من خده خفرا

ومنها

يا ايها القمر الساري إذا خطرت
اليك عيناه واستحلى بك السمرا
أبلغه يابدر قل مضناك أودعني
اهدى اليك سلاماً طيباً عطرا
يمسي سميري ويبكى من صبابته
شوقاً اليك ويرعى الأنجم الزهرا
عسى أخوك إذ خبرته خبري
يرثى لحالي فحالي شجومن نظرا

«٢» الحسين بن عبد القادر بن الناصر

التعريف بشخصيته الأدبية (٥٣)

من شعراء اليمن المجيدين المكثرين المبدعين - كانت له رئاسة، وكياسة، ومكارم، وفواضل. كما نعته بذلك من ترجمه كصاحب (البدر الطالع) و(حديقة الافراح). هاجر من بلده (الى مكة المكرمة) لأمور تتعلق بقضايا أسرية وسياسية. وبعدها عاد لموطنه ومات (بشبام) ودفن بترابها سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠م.

وقد وصفه (المحبي) في نفحته مشيداً بشاعريته وأدبه فقال:

(له في الأدب فرائد شنف بها آذان الزمان، وأطلعها أشف من قلائد العقيان، وعقود الجمان. وهو كشأن بقية أبناء جيله وعصره يحاول معارضة من سبقه وعاصره من الشعراء ويتكلف الكتابة المسجوعة، في رسائله ومطارحاته ومكاتباته: مقتطف من شعره: (٥٤)

من رقيق أبياته، ومن بديع تصويراته هذه القصيدة التي أظن أن الشاعر الكبير (أحمد شوقي) أمير الشعراء الذي جاء بعده بسنين طويلة، قد قرأ بعضاً من فرائده في المصادر الأدبية، فتأثر بها، أو هناك توارد خواطر بينهما وخاصة في قصيدة (شوقي) ياجارة الوادي* !! بحيث ان الشاعر اليمني يقول في هذه القصيدة:

أنكرت عيناه قتلى وعلى
وجنتيه من دمي نضح ونصح
بدمي قد شهدت وجنته
ولطر في ويحه في تلك جرح

والشعراء غالباً يتواردون الخواطر، أو يأخذ الواحد منهم مايستحسنه من الآخر !!؟ فيلبسه لباساً جديدا أو يعطيه معنى فريدا!!

٢ - قصيدة الحسين بن عبد القادر بن الناصر: (٥٥)

رب جد جره للمرء مزح!!

لفؤادي في الهوى كد وكدح
ولطرفي بالدماسح وسفح
ياأخا التحذير أغريت وكم
مغرم أغراه من قدراح يلحو
عاذلي كن عاذري في حب من
فرقه مع فرعه صبح وجنح
ظالم ماً واه في قلبي وما
لنوي الظلم من النيران برح

ومنها:

كلما ماس تغنى حليه
فاذا للورق فوق الغصن صدح

---

*لعل الكاتب يريد بهذه الاشاره قصيدة شوقي: مضناك جفاه مرقده

والتي تقول أبياتها:

جحدت عيناك زكي دمي
وكذلك خدك يجحده
قد عز شهودي إذ رمتا
فأشرت لخدك أشهده

أنكرت عيناه قتلي وعلى
وجنتيه من دمي نضح ونصح
بدمي قد شهدت وجنته
ولطرفي ويحه في تلك جرح
ليت شعري هل لقلبي سلوة
عنه كلا ما لهذا الباب فتح
لايطيب العيش الا للذي
لم يكن في طرفه ماعاش طمح
فعذ ابي أصله من نظرة
رب جد جره للمرء مزح

((٤)) الحسن بن الناصر المهلا الشرفي

التعريف بشخصيته الأدبية: (٥٦)

من العلماء والشعراء اليمانيين، نشأ في بيت علم وتقى وأدب. كان له النظم الرائق، والنثر الجميل والخط البديع، درس علومه على نخبة من أهل بيته منهم: والده وجده، وأخوه الشاعر الأديب العالم الذي مات شهيداً سنه ١١١١هـ/١٦٩٩م وهو الحسين بن الناصر الشرفي.

وكان للحسن مطارحات ومساجلات وقصائد يكاتب بها أخاه توفي سنه ١٠٨٩ بصنعاء المصادف ١٦٧٨م قال عنها صاحب (النفحة)

(كل منهما غيث في كرم وليث في حرم
طوقا اليمن نبلاً ومجدا وصبابة ووجدا
وكانا يتهاديان شعرا فيتنافثان سحرا)
وشعرهما مثقف المباني مرهف كالحسام اليماني
ترجمهما صاحب (البدر الطالع) و (خلاصة الأثر)

أزهار من شعر الحسن الشرفي

٤ - فما العلم بالأسواق بالمال يشترى (٥٧)

كتب اليه شقيقه الشاعر الحسين الشرفي قصيدة يعاتبه فيها وجعل أول كل بيت منها حرفاً من حروف المعجم ومطلعها.

أذاب فؤادي بارق الغور إنسرى
بنفحة مسك من حدائقها شرى
عليك سلام الله ماانهلت السما
بودق على روض أريض فأزهرا

فأجابه أخوه الشاعر (الحسن الشرفي) معارضاً لقصيدته، وسار فيها على طريقته في مواكبة (حروف الهجاء) من الالف الى الياء !! ونحن نورد بعضها، ونقتطف من روض زهرها !!

قال رحمهم الله جميعا:

أسر إذا حققت في النوم معشرا
وتكثر افراحي إذا كان اكثرا
بناء على أن أمرءاً باد عمره
إذا كان في غير العلوم تكثرا
تبينت آن العز في العلم والعلى
وأن تجار العلم هم خيرة الورى
ثنائي عليهم لاعلى كل مهمل
يجانبهم ممن عتا وتجبرا
جنوا ثمراً من روض كل فنونه
واعطاهم الرحمن حظاً موفرا

ومنها

سما من له العلم الشريف وسيلة
وما فاز ذو جهل وخاب من افترى
ضجيع كتاب لايفارقه ولا
يرافق الاعالماً متبحرا

ومنها:

مدى الدهر لاتبرح على الدرس عاكفا
فما العلم في الأسواق بالمال يشترى
نبيك لم يترك العلم فأغتنم
وراثته بالدرس عن سيد الورى

وختمها بقوله:

عليك سلام الله ماذرشارق
وأسار ذو عزم لعلم وماسرى

(٥) جعفر بن مطهر الجرموزي

شخصيته الأدبية: (٥٨)

من شعراء (البدر الطالع) و (نفحة الريحانة) وهو من أسرة عرفت بالرئاسة، والكتابة، والشعر، والأدب، عاش في منطقة (العدين/ وتولى إدارتها. ومات فيها في حدود سنه ١٠٩٦ هـ/ ١٦٨٤م.

وصف المحبي/ شعره فقال عنه:

له شعر كنور الأقاح، كاد أن ينفتق، أو كنور

الأصباح همَّ أن ينفلق)

«فهو طيار الصيت في الآفاق، سيار الذكر بين الرفاق» ولاندري ونحن اليوم نعيش في أواخر القرن العشرين مدى تطابق هذا القول، مع الواقع!! غير أننا لاننكر حسن الديباجة الشعرية وطول النفس في قصائده وهو يكثر من التضمين والاقتباس، والبديع، والكناية ،ويدور كثيراً في فن الغزل، والمديح.

المقتطف من شعره(٥٩)

ومن قصائده اللطيفة، وقد جاءت في المدح، نقتبس مقاطع من غزلياته التي قدم بها شعره كعادة الشعراء القدامى عندما يمدحون، يفرشون مداخل قصائدهم بأبيات رقيقة ناعمة، تعبر أحياناً عن وجدانهم وعواطفهم قال رحمه الله.

٥ - ما أعز النوم للصب الكئيب: (٦٠)

هكذا شرط الهوى سلب القلوب
وشروق الدمع من تلك الغروب
وجوى نامٍ وصبر ناقص
وزفير قد تعالى بنحيب
وجفون قد جفت طيب الكرى
ما أعز النوم للصب الكئيب
مالعذري الهوى عذر وقد
لاح كالصبح سنا وجه الحبيب
أهيف مهما تثنى أورنا
ياحياء الظبي والغصن الرطيب
شادن كالظبي يرعى أبداً
في رياض الحسن حبات القلوب
ساحر الألحاظ فتاك الرنا
شفقي الخد حُقي الكعوب
لوراَه عاذلي ماعادلي
سلب الصبر عن القلب السليب
قَصّر اللوم عذ ولي في الهوى
وأفق بالله عني يارقيبي
أنت لاتبرح تلقى نصباً
في حبيب هو في الدنيا نصيبي
وعلى اية حال فاسترح
يارقيبي إنه غير قريب
هو مثل البدر بعداً وسناً
وجمال الملك معدوم الضريب

٦- بدر الدين محمد بن الحسن الحيمي

التعريف بشخصيته الأدبية:(٦١)

شاعر أديب، قاض، من أهل قرية (الحيمة) باليمن ويلقب بالكوكباني ، كذلك ترجمه صاحب (البدر الطالع) نشأ في بيت عز وأدب ومعرفة، كان والده عالماً حاكماً شاعراً مقلاً.

وصفه صاحب (النفحة) فقال عنه:

«فصل لأدب، بدائع فصول، فضل (القاضي الفاضل) عندها فضول،وأتى بفرائد منظوم ومنثور، يستهجن لديها كل منقول ومأثور كانت له صلات أدبية وأخوية مع الشاعر يوسف بن علي الهادي الكوكباني الصنعاني. مؤلف كتاب (طوق الصادح المفصل بجوهر البيان الواضح) وله ديوان اسمه (محاسن يوسف) توفي سنه ١١١٥ هـ / ١٧٠٣م. أما زميله شاعرنا (بدر الدين الحيمي) فقد توفي في نفس العام سنة ١١١٥ هـ/١٧٠٣م وكلاهما شاعر ان تذللت لهما القوافي، وأزدانت بصناعة أشعارهما الطروس!!

نموذج من شعره:

٦ - وما الحب إلا مايرى سره جهرا (٦٢)

أعد من حديث السالفات لنا ذكرا

فلله ما أحلاه دهراً وان مرا
وكرر على سمعي قديم حديثه
وقل إن تدره ما الذ وما أمرا
وياساجعات الورق لاهزك الهوى
كما اهتز غصن في الربي بعد ما أخضرا
ولاخضبت منك الأكف بعندم
كدمع جرى من أسود الطرف محمرا
ولا صفقت منك الجناحان صبوة
الى أفرخ في شاهق أو دعت وكرا
إذا لم تبثي ماكتمت من الهوى
وأحسنه ماطابق الخبر الخبرا
جفاك خليل أم نبابك منزل
فما بيننا ياورق أن تكتمي سرا

وما أنت بدع في غرام ولوعة
وما الحب إلا ما يرى سره جهرا

ومنها:
أبي الحُب إلا أن أكون له أخاً
شقيقاً ولو أني أشق به الصخرا
فما لدموعي لا تنظم عسجداً
إذا عجزت في الحب أن تنثر الدرا
بحب رشا ما خامر العقل حبه
وأغراه إلا خلته خامر الخمرا
له مقل ان حل عقد نقابها
فقد حللت قتلاً وقد عقدت سحرا
إذا ما انتضى منها سيوف لحاظه
فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى

ومنها:
إذا مابدت للطرف غرة وجهه
رأيت بها الشمس البهية والبدرا
وأعجب من ذا جنة في خدوده
فشاهد بها الماء والنار والزهرا
وأعجب من هذين يكسر جفنه
عليّ وما ضميت من قده خصرا

فأجابه صديقه الشاعر (يوسف الكوكباني) وهو «القاضي الأديب والشاعر المجيد» بقصيدة معارضاً الأولى:

وجاء في مطلعها قوله:
خذا إن رنا من سحر مقلته الحذرا
فاي فؤاد لايبيت به مغرى

وضمنها قائلا:
فتى عمر الدارين بالجود والتقى
واحرز من دون الورى الفخر والاجرا

٧- صفي الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال العمري

التعريف به وبأدبه:- ٦٣

عالم، مؤلف، بياني، شاعر، كاتب، مفسر، من جهات (الأهنوم) باليمن. إشتهر بدروسه ومحاضراته بصنعاء، وشهارة، وصعده. تلقى العلم من مشاهير علماء عصره وأدبائه من القرن الحادي عشر الهجري.

ومن أساتذته: المؤيدي، وإبن دريب، والسحولي. وغيرهم. توفي في (صنعاء) سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١م.

ترجمه صاحب (البدر الطالع) و(خلاصة الاثر) و(حديقة الأفراح) ووصفه المحبى في (النفحة) فقال عنه (رأس مهرة علوم اللسان، وناسج صنعاء الحلل الحسان).

(له التاريخ الذي أبدع فيه وأغرب، وأطرب بحسن تعبيراته حد أطرب !!

(له أدب دار به من رحيق البيان معتقه، وملأ الأكمام من زهر روضه مفتقه.

(يأخذ الحق ويعطيه، ويرمي الغرض فلا يخطيه)

(ألف كتاباً أسماه (مطلع البدور ومجمع البحور) من تاريخ اليمن ورجاله. ولم نطلع عليه، ولعله من المخطوطات التي تزخز بها خزائن ديار الاخوة اليمانيين ومساجدهم وبيوتهم !!

من روائع شعره:

٧- قال من قصيدة صور فيها (روضة صنعاء) الشهيرة في زمنه جاء فيها:

زهر فائق وظل ظليل !! ٦٤

روضة قد صبالها السعد شوقاً
قد صفاليلها وطاب المقيل
جوها سجسج وفيها نسيم
كل غصنَ الى لقاء يميل
صح سكانها جميعاً من الدا
ءوجسم النسيم فيها عليل
إيه ياماء نهرها العذب صلصل
حبذا يازلال منك الصليل
إيه ياورقها المرنة غني
فحياة النفوس منك الهديل
روض صنعاء فقت طبعاً ووصفا
فكثير الثناء فيك قليل

ته على الشعب شعب بوان وافخر
فعلى ماتقول قام الـــدليل
نهر دافـــــق وجو فتيق
زهر فائق وظل ظلـــيل
وثمار قطافهـــا دانيـــات
يجتنيها قصـــيرنا والطويل
لست أنسى ارتعاش شحرور غض
طرباً والقضيب مـــنه يميل
وعلـى رأس دوحة خاطـــب الور
ق ودمع الغصون طلاً يسيل
ولسان الرعود تهتف بالسـحـ
ـب فكأن الخفيف منها الثقيـل
وفم السحب باسم عن بـــروق
مستطير شعاعها مستطيـــل
وزهور الربى تعجب مـــن ذا
شاخصا طرفها المليح الجميل
فانبرت قضبها تراقـص تيهاً
كخليل سقاه خمراً خلـــيل
وعلى الجو مطرفي الغم ضاف
وعلى الشط برج انس أهيل
فاستمر يصف اصحابه فيقول :
فيه لي رفقةٌ رقاق الحواشي
كادلين الطباع منهم يسـيل
وهم في العلى أشد من النبـع
إذا حل في الخــطوب الجليل
أريحيون لو تسومهم النفس
لجابوا فلـــيس بخـــيل
نتهادى من العلوم كـــؤوساً
طيبات مزا جها زنجـــبيل
وغوان من المعاني كـــعاب
ريقها عند رشفه سلسبـــيل
طاب لي رأدها وطاب ضحاها
كيف أسحارها وكيف الأصيل

ولما اطلع على هذه الرائعة الشاعر اليماني الآخر محمد بن إبراهيم السحولي، القاضي الصنعاني الخطيب المتوفى سنه ١١٠٩ هـ/ ١٦٩٧م. عارضها بقصيدة جاء في مطلعها قوله:

لازال وجه الحجال الجميل
ولها منه غرة وحجول
وختمها بقوله:
كم خلاف عنه له ثمرات
قد حواها جميعها المحصول

٨ الحسين بن علي الوادي

التعريف بشخصيته الأدبية:(٦٥)

أديب، شاعر رقيق المشاعر، حلو الشمائل، لطيف المعشر، له نفس في قول الشعر، مع براعة فيه .
ينسب الى احدى وديان اليمن ولعله (وادي بنا). ترجمه (المحبي) في خلاصة الأثر، و (الشرواني) في حديقة الافراح ورد وصفه في (الريحانة) بهذه الصورة:
هو في الفضل صاحب مزايا بوادي، وأما في الآدب فان شئت عده من عذبات وادي.
يجاذبه نسيم اللطف من هنا وهنا، وإذا ساقط فلا يساقط إلا رطب جني.
وقد أثبت من شعره مايحرك العذب، ولم يسمعه صب إلا واليه أنجذب.
توفي سنه ١١٧٦ هـ /١٧٦٢م بالجبي - وهو حصن عال من بلاد ريمة في اليمن.
لايختلف شعره كأخوانه الشعراء في عصره من حيث حب الطبيعة، ووصف الجمال، ورقة الطبع، والسير في عالم الشعر، وصناعة النثر!!

أقباس من نظمه

٨ - وفتنة نفس المرء شيئ مقدر !!(٦٦)
جاء من قصيدة وصفية غزلية من أشعاره الحالمة المعبرة عن ذاته، المصوره لدنيا الحب في حياته قوله:-

نسيم الصبا في سرحنا يتبختر
لك الله ماهذا الأريج المعنـــبر
أأنت رسول يانسيم الصـــبا وعن
حلول الحمى أم أنت عنهم تبشر
فهمت الذي أودعته غـــير أنني
أحب حـــديثاً منهم ينكــــرر
لما ألفته النفس منهم وعـــودت
والا فعلم الغيب لا يتقد ر

فكرر على سمعي أحاديث ذكرهم
على تنطفي نار بقلبي تسعر

هم استصحبوك السر بيني وبينهم
لانك أبدى بالجميل وابدر

واستمر يصف محبوبه بقوله :
وأبلج اما الخدمنه فاحمر
واما قوام القد فيه فاسمر

واما ثنايا ثغره حين يجتلى
فكأس جمان فيه خمر وكوثر

وفي خده خال يقولون انه
بلال له في جامع الحسن منبرُ

ومنها :
شكوت له من فترة في جفونه
لشدة ماالقى بها حين تفتر

وما انا فيه من هوى وصبابة
تبيت بها الأحشاء تطوى وتنشر

فافصح عن لفظ توهمتُ انه
جمان من الثغر الجماني يبهر

وقال نعم هذا لعيني مذهب
وفتنة نفس المرء شيء مقدرُ

ومنها :
فلله ازمان تواصل يومها
بليلتها والعمر كالعيش اخضرُ

وليل عهدناه وان كان اسوداً
كشعر الصبا يشكو سواداً فيشكرُ

واحباب قلب ليس إلاّ هم المنى
صفاء ودادي فيهم لايكدرُ

دلائل عشقي في هواهم صريحة
ومعرفتي في حبهم ليس تنكر

ربحت هواهم في زمان شبيبتي
وشبت فلن ارضى باني اخسر

فلا تنكروا ان ارسل الجفن دمعة
وقد جاء في رأسي من الشيب منذر

ويعقوب أحزاني ويوسف فتنتي
وصالح اعمالي عساني أوجر

وختمها قائلاً :
خليلي عهد الله إن جزتما الحمى
وعاينتما قلبي ببيداء يجارُ

فدلا عليه جيرة الحي واذكرا
لهم من حديث الصب مايتيسر

٩ - علي بن محمد بن ابي بكر الحكمي :

التعريف بشخصيته الأدبية :«٦٧»

شاعر، اديب ، كاتب، من اسرة «بني مطير» في اليمن ترجع جذوره العربية الى سعد العشيرة، ومذحج. عرف بعض أفراد اسرته بالعلم والادب والفقه.

عاش ومات «بعبس الحضن» من المخلاف السليماني باليمن سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م.

من اساتذته :

الأمين بن ابراهيم بن مطير، وابوبكر بن ابراهيم بن مطير، وعبدالسلام النزيلي.

ترك بعض المؤلفات ، من مجموعة كبيرة من تآليفه منها: ١) الأتحاف ٢) مختصر التحفة٣) الديباج على المنهاج ٤) كشف النقاب بشرح ملحة الاعراب - لمؤلفها السابق لعصره صاحب المقامات «ابو محمد القاسم الحريري» المتوفى سنة ٥١٥هـ/ ١١٢٣م.

وصفه «المحبي» بقوله في نفحة الريحانة :

له مقدار خطير ، وأدب كانه روض مطير،

«من بني مطير الذرية المختارة، والكواكب الدرية السيارة»

ومن الذين اشاروا اليه وذكروه صاحب «ملحق البدر الطالع» ومؤلف «خلاصة الأثر».

من بدائع أشعاره :

خير الخلائق قاصيهم ومن قربا :«٦٨».

ننقل اليوم مختارات من قصيدة «نبوية» مدح بها رسول الرحمة محمد «ص» ، قال رحمه الله :-

متيم إن سرت ريح الشآم صبا
ومستهام إذا مرت عليه صبا

ونو شجون وما غنت مطوقة
تبكي على الإلف الا دمعه سكبا

وان تذكر أياماً له سلفت
مع الأحبة في اوطانهم جذبا

روى الربيع مغانيهم ومربعهم
وعمم الغيث منها السهل والحدبا

وأزهر الروض منها والحمام غدت
مغردات عليه تمتطي العذبا
وكلما رام يبغي نحوهم طرقا
يعمى السبيل عليه اينما ذهبا
سجان من نفذت فينا مشيئته
فما يسهل له يسهل وماصعبا
مازلت أقرع أبواب الرجا ورجا
نفسي تفوز بجود شامل وجبا
وعمني الله بالاحسان مرحمة
فضلاً من الله لافرضاً ولاسببا
ومنها :
وان تغلقت الأبواب عن أملي
قصدت جاه الذي فاق الورى رتبا
فهو الذي ملأ الأكوان اجمعها
نوراً وفتح فينا الشخص والحقبا
يامن على فوق متن للبراق ربا
خير الخلائق قاصيهم ومن قربا
ومنها :
وكم معاجز لاتحصى بعثت بها
عنها نجوم المعالي ضمنت كتبا
ياسيد/ الخلق يامفتاح يوم غد
تولي الشفاعة يوم الحشر اذ صعبا
أنت الذي يوم بعث الخلق شافعنا
سبقاً وأثبتهم إذ الزموا رهبا

وهذا النفس الشعري والمدائح النبوية لرسول الله «ص» وأهل بيته وصحابته «رض» فيض زاخر من الشعر الخالد !! لدى شعراء اليمن وغيرهم

١٠- احمد بن احمد الآنسي -

شخصيته الأدبيه :«٦٩»

شاعر من دوحة عرفت اغصانها الوارفة بالشعر والادب، في مختلف فنونه وأغراضه ، ومراميه توفي سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م، نشأ في «صنعاء» واتصل برؤسائها وأمتدحهم. عرف بحدة الطبع ، وسرعة التقلب والهوى، والتنقل مابين موطنه والحجاز . حيث التقى بمؤلف «نفحة الريحانة » بمكة المكرمة ، ومدحه «الآنسي» بقصيدة طويلة ذكر فيها اسماء كتب ادبية مشهورة «للمحبي»ولغيره مطلعها :

لشمس المعالي والبلاغة اشراق
وللنظم من بعد التقيد أطلاق

ترجمه مؤلف «البدر الطالع» و«حديقة الأفراح» ومصادر أخرى .

وصف شخصيته محمد امين «المحبي»، في«نفحته» فقال عنه :

«لقيته بمكه يصطبح الحظ ويغتبق، وثناؤه مابين أدبائها عبق.

«وعندهم اشعاره ناطقة بتبريزه، وأستيلائه من معدن الأدب على أبريزه».

«وأما عشرتي معه فمازلت اذكرها ، وبلسان الأخلاص احمدها واشكرها.

وردة من روضه :

١٠) مناهل عذبت فيها الروايات :«٧٠»

من قصيده انشدها لصديقه وزميله في الأدب «المحبي» وهما في جوار«الكعبة المشرفة » جاء فيها قوله :

في عبرتي لك من وجدي عبارات
وفي الكنايات عن وصفي اشارات
بديع حسنك يامن لانظير له
مافيه للواله المضنى مراعاة
فطرفه في انسجام من مدامعه
وقلبه فيه للوجد استعارات
مستخدماً لك لكن ماكتفيت به
بئس الجزا منك في الشرط الأساءات
ومنها :
يطوي وينشر قلبي من ثنيته
برق له من ثناياك أبتسامات
ياغاية السؤل شرحي في الغرام غدا
مطولاً ماله فيه نهايات
حديث وجدي قديم والمعاهد لي
فيها الشواهد تملي والمقامات
أنت الشفاء ومابين الشفاه له
مناهل عذبت فيها الروايات
عساك تسمح لي بالوصل منعطفاً
فكم لعطفك ياغصن إنعطافات

بيني وبينك في التشبيه تسوية
لولا اختلاف به نفضي الصبابات

وهانحولي شبيه الخصر منك وعن
سقام جفنيك اخباري صحيحات

ولؤلؤ الدمع مني حين اسكبه
تحكيه منك الثنايا اللؤلؤيات

ونار خدك في قلبي لها لهب
لولا عذارك من حوليه جنات

ومنها :
روحي الفداء لبدر إن سرى فله
في الطرف والقلب ابراج وهالات

نهاية المطاف
وآخر الجولة : «٧١»
هؤلاء الادباء الشعراء العلماء هم بعض من ترجمهم مؤلف «نفحة الريحانة» .. والذي كتب بصورة أخرى تراجمهم في «خلاصة الأثر».
وجاء من بعده من ساروا بدربه، واقتطفوا الازاهر من رياض أدبه .

وهناك جماعة آخرون ذكرهم (المؤلف) وأعطانا نصوصا من أشعارهم ودواوينهم ورسائلهم ومؤلفاتهم، ولكننا لم نطلع الآعلى القليل منها، أو نعرف أماكنها اليوم أو في مكتبات العالم الأوربي، الذي استولى عليها او اقتناها قوة أو غفلة، أو سذاجه.. من الذين دفعهم الفقر ، أو الخوف، أو القوة، أن يفرطوا بها. ولعل في نهضة (اليمن) الشقيق الآن - مايبعث الحياة في المحفوظ الباقي النافع، ليعيد إليه الحياة، والنشور، والحركة والنور. نور العلم والاداب وحركة التجدد والبقاء والتطور والخلود.!!

إن أول من ترجم لهم (المحبي) في الباب الخامس - من المجلد الثالث من كتابه هم (بنو القاسم الحسني) - وآخرهم من أبناء (آل الأنسي). وهناك أسر ذكرهم وقدم لعشاق الأدب والشعر بعضاً من نتاجهم أمثال (٧٢) (آل الحجاف) و (آل الشرفي) و (آل الجرموزى) و (آل المرزوقي) و (آل الضموي)، و (آل شرف الدين) . و (آل الوشلى) و (آل باكثير) و(آل الحصبل) و (الحميري) و (آل النعمي) وغيرهم.
ان الظواهر الأدبية الشعرية لهؤلاء الذين ذكرناهم ولعصرهم، هم في الاغلب من القرن الثاني عشر، ومن نهاية القرن الحادي عشر الهجري ويتجلى للناقد لآثارهم الشعرية، ولطابعهم العام في خصائص الشعر اليماني يو مذاك الملامح التالية (٧٣) :
١) حبهم للطبيعة والتغزل بجمالها وذكرها بقصائدهم واسماء مؤلفاتهم.
٢) إختيارهم للألفاظ المرنة الموسيقية الناعمة، والكلمة الحلوة.
٣) تعلقهم بصور البديع وطراز التشبيه والكناية.
٤) سلامة لغتهم العربية وقوة بنائهم الشعري.
٥) تاثرهم بتراث الأمة العربية ومحاولة معارضة من سبقهم من الشعراء، أو الأقتباس والتضمين ممن تقدم عليهم من الادباء.
٦) تمسكهم بالصلات الروحية، والمحلية، وبالمراسلات الأدبية، والمجالس العلمية، والصداقة الروحية.
٧) كثرة أما ديحهم، لذوي الحكم والجاه والسلطان والعلم.
٨) مقاومتهم لكل دخيل طارق معتد.
٩) إعتزازهم بتربة وطنهم، ومحبة مدنهم، وقراهم.
١٠) رقة شمائلهم، وحسن اختيارهم لمؤلفاتهم ومفرداتهم الشعرية. وهناك الكثير من الجوانب التي يحتاج لها دراسة نقدية منفردة هذا ولهم منا المحبة والتحية والأعجاب .

الهوامش :
١) أديب، شاعر مؤلف. له كتاب (نفحة اليمن) وحديقة الافراح توفى سنة ١٢٥٣ هـ كتبنا عنه دراسة في مجلة (افاق جامعية) العدد /٤ س/٣ لسنة ١٩٧٩
٢) شاعر معاصر من سورية. كانت له خزانة مخطوطات. وله مجموعة شعرية. وولع بنظم الأناشيد ومحبة الموسيقى ومن مؤلفاته: (تاريخ يتكلم) و(قلب يتكلم).
٣) راجع دراستنا عن شاعر يماني عثرنا على مخطوطة ديوانه في مكتبة الحرم المكي الشريف - وهو الشاعر (يحي / الجحاف) ونشرناها في مجلة (العرب) الرياض - العدد/١٠ س/ ٥ لسنة ١٩٧١ وماكتبناه عن العالم الشيخ محمد بن محمد زباره في (آفاق جامعية) العدد/٦ س/السنة ١٩٧٨ . وما درسناه لديوان (ترجيع

الأطيار بمرقص الاشعار) للآنسي. في مجلة (التراث الشعبي/بغداد. العدد/ ٧س/٩ لسنة ١٩٧٨ . وغيرها من الدراسات والاشارات عن (اليمن).

٤) البدر الطالع – للشوكاني. العالم اليماني الصنعاني الشهير المتوفى سنه ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤م وله كتاب آخر هو (نيل الاوطار من أسرار منتقى الأخبار).

٥) حديقة الافراح – كتاب أدبي للشرواني اليمني وطبع عدة طبعات من أحسنها طبعه (بولاق) سنة ١٢٨٢ هـ.

٦) هارون بن علي المنجم – من ادباء ومؤلفي العصر العباسي توفي سنه ٢٨٨ هـ/ ٩٠٠ له كتاب (البارع) في التراجم كتب عنه وعن اسرته الدكتور يونس أحمد السامرائي مجلة المجمع العراقي ج/٢ المجلد/٣٧ سنة ١٩٨٦ ص /٢٣٨.

٧) ابو منصور الثعالبي، عالم، أديب – من رواد التراجم بحسب البلدان له العديد من المؤلفات. توفي سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م راجع عنه (الأعلام) و (معجم المؤلفين) وغيرها من المراجع.

عنه العديد من الكتب والدراسات.

٨) الباخرزي – مؤلف كتاب (دمية القصر) والمتوفى سنة ٤٦٧ هـ/١٠٧٤م راجع عنه (الأعلام) و(معجم المؤلفين) وكتب تواريخ الأدب الحديثة، ومنها تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ في (العصر العباسي). وراجع مقدمة (نفحة الريحانة) الجزء الأول. عنه دراسات وبحوث.

٩) الحظيري الوراق مؤلف (زينة الدهر) على غرار دمية القصر وقد توفي سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م.

وراجع (الأعلام) و (معجم المؤلفين) ومقدمة الريحانة ج/١ وكتابه كما يظهر مفقود عنه نقول في كتب الأدب.

١٠) العماد الكاتب – من أبرز أدباء العصر الآيوبي. مؤلف الخريدة التي خص بها مصر والعراق والمغرب والشام والاندلس. وغيرها من البلدان الشرقية. توفي سنة ٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م. راجع/ معجم المؤلفين، و(الاعلام) ومقدمة النفحة ج/١ ولليمن حصة صغيرة في كتابه بقسم الشام بتحقيق المرحوم الدكتور شكرى فيصل ج/ ٣ سنه ١٩٦٤ دمشق.

١١) شهاب الدين الخفاجي المصري الاندلسي، أديب، شاعر، مؤلف ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا وهو الذي سبق (المحبى) في كتابة التراجم التي خص اليمن ببعضها توفي سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨. راجع الأعلام، ومعجم المؤلفين عنه وكتب تاريخ الأدب العربي.

١٢) المحبي الدمشقي الحموي . مؤلف (نفحة الريحانة وخلاصه الآثر) في التراجم توفي سنة ١١١١ هـ / ١٦٩٩م.

١٣) ابن معصوم المدني – أديب، شاعر، مؤلف، له (سلافة الدهر) و (أنوار الربيع في علم البديع) راجع عنه معجم المؤلفين، والأعلام – وتاريخ الأدب العربي في العراق للمرحوم العزاوي . ج/٢ص/٦٤ وبقية كتب التراجم توفي ابن معصوم سنة ١١١٩ هـ/ ١٧٠٧م.

١٤) المرادي الدمشقي ، مؤلف سلك الدرر– والكتاب في التراجم في استطرادات ونقل واحياناً عدم الدقة في ضبط الحوارات والنقول. توفي مؤلفه سنة ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩١م.

١٥) البيطار – عالم دمشقي – له كتاب (حلية النشر) الذي نشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٦ م توفي مؤلفه الشيخ عبدالرزاق البيطار سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٦ والكتاب لايختلف عن غيره سوى في حسن لغته ومعرفته للذين عاصرهم وترجم لبعضهم، وقد ترجم لبعض معاصريه من اهل اليمن .

١٦) الكتب التاريخية، والجغرافية – التي وردت اشهر مما يكتب عنها واصحابها من أبرز المؤلفين يراجع عنهم(الأعلام) ومعجم المؤلفين ودوائر المعارف الاسلامية .

١٧) محمد ابن البغدادي السويدي. من علماء القرن الثالث عشر للهجرة له سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب .طبع على الحجر في بغداد أول مرة سنة ١٢٨٠ هـ. راجع / اكتفاء القنوع بما هو مطبوع. ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس

١٨) محمد بن عبد الحميد البغدادي. أديب – رحالة ، شاعر. له رحلة إلى بلاد اليمن. هو من القرن الحادى عشر الهجري. ذكرها وتحدث عنها الاب الكرملي – في مجلة لغه العرب سنة ١٩٢٩.

والعزاوي في تاريخ الأدب العربي في العراق ج/٢ص/ ١٨٧. والدكتور عماد عبد السلام رؤوف في

كتابه (التاريخ والمؤرخون ، العراقيون في العصر العثماني) ط/١ سنة ١٩٨٣ ص/٩٢ ومابعدها.

١٩) الآلوسي. محمود شكري - عالم عراقي - كان أول عراقي ينال جائزة وتقدير عن كتابه بلوغ الآرب في معرفة احوال العرب الذي حققه وطبعه الاستاذ الباحث الشيخ محمد بهجة الأثري. توفي الآلوسي سنة ١٣٤٣ هـ/١٩٢٤.. راجع/ الأعلام/ومعجم المؤلفين - ومصادر/الدراسة الأدبية. وغيرها.

٢٠) آل العمري - عدة علماء عرف بعضهم بالتاليف والأدب والشعر والتاريخ من رجالات الموصل الحدباء، منهم الشاعر المشهور السيد عبد الباقي العمري، والشيخ محمد ابن العمري وعثمان العمري وغيرهم..

راجع/ الاعلام - ومعجم المؤلفين - والتاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني . وتاريخ الآدب العربي في العراق.

٢١) آل الغلامي - من علماء الموصل منهم الشيخ محمد بن مصطفى الغلامي من علما القرن الثاني عشر الهجري . له كتاب (شمامة العنبر) ترجم فيه لمجموعة من الادباء. والشعراء وحققه المرحرم الدكتور سليم النعمى الكتاب سنة ١٩٧٧م. وطبع المجمع العلمي العراقي.

٢٢) الآب انستاس الكرملي، صاحب (مجلة لغة العرب) والذي أهتم ببعض.

(تراث اليمن) ومنه كتاب (الاكليل) للهمداني وكتاب بلوغ المرام للقاضي العرشي . وله مؤلفات في اللغة والآدب وهو من مشاهير رجال المعرفة في العراق وعاش مخضرماً في العهدين العثماني - والعراقي . وله خزائن كتب ووزعت بعد وفاته سنة ١٩٤٧م. كتب عنه الاستاذ الباحث كوركيس عواد كتاباً مستقلاً. راجع الاعلام ومعجم المؤلفين العراقيين لعواد ومصادر الدراسة الادبية لداغر.

٢٣) العزاوي - الاستاذ المؤرخ المحامي عباس العزاوي. ألف عن تاريخ العراق مجموعة كتب نافعة وخاصة عن الفترة التي تلت سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ وأهتم بتاريخ العشائر العربية والكردية وتاريخ الادب العربي في العراق، وعلم الفلك والموسيقى - له خزانة نادرة نفسية نقلت الى المتحف العراقي. وكتب عنها الاستاذ أسامة النقشبندي تعريفاً في مجلة (المورد). توفى سنة ١٩٧١م

٢٤) يراجع/ ماكتبه الاستاذ عواد في معجم المؤلفين العراقيين . وما أرخه الاستاذ العزاوي . والدكتور عماد عبدالسلام رؤوف - ومانشره وحققه الاستاذ الباحث سعيد الديوجي الموصلي. والاستاذ العالم الشيخ محمد بهجة الاثري. وما الفه من فهارس المخطوطات الاستاذ الدكتور عبدالله الجبوري. والاستاذ اسامه النقشبندى والآنسه ظمآء السامرائي وغيرهم..

٢٥) راجع/ عن القاضي (زباره) مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن للباحث الحبشي وأشار عن وفاته سنة ١٣٨٠ هـ بصنعاء.. مع مؤلفاته ص/ ٤٦٧ ومابعدها.

٢٦) راجع/ عن المؤلفات اليمنية وأصحابها كتاب الاستاذ الحبشي السابق. وكتاب (فهرس مخطوطات المكتبه الغربية بالجامع الكبير بصنعاء) الذي جمعه وفهرسه الاستاذان : المليح وعيسوي. سنة ١٩٧٨م.

٢٧) راجع / مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ص / ٤٦٨.

٢٨) راجع المصدر نفسه ص / ٤٦٨ وكتاب الاعلام للزركلي قسم المستدرك في ج/ ١٠.

٢٩) راجع/ مصاد الفكر العربي الاسلامي في اليمن ص/ ٤٦٨ والاعلام المصدر السابق.

٣٠) راجع/ المصدر السابق للحبشي ص/ ٤٦٨.

٣١) راجع / المصدر السابق للحبشي ص/ ٤٦٨.

٣٢) راجع/قائمة باسماء مؤلفات الحبشي نهاية كتابه حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ص /٢٨٥.

٣٣) راجع عن (الأكوع) مصادر الفكر العربي الاسلامي للحبشي ومقدمة وفهرست مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء وجهود أسرتهم طيبة في نشر بعض اجزاء (الاكليل) للهمداني.

٣٤) الشاعر الاستاذ أحمد بن محمد الشامي شاعر يماني يسكن (لندن) حالياً. حقق ديوان الشاعر(الهبل) اليمني وله كتابات وبحوث ودواوين شعريه.

٣٥) الاستاذ المحامي الباحث (هلال ناجي) كان من أوائل العراقيين الذين جمعوا اشعار بعض الاخوة يمانيين. راجع كتابنا (العراق في الشعر العربي

والمهجري) بغداد. ١٩٦٢م.

٣٦) راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ج/١ ص/ ٤٩١ ط/ ليدن - ابريل ١٩٣٦م.

٣٧) راجع/ ديوان (الهبل) في بداية الكتاب ط/ ١٩٨٣ تحقيق الشاعر أحمد محمد الشامي ومقدمة بقلمه. وقد نشرته الدار اليمنية للنشر والتوزيع.

٣٨) راجع/ مقدمة عبدالفتاح الحلو - محقق النفحة ص ٤ ج/ ١ وص/٥ ومابعدها.

٣٩) راجع/ المصدر السابق ص/٥ وما بعدها المقدمة.

٤٠) راجع/ المصدرنفسه ص/ ٢٦ ومابعدها المقدمة

٤١) راجع/ المصدر نفسه ص/ ٣٠ ومابعدها المقدمة

٤٢) راجع/ مقدمة نفخة الريحانه للاستاذ الحلو ص/١٧ وما بعدها والاعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين لكحالة في ترجمة (المحبي).. وفهارس المخطوطات العربية هنا وهناك في المشرق والمغرب.

٤٣) راجع (مقدمة ونفحة الريحانة) ص/ ٢٧ وما بعدها (المجلد الأول)

٤٤) راجع/ المصدر السابق ص/١٩ ومابعدها (المجلد الأول)

٤٥) راجع/ المجلد الثالث من المصدر السابق في تراجمه لشعراء من اليمن وعن هذه المدن راجع/معجم/البلدان، والروض المعطار، ومعجم ما استعجم ، ومؤلفات الاستاذ المرحوم القاضى (زباره) في تراجم الشعراء والادباء اليمانيين.

٤٦) راجع/ المجلد الأول مقدمة الكتاب من(نفخة الريحانة)ص/١٥

٤٧) راجع/المجلد الثالث من المصدر السابق ص/٢٤١ ومابعدها.

٤٨) راجع / بداية التراجم المجلد ٣ص/ ٢٤٣) باسم الشاعر الحسن بن القاسم الزيدي

٤٩) راجع/ نفحة الريحانه ج/٣ ص/٢٥٧ وما بعدها.

٥٠) راجع/ المصدر نفسه ج/٣ص / ٢٥٩ وما بعدها

٥١) راجع/ المصدر نفسه ج/٣ص/٢٧٤.

٥٢) راجع/ المصدر نفسه ج/ ٣ ص/٢٠٣.

٥٣) راجع/المصدر نفسه ج/٣ ص/ ٢١٢ ويستحسن مراجعة غزليات الشاعر (احمد شوقي) في الشوقيات

٥٥) راجع المصدر نفسه ج/٣ص/ ٢١١ ومابعدها.

٥٦) راجع/ عن آل الشرفي بداية ص/٢٦٩ - ٢٨٨ وترجمة الشاعر الحسن بن الناصر المهلا الشرفي واخيه الحسن الشرفي ج/٣ ص/٢٧٦ نفحة الريحانة.

٥٧) راجع/المصدر السابق من النفحة) ج/٣ص/ ٢٧٧ وص/ ٢٧٩.

٥٨) راجع/ المصدر السابق ج/٣ص/ ٢٩٧.

٥٩) راجع/ عن القصيدة المصدر نفسه ج/٣ص/ ٢٩٧.

٦١) راجع/ المصدر نفسه ج/ ٣ص/٤٢١.

٦٢) راجع/المصدر نفسه ج /٣ص/٤٣٢.

٦٣) راجع/ المصدر ذاته ج/٣ص/ ٤٨٥.

٦٤) راجع/ المصدر نفسه ج/٣ص/٤٨٦.

٦٥) راجع/المصدر نفسه ج/٣ص/ ٥٢٤ ومابعدها.

٦٧) راجع/ المصدر السابق ج/٣ص/٥٣٧

٦٨) راجع/المصدر السابق ج/٣ص/٥٣٧

٦٩) راجع/ المصدر السابق ج/٣ص/٥٩٦

٧٠) راجع/ المصدر السابق ج/٣ص/٦٠٣ وما بعدها.

٧١) راجع/ المزيد من تراجم الشعراء اليمانيين في النفحة ج/٣ وفي (خلاصة الاثر) وفي (سلافة العصر) وفي (نفحة اليمن) و (حديقة الافراح) وكتب التراجم والاعلام والبلدان.

٧٢) راجع/ عن هذه الأسر العلمية الكريمة التي اشتهر بعض ابنائها بالآدب والقضاء والشعر والعلم.

نفحة الريحانه ج/٣ وخلاصة الاثر في مجلداته الاربعة وسلافة العصر. ومؤلفات اهل اليمن انفسهم ومصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن وغيرها.

أهم المصادر والمراجع:

١) الاعلام - للزركلي . ط/٢/١٩٥٩. القاهرة

٢) معجم المؤلفين لكحالة ط/١/١٩٥٨. دمشق

٣) نفحة الريحانة للمحبي ط/١/١٩٦٨. القاهرة
٤) خلاصة الاثر للمحبي ط/١/١٢٨٤. القاهرة
٥) سلافة العصر للمدني ط/١/١٣٢٤. القاهرة
٦) سلك الدرر للمرادي ط/١/١٣٠١. القاهرة
٧) البدر الطالع للشوكاني ط/١/١٣٤٨ القاهرة
٨) حديقة الافراح للشرواني ط/١/١٢٨٢هـ القاهرة
٩) معجم ما استعجم للبكري ط/١/١٩٤٥. القاهرة
١٠) مصادر الفكر العربي والاسلامي في اليمن للجشي ط/١/١٩٧٧ بيروت.
١١) حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول للحبشي ط/٢/ ١٩٨٠ صنعاء.
١٢) تاريخ الأدب العربي، لفروخ ط/٤/١٩٨١ بيروت
١٣) مصادر الدراسة الأدبية لداغر ط/١/١٩٥٠ بيروت
١٤ معجمم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ط/١/١٩٢٨ القاهرة
١٥) إكتفاء القنوع بما هو مطبوع لفانديك ط/١/١٨٩٧ والقاهرة
١٦) نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف .لزبارة ط/١/١٣٥٩ القاهرة
١٧) نيل الوطر، في رجال اليمن في القرن الثالث عشر لزبارة ط/١/١٣٤١ القاهرة.
١٨) مجلة لغه العرب للكرملي عدة مجلدات لسنة ١٩٢٦م ومابعدها بغداد
١٩) تاريخ الأدب العربي في العراق - للعزاوي ط/١/١٩٦١ بغداد
٢٠) دائرة المعارف الاسلامية لجماعة من العلماء. ط/١/١٩٣٣ القاهرة.
٢١) فهرس مخطوطات -المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ط/١/١٩٧٨ الاسكندرية
٢٢) معجم البلدان لياقوت الحموي ط/١/١٣٢٣ مصر.
٢٣) التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني لرؤوف ط/١/١٩٨٣ بغداد
٢٤) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد/٣٧ م ٢/ لسنه ١٩٨٦ بغداد .
٢٥) خريدة القصر - للعماد الكاتب دمشق ١٩٦٤.

❁❁❁❁❁❁
❁❁❁

دراسة في التقويم الزراعي اليمني

الحساب الزراعي في ارجوزة حسن العفاري

د. دانيال فارسكو

مقدمة

من اقدم الزمان وأهل اليمن خبراء بأساليب الزراعة في أرض المطر وأرض الري. ولهم معرفة مجربة بغرس الأشجار، وذري الحبوب، وزراعة البقول والرياحين. ومن خلال القرون حولوا انحدار الجبال بساتين خضراء، وصحراء السواحل جناناً فيحاء وصارت الفلاحة عندهم علامة نشاط الشعب وأمارة براعتهم عملياً عبر التاريخ، واما معارف وتقاليد مزارعي اليمن فهي كنز من كنوز التراث، ومصدر مهم لدراسة علم الزراعة عند العرب السابقين.

حسب المزارع اليمني العام الزراعي والطبيعي تقويماً تقليدياً من رؤية سير النجوم بالسماء طلوعاً وغروباً ، كما كان عند قبائل العرب من قبل فجر الاسلام . وتتحدد بأوقات طلوع النجوم وغروبها مواسم السنة الطبيعية مثل نزول الامطار، وهبوب الرياح وظهور البرد. واشتعال الحر. وكان التقويم الشعبي الذي ينسب لتجارب المزارعين في اليمن يختلف عن تقسيم السنة الشمسية عند العلماء. وما استعمل التقويم النصراني أو تقويم البروج الاثني عشر عند شعب اليمن في القرون السابقه الا بمؤلفات بعض العلماء الفلكية . وأما التقويم، الزراعي باليمن فستر كثيراً من معلوماتهم القديمة. من عدم توثيقها. ولاتوجد الآن صورة كاملة لهذا التقويم، ولو انه قد ذكر اختلافه بعض العلماء من اليمن. وبالرغم من هذا نعرف بعض معلومات التقويم الزراعي الشعبي من المخطوطات اليمنية والعمل الميداني بين مزارعي اليمن الحديثة. ومن أهم المخطوطات اليمنية حول تقويم المواسم أرجوزه وضعها حسن بن جابر العفاري الذي عاش باليمن منذ مائتي سنة. وهذه الدراسة في معارف التقويم الفلكي تقوم على دراسة ميدانية وتحقيق لارجوزة العفاري.

ارجوزة العفاري:

توجد أرجوزة العفاري بمخطوطة في مكتبة أحد المشائخ اليمنية (١). وكانت المخطوطة تحوي مجموعة التقاويم اليمنية، وعلم الفلك، وأشعاراً حول النجوم والزراعة . وطبع الدكتور سرجنت والدكتور حسين العمري إحدى أراجيز هذه المجموعة ، وهو كتاب « غاية النفع في نشر فضائل الزرع » لشهاب الدين أحمد بن أبي بكر الزميلي الذي وصف في كتابه أعمال الزراعة في خمسة أبواب مثلما قال بمقدمة أرجوزتـه (٢).

أولها في نشر فضل الزرع
وذكره وما به من النفع
وباب في فضل الأراضي فاعلم
وكل ما تحتاجه من الخدم.

وثالث الابواب في التلام« ٣ »
جميعه الى تمام العام
ورابع الابواب في التدبير
للنفقات دائم الدهور

وباب خامس في الفصول الاربعة
الى انتها كمالها متابعة

وفي حلول الشمس ثم القمر
في اي برج في جميع الاشهر

ورغم ذكر الزميلي أنواع الزروع، وأوقاتها بالتقويم الشمسي فانه لم يذكر معلومات حول نجوم التقويم الشعبي التي يسميها أهل اليمن «معالم الزراعة» أما أرجوزة العفاري فتشمل تسع صحف ومائة وسبعة وعشرين بيت شعر وزاد فيها معلومات حول المواسم والأعمال الزراعية باليمن.

وتظهر نسخة الأرجوزة من المخطوطة بخط (جيد أقرب لخط الاجازة) ويضاف على هامش الارجوزة بعض الملاحظات من النساخ وتقسم بعد المقدمة ثلاثة أجزاء :

الأول : حول منازل القمر الثمانية والعشرين، وعلاقاتها بنجوم معالم الزراعة اليمنية.

والثاني : للفصول الأربعة.

والثالث : لتقويم شهور قران القمر بنجم الثريا.

وذكر المؤلف في هذه الأبواب عرضاً عاماً لتقويم الزراعة الشعبي عند مزارعي جبال اليمن .

والمؤلف من أدباء اليمن في أوئل القرن الحادي عشر الهجري وهو الفقية العلامة التقي الحسن بن جابر بن فتح الله بن سعيد بن علي بن قاسم بن عزالذين بن الحاج العفاري واصله من ضوران قرب ذمار باليمن العالية . ومات بمدينة ذمار في السابع عشر من صفر سنة١١٢٢ «٤».

معالم الزراعة ومنازل القمر:

كان التقويم الفلكي الأول في أرجوزة العفاري حساب منازل القمر المشهور بالتراث العربي الاسلامي، ومنازل القمر ثمانية وعشرون نجماً على خط دائرة القمر بالسماء. وتنسب هذه النجوم الى صور البروج الاثنى عشر أو النجوم القريبه منها. وازدهر حساب الأنواء ومنازل القمر عند علماء العرب في مؤلفاتهم وانتشر الى كل البلاد التي بلغتها العرب وحضارتها الإسلامية«٥» وذكر أصحاب اللغة العربية ان النوء– مفرد الأنواء – سقوط نجم من هذه المنازل المعروفة مع طلوع الشمس صبحاً وزعمت العرب من قبل ظهور الاسلام انه يجيء مع سقوط النوء مطر أوريح أوبرد أوحر وصار سقوط النوء معلماً لمواسم السنة الطبيعية.

ذكر علماء الفلك في ازياجهم «أ» مواضع نجوم الانواء او منازل القمر وأوقات طلوعها وسقوطها خلال السنة. واختلفت هذه الاوقات من بلد الى آخر بالنسبة لخطوط العرض.

واما أوقات الأنواء بمناطق اليمن فكتب عليها أصحاب الفلك باليمن كما فعل بدر الدين محمد بن أبي بكر الفارسي المتوفى سنة ٦٧٧ هـ، في كتاب الزيج الممتحن للشرواني المعروف بالمظفري «٦» ونقل بعض مؤلفي التقاويم الزراعية اليمنية من هذا الزيج منذ عصر دولة بني رسول من القرن السابع الهجري وبالرغم من ذكر العلماء حساب الفلكيين حول الأنواء لم يعرف مزارعواليمن هذا الحساب من تجاربهم الزراعية بل استعملوا التقاويم الفلكية الخاصة من معارف الشعب قبل ظهور الاسلام باليمن.

ومن أسس حساب التقاويم الفلكية اليمنية طلوع وغروب بعض النجوم المشهورة عند المزارعين. واختلف هذا الحساب من الأنواء ومن نظم الفلكيين . وسمي أهل اليمن هذه النجوم معالم الزراعة لأنها تتحدد بها أعمال الزراعة ومرور المواسم باليمن ولاتزال معرفة هذه المعالم الى الآن قائمة بالجمهورية اليمنية«٧»، وقيل إن أوقات هذه المعالم تساوي منازل القمر الثمانية والعشرين. وكتب مثل هذا بالتقاويم المطبوعة الحديثة مثل تقويم مكتبة الجيل الجديد بصنعاء، ولكن لم تظهر هذه العلاقة بالمؤلفات اليمنية السابقة قبل مائتي سنه.ونعرف أن حساب معالم الزراعة يختلف كثيراً بين المناطق الزراعية باليمن. وفي الحقيقة فإن العفاري حين ذكر منازل القمر المشهورة استخرجها من علم الفلك وهذب التقويم الشعبي حول معالم الزراعة ولاترتبط أوقات نجوم معالم الزراعة بمنازل القمر بالضبط وليس الحساب على هذا الشكل من تجارب المزارعين .

كانت معالم الزراعة وعلاقاتها بمنازل القمر الثمانية والعشرين هامة عند العلماء والشعراء اليمنيين ويوجد ترتيبها بالجدول رقم (١) وتمييزها العلمي بفهرس اسماء النجوم في آخر المقالة. ويبدأ الحساب بمعلم الظافر الثاني وهو من رجل القنطورس«ب» عند أصحاب الفلك «٨»وقيل أن طلوع الظافر الثاني صبحاً

جدول رقم ١
معالم الزراعة اليمنية وعلاقاتها بمنازل القمر في حساب العفاري

عدد	المعلَم	تاريخه عند المزارعين	المنزل	تاريخ الطلوع بالفجر
١	الظافر الثاني	٣/٢٣	الفرغ المؤخّر	٣/١٩
٢	الفرع	٤/٥	بطن الحوت	٤/١
٣	غروب كامة	٤/١٨	النطح أو الشرطان	٤/١٤
٤	غروب الثور	٥/١	البطين	٤/٢٧
٥	طلوع كامة	٦/٩	الثريا	٦/٥
٦	طلوع الثور	٥/٢٧	الدبران	٥/٢٣
٧	النجمان	٦/٩	الهقعة	٦/٥
٨	الظلم	٦/٢٢	الهنعة	٦/١٨
٩	العلب	٧/٥	الذراع	٧/١
١٠	سهيل	٧/١٨	النثرة	٧/١٤
١١	الرابعان الأوّلان	٧/٣١	الطرف	٧/٢٧
١٢	الرابعان الآخران	٨/١٣	الجبهة	٨/٩
١٣	خامس علّان	٨/٢٧	الزبرة	٨/٢٣
١٤	سادس علّان	٩/٩	الصرفة	٩/٥
١٥	سابع علّان	٩/٢٢	العوّاء	٩/١٨
١٦	فارع	١٠/٥	السماك	١٠/١
١٧	عشاء كامة	١٠/١٨	الغفر	١٠/١٤
١٨	عشاء الثور	١٠/٣١	الزباني	١٠/٢٧
١٩	عشاء النجمين	١١/١٣	الإكليل	١١/٩
٢٠	عشاء الظلم	١١/٢٦	القلب	١١/٢٢
٢١	عشاء العلب	١٢/٩	الشولة	١٢/٤
٢٢	عشاء سهيل	١٢/٢٢	النعائم	١٢/١٨
٢٣	عشاء الرابعين الأولين	١/٤	البلدة	١٢/٣١
٢٤	عشاء الرابعين الآخرين	١/١٧	سعد الذابح	١/١٣
٢٥	خامس الصواب	١/٣٠	سعد بلع	١/٢٦
٢٦	سادس الصواب	٢/١٢	سعد السعود	٢/٨
٢٧	سابع الصواب	٢/٢٥	سعد الأخبية	٢/٢١
٢٨	الظافر الأول	٣/١٠	الفرغ المقدم	٣/٦

مع الاعتدال الربيعي حوالي يوم ٢٣ من شهر آذار «مارس».

وقال العفاري ان طول كل معلم ١٣ يوماً مثل طول النوء في حساب الفلكيين. والسبب في ذلك أن عدد أيام المعالم (وهو ٣٦٥ يوماً أي ١٣ يوماً لكل معلم ،الا واحداً فهو ١٤يوم) تساوي أيام السنة الشمسية التي توافق الفصول. وذكر المؤلف أن اعتبار المزارعين غير من حساب الفلكيين ومثل ذلك أوّل فترة الظافر الثاني خمسة

أيام بعد طلوع الفرغ المؤخر عند الفلكيين. وقال ان «بين حسابهم وحساب الحكماء خمسة أيام متزحلقة» ولكن ذكره مضطرب حول هذه النقطة «٩» واستخرجت تواريخ المعالم من ذكر المؤلف حول الظلع والعلب ولم يذكر العفاري التواريخ الأخرى واستخرجت علاقاتها بالمنازل من ذكر تاريخ الذراع والحقيقة أنه لا توافق هذه التواريخ أوقات طلوع النجوم بالضبط ولم تستعمل قبائل اليمن تواريخ السنة الشمسية ومن ذلك لايصلح هذا الحساب في الارجوزة لاعمال الزراعة عند شعب اليمن.

وبالرغم من خطأ تواريخ المعالم فقد عرف أهل اليمن هذه النجوم من وقت قديم ولعل نجوم الحساب تعود الى عصر الحميريين قبل الإسلام في جنوبي الجزيرة العربية ومن أمثلة هذا الحساب نجوم الصواب التي تطلع بالشتاء. وقال أبو محمد الحسن الهمداني في كتاب (صفة جزيرة العرب) أن وقت الصواب مع حلول الشمس بالحوت من البروج وهذا بشباط - فبراير «١٠» وبالرغم من وجود بعض أسماء هذه المعالم بالمؤلفات والتقاويم اليمنية القديمة فلم يذكر نظام المعالم كلها الى العصر الحديث مثلما جاء بارجوزة العفاري.

واذا لم يجز حساب معالم الزراعة الثمانية والعشرين في استعمال المزارعين فكيف كان حسابهم؟

علمنا من العمل الميداني باليمن أنه ليس هناك حساب واحد لكل مناطق اليمن بل تختلف معارف الحساب الفلكي كثيراً وتختلف أوقات طلوع النجوم وغروبها بين شمالي اليمن وجنوبه. وفترة المعلم تقريبية ولاتكون ١٣ يوماً بالضبط مثل حساب الفلكيين. وعلى سبيل المثال فان أوقات نجوم «علان أوبنات نعش باليمن وهي سبعه نجوم أربعة النعش بالمربعة التي يسميها أهل اليمن الرابعين الأولين والرابعين الآخرين والثلاثة الباقية خامس وسادس وسابع علان. وهي معالم ١١ الى ١٥ في حساب المعالم كلها بل ذكر العفاري أيضاً حساباً آخر وهو أن فترة الرابعين ٤٠ يوماً «١١» وأن أوقات الطلوع كالتالي «١٢»:

الأول :	٣	آب «أغسطس»
الثاني :	١٢	آب «أغسطس»
الثالث :	٢١	آب «أغسطس»
الرابع :	٣٠	آب «أغسطس»
الخامس :	١٤	أيلول «سبتمبر»

وقد غير هذا الحساب من حساب المعالم الذي يسوي منازل القمر عند الفلكيين. وذكر علماء اليمن نجوم «بنات نعش» كثيراً لتوافق أوقات طلوعها مع أمطار الخريف في جنوبي جزيرة العرب. وقد حدد عبدالقادر بن محمد الهتار في قاعدته عن معالم الزراعة الرابعين «أربعين الخريف» أو «أربعين الماء» وهي من ٢٥ تموز الى ٢ أيلول بحسابه «١٣» وذكر الهتار مواسم السنه ومعالم الزراعة اليمنية مع اختلاف أوقاتها. وليس كل معلم بحسابه ١٣ يوما. واعتقد ان اوقات حساب الهتار اقرب الى تجارب المزارعين من حساب المعالم للعفاري.

واما معالم الزراعة في اعمال المزارعين اليمنية فلا يلزم ان يوافق كل معلم فترة معينة من التقويم الشمسي مثلما ذكر علماء الفلك وعرف المزارع ان وقت طلوع المعلم او غروبه تقريبي يتوقف على ظهور النجم او اختفائه عن الناس ولم يعمل العفاري توثيقاً لحساب المزارعين بالضبط لكن هذبه ووفق بينه وبين حساب منازل القمر عند الفلكيين. وبرغم هذا تعلمنا ارجوزة العفاري بعض المعلومات الشعبية التي اندثر معظمها بالوقت الحاضر.

قران القمر والثريا.

بالاضافة لحساب معالم الزراعة ذكر العفاري تقويماً خاصاً من تراث الجزيرة العربية واليمن وهو حساب الشهور من قران القمر والثريا وكان هذا الحساب مما تفردت به قبائل العرب لانه لايوجد حساب مثله بالبلدان الاخرى. ومن اقدم الزمان انتشرت معرفة هذا الحساب من الجزيرة الى الشام وبامتداد جهة الشرق الى افغانستان «١٤».

نسب حساب قران القمر والثريا الى حضارة العرب قبل الاسلام لاهمية نجم الثريا عندهم، وقد قال ابن قتيبه ان قران الهلال والثريا بشهر نيسان او ابريل من اسعد حركات النجوم والكواكب بالسماء «١٥».

ويقترن القمر بنجم الثريا مرة كل سبعة وعشرين يوماً وثلث يوم تقريباً لان الثريا تكون على خط دائرة القمر حول الارض. وزعم العرب السابقون انه يتبين قران القمر والثريا من الخريف الى الربيع وأنه يحدث في

حوالي نفس الوقت من كل سنة تقريباً ، ومن ذلك قيل ان القران الاول بالحساب قران تسعة عشر اي قران القمر والثريا اليوم التاسع عشر بعد الهلال من الشهر القمري . وبعد سبعه وعشرين يوماً وثلث يوم يقترن القمر بالثريا اليوم السابع عشر من الهلال ، وذلك ان الفرق بين فترة سير القمر حول الارض » وهي سبعة وعشرون يوماً وثلث يوم» وفترة مراحل القمر من الزيادة والنقص «وهي حوالي تسعة وعشرين يوماً ونصف اليوم» يومان . وصار بعده قران «خمسة عشر» وقران «ثلاثة عشر» الى انتهاء الحساب.

لم يذكر العفاري اوقات القران بارجوزته. وتختلف المصادر اليمنية حول تواريخ حساب القران. ولاتوجد معرفة هذا الحساب بمؤلفات الفلكين. واعتقد ان قران تسعة عشر من اخر شهر ايلول بعد طلوع الاربعة نجوم بنات نعش مثلما قال المؤلف (١٦) الذي اشار الى ان القران الخامس يكون في اخر الشتاء وبداية الربيع او موسم الصيف عند اهل اليمن (١٧). وما في الارجوزة حول القران الخامس من ذكر ابن قتيبة الذي وصف حساب العرب القدماء في قوله (١٨):

«اذا ما قارن القمر الثريا
لخامسة فقد ذهب الشتاء»

ذكر العفاري ان حساب قران القمر والثريا يقع بين نجوم الخريف ونجوم القيظ. وكانت هذه الفترة للاعمال المهمة عند مزارعي اليمن، لان زراعة الذرة - وهي الزرع الرئيس باليمن - تكون في الربيع في جبال اليمن وتحت نجوم الخريف بتهامة. وزراعة البر - وهو الحنطة - والشعير بالشتاء وباخر الربيع في جبال اليمن. وتقلّ اعمال الزراعة بالقيظ في اليمن.

معلومات التقويم الشعبي:

لانعرف الان اذا كان شرح الارجوزه عن عمل العفارى او من النساخ. ويوجد هذا الشرح بعد بعض الابيات كالتقويم الزراعي. ونسبت التقاويم الزراعية اليمنية الى دولة بني رسول من القرن السابع الهجري الى القرن التاسع. وهذه التقاويم من اهم المصادر حول الزراعة باليمن (١٩) وتشمل معلومات الشرح والارجوزة على المناخ، مثل اوقات المطر والرياح والزراعة ونبات الارض والحيوان وغير ذلك. وقد نقل مؤلف الشرح من التقاويم اليمنية السابقة، بل ومن غير اليمن

اما عن المناخ فذكر بالارجوزة وشرحها ان وقت المطر باليمن في الخريف والصيف (اي الربيع باليمن) وهذا معروف. وقال ان المطر يجيء في معلمي ١٣ و ١٤ (انظر الجدول رقم ١) واخر مطر هذا الوقت في معلم ٢٠ وهو المطر الوسمي المشهور عند قبائل الجزيرة. وكانت فترة الوسمي في اكثر التقاويم العربية في شهري تشرين الاول «اكتوبر» وتشرين الثاني (نوفمبر) (٢٠) وقال ان مطر الصيف في معلم ٢٦ او في قران سبع وذكر المؤلف انه قد يجيء الضريب - اي الجليد - في معلم ١٤. ولا يظهرذكر الضريب باليمن الى نصف شهر تشرين الثاني نوفمبر بالتقاويم اليمنية الاخرى «٢١». ويخشى اهل اليمن ضربة الضريب على الثمار في الشتاء وهذا بالجبال وليس بتهامة. ومن معلومات التقويم هبوب الرياح خلال السنة مثل الرياح اللواقح التي تهب في معلم واحد وهي الرياح التي تلقح الاشجار المثمرة مثل النخيل. واشار مؤلف الشرح الى ان الرياح الشرقية تهب غالباً باليمن في معلم ٣ وريح الشمال في معلم ٦ ورياح الدبور او الغربية في ٦ ايضا وريح الجنوب في معلم ٢٠ وذكرت الرياح الحارة التي اسمتها العرب السمائم في معلم ٦ وكانت سمائم اليمن من جهة الجنوب. وقيل ان وقتها اربعون يوماً.

دون العفاري او مؤلف شرح الارجوزة اوقات اعمال الزراعة عند اهل اليمن ولكن لم يشر الى مناطق الاعمال، وما اذا كانت في الجبال او في تهامة مثلما ظهر في بعض التقاويم الاخرى ومع مرور العصور صار الزرع الرئيس باليمن الذرة الريفية «٢٢». وقال ان زراعة الذرة في شمالي اليمن وشرقية في معلم «٥» موسم زراعة الذرة بالجبال وكان موسم الحصاد وهو «الصراب» «٢٣» باللهجة اليمنية في قران سبعة عشر او نجوم علان من معالم الزراعة وقبل الحصاد بشهر «يشرف» المزارعون - اي يقطفون - اوراق عيدان الذرة لعلف المواشي. وبعد ذلك تجف الكيزان تحت شعاع الشمس وموسم زراعة الذره بتهامة والمناطق السفلى بأخر الصيف او اول الخريف مثلما قال انه في معلم ١٠ ومن الحبوب الهامة بجبال اليمن البر «٢٤» - وهو الحنطة - وكانت زراعة البر الشتوي الذي يسمى «القياض» «٢٥» باليمن في معلم ٢٠ وزراعة البر

الربيعي وهو الدثاء «٢٦» باليمن في معلم ٢٧ أو قراني ٥,٧ وزراعة نوع العلبي من البر والشعير في معلم ٦ . وفي هذا الوقت يحصد الشعير من زراعة القياض، وأما قصب السكر باليمن فقطفه في معلم ١٠ كما يقول المؤلف وقال أبو العقول بتقويمه أن كسر القصب في منطقة نجران يكون في شهر آب «اغسطس» «٢٧».

وذكرت في شرح الأرجوزة انواع من الفواكه والبقول مثل الباقلاء الذي يدرك في معلم ١ والبطيخ الذي يزدع بتهامة في معلمي ٢٦,١٠ والعدس الذي يحصد في معلم ٦ والعنب الذي يسود في ٦ ويقطف في ١٠ ويكثر في ١٣، وكان العنب من أهم الفواكه بجبال اليمن ويغرس الكرم في «١» ويكسح (٢٨) في وكانت زراعة القثاء في معلم ٢٦ والقطن في معلم ٢٥ ويعقد اللوز والمشمش في معلم ١ وتنضج الفواكه في معلم ١٠. أما عن البيئة باليمن وغيرها فقال أنه يغلظ ماء البحر في معلم ١ وهذا إشارة عن تهيج بحر الروم في الربيع مثلما قال المؤرخ اليوناني هاسيود HESIOD «٢٩»:

(Gales of all winds rage when the pleiads , pursued by violent orin, plunge into the clouded sea . Then keep your ships no longer on the wine - brig ht sea).

وذكر في شرح الارجوزة تغير النبات خلال السنة فالشجر يورق في معلم ١ ويسقط ورقه في معلم ٢٣ ويجري الماء في العود من أسافله الى أعلاه في معلم ٢٦. ويرجع الماء من أعالي العود الى عروق الشجرة في معلم ١٤. ويبدأ العشب في معلم ٢٤. وزعم مؤلف الشرح ان الخشب الذي يقطع في معلم «٢٠» لايسوس ولا تأكله الأرضة. وهذا في الشتاء وخبرنا المؤلف بمواسم إنتاج الحيوان وحركاتها فقال إن تزاوج الطيور في معلم ٢٤ وانها تفرخ في معلم ٢٦ وتذهب الحداة والخطاطيف الى الغور بسبب قدوم البرد بالبلدان الشمالية في معلم ٢٠ وقال أيضا أن البراغيث تتحرك في معلم ٢٦ وتفتح الحيات أعينها بعد برد الشتاء في معلم٢٧. وتنق الضفادع في ٢٦، وتلد الوحوش والماعز في معلم ٢٦، ويطلق الفحول في الأغنام على الإناث في قران سبعة عشر.

ارجوزة العفاري :

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد الله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ولاحول ولاقوة إلا بالله تعالى :

١ - يايها القائم بالاموال «٣٠»
وزرعها: انصت لذي المقـــال

٢ - وخذ اليك هذه الأرجـــوزة
بها هـــدايات غـدت مكنوزة

٣ - وجـد في تكريرها وحـــفظهـــا
فإنهـــا هـــدية أوتيتها

٤ - من حسن بن جابر العفاري
وفقه الله اللطيف البـــاري

٥ - إذا أردت الزرع والمذاري «٣١»
فاهتـد للاعمال بالدراري «٣٢»

٦ -[والمقامات] (ج) لهـا أوقات
كما أفادت شرحــه الرواة «د»

٧ - والعوام من كمال المعــرفة
ماتجعل الأذنَ لــه كالمغرفــة

٨ - فإنهم ادرى بها وأخبــرُ
وعندهـم تصحيح ماسيذكــر

٩ - يعتبرون طالعات الفجر «٣٣»
فهي لهـم حُكْـمٌ لكـل امـر

١٠ - فقسموا سنتهم مسبــعة
لكل سبع في النجـوم أربعة

١١ - ويحسبون أول المصيف «٣٤»
كما ترا(هـ) مـن غير ما تحـريف

١٢ - بالظافر الثاني حين يدخل
فهو لهم فــي ذا الحســاب أوّلُ

١٣ - والظافــر الثــاني هو المؤخـر «٣٥»
والحوت «٣٦» فرع اسمه اذ يذكر

أول الصيف:

في الظافر الثاني [مستوى] (و) الليل والنهار وهو اذا طلع الفجر بالمؤخر - وهو الاعتدال الطبيعي - وهو اول ربيع العجم وخريف الصين. ويغلظ ماء البحر «٣٧»، وتهب الرياح اللواقح، وتسنبل الحنطة، ويدرك النبق والباقلاء،

ويعقد اللوز والمشمش، ويورق الشجر ويغرس الكرم، والله اعلم.

وللزراع اعتبار غير اعتبار الفلكيين فمثلا «٣٨» ان المؤخر هو الظافر الثاني كما ذكر، فيحسبون من أول طلوع المؤخر مع الفجر أربعة أيام واليوم الخامس عندهم طلوع الفرع وهو الحوت، قاعدة معتمدة فاعرف، ونوء سعد السعود هو رقيب الحوت وهم يجعلون حكم الحساب مع الفجر على الطالع. وينسبون النوء الى رقيبه الغارب مع الفجر، فبين حسابهم وحساب الحكماء «٣٩» خمسة أيام متزحلقة، فيبقى عندهم الطالع الحوت مع الفجر من خامس طلوع المؤخر الى خامسه هو، فيكون يوم خامسه طلوع النطح ونوء الغفر وهو رقيبه وهذا الى آخر الحساب. وهي قاعدة لابد من اعتبارها في حسابهم فاعرف ذلك.

١٤ - *نطح غروب كامة وقت العشا «٤٠»*

بطين «٤١» غروب الثور فافهم ان تشا

اذا طلع النطح مع الفجر فهو غروب الثريا عند العشاء وفيه تهب الرياح الشرقية بحكمة الله تعالى.

١٥ - *وثاني الاقسام وقت الجحر «٤٢»*

قسم غداً «٤٣» متصفا بالحر

١٦ - *فاسم الثريا فيه قالوا كامة*

والدبران الثور «٤٤» كن فهامة

اذا طلع الدبران مع الفجر يرفع الله تعالى الآم الطواعين من أماكنها ويحصد الزرع من الحنطة والشعير والعدس ونحوها، وتهب ريح الشمال، ويسود العنب وتبدأ السمائم، وتهب رياح الدبور وهي الغربية.

١٧ - *الهقعة النجمين «٤٥» يا ذا الفهم*

وهنعة يدعونها بالظلم «٤٦»

وطلوع الهقعه غاية طول النهار وقصر الليل وهو عيد أكبر تعظمه العرب والعجم وهو الانقلاب الصيفي، واذا طلعت الهنعة فجراً أول الظلم يعرف ما سيصلح من الزرع «وفساده» وذلك أنهم ياخذون لوحاً ويجعل عليه التراب ويزرع عليه جميع أنواع الحبوب «٤٧»، فاذا طلعت الهنعة فجراً تركوا ذلك اليوم يمضي ويزرع ماذكر على اللوح في اليوم الثاني من طلوعها ويتعاهد بالسقي ويخرج للشمس أحيانا، فاذا مر بقية «٤٨» الهنعة وهو «اثني» «ز» عشر يوماً وأربعة أيام من الذراع اطلع على السطح في محل عال لاتحويه الجدران ويوضع تحت السماء ليلة الخامس من الذراع وهو اليوم السابع عشر من ابتداء زرعه «٤٩». وفي ذلك اليوم تطلع «الشعراء» «ح» العبور فبحكمة الله تعالى ماأصبح من ذلك النبات مخضراً صالحا كان في السنة المستقبلة لذلك وما أصبح مصفراً أو قد أدركه ضعف كان كذلك وقد جربته مراراً في سنين متعدده فكان ذلك. فسبحان الحكيم العليم، واليوم الثاني من الظلم هو اليوم الثالث «والعشرين» «ط» من حزيران وليلة خامس العلب التي تطلع فيها «الشعراء» العبور اليمانية هي ليلة اليوم التاسع من تموز لان في اعتبار الزراع ان الشمس اذا دخلت مثلا في النثرة - وذلك اول تموز - حسبوا طلوع الذراع مع الفجر من يوم خامس تموز، وأهل الفلك إنما يحسبون طلوع الذراع مع الفجر إلا إذا دخلت الشمس منزلة الطرف فحسابهم متفاوت كما ترى.

أول الخريف:

١٨ - *ثم اتى الخريف بالفواكه*

مبثوثة وكل عيش رافه

١٩ - *أوله الذراع يدعى بالعلب*

ونثره يدعى [سهيل] «ي» المنسكب «٥٠»

في خامس العلب تطلع الشعرى وبطلوعها يعرف صلاح الزرع المستقبل وفساده كما مر ذكره. وفي وقت طلوع النثرة مع الفجر يزرع البطيخ الشتوي والخريفي والذرة ويقطف العنب والقصب «٥١»، وتنضج الفاكهة.

٢٠ - *والطرف وهو (الرابعين الأولين) (ك)*

(الرابعة الآخرين) «٥٢»

و(الرابعين الأولين) طلوع الأول والثاني من بنات نعش الكبرى فجراً في الخريف، الأول منها يطلع يوم الثالث من آب ويطلع الثاني يوم الثاني عشر من آب والثالث يوم (إحدى) «ل» وعشرين من آب والرابع يوم الثلاثين من آب.

٢١ - *وقد يسمى ثالث الروابع*

ثويلث يخشى على المزارع

٢٢ - *تصرعها رياحه العواصف*

لكونها والغيث ثم واكف

٢٣ – وبعضهم يحسب في الروابع
من أولٍ الى انتهاء السابع
٢٤ – على طلوع لبنات نعش
في أول الفجر بغير غش
٢٥ – فحين أن يطلع منها الأول
فالرابع الأول حقا يدخل
٢٦ – وعندما يبزغ منها الثاني
فالرابع الثاني في الحسبان
٢٧ – وحين يبدو الفجر منها الثالث
فذلك المعروف بالثريلث
٢٨ – وإن بدأ الرابع قيل رابع
وخامس وسادس وسابع
٢٩ – أنجمها الثلاثة المسرودة
وفا حساب السبعة المعدودة
٣٠ – (هذا اعتبارهن في الخريف
طلوعها فجراً بلا تحريف)
٣١ – حسابهن في الربيع ان نشا
فهو على طلوعهن في العشا (م)
٣٢ – وجاء من بعد الخريف علان «٥٣»
وهو لاقبال (الشتاء) «ن» عنوان
٣٣ – فزبرة وهي لديهم خامس
وصرفة وهي تسمى السادس

مع طلوع الزبرة مع الفجر يهيج الماء وتكثر الرطب والعنب ويسقط المن والسلوى بأرض الشام «٥٤»، ومع طلوع الصرفة يطيب الفصد وشرب الدواء (ومنهن زيادة الليل والنهار «س» ويبرد الزمان وهو الاعتدال الخريفي وهو أول الخريف عند العجم، وأول الربيع عند الصين والعصر الذي يقع فيه (يضيء) «ع» الروح ويبرى «٥٥» الجسد، ويرجع الماء من أعالي العود الى عروق الشجر، وتهب الرياح وتأتي الغربان السود في أكثر البلدان وفيه ولدت مريم عليها السلام وعيد الصليب الأعظم لنصارى «٥٦»، وتهب الرياح وأي ريح تهب يومئذ فهي أمطر «٥٧»، والخامس من بنات نعش يطلع صبح اليوم الرابع عشر من أيلول وهواليوم التاسع من حلول الشمس منزلة العوا والليلة التي يطلع في صبحها تسميها زراع صنعاء وما والاها سبت السبوت «٥٨» ويخشون فيها على الزرع من الضريب أن يناله فيها، فان مرت ولم ينل الزرع شيء منه أمنوا منه فيما بعد فسبحان الحكيم الفاعل لما يشاء كما يشاء.

٣٤ – ويطلع العواء «٥٩» وهو السابع
فاحفظ فهذا للحساب جامع .
٣٥ – وللسماك فاعرف الحسابا
(قراقرا «٦٠» وبعدها صوابا) «ف»
٣٦ – وللصواب جا اسم آخر
فقد يسمى تارة عناهر (٦١)
٣٧ – وحين أن يأتي الربيع والشتا
يعتبرون الطالعات في العشا
٣٨ – لاسيما الزراع من ارض الشعر (٦٢)
فيما روى عنهم الى ارض خمر (٦٣)
٣٩ – مع اعتبار طالعات الفجر
فهي لهم اصل بكل عصر أول الشتاء
٤٠ – ثم اتى فصل الشتاء بالبرد
فاعدد له – ان جاء – غليظ البرد
٤١ – غفر عشا كامة ابانا
كذا عشا الثور للزبانا (٦٤)

وحسابهم على اعتبار ان الشمس في المنزلة الثانية من طالع الفجر، فاذا كان طالع الفجر الغفر والشمس على اعتبارهم في الزبانا فإنها إذا غربت الشمس والزبانا معها طلع من المشرق نظيره وهو البطين أول المغرب، وطلعت بعده الثريا وقت العشاء وعلى هذا فقس.

٤٢ – طالع إكليل عشاء النجمين
قلب عشاء الظلم فافهم «٦٥» زين «ص»

في رابع القلب يقطع الخشب فلا يسوس ولاتأكله الأرضة «٦٦» وذروه اربعة ايام وتسقط الثريا. وفي الرابع (يوم) منه تذهب الحداه والخطاطيف الى الغور «٦٧» ويسكن النمل جوف الأرض. وخامسه تهب رياح الجنوب وسادسه أول أوقات المطر وأول المد في البحر ويبدأ أهل اليمن في كل أرض باردة بعذرا «٦٨» البر وذلك وقت المهرجان «٦٩» الذي تجعله فارس عيداً لهم، ويسميه أهل اليمن القياض وينقطع مطر الوسمي.

أول الربيع :

٣٤ – ثم أتاك وافد الربيع
فانعم (بحُسْنٍ) «ق» روضة البديع

٤٤ – فشوله أوله عشا العلب
نعائم عشا سهيل إن حسب

وفيه ينهى عن أكل لحوم البقر والأترج والحجامة وشرب الماء بعد النوم «٧٠» ويقال إن الجن تبقي في الماء فمن شرب خشي عليه ويقولون في السنة ليلة ينزل فيها وباء من السماء ولايمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاية مفتوحة إلا وقع فيها. وربما أن الماء الكثير يحتمله فلايضره والأعاجم (يقفون) «ر» ذلك في كانون الأول ويسمون هذا اليوم الميلاد الاكبر لانه يأخذ الانسان في النشو والزيادة والحسن.

٤٥ – بلدة عشاء (الرابعين الأولين)(ش)
وذابح قالوا عشاء الآخرين

في البلدة تسقط ورق الأشجار والذابح ويرجىء المطر وفي حادي عشر منه يبدو العشب وتزاوج الطيور وتكسح الكروم ويزرع القطن.

٤٦ – ثم أتاك بعده الصواب
كما أبان نهجه الحساب

٤٧ – فبلع(ت) قالوا عشا الخامس
سعد السعود قل عشا السادس

سعد السعود فيه يجري الماء في العود من أسافله الى أعلاه، وتنق الضفادع ويتحرك «٧١» البراغيث. وهو عيد النصارى، وتلد الوحوش، وتفرخ الطيور، ويزرع االقثاء والبطيخ، وتلد الماعز، وتطير الخطاطيف، ويورق الكرم، ويكثر الغيث.

٤٨ – وقل عشا السابع «ض» سعد الأخبية
ان النجوم للصواب هاديه

٤٩ – كذا عشا الظافر فالمقدم
الظافر الثاني هو المختم

وفيه تظهر الحداة والخطاطيف، وتفتح الحيات أعينها لأنها في أيام البرد تجتمع في بطن الأرض فيظلم بصرها، ومن أربعة ليالي العجوز «٧٢» وقدرها سبعة أيام. ولاتخلو هذه الأيام من ريح أو كدرة، «٧٣».

٥٠ – وقد أتى اصطلاحهم في «كلما» «ظ»
سمعته غير اصطلاح الحكما

٥١ – فالحكما قالوا بلا «٧٤» نزاع
الصيف «٧٥» من نطح الى الذراع

٥٢ – خريفهم قالوا بقول فيصل
من نثره الى السماك الأعزل

٥٣ – وحكموا أن الشتا حدة
من غفرهم الى انتهاء البلدة

٥٤ – والحكم للربيع بالثبوت
من ذابح الى انتهاء الحوت

باب قران القمر والثريا:

٥٥ – وللعوام اعتبار «ثان» «غ»
في جهة المشرق بالقران

٥٦ – أعني تقارن الثريا والقمر
أوله قران تسعة عشر «٧٦»

٥٧ – إذا أتى الخامس من علان
فذاك سهل مبتدا القران

٥٨ – وعندهم هذا القران إن أتى
يفصل مابين الخريف والشتا

٥٩ – في ليلة التاسع بعد عشر
يقترنان في جميع الدهر

٦٠ – وعنده يشرف «٧٧» زرع الأوطان
ويجمعون «٧٨» فيه حشيش «٧٩» علان

٦١ – وبعده قران سبع عشرة
فاصرب «٨٠» ولو في الزرع بعض خضرة

٦٢ – ويطلق الفحول في الأغنام
على الإناث فاستمع «٨١» نظامي

٦٣ – إن قارنت ليلة خمس عشرة
«يأتيك» «الا» من أولادها بكثرة

٦٤ – وفي ثلاث عشرة خير المال
وحرثه مبارك في الأعمال

٦٥ – وان ترد أن تبقس «٨٢» الكروما
فكن باحدى عشرة عليما

٦٦ – وان بقست قبلها فكلما
بقسته جاء من البرد العمى

٦٧ – لأن في غصونه عيون «م»
يخرج منها بذره المكنون

٦٨ – وفي قران التسع يخضر العنب
ومن عيون «سرعة» «ن» يبدو العجب

٦٩ – وفي قران السبع سابع الصواب
أول غيث الصيف يأتي بانسكاب

٧٠ - يصلح فيه للدثاء المذرا
لمن أراد أن يكون كبرا «٨٣»

٧١ - ومنه في آخره «اثنى عشر» «هـ»
يوما تسمى في الحساب المعتبر

٧٢ - قراقر«٨٤» ست تمر حتى
اذا مضت جاءت صواب ستا

٧٣ - وفي قران الخمس قالوا فاعلم
تقريب أعمال المصيف فافهم

٧٤ - وان ذري فيه الدثا فلا يخيب
لكن رقيق الحب يأتي مع طيب

٧٥ - وفي الثلاث قال أهل المخبرة
لمن أراد الكبر«و» في مذرى الذرة

٧٦ -وفيه اهل الحزم «٨٥»قد لا «يرتضوا» «لا»
مذرى الدثا لأنه يبيض

٧٧ - ثم يكون بذره رقيقا
فاعرف فقد قالوا بذا«٨٦» تحقيقا

٧٨ - وواحد لهم مثال [فاشي] «ي»
فيه قران ليلة ولا شي«٨٧»

٧٩ - وبعد شهر تسقط الثريا
ويحصل الغيث فيسقى ريا

٨٠ - تسقط في وقت الغروب وتغيب
اثنى عشر يوما بقاها«٨٨» في المغيب

٨١ - ثم يكون ذا المغيب«٨٩» فرقا
مابين جحر ومصيف حقا

٨٢ - وفا «٩٠»اعمال المصيف كلها
ويحصل الغيث مع افولها

٨٣ - وبعد ان تمضي [الاثني] «أ-» عشر
تطلع في المشرق وقت الفجر

٨٤ - وفيه مذرى ذرة المشارق «٩١»
وجهة القبلة«٩٢» قول صادق

٨٥ - ويطلع الثور كذا من بعدها
ويستمر في الطلوع مثلها

٨٦ - يبذر فيه العلبي«٩٣» من الشعير
والبر مذرى الكبر فافهم ما أشير

٨٧ - ويطلع الجدي على مر الدهور
لاتبذر الحنطة وابذر الشعير

٨٨ - ويطلع الظلم فمن قد أبصره
يذري الحبوب كلها غير الذرة

٨٩ - وكل نجم قدره [اثني عشر] «ب-»
يوما على تقرير أصحاب النظر

٩٠ - وتطلع العليبة«٩٤» المشتهرة
[سبع فلا تفعل شيء]«ج-» في الذرة

٩١ - إن حرك الطين [بقت]«د-» مصفرة
للضعف فيها وتدق الحشرة «٩٥»

٩٢ - وبعدها سبع تسمى بالعلب «٩٦»
بدد فيها ذرة [ترى] «هـ -»العجب

٩٣ - وبعده يأتي سهيل اثني عشر
يحرث مابين الذرتي «٩٧» بالبقر

٩٤ - واستكمل الجحر كذا فصل المصيف
وجاء من بعد انقضائه الخريف

٩٥- الرابع الاول ثم الثاني
عشرون يوماً جاء في الحسبان

٩٦ - يشغب «٩٨» فيه عاطل الاموال
وهو يسمى الخرف في المقال.

٩٧ - يخرف(٩٩) فيه للقياض والذرة
لمدخل الخامس فاعرف خبره

٩٨ - والرابع الثالث ثم الرابع
عشرون يوماً فيه لاتنازع

٩٩ - والرابع الثالث قد يسمى
[ثويلث](و-) وليس بالمعمى

١٠٠ - وبعدها عاد الحساب المستقر
قران تسع عشرة كما ذكر

١٠١ - وهكذا في سائر الدهور
يدور في الأيام والشهور

١٠٢ - فجل من ابدع فيها صنعته
ومن أرانا في الجميع حكمته

١٠٣ - ومن عجيب صنع ربي الخالق
ما حار فيه فكر الخلائق

١٠٤ - إن جا في قران خمس عشرة
غيث لطيف ليس فيه كثرة

١٠٥ - ولم يكن لأرضه مغيثا
سموه في اعتبارهم بثيثا

١٠٦ - إن غرق الأرض ولم [يرويها]«زز-»
فالحرث حتى والمرور فيها

١٠٧ - يحيل ما حرك فيه الطينا
كل قران مثله سنينا

١٠٨ - في موضع التحريك لا سواه
حقق هذا كل من رآه

١٠٩ - ترى الثمار فيه حين يزرع
تطلع مثل غيره أذ يطلع

١١٠ - مخضرة كمثل ماجاورها
تبهج عين من [رأى] «ح-» منظرها

١١١ - حتى تكاد تلزم الحبوبا
وصار وقت نفعها قريبا

١١٢ - ثم تراه قد غدا مصفرا
ولونه بعد اخضرار اغبرا

١١٣ - ثم يكون بعد ذا حطاما
تعلفه زُرّاعه الانعاما

١١٤ - قران خمس عشرة مبينة
يحيل فيه خمس عشرة سنة

١١٥- وهكذا كل قران مثلها
الى قران السبع فاحذر جهلها

١١٦ - ومن قران الخمس رفع الضر
الى قران الخمس بعد عشر

١١٧ - إن جاء غيث ليس بالمغيث
قد امنت مضرة [الثبيث]

١١٨ - ثم يعود حكمه كما مضى
جل الحكيم في جميع ماقضى

١١٩ - وقد يقول في القران العارف
هذا قران قد اتى مناصف

١٢٠ - مثاله قرانها وقد علم
وقد بقي آخر فصل لم يتم

١٢١ - وقارنت في شهرها المستقبل
بعد خروج الفصل ذاك الاول

١٢٢ - وبعد ان يدخل منها الثاني
فيتبعون ذاك في المباني

١٢٣ - ويلحقون كل فصل حصته
على مرور الدهر فافهم قصته

١٢٤ - سبحان من دبر أمر الخلق
ومن هداهم مصلحات الرزق

١٢٥ -وجعل الكواكب السيارة
هداية للأنفس المحتارة

١٢٦ - فالحمد لله العظيم حمدا
يفوت ما حاز الوجود عدا

١٢٧ - هذا وصلى ربنا ومجدا
على النبي المصطفى [محمدا]«ط-»

١٢٨ - وآله المطهرين الاخيار
ما أعقب الليل ضيا الآبكار

□□□

فهرس أسماء النجوم في أرجوزة العفّاري

الإكليل	beta, delta, pi Scorpionis
بطن الحوت	beta Andromendae
البطين	epsilon, delta, pi Arietis
البلدة ـ رقعة من السماء لا كوكب فيها بين النعائم وسعد الذابح	
الثُريَّا	Pleiades
الثور	unidentified stars in Taurus
الجبهة	zeta, gamma, eta, alpha Leonis
الجدي او الجُدي	Capricornus
الدّبران	alpha Taurus
الذراع	alpha, beta Geminorum
الرابعان الاولان	

alpha, beta Ursae Majoris	
delta, gamma Ursae Majoris	الرابعان الآخران
alpha, beta Librae	الزُبانى
delta, theta Leonis	الزُبْرة
gamma, pi, zeta, eta Aquarii	سعد الأخبية
mu, epsilon Aquarii	سَعْد بُلع
alpha, beta Capricorni	سَعْد الذابح
c' Capricorni and beta, xi Aquarii	سَعْد السَعوُد
alpha Carinae or Canopus	سُهيل
alpha Virginis or Spica	السَماك
beta, gamma Arietis	الشُرطان
lamda, upsilon Scorpionis	الشَوْلة
beta Leonis	الصرفة
stars in Pegasus	الصواب
chi Cancri and lamda Leonis	الطرف
alpha Centauri	الظافر الأول
beta Centauri	الظافر الثاني
alpha Orionis	الظُلم
associated with Ursae Majoris	غلّان
Sirius	علب
beta, eta, gamma, delta, epsilon Virginis	العَواء
iota, chi, lamda Virginis	الغَفْر
a Bootis or Arcturus (?)	فارع
a Bootis or Arcturus (?)	فرع
delta gamma Pegasi	الفرغ المؤخر
alpha, beta Pegasi	الفرغ المقدم
Pleiades	كامة
two stars in Taurus (?)	النَجمان
beta, gamma Arietis	النَطح
sigma, phi, tau, zeta, gamma, delta, epsilon, eta Sagittarii	النَعائم
lamda, phi[1], phi[2] Orionis	الهقعة
gamma, xi Orionis	الهنعة

هوامش

١ ـ اشكر الدكتور رابرت سرجنت لنسخه هذه المخطوطة

٢ ـ R.B Serjeant and Husayn al-ᶜAmri, (A Yemeni Agricultural poem) in wadād al-Qādi (editor), Studia Arabica et Islamica, 410-411. Beirut : A.U.B., 1981 .

٣ ـ التلام الحرث والزراعة .

٤ - انظر محمد بن محمد زبارة نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الالف المجلد الاول . صنعاء . مركز الدراسات والبحوث اليمني . بدون تاريخ ص ٤٦٥ - ٤٦٧

٥ - لموضوع الانواء انظر

Fuat sezgin, Geschichte oes Arabischen Schrifttums, Leiden, 1979, vol. 7, pp. 322-370, c. pellat, Dictons rimes, anwa et mansions lunaires chez les Arabes, Arabica, 1955, vol.2,pp. 17-41, D.M. Varisco, The Rain Periods in pre-Islamic Arabia, Arabica, 1987, vol. 34, pp, 251-266, D.M. Varisco, The Anwā Stars according to Abū Ishaq al-Zajjāj, Zta. fur Geschichte der Arabisch-Islamischer wissenschaften, 1988, D.M. Varisco, The Origin of the Anwā in Arab Tradition, Studia Islamica, forthcomong.

ومن مصادر علم الانواء ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ . كتاب الانواء . حيدر اباد . ١٩٥٦ . وابو إسحاق إبراهيم بن اسمعيل بن الاجدابي المتوفى سنة ٦٥٠ هـ كتاب الازمنة والانواء دمشق . ١٩٦٤

٦ - توجد احدى المخطوطتين بجامعة CAMBRIDGE بانجلترا والاخرى بالمكتبة الغربية للجامع الكبير في صنعاء . رقم فلك ٣

٧ - لحساب النجوم بالوادي الاحجر شمالي وغربي صنعاء انظر

D.M. Varisco, The Production of Sorghum (dhurah) in Highland Yemen, Arabian Studies, 1985, vol. 7, pp, 62-63.

٨ - انظر الملك الاشرف عمر بن يوسف الرسولي . المتوفى سنة ٦٧٥ هـ كتاب التبصرة في علم النجوم . ص ٥٢ . مخطوطة بجامعة OXFORD بانجلترا

٩ - ذكر مؤلف الشرح ان طلع الفرع (معلم ٢) خمسة ايام بعد طلوع العرغ المؤخر . وهذا غير صحيح . لانه قال بعد هذا إن اليوم الأول من العلب (معلم ٩) اليوم ٥ من تموز وهو اربعة ايام قبل طلوع الشعرى العبور وهو اليوم الخامس بعد طلوع الذراع بالفجر

١٠ - الهمداني صفة جزيرة العرب الجزء الاول ليدن مكتبة بريل ١٨٨٤ . ص ١٩١

١١ - انظر بيتي ٩٥ و ٩٨ من الارجوزة

١٢ - انظر المعلومات بعد بيت ٢٠ وبيت ٣٣ من الارجوزة

١٣ - عبد القادر بن محمد الهتّار . قاعدة في معالم الزراعة . مخطوطة في إيطاليا وساطبعها إن شاء الله بكتاب جديد حول تفاويد النجوم في اليمن STAR CALENDARS OF YEMEN

١٤ - انظر

Gustav Dalman, Arbeit und Sitte in Palaestina, Gutersloh, 1928, vol. 1, pp, 23 ff, and A. Bausani, Osservaziani sul sistema calendariale degli Hazāra di Afghanistan, Oriente Modero, 1974, vol. 54, pp. 341-354.

١٥ - ابن قتيبة كتاب الانواء ١٩٥٦ . ص ٨٦ - ٨٧ .

١٦ - انظر بيت ١٠٠

١٧ - انظر بيت ٧٢ و ٧٣

١٨ - ابن قتيبة كتاب الانواء ١٩٥٦ . ص ٧٧ انظر ابو علي المرزوقي . المتوفى سنة ٤٥٣ هـ . كتاب الازمنة والامكنة . حيدر اباد . ١٩١٤ . الجزء الثاني . ص ١٨١ وابو ريحان البيروني . الآثار الباقية . ليدن . ١٨٧٩ . ص ٣٣٦

١٩ - انظر دانيال مرتن فاريسكو . التوقيعات في تقويم الزراعة المجهول من عصر ملوك بني رسول دراسات يمنية . ١٩٨٥ . ٢٠ . ص ١٩٢ - ٢٢٢

٢٠ - انظر

D.M. Varisco, The Rain periods in pre-Islamic Arabia, pp. 261-263.

٢١ - انظر د م فاريسكو . التوقيعات . ٢٢ . ص ٢١٠

٢٢ - الذرة الريفية Sorghum انظر

D. M. Varisco, The Production of Sorghum.

٢٣ - وجاء الاصطلاح صراب باللغة العربية الجنوبية قبل الإسلام بمعنى الخريف او حصاد الخريف وكان شهر تشرين الاول عند حساب الحميريين .ذا صراب .

٢٤ - .Triticum sp ويعود الاصطلاح بر إلى اللغة العربية الجنوبية القديمة واللغة العبرانية وجمعة بُرّه او أبرار

٢٥ - لا ينسب القياض إلى اصطلاح القيظ بمعنى الصيف وموسم القياض بين صراب الذرة في الخريف ودري الذرة في الربيع وقيل باحد التفاويد المعنية من وقت بني رسول إن زراعة القياض في وقت طلوع العلب او الشعرى العبور عشاء باليمن في نصف كانون الاول ديسمبر

٢٦ - نسبت كلمة دثاء باللغة العربية الجنوبية القديمة واللغة العبرانية بمعنى الربيع او حصاد الربيع وكان شهر كانون الثاني (يناير) بحساب الحميريين .ذا دثاء . وقالت العرب القديمة بالجزيرة إن المطر الدثني يهطل في شهر فبراير تقريبا

٢٧ - محمد بن احمد بن الطبري . ابو العقول . المتوفى القرن الثامن الهجري . جدول اليواقيت في معرفة المواقيت مخطوطات بصنعاء ولندن وميلانو

٢٨ - يكسح ينقي أو يقلم الكرم

٢٩ - Mesiod (8M century B.C.E) Theogony. works and Days. Middlesex : Penguin Books, 1973, p. 78.

٣٠ - الأموال الاراضي الزراعية

٣١ - المذاري ومفرده المذرا أو المدرى . موسم الزراعة او الذري

٣٢ - الدراري النجوم والنجم الذري هو المضيء

٣٣ - يعتبرون طالعات العشاء ايضا من معالم الزراعة اليمنية

٣٤ - المصيف الصيف ويقصد به فصل الربيع باليمن

٣٥ - المؤخر الفرع المؤخر

٣٦ - الحوت بطن الحوت ـ بحبحلس باللغة اليونانية

٣٧ - ذكر اليونانيون القدماء ان سفر المراكب ببحر الروم مدة سبعة اسابيع بعد الاعتدال الربيعي وسموها ـ انظر ملاحظاتي السابقة بالمقال

٣٨ - المثل غير صحيح لان بداية معلم الفرع خمسة ايام بعد طلوع بطن الحوت

٣٩ - الحكماء علماء الفلك

٤٠ - العشا العشاء. ونقصت الهمزة كثيرا بالارجوزة بسبب الميزان [و في الهامش وتسمى الفرع الموخر]

يسمى البطين النجمين في الصيف

٤١ - بطن بالاصل وقيل بهامش المحطوطة إن يونيو عند اهل الجبال وقال الزميلي بكتاب غاية المدع

٤٢ - الجخر وقت الحر الشديد واليابس قبل امطار آخر الصيف وهذا في شهر حزيران

في غالـب الاوقـات طـول الـدهـر
فـغـالـب الـسـنـين وقـت جـحـر.

٤٣ - بالاصل غدى

٤٤ - وقيل بهامش المخطوطة . يعني ثور الحر ومن العجائب ان الجراد إن ظهرت قبل طلوع النور مع الفجر كثرت وكثر ترددها وضررها وإن لم تظهر
إلا بعد طلوعه مع الفجر فانها تكون ركيكة ـ هكذا ـ وضررها مامون ولا يخشونه

و في الهامش النجمين في الجحر م]

٤٥ - [الصواب ان يقال النجمان . لكنه اجراها على الاصطلاح والحكاية عن اليمنيين

وذلك لان بعض اليمنيين يدعونها الصلم

٤٦ - قيل بهامش المخطوطة . بالظاء المعجمة او بالصاد المهملة

مثل ما قال ابن وحشية بكتاب الفلاحة النبطية بطلوع

٤٧ - هذه العادة من اقدم المعلومات حول التقويم العربي . واصلها من معرفة الحكماء السريانية
الشعرى اليمانية صيفا . خذ من كل شيء من الحبوب والبذور والنوى من الشجر ومن داخل حب العنب ومن كل حب من الحبوب جملة وكل بذر
فيزرع في موضع قد أعدّ لذلك في الوقت الذي ذكر ويسقى الماء حتى ينبت فما ينبت قويا يخصب في تلك السنة وما خرج ضعيفا او ابطا نشوؤه
فهو الذي لا يخصب في تلك السنة ولا يفلح وكتاب الفلاحة النبطية من القرن الثالث الهجري . ونقل منه كثير من علماء الفلك والزراعة

٤٨ - تقيه بالأصل .

٤٩ - الواو ناقصة بالاصل

٥٠ - المنسكب ان ينزل الغيث باليمن فيسكب المطر من السماء وهذا في معلم سهيل ومن امثال اليمن سهيل في ليلة سبعين سيل . انظر
D.M. Varisco, The Production of Sorghum, p. 64.

٥١ - القصب قصب السكر

٥٢ - قيل بهامش المخطوطة وفيهما وقت الأترج . ويغير الحرّ

٥٣ - علا بالاصل [والبيتان بين القوسين من الحاشية]
علاّن موسم الخريف باليمن وكان شهر ،سبتمبر، ايلول عند حساب الحميريين ،ذا علاّن، وسمّى اهل الجبال باليمن نجوم بنات نعش بعلاّن

٥٤ - سقوط المن والسلوى عيد عند اهل الشام وقد ورد ذكرهما ضمن قصة خروج بني إسرائيل بالتوراة والقرآن الكريم .

٥٥ - [يبرىء اي يشفى]

٥٦ - عيد الصليب من اعياد النصارى ويكون في يوم ١٤ من شهر ايلول .

٥٧ - يعني . يجيء المطر مع الريح .

٥٨ - سبت السبوت اصل هذه اللفظة من عيد اليهود وهو اول وقت الضريب او الجليد بجبال اليمن الشمالية . بل هو عطلة موسم رطب النخل بتهامة عند اهل زبيد في عصر دولة بني رسول وقيل بعصرهم إنه اول يوم السبت بشهر ايار ،مايو، نزلت سلاطين بني رسول عند النخل في وادي زبيد شهراً .

٥٩ - [او العوّاء من انواء البرد . وهي اربعة كواكب . ثلاثة متفرقة والرابع قريب منها وطلوعها لاثنتين وعشرين ليلة من ايلول ،سبتمبر، وسقوطها لاثنتين وعشرين من آذار ،مارس، . انظر . العوّا . اللسان ، ج ٢ ، ص : ٩٣٦] .

٦٠ - قراقر البرد . واصله من القُرّ ومثله الصراصر وقال عبد القادر بن محمّد هتّار (قاعدة في معالم الزراعة . مُخطوطة بمكتبة امبروسيانا) إن قراقر ثلاثة ايّام في نصف شباط قبل طلوع الظافر الاول . وقال المؤلف إنه اثنا عشر يوماً انظر بيت ٧٢ بالأرجوزة .

٦١ - قيل إن عناهر موضع اليمن

٦٢ - الشّعِر ناحية بقضاء النادرة باليمن . وقيل بهامش المخطوطة إن . الشعر من نواحي خُبان، . وهي شرقي ظفار وجنوبيه . انظر : إبراهيم احمد المقحفي . معجم المدن والقبائل اليمنية . صنعاء . دار الكلمة . ١٩٨٥ .

٦٣ - خَمِر مركز قبيلة بني صُريم من بلاد حاشد شمالي صنعاء . وقيل بهامش المخطوطة إن خمر من ثلاء وحاشد وبكيل .

٦٤ ـ [في اللسان الزُّباني . وقيل بهامش المخطوطة إن .ويقال للغفر الظافرين ـ هكذا ـ وقد يقال للزباني غروب الثور» وهذا من اختلاف الحساب عند الشعب اليمني .

٦٦ ـ الارضة النمل الابيض الذي ياكل الخشب

٦٧ ـ الغور الاقاليم الجنوبية الحارّة مثل تهامة باليمن

٦٨ ـ مذرا زراعة

٦٩ ـ المهرجان أي المهرجان الثاني . وهذا بآخر السنة الشمسية . وكان المهرجان الاول بشهر تشرين الاول (اكتوبر) وينسب إلى عيد الاعتدال الخريفي وابتداء السنة الزراعية عند تقويم ابن رحيق (مخطوطة بمكتبة برلين) .

٧٠ ـ نقل المؤلف هذه المعلومات وما يليها من التقاويم القديمة . ومثل ذلك ما قال القزويني بكتاب عجائب المخلوقات حول الانقلاب الشتوي ـ وهو يوم السابع عشر من كانون الأول ـ من انه .ينهى عن تناول لحم البقر والاترج وشرب الماء بعد النوم وعن الحجامة وطلي النورة . ويسمون هذا اليوم الميلاد الأكبر يعنون به الانقلاب الشتوي . ويقولون إن فيه يخرج النور من حدّ النقصان إلى حدّ الزيادة ويأخذ الإنس في النشو والنماء ، والجنّ في الذبول والعناء، وايضًا في اليوم التاسع والعشرين .ينهى عن شرب الماء بعد النوم . ويقولون في الجنّ إنها تتقيا في الماء فمن شربه يغلب عليه البله وهذا تحذير للعوام لبرودة الهواء ورطوبته.

٧٢ ـ ليالي العجوز موسم البرد بآخر الشتاء وقال اهل الفلك إنها من ٢٦ شباط .فبراير. إلى ٤ آذار .مارس. من السنة الشمسية . انظر : ابو علي المرزوقي . المتوفى سنة ٤٥٣ هـ . كتاب الازمنة والامكنة . الدوحة . ١٩٦٧ . الجزء الاول . ص ٢٧١ ـ ٢٧٤ .

٧٣ ـ الكدر الماء وذكر الفيروز ابادي في القاموس المحيط انه صبّ الماء [قلت والاظهر ـ والله اعلم ـ أن الكدرة الرياح التي تحمل الغبار وهذا اوفق واكثر تمشيًا مع السياق .. انظر اللسان كدر ج ٣ . ص : ٢٢٩ المصحح] .

٧٤ ـ بل بالاصل .

٧٥ ـ يسمي اهل اليمن الربيع صيفًا والخريف شتاء وهكذا

٧٦ ـ كان قران القمر والثريّا اليوم التاسع عشر بعد الهلال في هذا الوقت

٧٧ ـ يشرف . يقطف اوراق الذرة قبل الحصاد بشهر واحد . انظر

D.M. Varisco, The Production of Sorghum, p. 64.

٧٨ ـ [صحتها . يجمعون] .

٧٩ ـ حشيش علّان . النبات الذي يظهر بعد امطار الخريف باليمن .

٨٠ ـ اصرب احصد .

٨١ ـ فاستمع بالاصل .

٨٢ ـ تبقس . تكسح او تقلم .

٨٣ ـ [الكُبْرُ هو كبير قومه او سيدهم .. انظر اللسان كبر ج ٣ . ص : ٢١١ . وربما كان الكبر نباتًا مما يزرع باليمن . ولم يشر إليه المحقق . م] .

٨٤ ـ انظر هامش ٦٣ .

٨٥ ـ الحزم : آل حزم من قبائل ذي حسين في خب من اعمال برط . وحزم همدان مدينة كبيرة بالجوف . انظر إبراهيم احمد المقحفي . معجم المدن والقبائل اليمنية . ص : ١١٨ ـ ١١٩ .

٨٦ ـ بذا : بهذا .

٨٧ ـ ليلة ولا شيء الليلة التي (لا سافٍ) الثريا فيها . ويكون استسرار الثريا في السماء من بداية شهر نيسان .أبريل. مدة اربعين يومًا

٨٨ ـ بقياها : أي بقاءها .

٨٩ ـ ذ المغيب بالاصل .

٩٠ ـ وفا : وفاء . أي تملم .

٩١ ـ المشارق : المناطق الشرقية من صنعاء .

٩٢ ـ جهة القبلة باليمن تقع شمالًا .

٩٣ ـ العلبية : نوع من البرّ والشعير واصله من نجم العلب او الشعرى العَبُور .

٩٤ ـ قال عبد القادر محمد الهتّار إن موسم العلبية من ١٧ ـ ٢٣ حزيران .يونية. .

٩٥ ـ [الصواب : بقيت] ، والحشرة : ساق الذرة .

٩٦ ـ قال الهتار إن العلب من ٢٤ ـ ٣٠ حزيران .يونية.

٩٧ ـ الذرتي : اي بين زرعين من الذرة . ويسمى هذا باليمن كحيفًا

٩٨ ـ يشغب يحرث او يفلح
٩٩ ـ يخرف يحرث الارض التي نزل عليها مطر الخريف وهذا تدبير الارض قبل زراعة القياض بالشتاء

ا ـ ج . زيج أوزيغ . ولعل المراد به المؤلفات التي تتناول التغير الظاهري الدوري الذي يشاهد في مواضع النجوم الثوابت من جراء حركة الأرض في فلكها حول الشمس . راجع معجم المصطلحات العلمية والفنية . لسان العرب ـ ص ٣٠٥ ـ المصحح
ب ـ هكذا .. والتعبير ركيك .
ج ـ الرواة .
د ـ ترى .
هـ ـ لعلها يستوي .
و ـ الصواب اثنا عشر

ز ـ الصواب الشعرى .
ح ـ صحتها : العشرون .
ط ـ صحتها : سهيلاً .
ي ـ الصواب : الرابعان الأولان .. ولعلها سيقت على الحكاية .
ك ـ صحتها : واحد .
ل ـ من الهامش .
م ـ الاصح : الشتا بحذف الهمز .
ن ـ معنىً غير واضح .
س ـ يضيء . ولعل المراد بها إشراقة الروح وراحة النفس .
ع ـ الصحيح قراقر بعدها صواب .
ف ـ الصواب : فالهم نين . وهو تصحيف من الناسخ او لحن من الناظم .
ص ـ في الأصل : بحين أو بجنى .
ق ـ لم افهم معناها وليست واضحة في الأصل .
ر ـ كلُّ ما .
ش ـ هكذا .
ت : في الهامش : عشا السابع بخرج الجراد ويختلف الريح .
ث ـ في الهامش : وقد يقال لسعد بلع ثور و «نجمي» الشتاء . ويقال لسعد السعود رابعين آخرين في الشتاء .
خ ـ يأتك .
ذ ـ لم تنصب «عيون» للضرورة .
ض ـ السَّرْع والسُّرع هو قضيب سنةٍ من الكرم . والاساريع هي التي يتعلق بها العنب . اللسان : سرع ، ج : ٢ ، ص: ١٣٥ .
ظ ـ صوابه : ومنه في آخره اثنا عشر .
غ ـ لعل المراد بها المكابرة .
لا ـ صحتها : يرتضون .
ي : فلش .
أـ ـ صحتها : الاثنا عشر .
ب ـ ـ الصواب : اثنا عشر .
ج ـ ـ صوابها : سبعًا فلا يُغْفل شيْء على هامش ٨٥ كتب : الدبران ، وعلى هامش ٨٧ : الهقعة ، وعلى هامش ٨٨ : الهنعة ، وعلى هامش ٩٠ : الذراع . م .
د ـ ـ صوابها : تر العجب .

ه-- صوابها ثويلثا .
و-- يزويها .
ز-- في الاصل راء .

شكر :

اخيراً اود ان اشكر العلامة القاضي علي محمد الشرفي من صنعاء لمساعدته في دراسة هذه الارجوزة . وايضا اشكر الاستاذ محمد علي الكواري . والاستاذ الصادق سليمان والاستاذ عبد السلام البسيوني لمساعدتهما .

من أسماء النسبة الواردة على وزن فَعَّيْلَة

القاضي: اسماعيل بن علي الأكوع

تشتهر نواحي تعز، ولاسيما ناحيتي مقبنة وشرعب، وكذلك الى حد ما مخلاف لحج وأبين وناحية الضالع باستعمال ماجاء على وزن (فَعَّيْلَة) صيغة للنسبة الى القبيلة أو العشيرة أو القرية أو العزلة (١) أو الى الناحية فيقال في النسبة إلى آل البريهى بَرَّيْهَة، وإلى آل زيد بن حسن زَبَّيْدَة، وإلى آل الحميدى حَمَّيْدَة وإلى آل الزبيري زَبَّيْرَة، كما يقال بَرَّيْحَة: نسبة إلى سكان قرية البَرَح، ودَبَّيْعَة: نسبة إلى عزلة دبع، وعَدَّيْنَة: نسبة الى ناحية العدين، وعَنَّيْسَة: نسبة إلى مخلاف عنس. على أن هذه النسبة قد توجد في غير هذه المناطق ولكن على قلة وندرة. وقد جمعت ماتناهى الىَ سماعه، وتيسرلي معرفته أذكره هنا مرتباً على حروف الهجاء:

١ - أَجَّيْنَة: نسبة الى قرية الأجين من عزلة الوريف، من مخلاف شمير ناحية مقبنة وأُعمال المخا، ثم من لواء تعز.

٢ - أكيمة: نسبة الى قرية الاكمة في عزلة الوزيف من مخلاف شمير، واكيمة: نسبة الى قرية الأكمة من عزلة الخياشن من مخلاف شمير، وأكيمة: نسبة الى قرية الأكمة عن مخلاف ميراب من مقبنة.

٣ - بتيرة: نسبة إلى قرية البتيرة من مخلاف ميراب من مقبنة.

٤ - بديحة: قرية في عزلة الشمايتين من الحجرية (المعافر) من أعمال لواء تعز. وبديحة: قرية من ناحية الوازعية من الحجرية أيضاً.

٥ - بريحة: نسبة الى قرية البرح التي تقع في طريق المخا، وبريحة: نسبة الى قرية البريح من عزلة الوريف من مخلاف شمير وكلتاها من ناحية مقبنة.

٦ - بريطة: نسبة الى قرية برط من مخلاف ميراب من ناحية مقبنة.

٧ - بريهة: نسبة الى قبيلة الأبروه في ناحية خدير من أعمال تعز وينسب اليها إمام السنة احمد ابن محمد البريهي المتوفي بمدينة إب سنة ٥٨٦ هـ، والمؤرخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي من أعلام المئة التاسعة صاحب تاريخ البريهي، ومن هذا البيت خرج علماء كثر، سكن اكثرهم رباط البريهي وذي السفال وبعضهم مدينة إب وهم أقدم بيت عرفوا في هذه المدينة، والبريهة: نسبة الى البراهم من عزلة الخياشن من مخلاف شمير وأعمال مقبنة والبريهة: عزلة في جبل حبشي (جبل ذخر) من الحجرية (المعافر) وأعمال تعز.

٨ - بشيرة: قرية في ناحية شرعب من أعمال تعز.

٩ - بطيحة: قرية في وادي مشورة من الأزرقي من أعمال ناحية الضالع (٢)

١٠ - بطينة: نسبة الى قرية البطن من عزلة البريح من مقبنه وبطينة: نسبة الى قبيل يسكنون الدروب من لحج (٣) والبطينة: نسبة الى قرية البطنة من عزلة من المواسط من الحجرية.

١١ - بعيمة: عزلة في ناحية المقاطرة من الحجرية

وأعمال تعز
١٢ - البقيرة: نسبة إلى نقيل البقر في عزلة الجماهرة.
١٣ - البقيلة: من قرى غيل حبان (٤) والبقيلة: من قرى وادي عميقين (٥)
١٤ - بليعة: نسبة الى قرية البليعة من عزلة الملاحطة من مخلاف شمير
١٥ - تبيعة: بطن تسكن في عزلة عزبان من ناحية السلام (شرعب) وأعمال تعز.
١٦ - تبينة: نسبة الى قرية من مخلاف الضربيات من مقبنة.
١٧ - نويهة: نسبة إلى عزلة من ناحية جبل حبشي.
١٨ - جبيلة: نسبة الى قرية الجبل من عزلة الأقحوز من مخلاف شمير، والجبيلة نسبة الى الجبالي من ناحية السلام وأعمال تعز، والجبيلة: في جبل حبشي.
١٩ - الجحيلة: من ناحية القبيطة وأعمال تعز، والجبيلة نسبة الى قرية في عزلة الوريف من مخلاف شمير من مقبنة .
٢٠ - الجديلة: من بني شيبة
٢١ - الجعيدة: من المقاطرة وأعمال الحجرية.
٢٢ - الجعيرة: قرية في منطقة قبائل بالحارث من بيحان (٦).
٢٣ - الجعيمة: فخذ من بطون قبيلة الصبيحة (٧).
٢٤ - الجميمة: نسبة الى الجميمة من عزلة الخياشن من مخلاف شمير من مقبنة.
٢٥ - الجنيدة: نسبة الى قرية الجند من عزلة المجاعشة من مخلاف شمير من مقبنة.
٢٦ - جهيلة: نسبة الى الجاهلى من عزلة الوريف، من مخلاف شمير
٢٧ - أمجهيله : من الصبيحة (٨)
٢٨ - جويفة: نسبة الى قرية الجوف من مخلاف ميراب.
٢٩ - حبيبة: نسبة الى عزلة من مخلاف الضربيات من ناحية مقبنة.

٣٠ - الحبينة : من مقبنة.
٣١ - حجيرة: نسبة الى قرية الحجرة من عزلة المويجر من ناحية مقبنة، الحجيلة بلدة من قرى القحرى من أعمال باجل ثم من أعمال لواء الحديدة، والحجيلة: نسبة الى فخذ من آل سلام من مخلاف لحج .
٣٢ - الحريبة: واد من المواسط في الحجرية من أعمال تعز، ويدعى وادى الحريبة.
٣٣ - حريزة: نسبة الى قرية الحرازية من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.
٣٤ - الحسيمة: من بطون قبائل الضالع (٩)
٣٥ - الحسينة: نسبة الى قرية حسينه في عزلة جاحر من مخلاف مقبنة وتقع بالقرب من قرية الرمادة في الغرب من تعز، والحسينة: فخذ من آل سلام من لحج (١٠)
٣٦ - الحشيلة: نسبة الى قرية الحشيلة من مقبنة.
٣٧ - حضينة: نسبة الى قرية الحيضان من عزلة الوريف من مخلاف شمير.
٣٨ - حطيبة: نسبة الى قرية المحاطبة من عزلة المجاعشة من مخلاف شمير.
٣٩ - الحقيبة: نسبة الى الحقيبة من عزلة بني حماد من المواسط.
٤٠ - الحطيمة: من قبائل قيفة من أصحاب المشايخ آل جرعون .
٤١ - حقيفة: نسبة الى قرية الحقف من مخلاف شمير .
٤٢ - حقيلة نسبة الى قرية الحقيل من عزلة الملاحطة .
٤٣ - حليلة: نسبة الى بلدة في ناحية المقاطرة من أعمال الحجرية .
٤٤ - الحميدة: نسبة الى بطن في عزلة من المقاطرة من أعمال الحجرية والحميدة: قرية من قرى ثات من مخلاف العرش وأعمال رداع، ويسكنها آل الحميدى وبجوارها من جهة الشمال خرائب ثات الأثرية.
٤٥ - الحنيشة: من أفخاذ بطون قبيلة الصبيحة

(١١) و عزلة في ناحية المقاطرة من الحجرية .

٤٦ - الحنيكة:نسبة إلى قرية الحنكة من عزلة الجماهرة من مخلاف شمير، والحنيكة: نسبة الى قرية الحنكة من عزلة المويجر.

٤٧ - الحويجة: نسبة الى قبيل يسكن قرية الشطيف من قرى لحج (١٢) وحويجة: نسبة الى الاحواج من مخلاف ميراب من مقبنة، وحويجة: نسبة الى قرية الحويجة من عزلة الملاحطه من مخلاف شمير.

٤٨ - حنينة: نسبة الى قرية حنينة من عزلة الخياشن من مخلاف شمير

٤٩ - الحييزة: بطن من الحواشب من الراحة(١٢)

٥٠ - حَيِّيَة: نسبة الى قرية الحيا من عزلة المويجر من ناحية مقبنة

٥١ - حييمة: نسبة الى قرية من مخلاف الضريبات من ناحية مقبنة.

٥٢ - خديشة: نسبة الى الأخدوش من مخلاف ميراب.

٥٣ - خريبة: نسبة الى قرية الخرابة من عزلة الوريف من مخلاف شمير، وخريبة: قرية في ناحية القماعرة وأعمال تعز.

٥٤ - خزيجة: نسبة الى قرية خزيجا من عزلة الأخلود من مخلاف شمير.

٥٥ - الخزيعة: من الجندية الأعلى من تعز.

٥٦ - الخسيجة: فخذ من بطون الصبيحة (١٣)

٥٧، - حسيلة : من مقبنة.

٥٨ - الخشيلة: نسبة الى قرية في عزلة الاقحوز من مخلاف شمير من ناحية مقبنة

٥٩ - خصيلة: من المواسط من الحجرية.

٦٠ - الخطيمة: قرية من قيفة العليا من أصحاب المشايخ آل جرعون من أعمال رداع.

٦١ - الخميرة من الوازعية من الحجرية.

٦٢ - خويفة: نسبة الى قرية الخويفة من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.

٦٣ - دبيجة: نسبة الى قرية الدبيجة من عزلة الاقحوز .

٦٤ - دبيعة: نسبة الى عزلة دبع من الأعبوس من الحجرية.

٦٥ - الدجيرة: من أفخاذ بطون الصبيحة(١٤)

٦٦ـ الدخينة : نسبة الى قرية الادخون من عزلة الاخدوع من مخلاف شمير.

٦٧ - الدريدة: من قرى غيل حبان من منطقة الواحدى.

٦٨ - رعيرة: قرية من مخلاف عنس السلامة من أعمال ذمار .

٦٩ - الدمينة: هم آل دمينة، بطن من (ذو محمد) من برط، وآل الدمينة: من قبائل وادعة صعدة، (١٥) ودمينة: نسبة الى قرية دمنة من مخلاف ميراب .

٧٠ - دويدة: نسبة الى قبيلة آل دويد من قرية الدويرة من عزلة الخياشن من مخلاف شمير من مقبنة.

٧١ - دويرة: نسبة الى قرية الدوير من عزلة الخياشن من مقبنة .

٧٢ - دييمة: نسبة الى قرية الدويمة من عزلة الضريبات من مخلاف شمير من مقبنة.

٧٣ - ذنيبة: نسبة الى قرية الذنيب من عزلة الوريف من مخلاف شمير،

والذنيبة: نسبة الى قرية الذنيبة من عزلة الاخلود من عزلة الضريبات من مقبنة.

٧٤ - ربيضة: نسبة الى الربيض من عزلة الملاحطه من مخلاف شمير، وربيضة: قرية قريبة من الاحكوم من شرجب من الحجرية.

٧٥ - ربيطة : نسبة الى قرية الرباط من عزلة الملاحطه من مقبنة.

٧٦ - الرجيمة: قرية في الأعروق من ناحية القبيطة وأعمال تعز.

٧٧ - امر جيعة: نسبة الى قوم من الأصابح يسكنون قرية امر جاع (١٦)

٧٨ - الرديبة: من الوازعية من أعمال الحجرية.

٧٩ - الرديحة: من قرى منطقة جردان (١٧) والرديحة: في منطقة غيل حبان (١٨)

٨٠ - رعينة: نسبة الى عزلة الرعينة، والرعينة: هم بنو الرعيني من ناحية شرعب وأعمال تعز.

٨١ - ركيبة: نسبة الى قرية ركاب من عزلة

الملاحطة من مخلاف شمير من مقبنة، وركيبة: نسبة الى الركبة من مخلاف ميراب

٨٢ ركيرة نسبة الى قرية الركز من مخلاف ميراب.

٨٣ الرهيطة من الوازعية

٨٤ الزبيدة فخذ من بطون الحواشب (١٩)

٨٥ زبيدة قرية من مخلاف شمير من مقبنة.

٨٦ الزبيرة سبة الى قرية في عزلة قدس من المواسط من الحجرية يسكنها ال الزبيري، وزبيرة: قبيل يسكنون الوهط من أعمال مخلاف لحج.

والزبيرة قبيل يسكنون الفيوش من قرى لحج (٢٠) ، والزبيرة فخذ من قبائل بالحارث من بيحان (٢١) والزبيرة بنو الزبيري من زهير من أرحب، وأشهر من ظهر من بني الزبيري الشهيد الشاعر الكبير محمد محمود الزبيري المتوفى قتلا في رجوزه من برط سنة ١٣٨٤هـ .

٨٧ - الزريبة : قرية من عزلة السواء من أعمال الحجرية، والزريبة من شرعب وأعمال تعز.

٨٨ - زريقة العزلتين من المقاطرة، وهما زريقة الشام، وزريقة اليمن. وفيها حصن منيف.

وزريقة : نسبة الى قرية الزرقة من عزلة الوريف من مخلاف شمير.

٨٩ - زعيمة: عزلة من المقاطرة من أعمال الحجرية، والزعيمة: الزعازع.

٩٠ - زعينة: عزلة في ناحية شرعب.

٩١ - الزكيرة: عزلة في الشمايتين من الحجرية .

٩٢ - الزليطة: فخذ من بطون قبيلة الصبيحة من اعمال لحج (٢٢)

٩٣ - زييدة: نسبة الى قبيلة زيد بن حسن بن زيد بن حسن سبأ وقريتهم المويجر من عزلة الملاحطة.

٩٤ - سبيئة: نسبة الى بنى سبأ ، وهى عزلة من ناحية السلام من أعمال تعز.

٩٥ - سخيرة: نسبة الى قرية السخرة من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.

٩٦- السديمة: اسرة مشهورة نسبة الى وادي سدم من اليمانية العليا من خولان، وقد ظهر منها العلامة المقرىء علي بن أحمد السدمي المتوفى سنة ١٣٦٤ هـ.

٩٧ - سريرة: نسبة الى بطن بنى سري من شرعب.

٩٨ - سعيدة:نسبة الى قرية السعيدة في عزلة الجماهرة من مخلاف شمير.

٩٩ - سفيلة: نسبة الى قرية السفيلة عزلة الأخلود من مخلاف ميراب، وسفيلة: نسبة الى قرية السفيلة من مخلاف ميراب أيضاً.

١٠٠ - السليعة : من عزلة السواء .

١٠١ - السميحة: من المشاولة .

١٠٢ - سميعة: نسبة الى عزلة في قضاء القماعرة، وتقع بجوار الجند، والسميعة: نسبة الى بني سميع من شرعب، والسمعية: من السواء.

١٠٣ - سمينة: فخذ من الحواشب (٢٣)

١٠٤ - السهيلة: نسبة الى قرية السهيلا من مخلاف شمير.

١٠٥ - سويغة: نسبة الى قرية السواغ من عزلة الملاحطة من مخلاف شمير.

١٠٦ - السويقة: نسبة الى قرية السويق من مخلاف شمير.

١٠٧ - شبيلة: قرية في عزلة الأقروظ من ناحية المسراخ من أعمال صبر.

١٠٨ - شجينة: نسبة الى قرية برح الشجين من عزلة المجاعشة من مخلاف شمير.

١٠٩ - امشجيرة: جماعة يسكنون قرية امعلية من قرى مخلاف لحج (٢٤)

١١٠-الشحيقة: فخذ من بطون الصبيحة (٢٥)

١١١ - شريجة: نسبة الى قرية شراجة من عزلة الوريف من مخلاف شمير.

١١٢ - الشريفة: من أفخاذ قبائل جبل جحاف (٢٦) وشريفة: نسبة الى الشريف من ناحية السلام، والشريفة: نسبة الى قرية من الشرف من الخياشن من مخلاف شمير.

١١٣ - شريمة: نسبة إلى قرية من عزلة الأقحوز من مخلاف شمير.

١١٤ - شعيبة: نسبة الى قرية الاشعوب من

الملاحطة وشعيبية: عزلة من ناحية السلام نسبة الى بني شعب، وهى الآن مركز الناحية.
١١٥ - الشقيرة: من مقبنة .
١١٦ - الشقيمة: قرية في همدان صعدة.
١١٧ - شهيرة: فخذ من قبيلة الحواشب (٢٦) والشهيرة: قبيلة في عزلة الجبلين وعزلة بنى مدسم وعزلة خباز، والجبلين وخباز من ناحية العدين، وبنى مدسم من توابع ناحية إب.
١٢٨ - شويفة: نسبة الى عزلة من خدير.
١٢٩ - الصبيحة: نسبة الى الأصابح وتمتد مساكنها من غرب مخلاف لحج الى قريب من باب المندب، وصبيحة: قرية في ناحية خدير.
١٢٠ - صريحة: نسبة الى قرية الصرحة من عزلة الخياشن والصريحة: نسبة الى قرية الصرحة من عزلة الملاحطة من مقبنة.
١٢١ - صريرة: فخذ في نواحي دبلة من الحواشب (٢٧) والصريرة: من قرى الضالع (٢٨)
١٢٢ - صريمة: نسبة الى الأصدوم من أعمال المديخرة.
١٢٣ - صعيرة: نسبة الى قدية وعزلة من مخلاف الضريبات فوق وادي البرح وهي مشهورة بانتاج الجبن.
١٢٤ - الصليحة: رهط يسكنون قرية نقيل (ابو رباح) من عزلة المسراخ (المصراخ) من جبل صبر.
١٢٥ - الضبيحة: من عزلة حمير من مقبنة.
١٢٦ الضبيعة: من عزلة السواء.
١٢٧ - ضجيعة: نسبة الى قرية الضاجع من عزلة الوريف ومخلاف شمير.
١٢٨ - ضميرة : من ذبحان
١٢٩ - ضويحة: نسبة الى قرية الضويحامن عزلة الخياشن من مخلاف شمير.
١٣٠ - الطريفة: عزلة في الوازعية من أعمال الحجرية.
١٣١ - طويرة: نسبة من مخلاف الضريبات من مقبنة.
١٣٢ - ظريفة: في الوازعية.
١٣٣ - عبيدة: نسبة الى قرية من عزلة المجاعنة من مقبنة، والعبيدة: بطن من عزلة عزبان من ناحية السلام، والعبيدة: قبيل من لحج (٢٩).
١٣٤ - عبيرة عزلة من الأيفوع من العدين.
١٣٥ - العبيسة: من بطون يافع السفلى، والعبيسة: خميس من عاهم من حجور وأعمال حجة ولعلها هي العبيسة التي هى عزلة من ناحية كشر من حجور اليمن من أعمال لواء حجة.
١٣٦ - عتيمة: نسبة الى قرية من التعزية
١٣٧ - عجيلة: قرية في بني حماد من المواسط من الحجرية
١٣٨- عديفه : نسبة الى الأعدوف من عزلة الأخلود من مخلاف شمير من مقبنة.
١٣٩ - عدينة نسبة الى قرية العدين من مخلاف الضريبات وعدينة: نسبة الى ناحية العدين.
١٤٠ - عريصة: نسبة الى قرية العراصم من عزلة الملاحطه.
١٤١ - عريضة: نسبة الى قرية الأعروض من مخلاف ميراب .
١٤٢ - عرينة: قرية من عزلة عجيب من مخلاف عمار وأعمال النادرة.
١٤٣ - عزيبة: قبيل يسكنون قرية الوعرة من قرى مخلاف لحج (٣٠)
١٤٤ - عزيلة: نسبة الى قرية العزلة من مخلاف ميراب.
١٤٥ - العسيرة: قرية صغيرة من عزلة قدس من المواسط من الحجرية.
١٤٦ - عسيلة: نسبة الى عزلة من ناحية شرعب.
١٤٧ - عشيشة: نسبة الى قرية العشاعش من عزلة المجاعشة من مخلاف شمير.
١٤٨ - عصيرة: من عزلة قدس من المواسط من الحجرية.
١٤٩ - العصيرة: أهل عصرة من قبائل قيضة من أصحاب جرعون من بلاد رداع .
١٥٠-العضيرة: احدى بطون الصبيحة (٣١)
١٥١ - عفيرة: نسبة الى عزلة من مخلاف الضريبات من مقبنة، والعفيرة: عزلة في جبل حبشي، والعفيرة: من المواسط من قدس، والعفيرة:

قرية من تسبع بنى عثيمة من بني صريم من حاشد.

١٥٢ - عفيلة: من السواء

١٥٣ - عقيرة: نسبة الى قرية في شرعب، والعقيرة: قرية في عزلة حبير من أعمال ذي السفال، ومن علماء بني البحيوي (الوزراء والقضاة) والعقيرة: قرية في الحشا.

١٥٤ - عقيمة: نسبة الى قرية العقم من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.

١٥٥ - عليبة: نسبة الى قرية من الأعبوس، وامعليبة: نسبة الى قرية من قرى لحج (٣٢)

١٥٦ - العليفة: هم بنو العلفي، ويقال لهم: عنيفة بالنون تصحيف عليفة وهو المشهور في ألسنة عامة الناس.

١٥٧ - العميرة: فخذ من إحدى بطون الصبيحة (٣٣).

١٥٨ - العميصة: نسبة الى قرية العمصة من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.

١٥٩ - العنيزة: من قرى حوطة بالفقيه علي من بلاد الواحدي (٣٤).

١٦٠ - العييرة: من بطون الصبيحة (٣٥)، والعييرة: في نواحي المسيمير والراحة والملاح من الحواشب (٣٦).

١٦١ - عييسة: نسبة الى قبيلة ابن عيسى من المويجر

١٦٢ - غبيشه: نسبة الى قرية غبيشه من عزلة الملاحطة من مخلاف شمير.

١٦٣ - غديرة: نسبة الى قرية الغدير من عزلة الخياشن من مخلاف شمير

١٦٤ - الغريبة: قرية في عزلة ثوب أسفل مخلاف الشوافي من أعمال إب.

١٦٥ - الغريرة: قرية من ملحقات مخلاف قيفة من بلاد رداع انتقل بعض سكان قيفة اليها والى قرية هيوه وقرية زرار فصارت هذه القرى الثلاث تابعة لمخلاف قيفة العليا، ومشائخها آل الذهب. والغريرة: نسبة من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.

١٦٦- غليبة: قرية في الأعبوس من القبيطة.

١٦٨- الغليسة: هم بنو الغليسي: رهط من مخلاف جبل الشرق من ناحية جبل الشرق وأعمال آنس.

١٦٩ - غويرة: قرية في بني شيبة من الحجرية

١٧٠ - غويلة: نسبة الى قرية الغويل من مخلاف شمير والغويلة: نسبة الى الغول من مخلاف ميراب.

١٧١ - الفتيحة: من عزلة الأنبوه.

١٧٢ - الفريخة : من بطون الصبيحة (٣٦).

١٧٣ - فريصة: قرية في بني صلاح من عزلة الخياشن من مخلاف الضريبات، وتقع فوق وادي رسيان من مقبنه، والفريصة: قرية في عزلة الأخلود من مخلاف الضريبات.

١٧٤ - الفقيرة: من مقبنة.

١٧٥ - القضيبة: قرية سميت باسمها العزلة التي تقع فيها وهي من ناحية العدين وأعمال إب.

١٧٦ - فكيكة: قرية من عزلة الضريبات من مخلاف شمير.

١٧٧ - قبيرة: نسبة الى قبير من ناحية شرعب، وقبيرة: نسبة الى أقبيرة من مخلاف ميراب.

١٧٨ القبيطة: ناحية كبيرة من الحجرية وأعمال تعز، ومركزها حيفان.

١٧٩ قبيعة: نسبة الى قرية القبع من عزلة الوريف من مخلاف شمير.

١٨٠ قبينه: نسبة الى ناحية مقبنة.

١٨١ - قحيزة: نسبة الى الاقحوز وعزلة الاقحوز من مخلاف شمير من مقبنة.

١٨٢ - قحيفة: نسبة الى قرية القحفة من مخلاف ميراب، وقحيفة: بلدة من عزلة الاخلود من مخلاف الضريبات، والقحيفة من الوازعية.

١٨٣ - قحيمة: نسبة الى قرية الأقحوم من مخلاف شمير.

١٨٤ - قريرة: نسبة الى قرية تعرف بالقرية من عزلة المويجر.

١٨٥ - قريشة: من الشمايتين والقريشة: من قبائل قيفة من بلاد رداع.

١٨٦ - القريعة: من عزلة بنى عمر.

١٨٧ - قريفة: نسبة الى قرية القرف من عزلة الجماهرة من مخلاف شمير.

١٨٨ - القزيفة: قبيل من قبائل لحج يسكنون الدرب«٣٧»
١٨٩ - القسيمة العليا من مخلاف الحدب من بني مطر وأعمال صنعاء .
١٩٠ - القسيمة السفلى من مخلاف الحدب من بنى مطر وأعمال صنعاء
١٩١ - قشيعة: نسبة الى قرية القشيعا عزلة الخياشن من مخلاف شمير.
١٩٢ - القفيزة: من قرى ميفعة من بلاد الواحدي من مخلاف حضرموت .
١٩٣ - القليعة : من القبيطة .
١٩٤ - قميحة : نسبة الى مقمح من مخلاف ميراب
١٩٥ القنيبة: من ذبحان .
١٩٦ - قويبة: نسبة الى قرية القويب من الجماهرة من مخلاف شمير .
١٩٧- قويرة: قرية في الزريقة من المقاطرة .
١٩٨- قويزة: نسبة الى قرية القوز من عزلة الوريف من مخلاف شمير.
١٩٩ - القويضة: من بطون الصبيحة (٣٨) .
٢٠٠ - الكديحة: نسبة الى قرية الكدحة من عزلة الملاحطة من مخلاف شمير.
٢٠١ - كديشة: نسبة الى قرية الكديشا من عزلة الوريف من مخلاف شمير.
٢٠٢ - الكريبة: من السواء
٢٠٣ - الكريشه: من ناحية السلام .
٢٠٤ - كريفة: نسبة إلى الاكروف من ناحية المذيخرة، وكريفة: من المواسط وكريفة: نسبة الى قرية الكريف (٣٩) من عزلة الجاعشة من مخلاف شمير، وكريفة: نسبة الى الكريف من مخلاف ميراب.
٢٠٥ - كعيبة: نسبة الى قرية الكعبين من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.
٢٠٦ - كليعة: نسبة الى قرية الاكلوع من مخلاف ميراب.
٢٠٧ - كنيبة: قرية في بنى احمد من سامع.
٢٠٨ كويحة: قرية في عزلة حمير من مخلاف شمير من مقبنة.
٢٠٩ - كويرة: من عزلة القماعرة من مخلاف الضربيات، وكويرة:قرية من الشمايتين.
٢١٠ - مجيدة: نسبة الى الامجود من ناحية السلام .
٢١١ - المجينة: من المواسط من قدس
٢١٢ - محيلة: نسبة الى قرية المحل من عزلة الوريف من مخلاف شمير، ومحيلة:نسبة الى قرية المحل من مخلاف ميراب، والمحيلة: نسبة الى قرية المحل من عزلة الأخلود من شمير.
٢١٣ - المديحة: من مقبنة .
٢١٤ - المطيرة: من عيال عفير من قبائل نهم.
٢١٥ - مكيشة: قرية من عزلة قدس من المواسط.
٢١٦ - منيحة: نسبة الى قرية المناح من عزلة الجاعشة من مخلاف شمير.
٢١٧ - مهيلة: نسبة الى قرية المهيال من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.
٢١٨ - مويجة: نسبة الى قرية الموج من عزلة الملاحطة من مخلاف شمير.
٢١٩ - النبيرة: هى النبيرة العليا، والنبيرة السفلى من عزلة حصبان من ناحية صبر، والنبيرة: قرية عبد الجبار بن ربيع الحوشبي (٤٠)
٢٢٠ - نجيبة: من اعمال المخا.
٢٢١ - نجيدة: نسبه الى قرية النجيد من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.
٢٢٢ - النجيشة: عزلة من المقاطرة.
٢٢٣ - النجيفة: قرية في منطقة ردفان من أعمال الضالع (٤١)
٢٢٤ - النخيلة: من روافد وادي تبن من مخلاف لحج (٤٢)، والنخيلة:
نسبة الى وادى نخلة من العدين .
٢٢٥ - النزيهة: من عزلة المشاولة والنزيهة: من شرعب .
٢٢٦ - النشيمة: من قرى منطقة الساحل الشرقي من بلاد الواحدي(٤٣)
٢٢٧ - النفيلة: قبيل يسكن قرية طهرور من مخلاف لحج (٤٤)
٢٢٨ - النكيعة: هم بيت النكعي من شرع من حي زهير من أرحب

٢٨٩ - نهيره: منطقة في عزلة الاشبوط من المقاطرة من اعمال الحجرية.

٢٣٠ - نويبة: نسبة الى قرية النوبة من عزلة الجماهرة من مخلاف شمير

٢٣١ - نويره: قرية من الشمايتين من الحجرية

٢٣٢ - هجيمة: نسبة الى قرية من عزلة الخياشن.

٢٣٣ - هديضة: نسبة الى قرية هدضة من مخلاف ميراب

٢٣٤ - هقيفة: نسبة الى قرية الهقيف، ويسكنها بنوالنهاري

٢٣٥ - الهويدة : عزلة من مخلاف الضربيات.

٢٣٦ - الهويشة: عزلة من المقاطرة، والهويشة: رهط في بني شيبة.

٢٣٧ - الوبيره: بالقرب من الشريجة.

٢٣٨ - وجيرة: نسبة الى قرية المويجر

٢٣٩ - وحيشة: من عزلة المجاعشة من مقبنة.

٢٤٠ - ودينة: نسبة الى قرية الويدان من عزلة الخياشن من مخلاف شمير.

٢٤١ وريدة: من بنى شيبه

٢٤٢ - وريفة: نسبة الى عزلة وريف من مخلاف شمير

٢٤٣ - وضيحة: عزلة في شرعب

٢٤٤ - وعيلة: قرية في مخلاف شمير.

٢٤٥ - وقيعة: نسبة الى قرية الوقيع من عزلة الوريف من مخلاف شمير.

الهوامش:

(١) العزلة: مقاطعة تضم عدداً من القرى، وهي دون المخلاف وفوق القضاء

(٢) تاريخ القبائل اليمنية ص ١١٢

(٣) هدية الزمن» ص ١٢

(٤) تاريخ القبائل اليمنية «٣٣٤»

(٥) نفس المصدر ص ٣٣٤

(٦) نفس المصدر ص ٣٢٢

(٧) نفس المصدر ص ٤٤

(٨) هدية الزمن ص ٤١

(٩) تاريخ القبائل اليمنية ص١٠٨

(١٠) هدية الزمن ص٤١

(١١) تاريخ القبائل اليمنية ص٣٩

(١٢) تاريخ القبائل اليمنية ص٨٠

(١٣) هدية الزمن ص١٤

(١٤) تاريخ القبائل اليمنية ص٤٠

(١٥) مجموع بلدان اليمن وقبائلهاج١/ ص٢٣٢

(١٦) تاريخ القبائل اليمنية ص٤١

(١٧) هدية الزمن ص١٥

(١٨) تاريخ القبائل اليمنيه ص٣٣٥

(١٩) تاريخ القبائل اليمنية ص٣٢٤

(٢٠) تاريخ القبائل اليمنيه ص ٨١..

(٢١) تاريخ القبائل اليمني ص٣٣٢.

(٢٢) هدية الزمن ص١٢ ، ١٥.

(٢٣) تاريخ القبائل اليمنيه ص٣٩

(٢٤) تاريخ القبائل اليمنيه ص٨٢

(٢٥) هدية الزمن ص١٢. ١٥

(٢٦) تاريخ القبائل اليمنيه ص٣٩

(٢٧) تاريخ القبائل اليمنيه ص١٠٩

(٢٨) تاريخ القبائل اليمنية ص٨٢

(٢٩) تاريخ القبائل اليمنية ص٨٢

(٣٠) تاريخ القبائل اليمنية ص١١٦

(٣١) هدية الزمن ص١٢

(٣٢) هدية الزمن ص١٢

(٣٣) تاريخ القبائل اليمنية ص٣٩٥

(٣٤) هدية الزمن ص١٤

(٣٥) تاريخ القبائل اليمنية ص٣٩

(٣٦) تاريخ القبائل اليمنية ص٤٣-٤٤

(٣٧) تاريخ القبائل اليمنية ص٣٣٤

(٣٨) تاريخ القبائل اليمنية ص٣٩

(٣٩) الكريف البركة المحفورة في التراب او المنحوتة في الصخر لتجتمع اليها مياه الأمطار

(٤٠) هدية الزمن ص٣٠

(٤١) تاريخ القبائل اليمنية ص١٦٥

(٤٢) هدية الزمن ص٣٠

(٤٣) تاريخ القبائل اليمنية ص٣٣٣

(٤٤) هدية الزمن ص١٤

رحلة بوتا إلى جبل صبر

د. احمد قائد الصايدي

جامعة صنعاء - قسم التاريخ

معلومات عن بوتا «١» :

هو بول امل بوتا ابن المؤرخ الأيطالي «كارلوبوتا - ١٧٦٦ - ١٨٣٧» «٢» ، وكان عالم طبيعة متميزاً. في عام ١٨٣٤م كلف من قبل حديقة النباتات في باريس بالقيام برحلة لدراسة التاريخ الطبيعي في مصر وسنار، ويذكر مؤلف كتاب «Arabien» ان بوتا كان قد كلف في عام ١٨٣٠ الى عام ١٨٣٣ من قبل محمد علي باشا والي مصر بالاشراف على بعثة علمية مصرية الى سنار الواقعة بين النيل الابيض والنيل الأزرق، وعمل بعد ذلك ممثلاً لفرنسا في الاسكندرية والموصل والقدس وطرابلس.. وقد سافر عام ١٨٣٦م من مصر الى اليمن عبر البحر الأحمر ومكث في اليمن ثلاث سنوات .. وقد مكنته معرفته باللغة العربية وطبيعته المنفتحه ومعارفه الطبيه من التعامل مع اليمنيين بشكل أفضل من الرحالة الاوربيين الآخرين. وتمكن من الوصول الى مناطق لم يصل اليها أحد منهم قبله. وقد نشرت مجلة Das Ausland اول تقرير له عن الرحلة وهو التقرير الخاص عن رحلته الي جبل صبر عام ١٨٤٠م . وقد غدا بوتا يعرف كآثاري منذ تمكن عام ١٨٤٢ - ١٨٤٥م من اجراء حفريات في كور سباد قرب الموصل في العراق واكتشف للمرة الأولى قصراً من القصور الملكية الأشورية..

وصف الرحلة :

وصل بوتا في نهاية سبتمبر ١٨٣٦ الى الحديدة حيث بقى هناك بضعة أيام زار فيها إبراهيم باشا «الأصغر» الذي كان حينها حاكماً عاماً لليمن من طرف محمد علي باشا والي مصر ، وذلك للحصول منه على توصية يستطيع بها أن يسافر الى المناطق الجبلية.. وفي اليوم الاول من اكتوبر غادر الحديدة مساءً وقضى ليلته في « بيت الفقيه» ثم توجه صباح اليوم التالي إلى زبيد . وفي صباح اليوم الثالث غادر زبيد الى «حيس » المدينة الصغيرة المشهورة في أنحاء اليمن باوانيها الفخارية «٣»، وقد استقبل هناك استقبالاً طيباً من قبل الشيخ حسن ابن الشيخ يحيى الذي كان حاكماً سابقاً لتعز وهو شخصية ذات نفوذ واسع في هذا الجزء من اليمن. وقد دفعت به الأحداث السياسية وخلافاته مع إمام صنعاء إلى الوقوف إلى جانب المصريين. ويعود اليه الفضل في تمكن بوتا من زيارة بعض الجبال والوصول الى قمة جبل صبر التي لم يستطع فورسكال«٤» أن يزورها..«٥»

في منتصف شهر اكتوبر ١٨٣٦م قام بوتا بزيارة «جبل راس» الذي يبعد حوالي ميلين الى الشمال الشرقي من حيس يرافقه احد معاوني الشيخ حسن وهو العزي اليمني الحضرمي وبعض الجنود . وبعد يوم من السير المضني على الاقدام - حيث كان الركوب مستحيلاً - وصل بوتا ومرافقوه الى منتصف الجبل ، وقضوا ليلتهم في ضيافة الشيخ ياسين الذي جاوز المائة عام . من العمر والذي يستقبل في بيته المسافرين ويقوم بواجبات الضيافة نحوهم على أحسن وجه.ولذلك فإنه يتلقى أنواع الهدايا من

كثير من اغنياء اليمن ، وفي اليوم التالي بقى بوتا لدى الشيخ ياسين بانتظار الرسول الذي بعثه الشيخ الى الجبال لسؤال الأهالي فيما إذا كانوا سيسمحون لأحد الاوربيين بزيارة منطقتهم للبحث عن اعشاب طبية وهي كما يقول بوتا «الحجة التي تذرعت بها للقيام برحلتي ، وهي الجواب الذي كنت أجيب به على الأسئلة التي كانت تنصب علي حول السبب الذي يكمن وراء رحلتي ، وقد علمت انني لست الوحيد الذي يأتي الى هنا للبحث عن الأعشاب الطبية. فهناك عرب يأتون من بلاد المغرب الى اليمن للبحث عن اعشاب قرأوا عنها وعن خصائصها في كتبهم الطبية التي يحملون معهم منها كميات كبيرة . ولم استطع أن اعرف نوع الاعشاب التي يأتي هؤلاء العرب من بلادهم البعيدة الى اليمن للبحث عنها»٦».

وفي اليوم التالي عاد الرسول يحمل رفض الأهالي السماح لبوتا بزيارة منطقتهم بحجة أنه لم يأت إلا ليصب اللعنة على نباتاتهم ، وانه يمكن السماح له بالقدوم تحت شرط واحد وهو أن يتعهد بان لايلمس أي نبات. وكان هذا الشرط كفيلاً بجعل مواصلات الرحلة لامعنى لها ولذا اكمل يومه في جمع الأعشاب في منطقة الشيخ ياسين ، وفي اليوم التالي عاد إلى «حيس» وقد عاقب الشيخ حسن بعد ذلك سكان المنطقة الجبلية الذين رفضوا السماح لبوتا بزيارة منطقتهم..

وفي نهاية شهر اكتوبر ١٨٣٦ انتقل الشيخ حسن من «حيس » الى قصر «معمره» Maamara وهو يقع على قمة جبل في الجنوب من حيس . وقد كان الوصول الى القمة من قبل غير ممكن إلى أن نشب الخلاف بين الشيخ حسن والامام فاختار الشيخ حسن هذا الموقع ليكون ملجأ له، وشق بصعوبة طريقاً ضيقاً في الصخر، وبنى في القمة حصناً صغيراً يعتبر على درجة من الحصانة لايمكن الأستيلاء عليه ، وقد رافقه بوتا إلى القصر، ولما كان الشيخ حسن يريد أن ينقل معه كميه كبيرة من النقود فقد استأذن من بوتا ان يستخدم لهذا الغرض الصناديق الخاصة بالنباتات ووضع في كل صندوق ألف قطعة من فئة البياستر الاسبانية .. ورغم ان هذا الأمر كان سرياً للغاية فقد سرت الأشاعة بان الصناديق تحتوي على كنز الشيخ حسن مما عرض بوتا فيما بعد للأخطار..

بدأ سفر بوتا ومرافقيه من حيس الى معمرة صباحاً عبر السهل الذي تقع حيس في بدايته وعبر المسافرون سائلة اسمها «سويره» Suera لاينقطع منها الماء على مدار العام ، ولكن الماء لايلبث ان يختفي تحت الرمال في سهل حيس قرب جبل «براشة» Mlaracha . وسار المسافرون بعد عبور السائلة في طريق متعب الى حماره Hamara حيث استراحوا قليلاً ثم واصلوا السفر ليصلوا عند الغروب الى سهل هيدان Heidan الموحل حيث يواجه المسافر الطريق المؤدية إلى تعز وقد سار فيها المسافرون بعض الوقت ثم انحرفوا يميناً ليصعدوا جبلاً حتى منتصف الليل حيث ارتاحوا لمدة ثلاث ساعات ثم واصلوا السفر في شعب ضيق وعميق ليجدوا انفسهم عند شروق الشمس في أسفل المرتفع الصخري الذي ترى على قمته قصر معمره وكانت الطريق قد تضررت من جراء السيول بحيث لم يكن من السهل في بعض الاجزاء عبورها. ولما وصل المسافرون الى القمة وجدوا الجمال التي كانت تحمل الامتعة والصناديق قد وصلت قبلهم .. وكان الشيخ حسن قد وصل بدوره وقام باستقبال بوتا إستقبالاً كريماً «يعيد الى الاذهان التقاليد العربية القديمة الممتازة«٧» ، وقد وفر له كل اسباب الراحة ومكنه من القيام بابحاثه بكل حرية وامر العزي الحضرمي الذي سبقت الاشارة اليه ان يرافقه ويعتني به ويحرص الا يضايقه احد في عمله. وقد تمكن بوتا بفضل ذلك أن يتجول في المنطقة ويجمع كمية كبيرة من النباتات. وكان يمكن ان يجمع أيضاً كمية من الحيات لولا كما يذكر بوتا «أن قاسم أبن الشيخ حسن مع الاسف - سمع ان لدي كحول النبيذ واراد ان يجرب ان كان ذلك سيسكره وجاءت النتيجة كما توقع واعجبه مذاقه الى درجة انه خلال اسبوعين كان قد استهلك جميعه.«٨».

وفي أسفل جبل معمره رأى بوتا لاول مرة مزارع البن التي تقع مثل غيرها من مزارع البن التي رآها بعد ذلك في واد ضيق عميق لاتصله اشعة الشمس الا ساعات قليلة خلال اليوم ، لقد زرع الشيخ حسن البن في هذا الوادي الا ان اكثر مزارع البن تنتشر في نواحي العدين وصنعاء..«٩»

بعد بضعة ايام استدعى الشيخ حسن من قبل اهالي تعز الذين تمردوا ضد سلطة الامام فاتجه الى تعز، وترك بوتا مع ابنه قاسم في القصر، وقد اصطحب قاسم بوتا معه بعد ايام الى حصن صغير آخر لوالده اسمه قديم Kahim ويقع شرق وادي

هيدان Heidan . وكانت المسافة بين الحصنين قريبة اذا ماقيست بشكل افقي، ولكن الوديان العميقة والجبال الشديدة الانحدار التي تفصلها تجعل الانتقال بينهما يستغرق سفر يوم مرهق في طريق لاتستطيع البغال ان تسير فيه الا بصعوبة بالغة.. اما الجمال التي حملت امتعة بوتا فقد استغرق سفرها يومين وكانت تنزل احمالها بين الحين والآخر وتنقل الاحمال على ظهور الرجال إذ كانت الطريق في كثير من اجزائها ضيقة للغاية بحيث يصعب مرور جمل محمل فيها. وقد ادرك بوتا خطأ الفكرة التي يحملها الأوربيون عن الجمل حيث يعتقدون ان شكل خفه لايجعله صالحاً للسفر إلا في الصحراء مع انه في الواقع كما اكد بوتا «لايوجد حيوان - ولايستثنى من ذلك حتى البغال - يسير بخطوات واثقة في اخطر الطرق مثل الجمل، ان خفه لاينزلق ابداً حتى في المواضع الملساء التي يمكن ان تنزلق فيه حوافر الحصان ، انه يتلمس بحرص مذهل الموضع المناسب الذي يضع عليه خفه. انه لايفقد تفوقه الا في الطرق الموحلة ومع ذلك فإنني خلال رحلتي الطويلة مع الجمال لم اشاهد جملاً يقع على الارض في مثل هذه الطرق«١٠».

لقد قضى بوتا بضعة ايام في قرية قحم ولكنها لم تكن اياماً مريحة كما كان الحال في معمره اذ ان قاسم لم يكن يستطيع ان يضبط سلوك الجنود والذين يملأون المنطقة كما كان هو نفسه يسبب لبوتا الازعاج فغالباً مايقظه من نومه ليطلب منه شيئاً من النبيذ ، ومع ذلك فقد استفاد بوتا من اقامته في قحم وتجول في المناطق المجاورة في جميع الاتجاهات واخذ مجموعته النباتية يزداد حجمها اكثر فأكثر، الا ان صبره بدأ ينفد واخذ يتلهف للذهاب الى تعز حيث كان الشيخ حسن قد وعده بأن يسهل له زيارة جبل صبر الذي كان اليمنيون في عهد فورسكال يزعمون ان جميع أصناف النبات توجد فيه«١١» وكان موسم الامطار قد شارف على الانتهاء مما جعله يخشى إذا تأخر ان لايصل الا وقد يبست النباتات ، واخيراً سمح له الشيخ حسن ان يقدم اليه في تعز فغادر قحم مسروراً بتركه اياها حيث لم يجد فيها راحة لا في الليل ولا في النهار . وبعد سفر يوم كامل مروراً بوديان مزروعة بالقمح والبن تروى بواسطة السواقي وصل مساءً إلى قرية نسي اسمها«١٢» وفي الصباح غادر القرية باتجاه وادي Sina وشاهد في طريقه عند بير الباشا شجرة تين ضخمة جداً يمكن ان يستظل تحت فروعها ثلاثمائة شخص . ووادي sina عبارة عن واد ضيق ينفذ منه المرء إلى داخلّ جبل صبر. وقد شاهد في الوادي الشيخ حسن وسط انقاض احدى البيوت محاطاً بحشد كبير من الرجال يتراوح بين الفين الى خمسة الآف رجل، وهؤلاء الرجال كانوا قد احدثوا خراباً في مزارع البن التابعة لسكان تعز..

ويسجل بوتا ملاحظة حول الجانب السياسي والعسكري في اليمن فيقول «إن سكان اليمن لايعملون كجنود، رغم انهم جميعاً يحملون السلاح ، فالمشايخ يجندون فلاحين من الجوف وحضرموت«١٣» مقابل مرتبات ويستخدمونهم في القتال لالحاق اكبر الأضرار المكنة بعضهم بالبعض الآخر. وهذه الصراعات تشكل لعنة على اليمن، وقد بلغ الضيق بالاهالي من جراء ذلك مبلغاً أصبحوا معه يتمنون مجيء حكومة قوية تحررهم من صراعات المشايخ ، ويعلق الباشا في مصر على رغبة الاهالي هذه آماله في أن يتمكن من السيطرة على اليمن«١٤».

وقد وضع الشيخ حسن تحت تصرف بوتا منزلاً في قرية صغيرة اسمها الجنات Dschannat وتبعد نصف ساعة عن سكنه أذ انه كان يسكن في وادي sina وقد وجد في الجنات هدوءه حيث منع الشيخ الجنود من مضايقته وقد استطاع ان يتجول بحرية ويشاهد نباتات لم يشاهدها في اي منطقة أخرى، وقد وجد جبل صبر متميزاً عما حوله من حيث ارتفاعه وضخامته، تتخلله الوديان والشعاب التي ترويها مياه السواقي التي لاتنقطع طوال العام، وعند اقدام الجبل من الناحية الشمالية تقع مدينة تعز على منخفض يمتد نحو الشمال الشرقي وتمر منه طريق الى صنعاء ، وكانت تعز في الماضي مدينة مزدهرة ولكنها اصبحت مدينة مدمرة بسبب الحروب المستمرة بين المشائخ المتنازعين ولم يبق من البيوت القديمة التي كانت مبنية بناءً جميلاً الا حوالي عشرين بيتاً «وقد حلت محلها الآن أكواخ بائسة«١٥» ولم يعد سكان المدينة يتجرأون على بناء بيوت جيدة خوفاً من ان تسطر عصابات المشائخ عليها وتنهبها ، كما ان هؤلاء لايكتفون بنهبها بل يعمدون الى تدميرها ونزع اخشابها للاستفادة منها.. ولازال في مدينة تعز مسجدان فخمان يمكن مقارنة جمال بنائهما واتساعهما باجمل مساجد

القاهرة «١٦» ولكنهما يمكن ان ينتهيا «اذا لم يأت حاكم يستطيع ويريد أن يهتم بسلامة ورفاه المواطنين «١٧».

لقد كان سهل تعز في الماضي مغطى بالمزارع التي كانت تسقى بواسطة قنوات توصل المياه اليها من جبل صبر «ولكنها تركت الآن وذلك لان الأهالي يخشون زراعتهافهم لايعرفون اذا مازرعوها هل سيتمكنون من جني ثمار جهودهم انها الآن مغطاة بشجر العمق «(١٨)

بينما تغطي أشجار العمق تعز فإن جبل صبر يحتوي على تنوع غني بالنباتات، وأهالي الجبل متكاتفون ومتحدون طالما تعلق الأمر بدفع عدوان والوقوف تجاه اي محاولات لتدمير منطقتهم «من قبل العصابات العسكرية «١٩». ولذا فإن منظر القرى المتناثرة في الجبل يوحي بأنها تعيش في رخاء وأمن كما ان المدرجات الزراعية تعطي انطباعاً بأن الاهالي يمارسون الزراعة فيها بشكل مستمر. ويزرع سكان الجبل القمح والشعير بكميات كبيرة «وذلك لتلبية حاجتهم. الا ان سر مايلمسه المرء من رفاه وغنى في القرى يكمن اساساً في زراعة القات. وهذه الشجرة هي موضع اهتمامهم الرئيسي «٢٠». ويقدم بوتا شرحاً لطريقة زراعة القات ولنوعي قطفاته القطفة الأولى «المبرح» والقطفة الثانية «المثاني» ثم لطريقة تعاطيه ويذكر ان اغصانه عند تعاطيها «تحدث درجة معينه من النشوة يرتاح لها الأهالي كثيراً. وقد وجدتها انا ايضاً مريحه «٢١» ويشكل القات سلعة تجارية داخلية هامة في اليمن ويعطي ارباحاً اعلى من ارباح البن فقد اصبح يلبي حاجة عامة لدى المواطنين واسعاره مرتفعة «اذا لم يقنع المرء بالاصناف الرخيصة منه «٢٢»

فالمرء يمكن ان يدفع بسهولة ٥ فرنكات يومياً لشراء القات. وتقتضي العادة اليمنية ان يقدم الشخص جزءاً من قاته للآخرين الحاضرين في المجلس، ولذلك فأن المرء ينفق انفاقاً كبيراً على القات، فالشيخ حسن على سبيل المثال، كان اثناء اقامته في تعز ينفق يومياً اكثر من ١٠٠ فرنك لشراء القات. حيث كان يأتيه أناس كثيرون من المناطق المجاورة ويعتبر قات جبل صبر افضل انواع القات في اليمن وتحمل منه كميات كبيره يومياً الى مناطق بعيدة منها المخا والحديدة.

وإلى جانب شجرة القات يزرع سكان جبل صبر شجرة البن خاصة في الجهة الجنوبية من الجبل حيث تعتبر اكثر الجهات دفئاً، وقد لفت نظر بوتا ان اليمنيين يفضلون شرب قشرة البن على حب البن نفسه. ففي القشرة نكهة البن ونشوته كما انه حلو المذاق، وفي جبل صبر صادف بوتا انواعاً من الفواكه كالموز والعنب والفرسك والمشمش والتفاح ونوع من السفرجل أكثر حلاوة من السفرجل الاوربي الى درجة انه يمكن تناوله قبل نضوجه..

وبعد ان طاف بوتا في المناطق المحيطة بقرية الجنات، بعث اليه الشيخ حسن حارساً لمرافقته الى خرائب حصن العروس.

وفي الصباح الباكر انطلق بوتا من الجنات عبر وادي sina ليصل بعد ظهر اليوم نفسه الى قرية كبيرة هي قرية حجف Hagef حيث قضى «ماتبقى من النهار وسحابة اليوم التالي في البحث في المناطق المحيطة بالقرية عن النباتات. وقد وجد انواعاً منها تشبه نباتات اوروبية. بعد ذلك غادر قرية حجف صعوداً نحو حصن العروس، وكانت امتعته تحمل على رؤوس بعض النساء إذ أن الطريق لاتصلح لسير حيوانات الركوب وبعد: ساعتين الى خمس ساعات «٢٣» وصل الى قرية النبي شعيب Bali Shaib وكان بوتا كلما صعد اكثر في الجبل كلما بدت له النباتات أكثر فأكثر شبيهه بالنباتات الأوروبية «٢٤». وكان بجانب قرية النبي شعيب غابة فيها مسجد صغير مقبور تحته حسب قول السكان والد زوجة موسى النبي شعيب، ولم يصل بوتا الى موضع القبر «ليس فقط لانه لم يسمح لي بذلك بل ايضاً لانه كان يجب علي حتى لا اجرح مشاعر العرب المرافقين لي أن اصنع مثلهم واخلع حذائي عند مرورنا بذلك المكان المقدس «٢٥».

واستمر بوتا ومرافقوه في الصعود وقد أصبحت الطريق أكثر سهولة من ذي قبل، ولكن الارهاق الشديد أجبرهم بعد ان عبروا منطقة فيها خرائب كثيرة لقصر قديم ان يبحثوا عن مكان يأوون إليه وبعد جهد استطاعوا ان يقنعوا سكان احدى القرى الذين كانوا في حرب مع جيرانهم وكانوا يراقبون قدومهم من خلال الفتحات المخصصة لاطلاق الرصاص الموجودة في جدران منازلهم، بالسماح لهم في المبيت في قريتهم «إن سكان اليمن أكثر تحضراً واستقراراً من غيرهم من العرب الا انهم مع ذلك لم يتخلوا عن عادة الحرب العائلية المدمرة وهذه الحرب تنشب دائماً إلى درجة أنهم يظلون خائفين باستمرار من ان يهاجمهم عدو ليثأر لقتيل ربما يكون قد صرع قبل مائة عام. ولذا فانهم

يبنون بيوتهم بطريقة لايمكن الوصول فيها إلى الطابق الأرضي ، الذي يكون عادة وحده مسكوناً الاعبر ممرات أرضية مظلمة لايستطيع المرء أن يسير فيها إذا لم يكن على معرفة سابقة بها الا اذا سار وهو يتلمس طريقه بيديه 'وهذه الممرات تمنح السكان إذا مافوجئوا بهجوم غير متوقع الوقت الكافي لتجهيز انفسهم للدفاع وابادة المهاجمين وهم يتلمسون طريقهم في الممرات المظلمة »(٢٦).

– وهناك وسط الضباب بات (بوتا) ليلة مزعجة على سطح احد المنازل حيث اضطرته البراغيث الى الهروب من داخل المنزل الى السطح « إن هذه الحشرات لاتوجد في المناطق المنخفضة ولكنها تكثر في المناطق الجبلية حيث يضطر السكان الى أن يناموا وسط أكياس يغلقونها على انفسهم بعد أن يدخلوا فيها، ولم أجد لدى القدرة على النوم وسط مثل هذه الأكياس ولذا وبرغم البرد فضلت أن أستقر على السطح» (٢٧).

– وفي صباح اليوم التالي(٢٨) غادر بوتا وصحبه القرية ليصلوا بعد ان ساروا مدة ساعتين وسط نباتات ومزارع تشبه في أنواعها أنواع الزراعة والنباتات الاوربية تماماً ،الى قرية أهل الكهف التي يقع بالقرب منها مسجد في منطقة يقال « وفقاً للتراث اليمني أن السبعة النوم وكلبهم قد خرجوا من مغارة في هذه المنطقة بعد أن ناموا نوماً طويلاً(٢٩)». وجلس بوتا بجانب بركة ماء في حين دخل مرافقوه المسجد لأداء صلاة الفجر، وشيئاً فشيئاً أخذ سكان القرية يتجمعون حوله وأمارات الدهشة ترتسم على وجوههم من ملابسه الأوربية.ثم أخذوا يستفسرون عن شخصيته ومن أين اتى والى أين سيذهب« فاجبت على تساؤلاتهم كالعادة باني متجه الى قمة الجبل لجمع أعشاب طبية فاوضحوا لي انهم لن يسمحوا بذهابي الى هناك لانه يوجد في حصن العروس كنز وانني دون شك ماجئت الا لأستولي عليه. ولما لم يكن بامكاني أن اقنعهم بعكس ذلك فقد وجدت انه لاضرورة للاجابة عليهم وأخذت اتشاغل بلف ماجمعته أثناء السير من نباتات في أوراق في حين كانوا يراقبون حركاتي بفضول . وحاول أحدهم أن يسلبني بندقيتي فامسكها بيده وأخذ يتفحص زنادها. فقد كانت بندقية تعمل بجهاز إشعال وهو مالاعهد لهم به. اذ لم يكونوا قد رأوا من قبل غير البنادق التي تطلق بواسطة الفتيل. فانتزعتها بقوة من يده حتى دفعته في مقدمة أنفه. وأثارت هذه الحركة نوعاً من الفزع مما جعلهم يكفون عنى حتى عاد الحارس والمرافقون(٣٠)»وبعد عودة الحارس والمرافقين بدأ جدال بينهم وبين أهالي القرية حول السماح لبوتا بالصعود الى حصن العروس ولم يحاول بوتا أن يتدخل في ذلك الجدال اذ كان قد جمع الكثير من أنواع النبات ولم يعد يأمل في أن يعثر على انواع جديدة من قرب الحصن وان كان لايزال لديه فضول للتعرف على الحصن « الذي لم يسبق لاحد من الاوربيين أن تعرف عليه والذي كان العرب ينسجون حوله حكايات جميلة(٣١)»وأخيراً وخوفاً من الشيخ حسن قرر سكان القرية السماح لبوتا بالصعود الى الحصن بشرط ان يرافقه رجلان منهم ليراقبا مايفعله« وغادرت قرية أهل الكهف وأهلها يرمقونني بنظرات متوثبة ووحشية.وحرص أحدهم أن يقول لي بصراحة أنه لولا أن الشيخ حسن الذي يلقبونه بباب الجبل معسكر في أسفل الجبل لكان أراني كيف تستطيع بندقيته أن تقتل افضل من بندقيتي (٣٢)». واستمر الصعود في طرق ضيقة وأخذت الزراعة تخف تدريجياً وبعد مسير ساعة ونصف وصل بوتا الى طريق مدرجة واسعة مرصوفة بالحجارة تمر عبر بوابة الحصن وعندما وصل الى اعلى جدار الحصن استطاع من هناك أن يشاهد البحر الأحمر من جهة الحديدة والمحيط الهندي من جهة عدن في آن واحد وكانت جميع جبال اليمن تبدوله صغيرة باستثناء جبل ريمة Rema وجبل سمارة فقد كانا رغم المسافة البعيدة يشاهدان بوضوح« ولن احاول أن أصف هذا المنظر البديع الذي استطعت أن استمتع به للحظات قليلة(٣٣)». ولم يسمح الرجلان اللذان رافقاه من سكان قرية أهل الكهف لم يسمحا لبوتا بالاستمتاع طويلاً واخذا يستعجلانه للعودة فطاف سريعاً بالحصن وجمع بعض النباتات ثم هبط ومرافقوه الذين بدوا سعداء بالعودة وخاصة مرافقه المصري الذي لم يكن مرتاحاً بصعوده جبلاً عاليا كهذا.

ولم تمكن لبوتا هذه المشاهدة السريعة لحصن العروس من أن يقدم وصفا دقيقاً للحصن ولم يكن متاكداً من وجود أو عدم وجود نقوش قديمة فيه.ولكنه أكد أن بناء الحصن يعود الى ماقبل الاسلام. وتهبط

الطريق المدرجة من الحصن الى قرب مدينة تعز. وقد شاهد أجزاء كثيرة منها أثناء هبوطه وكانت لاتزال في حالة جيدة. وقد بات ومرافقوه ليلتهم في نفس القرية التي باتوا فيها الليلة الماضية. وفي الصباح استيقظ على صراخ وشجار بين مرافقيه وأهل القرية حول الطريق التي لابد ان يسلكوها في عودتهم وانتهى الآمر الى أن يسلكوا طريقاً آخر غير الطريق التي جاءوا منها. مما فوت الفرصة على بوتا ان يجمع بعض النباتات التي شاهدها عند منطقة النبي شعيب ولم يتمكن حينها من جمعها وأجل ذلك الى حين عودته. وبعد ظهر نفس اليوم وصلوا الى قرية حجف ومكثوا فيها بضع ساعات استغلها بوتا لجمع بعض الأعشاب ثم عاد بعد ذلك الى مسكنه في قرية الجنات « سعيداً جداً بسلامة جلدي(٣٤) » كما يقول وسعيداً أيضاً بما جمعه من نباتات.

وفي نهاية شهر نوفمبر أبلغ الشيخ حسن بوتا أن يكون مستعداً للرحيل الى قحم عند أول إشارة لأنه ربما يغادر تعز بصورة مفاجئة بعد أن أصبح غير راض عن نتائج محادثاته مع أهالي تعز وذات صباح وقبل بزوغ الفجر جاء أحدهم ليخبره بأن الشيخ حسن قد غادر تعز مع كل قواته ولم يبق الا بعض المتأخرين الذين كانوا يعتقدون ان الصناديق التي يحملها معه لحفظ النباتات مملوءة بالنقود. وقد حضروا الى القرية وأعلموه أن الجمال المخصصة لحمل الصناديق جاهزة في أسفل الجبل وانهم سيحملونها الى هناك. ولكن بمجرد أن سرى خبر رحيل الشيخ سارع اهل القرية الى اسلحتهم ومنعوا تلك العصابة من أخذه وصناديقه معهم وأصروا على بقائه ضيفاً في حمايتهم حتى يأتيهم أمر الشيخ حسن بسفره. وقد وجد بوتا من الافضل له ولسلامته أن يبقى في حماية اهل قرية الجنات الذين أصبح يعرفهم ويثق بهم من أن يذهب مع أولئك الجنود الذين أخذوا يلحون ويهددون ليذهب معهم. وقد أخذ الخوف يساوره من أن تهاجم القرية من قبل أعداء الشيخ وفكر بالهروب الى حجف وترك أمتعته في قرية الجنات الا أن الشيخ لحسن الحظ قد تذكره قبل أن يصل قحم فبعث باثنين من نقبائه مع بعض العساكر ليبقوا معه ويحافظوا على سلامته حتى يتمكن الشيخ من ارسال جمال لاحضاره، وما أن رآهم سكان القرية بعد الظهر قادمين من بعيد حتى هيأوا اسلحتهم لاستقبالهم بالرصاص، الا انهم سرعان ماتبينوا النقيبين وعرفوهما. وبعد ثلاثة أيام من الانتظار جاءت الجمال وغادر القرية على نفس الطريق التي سلكها عند قدومه، وفي الطريق شاهد بعض العساكر الذين كانوا ينتظرون مجيئه « الا ان حرصي والخوف من انتقام الشيخ حسن قد مكناني من عبور الطريق دون عوائق تذكر باستثناء سيل من السباب والشتائم(٣٥) » كان يوجهها أولئك المتربصون به دون أن يجرأوا على مسه بسوء. وفي اليوم التالى وصل بوتا الى قحم « حيث كان وجود الشيخ يمثل حماية لي الا انني قد تضايقت كثيراً من فضول أتباعه وتطفلهم المزعج(٣٦) ».

وبعد أن جمع بوتا كلما يمكن جمعه من نباتات في ذلك الفصل من السنة قرر السفر الى المخا. ولم يرد الشيخ حسن أنه يسمح له بالسفر على الطريق المستقيم(٣٧) الى المخا لأن لايستطيع فيها أن يضمن سلامته ولذا فقد اضطر أن يسلك الطريق المارة بوادي هيدان Haidan الى حيس التي وصلها في منتصف شهر ديسمبر واستراح فيها بضعة أيام ثم واصل سفره وأمضى يوما على شاطئ البحر وسط أشجار كثيفة من النخيل يمتلكها مرافقه العزي الحضرمي(٣٨) الذي كان من بين اليمنيين يمتلك مزاجاً عجيباً فقد زرع في تلك البقعة كل أنواع النباتات الغريبة التي عثر عليها. ومن هناك واصل سفره بمحاذاة البحر الى موشح Mushie التي سماها نيبور Mushid وعند موشح شعر بالمرض الذي أقعده بعد ذلك بالمخا وقتاً طويلاً ومنعه من السفر الى صنعاء مما اضطره أن يؤجل سفره هذا الى فصل آخر من فصول السنه. وينهى بوتا وصفه لرحلته القصيرة الى جبل صبر بالعبارة التالية « لا استطيع أن أنهى هذا العرض السريع لرحلتي التي قمت بها في اليمن دون أن أعبر عن شكري وعرفاني للكرم الذي استقبلني به الشيخ حسن وللحماية الكريمة التي بسطها علي، فقد اصر منذ وصولي اليه في حيس وحتى مغادرتي له ووصولي. المخا على دفع كل مصاريفي وأجرة نقل أمتعتي وهي أجرة باهضة. وعندما اضطر فجأة الى ترك جبل صبر لم يفته ان يضمن سلامتي وعندما قام نقباؤه بايصالي اليه وزع عليهم ثلاثمائة بيسترأسباني كمكافأة على جهدهم وانه ليؤلمني عدم سماعه لنصحي في ان لايثق بالمصريين

الذين لايستطيع المرء ان يركن اليهم اذان تحالفه معهم قد أدى الى دماره.فقد سمعت بعد رحيلي من اليمن ان ابراهيم باشا الذي استطاع بفضل الشيخ حسن ان يخضع مدينة تعز وبسبب خوفه من مكانة الشيخ حسن ونفوذه في المنطقة قد طلب اليه ان يقابله ولما تقابلا لجأ الى تدبير اغتياله بطريقه جبانة(٣٩)» .

ويعد هذه العباره قدم بوتا بعض المعلومات الجغرافية والطبيعية عن اليمن على النحو التالي:يفصل مناطق اليمن الجبليه عن البحر شريط سهلي يسمى تهامة عرضه يختلف من منطقة الى آخرى فيصل احياناً الى حوالى أربعة أميال ولاتصل الجبال الى البحر الا في أماكن محدودة كما في المنطقة الواقعة بين القنفذة واللحية وأرض تهامة جزء منها رملي وجزء صالح للزراعة اذا توفرت له المياه ويستفيد السكان من المياه المنحدرة من الجبال فيضعون أمامها سدوداً تساعد على تحويل المياه لري حقولهم ، كما يزرعون بعض أنواع فواكة المناطق المدارية ولا توجد فواكه اوربية (اي فواكة المناطق الباردة) وتوجد كميات كبيرة من اشجار النخيل وخاصة على شواطىء البحر « وقد لاحظ فورسكال وأنا اؤكد صحة ملاحظته(٤٠)» أن النخيل في اليمن يهاجم ويتلف من قبل نوع من النمل اذا لم يجلب الاهالي كل عام اعواداً من الخشب من المناطق الجبلية في داخله نوع آخر من النمل يفتك بالنوع الأول ولايلحق ضرراً باشجار النخيل ويتم ذلك بربط عود من ذلك الخشب في أعلى شجرة النخيل وهذا كفيل بتطهير الشجرة من النمل الضار.

وتبدو نباتات تهامة ذات خصائص أفريقية فالغابات تتكون من أنواع مختلفة من أشجار الميموزا (الست المستحية) فقط. « وقد وجدت هناك قدراً من النباتات قد رأيتها في سنار (٤١). وعلى ضفاف البحر تنمو نباتات مالحة يستخدمها الأهالي لتحضير الصودا.

وتشكل الجبال سلسلة مختلفة الارتفاعات تسير موازية للبحر واعلى مرتفع يمكن مشاهدته من البحر هو جبل ريمه Rema الواقع قرب مدينة بيت الفقيه والجبل الآخر المرتفع هو جبل صبر ويبدو أنه أكثر ارتفاعاً من جبل ريمه رغم انه لايشاهد من البحر حيث يحجبه جبل حبشي مع أن جبل حبشي أقل منه ارتفاعاً « ولم يكن لدي أدوات استطيع أن أقيس بها إرتفاعات هذه الجبال (٤٢) » والوديان الواقعة وسط هذه الجبال عميقة جداً .

ولم يشاهد بوتا اي فوهات بركانية إلا أن هناك جزيرة عند مدخل البحر الأحمر تسمى جبل طار أو (Tar) وهذه الجزيرة ليست أكثر من بركان وكان هذا البركان قد قذف حممه قبل سنين قليله. ويستفيد الباشا حالياً منها كمنجم لاستخراج الكبريت . كما أن جزيرة بريم ايضاً جزيرة بركانية « وقد تأكدت من ذلك من خلال المعادن التي جلبها الانجليز من تلك الجزيرة(٤٣)» بعد ذلك تحدث بوتا عن المناخ في اليمن واختلاف درجات الحرارة من منطقة إلى أخرى ثم أختتم عرضه بالحديث عن سكان اليمن متجنباً الحديث عن الجانب الجغرافي أذ أن هناك الكثير من المعلومات الجغرافية التي سبق لنيبور أن تحدث عنها ولايجدي تكرارها .



المراجع و الهوامش:

(١) Das Ausland 13. .1840, S. 55 - 76 U. Arabien, 8138- 153.

(٢) انظر : Newes Universal Lexikon, Bd.I, S.236

(٣) Das Ausland 55 U. Arabien 139.

(٤) فورسكال هو عالم الطبيعة الذي كان عضواً في البعثة الملكية الدنيماركية إلى اليمن عام ١٧٦٣م وقد توفى في مدينة يريم. أنظر الصايدي ، المادة التاريخية في كتابات نيبور.

(٥) Das Ausland 56 U. Arabien 139.

(٦) Das Ausland 56 U. Arabien 140

(٧) Das Ausland 56 U. Arabien 142

(٨) Das Ausland 56 U. Arabien 142.

(٩) لدى نيبور لم تذكر مناطق صنعاء بل العدين والمجبى ومناطق حاشد وبكيل وقعطبه ويافع. أنظر الصايدي المادة التاريخية في كتابات نيبور.

(١٠) Das Ausland 59 U. Arabien 142

(١١) Das Ausland 60 U. Arabien 143.

(١٢) هذا يدل على أن بوتا لم يكن يسجل رحلته مباشرة في نهاية كل يوم وانما سجلها لاحقاً مما جعله ينسى اسم القرية التي بات فيها.

(١٣) يبدو من خلال العبارة أن بوتا لم تكن لديه معرفة كافية باليمن مما جعله يصور حضرموت والجوف كما لو أنهما ليس جزأين من اليمن.

(١٤) Das Ausland 60 U. Arabien 143

(١٥) Das Ausland 60 U. Arabien 143.

(١٦) Das Ausland 60 U. Arabien 143

(١٧) Das Ausland 60 U. Aralien 143

(١٨) Das Ausland 63 U. Arabien 143

(١٩) يطلق بوتا هذه الصفة على الجماعات المسلحة التي تقوم بعمليات عسكرية سواءً كانت جنوداً حقيقيين أومقاتلي من أتباع المشايخ. Das Ausland 63 U. Arabien 144

(٢٠) Das Ausland 63 U. Arabien 144.

(٢١) Das Ausland 63 U. Arabien 144

(٢٢) Das Ausland 64 U. Arabien 144

(٢٣) تقدير بوتا للمسافات والاعداد ملفت للنظر فقد قدر عدد الرجال الذين كانوا ملتفين حول الشيخ حسن بـ ٢٠٠٠ الى ٥٠٠٠ رجل وهنا قطع المسافة بين حجف وقرية النبي شعيب في ساعتين االى خمس ساعات ومثل هذا الفارق الشاسع بين الحد الأدنى والحد الأعلى يصعب تفسيره إلا أنه يؤكد أن بوتا قد كتب وصفه للرحلة في وقت لاحق. Das Ausland 64 U. Arabien 145

(٢٤) لعل ذلك يرجع الى أن الطقس يصبح أكثر برودة كلما ارتفع المره في الجبل ولذا تصبح النباتات ـ أكثر شبها بنباتات المناطق الاوروبية الباردة.

(٢٥) Das Ausland 64 U. Arabien 145

(٢٦) Das Ausland 64 U. Arabien 146

(٢٧) Das Ausland 64 U. Arabien 146

(٢٨) لم يذكر بوتا أسماء الايام ولاتواريخها.

(٢٩) Das Ausland 68 U. Arabien 146

(٣٠) Das Ausland 68 U. Arabien 146

(٣١) Das Ausland 68 U. Arabien 14.

(٣٢) Das Ausland 68 U. Arabien 147

(٣٣) Das Ausland 68 U. Arabien 147

(٣٤) Das Ausland 68 U. Arabien 148

(٣٥) Das Ausland 72 U. Arabien 149

(٣٦) Das Ausland 72 U. Arabien 150

(٣٧) لم يحدد بوتا ذلك الطريق واكتفى بالاشارة اليها كما هو أعلاه.

(٣٨) لم يحدد بوتا موضع تلك البقعة.

(٣٩) Das Ausland 76 U. Arabien 152

(٤٠) Das Ausland 76 U. Arabien 153

(٤١) Das Ausland 72 U. Arabien 150

(٤٢) Das Ausland 75 U. Arabien 151

(٤٣) Das Ausland 75 U. Arabien 151

○ ○ ○

دراسة في تراث المنسوجات والملابس في اليمن

محمد عبد الرحيم جازم

مدخل للبحث عن جذور حياكة المنسوجات والملابس في اليمن

استغل اليمنيون القدماء مختلف الألياف النباتية التي تحفل بها بيئتهم المتنوعة المناخ الى جانب شعر الماعز وصوف الأغنام فأنتجوا منها مختلف أنواع الأقمشة والملابس وطرزوها بالخيوط الثمينة (الذهب، الفضة، الحرير)، ونتيجة لكثرة الحرفيين العاملين في حقل حياكة المنسوجات على الأنوال اليدوية نجد أن الدولة اليمنية أسست ورشاً تابعة للدولة تقوم بانتاج النسيج « .. فصارت صناعة الغزل والنسيج من أهم الموارد التي يتعيش عليها عدد كبير من الشعب والتي تكون مورداً كبيراً من موارد الدولة.. وقد كان للملوك مغازل ودور نسيج تعمل لحسابهم ولهم. وقد عرفت دور النسيج الملكية بـ «تعمت ملكن» «١».

ويعد نقش النصر للملك (كرب إل وتر) والموجود في (صرواح) من أهم الوثائق التاريخية في هذا المجال، فقد ذكر فيه بأن هذا الملك في هجومه على قبيلة (كحد ذي سوطم) من قبائل حمير وولدعم في المناطق الوسطى من اليمن « .. أنزل بهم هزيمة منكرة وخسائر جسيمة، فسقط منهم خمسمائة قتيل في معركة واحدة وأخذ منهم ألف طفل أسير وألفى حائك ماعدا الغنائم العظيمة» «٢». فإذا كانت قراءة النص سليمة فهذا الرقم للحاكة الأسرى العاملين في حياكة المنسوجات من قبيلة واحدة يدل على كثرة محترفي هذه الصنعة من اليمنيين خارج أطر ورش الحياكة الرسمية التابعة للدولة. مما يعطينا مؤشراً هاماً على أن حرفة الحياكة في اليمن كانت شعبية غير خاضعة للاحتكار الحكومي رغم وجود دور نسج تعمل لحساب الدولة وملوكها.

وإذا كنا قد تحفظنا على قراءة نص النقش من قبل د. جواد علي فذلك يرجع الى أن محمد عبد القادر بافقيه يورد في كتابه (تاريخ اليمن القديم، ص ٧٢) على النحو الآتي «ويوم هاجم - كرب إل وتر - كحد ذى سوطم لأنهم خانوه أو غدروا به فكان قتلاهم خمس مئة والسبي من أولادهم ألف وأخذ من أنمهم ألفين واستولى على كل مواشيهم ومقتنياتهم» «٣» ولاندري إن كان لفظ «أنمهم» يعني «حاكتهم» أم لا فإذا كان كذلك فما توصلنا اليه يعد سليماً.

ويذكر الدكتور جواد علي في المفصل بأن «اليمن صدرت أنواعاً عديدة من الأقمشة والثياب الى مختلف أنحاء جزيرة العرب واكتسبت شهرة بعيدة في كل مكان لجودة صنعها ونفاسة مادتها «٤».. ويقول الدكتور عبدالعزيز سالم في تاريخ العرب في العصر الجاهلي:

«ومن الصناعات الهامة في اليمن صناعة المنسوجات وأشهرها الحلل اليمانية والثياب السعيدية بصنعاء والعدنية.. واختصت سحولاً والجريب بالبرود والشرب وهي منسوجات رقيقة تصنع من الكتان ويدخل في لحمتها خيوط الذهب.» ٢٥

وقد اشتهرت مدن ومناطق عدة من بلاد اليمن التاريخية بمنتجاتها من الملابس والأقمشة من ذلك عدن واختصت بصناعة «الشرب والبرود» وشاركها

في ذلك المعافر - بلاد الحجرية حالياً - وصحار بعمان وهجر حمير، ونسبت بعض الملابس الى مناطق انتاجها وحياكتها منها البرود ، والثياب السحولية - نسبة لسحول بن ناجي من بلاد إب -، والبرود الجيشانية - نسبة لمخلاف جيشان من بلاد قعطبة - والبرود السديرية في قبيلة كنده، واشتهرت نجران بصنع الأنسجة الحريرية، وأنتج حاكتها البرود النجرانية وقد صالحهم النبي على الفي حُلة تدفع على دفعتين مما يدل على كثافة إنتاجهم واستمراره حتى بزوغ الإسلام «٦»

واهتم الحاكة اليمنيون بانتاج الملابس القطنية واشتهرت بذلك كل من ريدة من بلاد عمران إلى الشمال من صنعاء والسحول أيضاً، وكانت منتجاتهما القطنية ثياباً بيضاء موشاة ذكرها طُرفة بن العبد بقوله:

وبالسفح آيات كأن رسومها

يمان وشته ريدة وسحول «٧»

وربما شاركت ريده والسحول جهات أخرى في صناعة الملابس القطنية لأن مواطن زراعة القطن في اليمن منتشرة بكثرة خاصة في الجهات السهلية الرطبة منها ولكن شهرة هاتين طغت على ماعداهما.

ويتضح من بعض الدلائل على أن حرفة الحياكة في اليمن مارسها الرجال والنساء جنباً الى جنب لربحيتها، وربما اقتصر هذا على مجال حياكة الأصواف لصنع البسط والدثارات الشتائية، فالمرأة كما هو معهود الى يومنا تقوم بمهمة غزل الصوف بعد قصه من الأغنام، كما تمارس في المنزل عملية فتل الخيوط بأنواعها الدقيقة الرفيعة والمتوسطة والغليظة لصنع الملابس الصوفية، ويبدو أن المرأة الحضرمية القديمة مارست أعمال الحياكة فقد ورد في شعر ذي الرمة:

كأن عليها سحق لفق تانقت

بها حضرميات الأكف الحوائك«٨»

وقد اشتهرت بلاد حضرموت بإنتاج نوع من البرود اليمنية الراقية هي «الحبرة» وتجمع «حبرات» ، والحبير من البرود ماكان موشى مخططاً.. وهذا يدل على أنه كان ينسج من الكتان أو الحرير المصبوغ ،

وقد ظلت شهرة هذا النوع من الثياب منذ ماقبل الاسلام وبعده ردحاً من الزمن، فقد كست عائشة أباها عندما خطبها الرسول حبرة حمراء ، وقال الرسول صلعم، «مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب» يقصد الوشى، وقد نسبه النابغة الجعدي إلى حضرموت بقوله :

يدير علينا كأسه وشواءه

مناصفة والحضرمي المحبرا«٩».

ولم نجد أي دليل آخر يوحي بأن الحبرة كانت تنسج في مواضع أخرى من بلاد اليمن غير حضرموت ، فالمراجع تؤكد على أن الحبرة يمنية أنفردت بصنعها بلاد اليمن بين سائر البلدان في هذه الفترة الزمنية إلى مابعد ظهور الإسلام بزمن طويل . فدوزي في كتابه «المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب» نجده يقول «تدل هذه الكلمة - الحبرة - على نوع من البرد مصنوع في اليمن، ومعنى ذلك أن الحبرة هي رداء واسع مخطط.. واستناداً الى «عيون الأثر» «الجوهري» «القاموس» نعلم أن الرسول ترك فيما ترك حين توفي ثوبي حبرة. ويظهر أن هذه الثياب ماكانت تصنع الا في اليمن» «١٠».

وكما اسلفنا فالحبرة نوع من البرود العديدة التي انتجها حاكة اليمن، ويذكر دوزي في حديثه عن البرود «وكانت اليمن بصورة خاصة مشهورة بحياكة الأقمشة التي كانت تصنع منها البرود.» «١١» ، وقد حفظت لنا المراجع ومعاجم اللغة مسميات وصفات الملابس والبرود اليمنية التي دخلتها لشهرتها وسعة انتشار إستعمالها في جزيرة العرب وخارجها منذ ماقبل الاسلام وبعده وهي على النحو الآتي من غير ترتيب :

١- العصب - ضرب من برود اليمن ، هو ضرب من الثياب يعصب غزله ويدرج ثم يصبغ ويحاك «١٢» . ويذكر محمد مرتضى الزبيدي في «تاج العروس» العصب برود يمنية يعصب غزلها أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشى لبقاء ماعصب فيه أبيض لم يأخذه صبغ - الى أن يقول نقلاً عن السهيلي - إن العصب برود اليمن لأنها تصبغ

بالعصب ولاينبت العصب والورس واللبان الا في اليمن«١٣».

٢- السند - ضرب من البرود اليمانية ..وهي ثياب تسمى المسندية ، وفي الحديث أنه رأى على عائشة أربعة أثواب سند جمع إسناد .. ويبدو أنها كانت تعمل على هيئة جبة لقول الشاعر :

جبة اسناد نقي لونها
لم يضرب الخياط فيها .بالابر

وقد وصف السند على أنه ضرب من الثياب قميص ثم فوقه قميص أقصر منه - أو أنه - قُمص قِصار من خرق مُغيب بعضها تحت بعض«١٤».

٣- المراجل : من برود اليمن ، مفرده «مرجل» وقد يقال له ممرجل، وهي ثياب من الوشى فيها صور المراجل وهي القدور «١٥»

٤- الخيش - هي ثياب رقاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان ومن أردأه، أو من أغلظ العصب ، والجمع أخياش، وهي ثياب يمنية لقول الشاعر :

وأبصرت ليلى بين بردى مراجل
وأخياش عصب من مهلهلة اليمن«١٦».

٥- الخال - الثوب الناعم من ثياب اليمن - وايضاً برد يمني أحمر فيه خطوط سود كان يعمل في الدهر الأول - يقصد قبل الاسلام - وفي موضع آخر : الخال برد معروف أرضه حمراء فيها خطوط سود «١٧».

٦- المعجر - ثوب يمني يلتحف به ويرتدى والجمع معاجر ، وقال الليث :

المعاجر ضرب من الثياب تكون باليمن«١٨»

٧- الطبل - ثوب يمان موشى فيه كهيئة الطبول ، وفي «التهذيب» ثوب عليه صورة الطبل «١٩».

٨- الاتحمية - الاتحمي ضرب من البرود وتسمى الاتحمية والمتحمة برد معروف من برود اليمن وهي ثياب موشاة :

صفراء متحمة حيكت نمانمها
من الدمقس أو من فاخر الطوط «٢٠».

وقد ذكر القاضي محمد علي الأكوع في هامش صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٢٦ «أتحم موضع باليمن وهو الذي تنسب اليه الثياب الاتحمية.. وهو مايسمى اليوم دحيم وهي بلدة بجبل الصلو» وجبل الصلو يقع الى الجنوب من مدينة تعز غربي قاع خدير البدو.

٩- المهاصري - برد يمني ، وفي «المحكم» من البرود ، وفي «التهذيب » من برود اليمن«٢١».

١٠- السيراء - نوع من البرود يخالطه حرير من القز فيه خطوط صفراء كالسيور، وهي من ثياب اليمن . قلت - الزبيدي- وهو المشهور الآن بالمصنف«٢٢».

١١- الوصيلة - ثوب أحمر مخطط يمان والجمع وصائل ومنه الحديث : أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تُبع كساها الأنطاع ثم كساها الوصائل.. وفي موضع آخر - وهي برود حمر فيها خطوط خضر .. أما إبن سيده فيقول : الوصائل ثياب يمانية بيض - وقيل ثياب مخططة بيض وحمر «٢٣».

١٢- الشرعبي - نوع من البرود ويقال لها البرود الشرعبية ، وشرعب مخلاف من بلاد تعز الى الشمال منها ، وقد ذكره أعشى همدان بقوله :

والبغايا يركُضن أكسية الإضر
يج والشرعبي ذاالا ذيال«٢٥».

وذكره الشماخ بأنه إزار عند تناوله برد السيراء فقال :

ازار شرعبي وأربع
من السيراء او أواق نواجز«٢٦».

وذكره «الحطيئة» على أنه رداء فقال :

منعمة تصون اليك منها
كصونك من رداء شرعبي«٢٧».

وربما ترجع هذه الاختلافات في تصنيف هذا النوع من الملابس من حيث استخدامه إلى ثياب بلاد الحيرة التي كانت تنتج نوعاً منها يسمى «شرعبي» وثياب«شرعبية» ، أو ربما كان قماشها موحداً في النسج لصفات فيه تميزه يخاط منه ملابس عديدة كالرداء ، والبرد، والأزار كلها تشترك باسم واحد .

١٣ - الحميري - رداء ينسب لقبيلة حمير اليمنية، ، ذكره الحطيئة فقال :

تراها بعد دعس الحي فيها
كحاشية الرداء الحميري«٢٨».

١٤- الريط - ويقال لها «الريطة» وهي ثياب يمنية بها خطوط على صور السهام ذكرها أوس بقوله :

فإنا رأينا العرض أحوج ساعة

إلى الصون من ريط يمان مسهم«٣٠».

وذكر الزبيدي أن «الريطة » كل ملاءة غير ذات لفقين أي لم يضم بعضه ببعض بخيط أو نحوه ، وتكون كلها نسج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق وتجمع «ريط ورياط»، قال المتنخل :

فحور قد لهوت بهن عين

نواعم في المروط وفي الرياط.

ولعل «الريطة» منسوبة الى بلاد «ريطة» من عُمان «شنوءة» ، وقد ذكر الأزهري «بأن الريطة لايكون لونها الا ابيض«٣١» ، وربما كانت كذلك في عصر الأزهري »وربما قبله ولكنها موشاة بخطوط على هيئة السهام

١٥- المُسهم - برد مخطط، تشبه خطوطه أفاويق السهم، أي فيه وشي» مخطط بصور على هيئة نهاية السهام - قال ذي الرمة يصف داراً :

كأنها بعد احوال مضين لها

بالأشيمين يمان فيه تسهيم«٢٩».

١٦- الملاءة - ويقال لها الملاية، ولعلها كانت تنسج في حضرموت أو ظفار وشنوئة، وهي ثوب نسائي يطرح على الكتفين ويلف بها الجسم ، وكان أسفلها يذيل بوشي او تطريز للزينة ولوقايته من التمزق ، وقد ذكرها امرؤ القيس بقوله :

فعن لنا سرب كأن نعاجه

عذارى دوار في ملاء مذيل

والملاء هو «الملاءة»، وكانت تستخدمه العذارى في طوافهن حول صنم دوار الذي أظنه كان في جهة ما من بلاد حضرموت القديمة ، ويقصد الشاعر بالملاء المذيل الطويل الذي بنهايته هُدب تزينه .

١٧ - المرحل - برد من برود اليمن عليه تصاوير الرحال قال امرؤ القيس : ،

فقمت بها أمشي تجر وراءنا

على إثرنا أذيال مرط مرحلي«٣٢».

١٨- الفوطة - برد مخطط يؤتى به من اليمن ، والجمع فوط«٣٣». وصفها ابن سيده فقال «الفوط ضرب من الثياب قصار غلاظ تكون مآزر.«٣٤».

١٩- المفوف - برد مفوف فيه خطوط بيض ، والبرود المفوفة من نسج اليمن«٣٥». وذكر ابن سيده «والفوف - الثوب الرقيق. والبرد المفوف - الذي فيه بياض وخطوط بيض من الفوف«٣٦».

نكتفي بهذا القدر من المادة المجموعة عن الملابس اليمنية من مراجع قديمة وحديثة متخصصة وغير متخصصة لتشكل بداية لابد منها ومدخلاً الى ميدان البحث عن جذور الحياكة والملابس في اليمن لتعطينا مؤشرات دالة على إتجاهات عدة لابد ان نغطيها خاصة والكتابة في هذا المجال ، اقصد الكتابة التخصصية عن حياكة المنسوجات والملابس اليمنية شديدة الندرة، وما وجد منها قام به غير مختصين اما بدافع سد النقص في بحوثهم ، او من قبيل تكملة بحث عام للمنطقة تشكل فيه اليمن جزئية لا احد يستطيع تجاوزها، ومن هنا ظل تراثنا هذا مغموراً وبحاجة الى من يعنى به ليشكل بداية لتخصص يفرز في أحشائه مع تقدمه تخصصات أخرى ، ولااقصد بأني أستطيع ذلك لكوني غير متخصص في هذا المجال ولكني سأحاول أن أقدم هذه البداية رغم النقص في المادة المرجعية.

فالمادة التي جمعناها من الكتب والمعاجم العربية ، والمجموعة منها ايضاً من قبل الباحثين المحدثين الذين أفدنا منهم ، هي مراجع موثوقة لأنها تقوم باحالة مادة البحث الى مختصين سبقوها مما جعلها تغطي مساحة زمنية قبل الإسلام وبعده إلى حدود مابعد منتصف القرن الرابع الهجري وفي هذا الاطار الزمني سنحاول حصر المادة المرجعية السابقة مع اعتمادنا على قدر من المادة المرجعية الآثارية ذات الصلة المباشرة بموضوعنا عند تطرقنا للفترة الزمنية السابقة لظهور الإسلام.

اولاً : تحديد مراكز الأنتاج الرئيسية والهامشية :

إن المدلول العام الذي نخرج به من قراءة النصوص المجموعة من المراجع و تحديدها لعدد من مراكز الانتاج الحرفي لحياكة المنسوجات وصناعتها تغطي معظم رقعة أرض اليمن التاريخية القديمة ، وتتمثل

بمدن وقرى ومناطق واسعة تشمل «صنعاء ، عدن، ريدة، المعافر، صحار، هجر حمير، حمير ، السحول ، الجريب ، حضرموت، حبرة أتحم، شرعب، ظفار، ريطة، شنوءة، «عمان»، نجران، الخال بعسير، جيشان» - ويدلنا هذا الانتشار الواسع لمراكز الانتاج الحرفي على أن حياكة المنسوجات وصناعة الملابس كانت مهنة شعبية يتعاطاها عدد كبير من افراد الشعب اليمني وأسره في المدن والأرياف ، وقد جهد الحاكة في بعض المراكز البعيدة عن المدن في الارتقاء بمنتجاتهم من الأقمشة والملابس نتيجة لتراكم الخبرة في التعامل مع تكنيك الأنتاج وأدواته إلى حد فرضها كمراكز إنتاج رئيسية نافست المدن والمراكز الأخرى مما دفع بها إلى الواجهة التجارية في تصدير منتجاتها الى خارج البلاد وتسويقها داخلها وهذه المراكز هي «شرعب، اتحم، السحول، الجريب، جيشان، الخال، هجر حمير، ريطة».

واذا كانت بعض الملابس والمنسوجات قد حملت اسم مناطق انتاجها او مراكزها الا اننا نجد ان انواعاً منها لصفات مميزة بها أما خطوط او الوان اوصور اوطرق توشيه ونسج قد اشتهرت أيضاً ونسبت إلى اليمن عموماً وهي هنا اما انتجتها هذه المراكز مما يدل على تنوع وغزارة انتاجها وقدرة حاكتها على الابداع ، او ان هناك مراكز اخرى هامشية كانت تقوم بذلك . فبرد «السيراء» الذي سمي بهذه التسمية لخطوط صفراء فيه كالسيور يذكر «الزبيدي»، الذي عاش في اليمن ردحاً من الزمن قبل انتقاله الى مصر بانه في عصره مشهور باسم «المصنف» ونجد بان المصنف مازال الى يومنا هذا في اليمن يحمل نفس التسمية ونفس الخطوط المسيرة بلونها الأحمر والاصفر ويقوم بحياكتها على انوال تقليدية الحاكة في تهامة دون غيرها من البلدان اليمنية . وان دل هذا على شيىء فانما يدل على ان غزارة الانتاج الحرفي من المنسوجات والملابس في اليمن كان كذلك لارتكازه على قاعدة واسعة في أرضية المجتمع أتاحتها فرص عدم وجود منافسة شديدة لانتاج مماثل من خارجها داخل الأسواق اليمنية وفي معظم أرجاء الجزيرة العربية ، الى جانب عدم احتكار الدولة لهذا النوع من الأعمال المرتبطة بالعمران والتحضر الشامل الذي لف مختلف رقعة الأرض اليمنية.

ثانياً : المواد الخام الأساسية لحياكة المنسوجات

تمدنا المادة المرجعية السابقة والآثارية أيضاً بقدر طيب من المعلومات عن المواد الخام الأساسية التي استخدمت في حياكة المنسوجات اليمنية ممثلة بالألياف النباتية والحيوانية « الكتان، القطن، الحرير، الصوف، الشعر» . ولاتوجد اية أدلة مادية إلى اليوم توحي بأن اليمنيين أنتجوا مادة الحرير، القز مع ان المصادر تتحدث عن جودة ورقي المنسوجات والملابس اليمنية المصنوعة من الحرير والتي تفنن الحاكة في انتاجها ، ومن هنا نستنتج بأن هذه المادة كانت ترد الى اليمن من بلاد الصين والهند عبر ميناء عدن وغيره من الموانيء الواقعة على البحر العربي ممثلة بموانيء «عمان ، وظفار، والشحر» ، كما كانت تجلبها سفن وقوافل التجار من بلاد العراق ومصر عبر موانيء البحر الأحمر والطرق البرية التي تخترق شبه الجزيرة العربية ، وبعد ان تصل الحاكة في مختلف المراكز يقومون بتهيئتها كمادة خام بتنظيفها وغزلها وصباغتها ومن ثم حياكتها على الأنوال وتحويلها إلى منسوجات مختلفة.

أما الكتان فقد زرع في اليمن لأن مناخ البيئة يساعد على ذلك ، فقد ذكر البعض أن أهل نجران «زرعوا. وانتجوا حللاً حريرية راقية» ، ومع انه لايستبعد ذلك الا ان هذا النوع من المنسوجات قد يكون من مادة الكتان وليس من الحرير الذي يعد الحصول على خيوطه حرفة بحد ذاتها ، وتشير المصادر الى ان عدداً كبيراً من المنسوجات اليمنية كانت كتانية او حريرية او مخلوطة من المادتين معاً. وتعطينا اكفان موميات «شبام الغراس» ، قديماً «شبام سحيم» الموجودة في «متحف كلية الآثار بجامعة صنعاء » بفكرة ممتازة عن خام مادة الكتان وطرق غزلها وحياكتها من قبل الحاكة اليمنيين قبل حوالي ألفين ومائة عام من اليوم، ومن مشاهدة أولية لهذه

الأكفان نجد ان قطع النسيج المحاكة أنواع عديدة ، فمنها ماهو غليظ الخيوط مغزول من اليسار الى اليمين شكلت حياكته قماشاً متماسكاً مع وجود مسامات كبيرة فيه ، ومنها ماتقل مساميته عن ذلك وصولاً الى نسيج دقيق الحياكة شديد رفع الخيوط شبه منعدم المسامية ومتماسك .

اما القطن والذي يشكل ليفه المتميز بقصره عن الياف المواد الاخرى خيوطا متينة اكثر مقاومة من الياف المواد الاخرى النباتية والحيوانية - كما توصل علماء المنسوجات - فتدل الشواهد على انه كان المادة النسيجية الاقدم التي استعملها الحاكة اليمنيون بكثرة يدل على ذلك الشواهد الأثرية لقطع النسيج المنسوبة الى «طراز صنعاء» التي اكتشفت في الفسطاط بالقاهرة - سنأتي على ذكرها - ، والى كثرة إشارة المصادر المكتوبة اليها عند تناولها الملابس اليمنية التي استعملت خارج اليمن وداخله، ويعد كتاب «جون بلدي» (الانسجة في اليمن) «Textiles in Yemen» من الكتب الهامة التي تتبعت هذا الجانب منذ أقدم العصور «القرن العاشر» ق.م وحتى عصرنا .

ومما يؤكد إنفراد اليمن بالمنسوجات القطنية وبانتاج مادتها الخام مع وجود أدلة مادية تؤيد ذلك، عدم وجود اية أدلة مادية تؤيد وجود نسيج قطني ينسب لمراكز النسيج المماثلة في كل من مصر وبلاد العراق لنفس الفترة . فالدكتوره سعاد ماهر محمد في كتابها «الفنون الاسلامية» تقول «.. إن علماء الآثار يجمعون على ان القطع المصنوعة من القطن ليست من مصر بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا بعدم مصريتها حتى ولو كانت الخيوط القطنية مستعملة في زخرفتها فقط ، وحجتهم في ذلك أنه لم تكشف إلى الآن قطع قطنية عليها كتابات تفيد أنها صنعت بمصر) «٣٧» . كما تذكر أن الشيء نفسه ينطبق على العصر الفرعوني من حيث عدم وجود أدلة مادية على وجود قطع نسيج قطنية . ويلتقي مع الدكتوره سعاد ماهر ، الدكتور وليد الجادر في عدم عثوره على أي دليل قوي يدعم وجود حياكة القطن في العراق في العصر الأشوري المتأخر ، علماً بأن سعاد ماهر كانت تتحدث عن القطن والمنسوجات القطنية في مصر في العهد الاسلامي.

أما الألياف الحيوانية ممثلة إلى جانب «الحرير» بكل من الصوف وشعر الماعز ، فقد استغلها الحاكة في اليمن فانتجوا منها «الشملة» وتجمع «شمال» وهي ثياب صوف ، وقد ذكرت في حادثة جرت مع الوالي العباسي محمد بن خالد البرمكي الذي تولى اليمن في شوال سنة ١٨٣هـ/ نوفمبر ٧٩٩م، فقد اورد علي بن الحسن الخزرجي، في كتابه «العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الولاة والملوك » مانصه «.. وكان محمد بن خالد هذا كثير الصدقة في جميع أحواله ، وكان كثير التفقد لأحوال الرعية محباً ومشفقاً عليهم . ويحكى أنه خرج يوماً إلى سواد صنعاء فوافى اهل ذلك السواد عليهم ثياب الصوف الأسود وهي التي تسمى الشمال ..«٣٨» . والشملة كما يصنفها «دوزي» هي «البردة» وأن مايميز الشملة عن البردة هو حياكة بعض الزينة في حاشية البردة «٣٩» ولابن سيده في هذا المجال رأى قيم لم يطلع عليه دوزي - يعاني معجم دوزي من نقص وخلل في مادته لعدم إطلاعه على أهم مراجع في هذا المجال تتمثل بـ «لسان العرب» لابن منظور و«تاج العروس في شرح جواهر القاموس» لمحمد مرتضى الزبيدي، و«المخصص» لابن سيده علي ابن اسماعيل - فابن سيده يصنف المنسوجات الصوفية ومنها الشملة من خلال طريقة غزل الصوف ونسجه فيقول «اذا غزل الصوف شزرا ونسج بالحف فهو «كساء» واذا غزل يسرا ونسج بالصيصة فهو «بجاد » فأن جعل شقة ولها هدب فهي «نمرة وبردة وشملة» .. فاذا كانت منسوجة خيطاً على خيط فهي «منيرة» .. فاذا عرضت الخيوط البيض فهي «عباءة وعباية» «٤٠» .. ومازالت الى يومنا هذا في اليمن معروفة من هذه المنسوجات الصوفية بمواصفاتها واسمها كل من «البجاد ، الشملة ، العباءة » الى جانب عدد كبير من البسط والمفارش والأغطية الصوفية الأخرى.

ثالثاً: المواد الأولية المستخدمة في صباغة المنسوجات

تدل أوصاف الملابس اليمنية على أن الحاكة قد مهروا في مجال استخراج الأصبغة من مواد طبيعية لتلوين الانسجة بها، مع حذقهم فنون التوشية والتطرين، وهناك مايوحي على أنهم استخرجوا من اللون الواحد أطيافاً عدة بدرجات لونية مختلفة، بل وكان لهم تقنية خاصة وفنون في هذا الجانب، منها عصب النسيج، برباط مشدود في موضع أو مواضع منه يمنع تشرب أجزاء من النسيج للصباغ ومن ثم تركه مساحات يمكن تلوينها وصبغها بألوان مغايره ومنها النسج بخيوط ذات الوان عديدة وتشكيلها وفقا لذوق جمالي رفيع ياخذ اشكالاً هندسية اوصوراً محددة متقنة كصور «المراجل» و «الرحال» والاسهم، والطبول، او اشكالاً هندسية تجريدية متماثلة تاخذ مناحي شتى تدل على ذلك قطع نسيج «طراز صنعاء» في العصر العباسي التي سنأتي على ذكرها.

وقد كشفت لنا مخطوطة يمنية ترجع الى النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي عن تقنية الحاكة اليمنيين في تلوين المنسوجات وانواع المواد التي استخدموها في استخراج الألوان وتثبيتها، وهو مايجر نفسه على الفترة التي نقوم بدراستها لأن المواد المستخدمة كانت معروفة منذ حقب تاريخية قديمة كأنواع بضائعية هامة تصدر من اليمن وتستورد اليها مما يدل على كثرة استخدامها في مجالات عدة ومنها مجال صباغة المنسوجات.

١- تهيئة النسيج للصباغة :

وقبل ان نتناول المواد المستخدمة للصباغة نستحسن الإشارة إلى طريقة تهيئة النسيج للصباغة، حيث يقوم الحرفيون بعملية تنظيف المادة الخام خيوطاً كانت او نسيجاً، وتسمى هذه العملية بـ «القصارة» وتتم بالنسبة لكل من نسيج «الحرير، والكتان، والقطن، والصوف» على النحو الآتي :

يغلى مقدار من الماء على النار داخل قدر ويوضع فيه صابون، فاذا ذاب الصابون يرمى النسيج او الخيوط فيه، ويقوم الحرفي بتقليبه في القدر بواسطة عود او عصا مناسبة وعملية الغليان مستمرة لفترة من الزمن، ثم ينزل القدر من على النار، ويخرج النسيج او الغزل منه ويغسل بالماء العذب، ثم يجفف بالشمس، وبعد هذا يصبح نظيفاً جاهزاً الصبغه بالألوان «٤١».

٢- المواد المثبتة للألوان :

استخدم الحرفيون في اليمن وعلى نطاق واسع مادة «الشب» كمثبت للألوان عند صبغهم لأنسجة الحرير والكتان والقطن والصوف، حيث يوضع النسيج في «الشب» المذاب بالماء لمدة ليلة كاملة ثم يغسل بعد ذلك ويباشر صبغه بالألوان، واستخدمت بشكل محدود مادة «الزاج» المذابة بالماء للحصول على تثبيت لألوان محددة كاللون البنفسجي «الخمري» واللون الذهبي، واستخدمت مادة «النيلة» للحصول على اللون الأسود، كما استخدمت لتثبيت الألوان أيضاً «قشور الرمان» و«الهرد» الأصفر، وأكسيد الحديد مع ماء نبات «الحلقة» الشديد الحموضة. ولكي تثبت الألوان على المنسوجات الصوفية استخدمت لذلك «أوراق شجر التألب» وقليل من مادة «الشب» تخلط بها.

٣- المواد الأولية المستخدمة في صباغة المنسوجات اليمنية

استخرج الحاكة في اليمن ألواناً عدة من مجموعة متنوعة من المواد الأولية معظمها تحفل بها البيئة اليمنية المتنوعة المناخ والمصادر المعدنية، ونستطيع في البداية أن نحصر هذه المواد إجمالاً فيما يأتي :

الشب، الفوه، العفص، الدم، حشيشة الصباغين، كركم، ثمر الأثل، الهرد، ماء حب الليمون، النيلة، قشور الرمان، الزاج، خل خمر، حديد خشن، ماء حلقة، أوراق الحناء، جلد قندس، قشر الهليلج، البقم، عروق شجر التألب، ورق شجر التألب، الرماد، الخطم، زبيب اسود حاتمي.

ويلاحظ بأن هذه المواد معظمها من مصادر نباتية طبيعية برية وزراعية وبعضها الآخر معدنية وعنصر واحد حيواني وقليلة منها مركبة من كلا المصدرين الرئيسيين، وهي على الاجمال تستخرج

منها مختلف الألوان التي استخدمت في صباغة الملابس، وقد اخذت اطياف مختلف الألوان منها بتكنيك بسيط غير معقد، لعبت فيه الخبرة والتجربة دوراً كبيراً مما أعطى للملابس والمنسوجات اليمنية الصفات السابقة التي حفظتها لنا اقوال الشعراء وكتابات المؤلفين ووصف الرحالة.

فللحصول على اللون الأحمر لتلوين المنسوجات الحريرية او القطنية استخدم الحاكة مادة الشب لتثبيت الألوان، وحصلوا على اللون المطلوب من نبات «الفوة» و«العفص» المدقوق، مع عجنهما بـ«الدم» «٤٢» من اي مصدر كان طائراً أو حيوانا، كما يتم الحصول على اللون الأحمر لتلوين النسيج القطني من قشور شجرة الهليلج و«الفوة» و«البقم» «٤٣». ويعمل اللون الأحمر أيضاً من «عروق شجرة التالب» و«الشب الابيض» و«الفوة» «٤٤».

أما اللون الأصفر فيتم الحصول عليه بعد استخدام مادة «الشب» من النبات المعروف باسم «حشيشة الصباغين» والتي يغلى النسيج بالماء معها وينزل عن النار ثلاث مرات بعد غليانه ليكسب اللون المطلوب، واذا اراد الحائك الحصول على لون أصفر غامق اضاف الى «حشيشة الصباغين» ماء «الكركم». او ماء ثمار الأثل المغلي ويستخدم ايضاً «الهرد» للحصول على ا للون الاصفر دون استخدام مادة «الشب» لتثبيته وذلك بغلي المادة بالماء مع النسيج المطلوب صبغه، وإذا اراد ان يكون له لون «اصفر ليموني» أضاف مقداراً صغيراً من ماء الليمون على ماء بارد وأنزل فيه النسيج المصبوغ بـ«الهرد» وتركه مدة ساعه فيه، ثم يخرجه ويغسله، فيكسب اللون المطلوب «٤٥».

ولإكساب المنسوجات اللون الأخضر باطيافه المختلفة أستخدم الحاكة «الهرد» الذي يغلى مع النسيج في قدر به ماء، ثم يغمس في ماء الليمون فيخرج لونه اخضر كلون ورق الموز.

ويوجد تكنيك أو «تقنية» اخرى لأكساب المنسوجات اللون الأخضر استخدمها الحاكة اليمنيون تتمثل بترك النسيج في الشب ليلة كاملة، ثم ينقع بمادة «حشيشة الصباغين» فإذا اصفر لونه أُخرج ووضع في إناء النيلة «خابية النيل» ثم يغسل ويجفف في الظل فيكون لونه «أخضر غامقا» أو «أخضر صافيا» حسب إرادة الصباغ. أو يصبغ النسيج بمادة «الهرد» فيكون لونه «أصفر» فإذا اراد أن يكون ذا لون «فُستقي» غطسه لمدة قصيرة في «خابية صبغ النيلة» ورفعه منها بسرعة وغسله بالماء فيكسب اللون المطلوب «٤٦».

أما صبغ المنسوجات باللون «الذهبي» فيؤخذ من «قشور الرمان» التي تدق وتوضع في ماء وتغلى، ثم يوضع النسيج في القدر ويغلى مع المادة السابقة، ويضاف مقدار من مادة «الزاج» إلى القدر وهو يفور من الغليان على النار ويترك على هذه الصفة مدة ساعة وينزل من على النار ويغسل النسيج بماء نقي. ثم يعاد غليه مرة أخرى في وعاء به «خل خمر وحديد» منقوع لمدة ثلاثة أيام، وبعد ان يغلى ينزل عن النار ليبرد ثم يغسل فيكسب اللون الذهبي «٤٧».

ويكسب النسيج اللون «الأزرق» بصبغه بمادة النيلة، حيث ينزل في خابية صباغ النيلة، مرة او مرتين، فإذا اراد أن يكسب اللون «الكُحلي» كرر وضعه في «الخابية» ثلاث مرات. وإذا اراده ذا لون ازرق صاف ويسمى «رصاصي» أو «فيروزي» أنزله في «خابية النيلة» مرة او مرتين على أن تكون صفة الخابية ضعيفة مستعملة «٤٨».

ويعد اللون الأسود، من قطعة «حديد خشن» توضع في النار حتى تحمر، ثم تنزع من النار وتلقى على ماء «حلقة» - الحلقة نبات معروف باليمن ينتشر على سطح الأرض تعمل منه في بعض محافظات اليمن اقراص مستديرة حامضة تستخدم للحلبة بدلاً عن «الحمر» - ثم يؤخذ «زبيب اسود حاتمي» وقليل من ورق «الحناء» و«نصف جلد لقندس» ويوضع الجميع في «ماء الحلقة» وتترك جميع المواد حتى «تسود» ثم يدق «كركم» ويوضع على بقية المواد، ثم توضع الخرقة المراد صبغها في المادة المعدة وتعرك حتى يدخل اللون بين الخيوط ثم تعصر وتنشر بالشمس فإذا جفت غمست من جديد في المادة المعدة وحُركت داخلها ثم تنزع وتعلق دون ان تعصر، وهذا الصباغ تصبغ به منسوجات الحرير والقطن، ولا فرق بين الحرير والقطن في الصباغة «٤٩».

ولإكساب المنسوجات اللون «العودي» نسبة لخشب العود أو لعودة «الصندل» الزكي الرائحة، يوضع النسيج في مادة «الشب» ليلة كاملة، ثم يغسل، ويؤخذ مقدار من الكركم المدقوق ويصب عليه ماء حار ويغلى على النار ثم يصبغ به النسيج، ويؤخذ «عفص» مدقوق ويخلط بالماء الحار ويصبغ به النسيج المصبوغ بـ «الكركم» ثم يغمس في وعاء الصباغ الأسود «خابية الحرير الأسود» فإذا ظهر اللون المطلوب، والا اخذ من مادة الصباغ الأسود واطلع مع النسيج في قدر على النار حتى يسخن ويعلق الصباغ، ثم يغسل بالماء النظيف ويجفف بالظل «٥٠».

أما صباغة المنسوجات بلون بنفسجي «خمرى» فيوضع النسيج في مقدار من «الزاج» المسحوق ويصب عليه ماء بما يغمر النسيج المطلوب صبغه ويترك مدة ليلة كاملة، ثم يغسل، وتخلط بالماء الحار، «فوة» مدقوقة معجونة بـ «الدم» أي دم كان، ويدلك الحرير بالمادة المذكورة، ثم يغلى الجميع على النار في قدر، وعندما تكتمل عملية الغليان ينزل من على النار ويبرد ثم يغسل النسيج.. ويلاحظ هنا ان هذا اللون يثبت بمادة «الزاج» بينما غيره يثبت بمادة الشب» «٥١».

ويعد الوصف السابق للتقنية اليمنية في صباغة المنسوجات والألوان التي تعمل من المواد الأولية التي سبق ذكرها مما يصبغ به فقط «الكتان، الحرير، والقطن» إذ حسب قول مؤلف كتاب - المخترع في فنون من الصنع - «لافرق بين الحرير والقطن في الصباغة» اما «صباغة الصوف» فيؤخذ «ورق التألب» والتألب شجر معروف في اليمن، ويطبخ به غزل الصوف ويوضع عليه بعض «الشب» وينضج في قدر كما ينضج اللحم، ثم يجفف في الشمس، فإذا جف واريد صبغه باللون «الأحمر» يغلى مع مادة «الفوه» المذابة بالماء ويوضع عليه «رماد» او «خطم» فيكسب اللون الأحمر. أما اذا اريد صبغه باللون «الأصفر» فيوضع على «الصوف» الرماد ليلة كاملة، ثم يغسل بالماء البارد فيكسب اللون المطلوب «٥٢».

وقد اغفلنا في هذا الجانب المقادير التي تستخدم من المواد مع المقادير المطلوب صبغها من خيوط أو نسيج أو ثياب، وهي مقادير دقيقة ذكرها المؤلف، كما أننا لم نورد تفاصيل تقنية الصباغة، فكل ماأردناه، هنا، هو ذكر المواد التي استخدمت في صباغة المنسوجات واستخراج الألوان منها وبعض فنون تقنية الصباغة التي اتقنها حاكة اليمن.

رابعاً: نفاسة الملابس اليمنية وصعوبة تصنيفها:

يلفت النظر التنوع الذي ذكرته المصادر عند تناولها الملابس والمنسوجات اليمنية، ونتيجة لعدم توفر أوصاف دقيقة لاستخدام هذه الملابس فإنا نجد صعوبة في تصنيفها فـ«البرود» اليمنية نجد منها ماكان يلبسه الرجال وبعضها تلبسه النساء.. فالرسول «صلعم» كان يلبس «الحبرة» وهي من البرود، بينما نجد ان زوجه «عائشه» كانت تلبس «السند» وهي من البرود اليمانية وتبين من وصفها بانها «جبة» بينما يقول آخرون بأنها «قميص» مخاط بطريقة فنية من خرق يغيب بعضها تحت بعض. كما أن هذه الملابس ذات المسميات العديدة يندرج جزء، كبير منها ويوصف بأنه من انواع البرود، ومع تتبع المادة التي تنسج منها نجدها أما «كتانا صرفا» أو «كتانا مخلوطاً بحرير» أو «حريراً وقطنا» - من الدمقس «الحرير» او من فاخر الطوط «القطن» - او «كتان وصوف» كما توصف برود الرسول الحضرمية الحياكة، اما صفاتها الظاهرية فتدل على ان بعضها كان يوشى بخيوط ثمينة، وبعضها كان يأخذ ألواناً عدة تشكلها السداه الطولية التي تشد على المنسج، وبعضها عليها صور كانت تُشكل عند عمل اللحمة، في حين ان بعضها له لون واحد «أحمر» أو «أصفر».. الخ بينما غيرها مخطط بألوان يخالف بعضها بعضاً، ومنها ماله حاشية وأهداب تزين أطرافه وماهو بدون ذلك، ومنها ماهو كثيف مادة النسج ومنها ماهو هفهاف رقيق.. ولعل الميزة التي تجمع بين كافة اصناف «البرود» تميزها بالطول، ولايلبس هذا النوع من الملابس الا ذوو

المكانة الإجتماعية الفوقية الذين لايمارسون أعمالاً يدوية حرفية كانت أو زراعية.

وذكرت بعض الملابس اليمنية بأنها «إزار» يستخدم لتغطية الجسم من نصفه الأسفل ومنها «الفوطة، كما ان بعضها مما يشتمل به كـ«الشملة» و«الملاية» و«الرداء» و«المصنف» - برد السيراء» ، ومنها ماهو «قميص» ، ومنها ماهو لحاف كـ«المعجر» الذي يتخذ عمامة ويعتجر به ايضاً كإزار. وهذا كله يعطي مدلولات عديدة تؤكد على أن هذه الملابس بعضها كان يفصل ويخاط ليأخذ هيئة اللابس له، وبعضها ينسج ولايخاط لأنه يلبس أو يطوى على الجسم ويشد بحزام، وبعضه لاستخدامه يوصل بعضه الى بعض كنسيج «الوصائل» ، ومما يلفت الانتباه وصف برد «السند» الذي يصفه الشاعر بقوله

«جبة اسناد نقي لونها

لم يضرب الخياط فيها بالأبر»

أي لم يستخدم في تفصيلها الإبرة والخيط ، ولكن القول الآخر فيه «قمص قصار من خرق مغيب بعضها تحت بعض» يجعلنا في حيرة ، فإذا كان «برد السند» لايخاط فما هي التقنية التي استخدمت لجعله قميصا خرقه تتداخل تحت بعضها البعض!.

وليس لنا الا ان نقول ان عملية الأبداع التي أبداها العاملون في حرفة حياكة الملابس والمنسوجات كانت وراء هذا التنوع في المادة وطريقة النسج والتطريز واللون مما أعطى للمنسوجات والملابس المنسوبة الى اليمن نفاستها وغلاء اثمانها وجعلها ترتبط بوقوع الأمور الجسام بين ابناء الجزيرة العربية وتجري في امثالهم التي حفظتها لنا المصادر لاعمال وعقائد كانت تسود حياتهم فيقال «وقع بينهما قد برود يمنة» إذا بلغ الخصمان مبلغاً عظيماً في المخاصمة حتى تشاقا ثيابهما، لان برود اليمن غالية الثمن، فهي لاتقد الا لعظيمة، أي لاتشق الا لامر عظيم ، وهو مثل في شدة الخصومة «٥٣».

ولم نجد مايفيد إفادة شافية في وصف ماعرفت بـ «الحلل اليمانية» واحدتها «حلة» ، وإن كان هناك مايشير الى رقي نسجها والى أنها عملت من قبل حاكة اليمن قبل ظهور الاسلام بزمن طويل ، فقد ذكر كتّاب تاريخ اليمن، ظهور مومياء ملك يمني قديم في عهد أبي بكر الصديق عليه مجموعة كبيرة من هذه الحلل.. «ومن عجيب ماجرى في أيام ابي بكر رضى الله عنه باليمن، أنه حصل مطر عظيم ، فابرز السيل عن باب مغلق، فهاب الناس فتحه وظنوا انه كنز ، فكتبوا الى ابي بكر يعلمونه بذلك، فعاد جوابه الى عامل البلد أن لايترك أحداً يقرب الموضع حتى يأتي امناؤه . فلما قدم الامناء فتحوا الباب فإذا هو على مغارة فدخلوها ، فاذا فيها سرير عليه رجل ميت، وعلى الرجل سبعون حلة، منسوجة بالذهب، .«٥٤» . ويدل على غلاء هذا النوع من المنسوجات اليمنية ونفاستها ماجاء في الحديث الذي رواه «ابو داؤود» في سننه أن زرعة بن عامر بن سيف بن ذي يزن الحميري أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلّم حلة قومت بعشرين بعيراً ثم كساها عمر وقال له : إياك ان تخدع عنها «٥٥».

ولايفي ذكر ثياب صنعاء المعروفة بـ«السعيدية» في مجال التعريف بها لعدم وجود وصف سليم لماهيتها واستخدامها .. وان كان الوصف القصير «للشرب» العدنية القائل بأنها منسوجات رقيقة تصنع من الكتان يدخل في لحمتها «خيوط الذهب» يعطي بعض الضوء عنها، الا انه لايفي بالغرض في التعرف على استخداماتها وهل استخدم في نسجها فقط الكتان وخيوط الذهب ام كانت هناك خيوط أخرى تدخل في لحمتها وسداها.

ونجد ان ا لمصادر تتضارب اقوالها عند ذكرها بعض الملابس اليمنية سواء بالنسبة لاستخدامها او تحديد مسمياتها مما يجعل تصنيفها من المستحيلات ، كما سبقت الاشارة الى الملابس الشرعبية التي ذكرت بأنها «إزار، ورداء، وبرد وكساء» ، وتورد المصادر مثالاً آخر على عدم الثبوتية في هذا المجال عند ذكرها الملابس المسماة «خمس، وخميس، وخماسي، وخموس» والتي تناولتها على النحو الآتي : «الخمس، أسم رجل وملك باليمن وهو أول من عمل له البرد المعروف بالخمس ، نسبت إليه وسميت به، ويقال لها ايضاً خميس قال الأعشى:

يوما تراها كشبه إردية الخـ

ـمس ويوما أديمها نغلا

وكان ابو عمرو يقول : انما قيل للثوب خميس لأن اول من عمله ملك باليمن يقال له الخمس امر بعمل هذه الثياب فنسبت إليه. وبه يفسر حديث معاذ بن جبل وهو في اليمن «ائتوني بخميس أو لبيس آخذه منكم في الصدقة» هو الثوب الذي طوله خمسة اذرع كأنه يعني الصغير من الثياب «٥٦». ويتضح مما سبق عدم الاتفاق على تفسير التسمية فحيناً يذكر انها نسبة لرجل وملك يمني يسمى «الخمس» بكسر الخاء الموحدة الفوقية ، وحيناً بأنها خمسة أذرع عند تفسير حديث معاذ بن جبل ، إما من حيث الأستخدام فقد وصف الخمس بأنه «بُرد، ورداء، وثوب» ومن المعروف بان لكل من هذه الملابس إستخداماً محدداً وصفة تميزه وهنا تبرز الصعوبة في محاولة تصنيف الباحث لها.

واذا واصلنا رحلة البحث في تتبع ماذكر من ملابس في الفترة الزمنية التي نحن بصددها نجد بأن «الحسن بن أحمد الهمداني» يفيدنا عند ذكره لصفات بلاد اليمن في زمنه ماعرفه بها من ملابس نسبها إلى مناطق انتاجها ، وذلك في القرن الرابع الهجري، وماالقاه محقق كتابه «محمد علي الاكوع» من ضوء على اماكن اشتهرت ببعض المنسوجات فبلاد «المعافر» التي نسبت اليها «الثياب والبرود المعافرية» نجد الهمداني يصف اهلها في زمنه بقوله «واهل المعافر وماوالاها يستعملون «السكينية» في الراس وتحسن في بلادهم » ويفسر المحقق «السكينية» بانها «الطرة السكينية» «٥٧» . والطرة كما نعرف هي حاشية تكون في طرف الثوب او غيره كعلامة له، وهذا يدل على انها «عمامة » رجالية ان كان يستخدمها الرجال ، او غطاء رأس نسائي مزين الحواشي ، لان قول الهمداني «واهل المعافر» يدل على الرجال والنساء ، وقد ذكر المحقق بان «الطرة السكينية» منسوبة إلى سكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب» وهو ماتؤكده المصادر الأخرى كتاج العروس للزبيدي وغيره.

ويستمر الهمداني في وصف بلاد المعافر فيقول «..إلى كثير من قرى المعافر مثل حرازة وبها تعمل الأطباق الحرازية ، وثياب التجاوز..» ويذكر المحقق بأن «حرازة تقع في عزلة ايفوع المجاورة للأخمور ولازالت الأطباق تعمل بها وثياب التجاوز هي التي تسمى «الشريحة» وهي ثياب تطرز بألوان الصباغات وعلى شكل فريد من الزينة يستحسن عندهم «٥٨».

وعند تناول «الهمداني» لمناطق في الشوافي من بلاد إب وهي «..وشظة وقلامة والحبر والضمادي والهياري..» «٥٩». نجد ان المحقق يقول «وحبر.. وهي بلدة متشعثة حولها أنقاض كبيرة مما يدل على أنها وسيعة وإليها تنسب الثياب الحبرية المخططة..» «٥٩» ولاتوجد ادلة مادية تثبت وتؤيد ماذهب اليه المحقق رغم قرب هذا الموضع من «السحول» البلد الشهير بانتاج الملابس، إذ لايكفي إتفاق الأسم للدلالة على ذلك الا في حالات قليلة نادرة وهي لاتنطبق على الموضع المذكور والا كان «الهمداني» بدقته المشهورة قد ذكر ذلك.

وتطرق الهمداني الى «مخلاف جيشان» الذي سبق وذكرنا بأن البرود الجيشانية تنسب اليه فقال : «جيشان من مدن اليمن ولم يزل بها علماء وفقهاء وتجار أبرار ..» «٦٠» وتناول المحقق جيشان المدينة معرفاً بها « ..وتقع مدينة جيشان في عزلة الأعشور من العود شمال قعطبة وهي من مدة غير قصيرة أطلال وخرائب.. ونسب إلى جيشان «الخمر السود الجيشانية٦١» والخمر جمع «خمار» وهو «النقاب» الذي تستر به المرأة وجهها.

وعند حديثه عن صنعاء يتطرق الهمداني إلى عادات أهلها في الملابس لظروفها المناخية «.. إن الغالب عليها البرد ولصحتها يلبس الإنسان بها في الشتاء عند جمود الماء لباس الخز والكتان والرقائق فلايدخلها البرد لأنه برد يابس - أي جاف .. ويلبس الانسان الصوف والمبطنات ودواويج الثعالب في صيفها فلا تؤذيه ..٦٢». ويهمنا من كل ماذكره الهمداني إشارته الأخيرة بأن أهل صنعاء كانوا يلبسون الملابس المبطنة بالفراء «دواويج الثعالب» أي جلود الثعالب المدبوغة ، وقد عرف اهل اليمن منذ زمن بعيد الافادة من جلود الحيوانات ذات الفراء واستخدموها كملابس، ، يدل على ذلك مايظهر من زي القيل اليمني «معد كرب» على تمثاله المودع في المتحف الوطني بصنعاء ، وهو زي عسكري يغطي

نصفه الأعلى من الأمام والخلف «جلد نمر» وعلى رأسه خوذة حديدية ، ويغطي نصفه الأسفل الى مافوق الركبتين ثوب قصير مفروج من الأمام.

وقد ذكر في المصدر الذي استقينا منه الوان صبغ الملابس، وصف ممتاز لكيفية صبغ (فراء القندس) باللون الاحمر بواسطة ريشة خاصة، والمواد المستخدمة في ذلك هي (العفص أكسيد النحاس، رماد معجون، دهن زيت شيرج، قشور الجوز الأخضر، فوه، شب) (٦٣) وإذا كانت النمور والثعالب توجد في البيئة اليمنية، فإن فراء القنادس الذي كانت تبطن به الجبب الفخمة كان يستورد من بلاد الشام والعراق وفارس بشكل خام ثم يصبغ ويفصل باليمن. وقد ذكر الهمداني بلاد الشوافي بظاهر السحول متحدثاً عن إنتاجها الحر في من الجلديات والملابس (والشوافية وبها جلود النمر النفيسة المحلوكة السواد اليقق البياض ويبلغ الجلد دنانير، ويتخذ منها مع السروج الفرش النفيس، وكذلك بها فرش العباء الملون النفيس ويكون جلالاً للخيل - الجلال ملابس شتائية خاصة بتدفئة الخيول من البرد - وهي من أحسن شيء وهي ملبن مثل تلبين الوشى لبنة بيضاء والى جانبها لبنة سوداء جرداء غير مخملة وبها آله الحرير النفيسة الملوكية، والأنطاع الصت التي لاتكف في مطر الأيام - أي لاتسمح للمطر بالنفاذ خلالها مهما كان غزيراً ودام عليها لأيام عدة - وفرش الريح من هذا الحرير وهو عجيب..) (٦٤) وتبين لنا الفقرة السابقة للهداني مدى مابلغه الحاكة والصناع اليمنيين في عصره من تقدم في إنتاج أشياء متنوعة كالفرش الموشاة المسماة (ملبن) وفرش (الريح) من الحرير و (العباء) الملون النفيس الى جانب إفادتهم من الجلود الفرائية للنمور.

ومما ذكره في هذا المجال نشوان بن سعيد الحميري

، موضع باليمن كانت تنسج به البسط والوشى الراقي (وعبقر إسم موضع باليمن ينسج به الوشى) (٦٥)، وذكر هذا الموضع غيره (.. وفي الحديث أنه كان يسجد على عبقرى، وهي البسط التي فيها الأصباغ والنقوش.. قال الفراء: العبقري الطنافس الثخان، واحدتها عبقرية، والعبقرى الديباج. قال ابن سيده: والعبقرى والعباقري ضرب من البسط، والواحدة عبقرية. قال: وعبقر قرية باليمن توشى فيها الثياب والبسط، فثيابها أجود الثياب فصارت مثلاً لكل منسوب الى شيء رفيع)(٦٦).

وتفيدنا مشاهدات (الهمداني) وزياراته التي دونها في كتبه عن بعض المواقع الأثرية (قبل اسلامية) والتي تؤكدها الكشوفات الأثرية في عصرنا لنفس المواضع، في جانب غزارة انتاج المنسوجات الكتانية في اليمن قبل الميلاد وبعده والتي استخدمت بكثرة في تكفين الموتى المحنطين لعلاقتها بعلم التحنيط ومواده التي يعد نسيج الكتان منها لدوره في تجفيف جسم الميت الخارجي من خلال امتصاصه للسوائل، علماً بأن بعض القبور الأسرية لقدماء اليمنيين قد نحتت في صخور الجبال على هيئة غرف او حجرات يؤدي بعضها الى بعض مع وجود رفوف منحوته بالصخر نفسه لكل حجرة لحفظ أدوات الميت التي استخدمها في حياته، ولهذه المدافن الأسرية باب على هيئة نافذة مرتفع عن الأرض في الأماكن الوعرة من الجبال يصعب الوصول اليه الا بسلالم أو حبال وقد زرت بعض هذه المدافن القريبة من مدينة صنعاء والخاليه من الموتى ونمت فيها وهي تتوزع لمن يريد زيارتها في كل من (شبام الغراس وحصن ذي مرمر، ووادي ظهر وقاع الخلوة شمال صنعاء، وشبام كوكبان). وقد زار منها الهمداني في عصره مدافن وادي ظهر وتحدث عنها قائلاً (وفيه - وادي ظهر - من البيوت المنحوته في الصخر في جوانب القلعة - فدة طيبة - ماليس في بلد، وهذه البيوت خروق نواويس لموتاهم وهم فيها الى اليوم. وقد رأيت جثثهم فيها مايزيد على أهل عصرنا وماهو مثلها، وأكثرهم قد صاروا عظاما متناصلة الا أنها صلاب. فما كان منها حدث فعظمه ودوك وما كان قديما فعظمه أبيض. وقد بقى من أكفانهم ماكان من جليل الكتان.)

وتؤيد ماذكره الهمداني الموميات التي أكتشفت في مدافن (شبام الغراس) والتي كانت كلها مكفنة بأكفان كتانية راقية النسج والغزل ومودعة داخل جلود بقرية مدبوغة على طريقة الدفن القرفصي. وتوجد غير هذه الموميات أخريات تحت الدراسة أكتشفت في (ظهر، والمحويت و(ذمار).

ومن الملابس اليمنية التي استخدمها العسكريون

ورجال الجيش (الخوذ) لوقاية رؤوسهم، و (الدروع) الحديدية التي كانت تلبس على النصف الأعلى من الجسد تحت الثياب أو فوقها، وقد ذكر الهمداني منها في الصفة (الدروع السلوقية) فقال (.. خربة سلوق وكانت مدينة عظيمة بأرض خدير واسم بقعتها اليوم حبيل الريبة - قريب من الراهدة الى الجنوب من مدينة تعز - وهي آثار مدينة يوجد فيها خبث الحديد وقطاع الفضه والذهب والحلي والنقد واليها تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية..) (٦٨) وتبرز لنا (التماثيل) اليمنية القديمة، والصور التي على قطع (العمله) أشكالاً عديدة من الخوذ العسكرية وملابس الجيش المتنوعة التي استعملها اليمنيون القدماء.

وتعد (الأحذية) من الملابس لأنها تلبس لوقاية الأقدام من الاصابة وجزء اساسي مكمل للزي سواء للرجال أو النساء، وقد أشتهرت اليمن بمنتجاتها من الأحذية الجلدية الراقية خلال هذه الفترة الزمنية ومن مشاهدة التماثيل والمنحوتات لفترة ماقبل الميلاد وبعده نجد على اقدام تماثيل الأشخاص أنواعاً وأشكالاً مختلفة من الأحذية المتقنة الصنع والراقية منها المغلقة ونصف المفتوحة، ومنها ذات سيرين ومنها ماهو على هيئة شبك من السيور يصل الى مافوق الكاحل، ويختلف مايلبسه الرجال من أحذية عما هو على اقدام النساء، ويوجد في المتاحف الوطنية باليمن العديد من هذه النماذج.. ويعد الحذاء الموجود في (متحف كلية الاثار بجامعة صنعاء) لإحدى المومياءت المكتشفة من ابرز الأمثلة الحية على مابلغه الخرازون في اليمن من دقة في صنع الأحذية الجلدية سواء في حسن الذوق أودقة خرز الجلد وتفصيله، وهذا الحذاء من النوع المغلق الطويل الرقبة والذي يبلغ حتى منتصف الساق.

ولايستبعد ما اورده نشوان بن سعيد الحميري في كتابه من اتخاذ أحد ملوك اليمن وزوجته أحذية من معدن الفضه (ووجد في مسند على قبر ذى دنيان) بن ذي مراثد ملك من ملوك حمير: أنا ذو دنيان عشت أنا وامراتي ستمائة خريف من الزمان الطميم نلبسان والصريف نحذيان، اى نعالهما من الفضه) (٦٩) والصريف هي الفضه - ولايستبعد ذلك بالنسبة للملوك الأقدمين فالآثار الفرعونية بمتحف القاهرة للملك توت عنخ امون، من بينها زوج أحذية من الذهب الخالص. ويظهر هذا الملك في صورة على ظهر كرسي عرشه المصفح بالذهب هو وزوجته يلبسان احذية ذهبية، وهي نفس الحذاء التي تشاهد في القاعة الخاصة باشيائه العديدة والمصنوع معظمها من الذهب الخالص.. كما يذكر (نشوان) أيضا أن (النعال المطبقة) أول من اخترعها الملك ذو نواس من ملوك حمير وهو صاحب الأخدود (.. ويقال إنه أول من أحدث النعال المطبقة من جلدين ..)

واشتهرت من أحذية اليمن التي ذكرتها المصادر، الاحذية الحضرمية الملسن (لأن طرفها يجعل كطرف اللسان . قال كثير:

لهم أزر حمر الحواشي بطونها
وأقدامهم في الحضرمي الملسن

يعني النعال الحضرميه لأنها أحسن النعال وأبقاها) (٧١) و(عرفت حضرموت بنعالها فقيل نعل حضرمي ، وعرفت بأنها النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين. وفي حديث مصعب بن عمير : أنه كان يمشى في الحضرمي .. وهو النعل المنسوبة الى حضرموت المتخذة بها) (٧٢) ويقول عبد العزيز سالم (ومما عرفت به اليمن صناعة الجلود المعروفة بالادم أو الانطاع وصباغتها وذلك في صنعاء ونجران وجرش وصعده وزبيد .. ومن أشهر مراكز صناعة الجلود مدينة صنعاء التي عرفت بانتاج النعال المشعرة)(٧٣) . وقد ذكر (الهمداني) أن جلود البقر الجبلانية السود الحرش تنقل الى صنعاء وتدبغ للنعال ويبلغ سعر الجلد منها عشرة مثاقيل وأكثر الى عشرين مثقالا (٧٤) . (ويقول ياقوت الحموي : وصعده مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار من كل بلد، وبها مدابغ الادم وجلود البقر التي للنعال .. وتصنع النعال (الترخمية) في قرية (خاو) على وادي بنا. لكثرة من اشتغل من (حمير) بصناعة الجلود وصفت القبيلة بكثرة الخرازين فيها) (٧٥).

رؤية جديدة لدور النسيج العامة التابعة للدولة:

لقد سبق لنا في هذا البحث ونقلنا ماذكره الدكتور جواد علي عن وجود دور نسج ملكية في

ليمن منذ حقب تاريخية قديمة سابقة على ظهور الاسلام (وقد كان للملوك مغازل ودور نسيج تعمل لحسابهم ولهم. وقد عرفت دور النسيج الملكية بـ (تعمت ملكن). الا أننا لم نعثر الى اليوم على كتابات مسندية توضح لنا نظم دور النسيج العامه التابعة للدولة ولا عن العاملين بها ووضعيتهم الاجتماعية، ولا عن منتجاتها وهل كانت هذه المنتجات خاصة بمد احتياجات الدولة والقوى العامله بها أم كانت تسهم أيضاً بسد الشعب باحتياجاته من المنسوجات والاتجار بها داخل وخارج اليمن. ونستطيع أن ندعم رأي د. جواد علي بما ذكره عن الملك (كرب إل وتر) الذي ذكر في (نقش النصر) بأنه أسر من قبيلة حميرية ألفي حائك. وهؤلاء تبعاً لنظم ذلك العصر يصبحون عبيداً تابعين للدولة يوجهون للقيام بأعمال مختلفه ومنها حرفة الحياكة وصنع المنسوجات. فمن مراجعة قمنابها لحرفة الحياكة وصنع النسيج في العصر الأشوري المتأخرفي العراق وجدنا بأن تحليل ودراسة وثائق هذا العصر التي قام بها (د. وليد الجادر) توصل الى أن العاملين في ورش الانتاج العامة التابعة للدولة هم عبيد يشترون ويباعون داخل العراق، وكان نفس النظام جارياً في مصر الفرعونية في نفس الفترة الزمنية حيث قام الاشوريون بشراء عدد من النساجات العبيد من مصر(٧٦). ولكون ثقافة هذه المنطقة منذ العهود المبكرة في تاريخها شبه موحدة فلن تخرج اليمن عن هذا النظام الأمر الذي يفسر لنا بعضا من الممارسات اللاواعية التي مازلنا نحس بها في عصرنا ممثلة بالتقليل من المكانة الاجتماعية لمن يعملون في مجال الخياكة.

ووفقاً للشرائع التي سارت عليها المجتمعات الحضارية القديمة نجد أن هؤلاء العبيد الحرفيين قد يحصلون على حريتهم لأسباب سياسية أو إجتماعية أو دينية ترتبط بالحروب أو بالجوانب العقائدية والتشريعية، فيمارسون مهنتهم كاحرار ويكونون أسراً حرفية ترث وتورث المهنة ومنها حرفة الحياكة لأجيالها المتعاقبة وفي المدن التي حصلوا على حريتهم فيها.

وتشير الوثائق الأشورية الى احتكار الملوك الاشوريين لحرفة حياكة المنسوجات والحاقها بقصورهم، الى جانب إحتكار رجال الدين لها والحاقها بمعابدهم مع وجود قلة من النساجين الأحرار في أشور يتجولون بحثا عن عمل لهم (٧٧) ويبدو أن الملوك كانوا يمنحون المعابد عند تقربهم للآلهة بعض العبيد الأسرى أو يعطونهم لها وفقا لنسبة تفرضها العقيدة نفسها. واذا ربطنا بين ماسبق والدلائل الأثرية التي كشفتها النقوش اليمنية نجد بانه يوجد تشابه عجيب بين اليمن وأشور في هذه الفترة في الجانب الديني والسلطوي الدنيوي حيث ربط بين السلطتين ملوك هذه الفترة فتجسدت فيهم الكهانة والملك ولم يبدأ الفصل بين الكهانة والملك الا في مراحل متأخرة وعلى أساس من التوازن وتبادل المنافع والاحترام بين القصر والمعبد وما (مكربي سبأ) الا كهنة ملوك في وقت واحد، ومن المحتمل أن تكون للمعابد اليمنية القديمة ورش نسج يعمل بها عدد من الحاكة كما هو موجود في دور النسج التابعة للموك، وفي هذا المجال يبرز (أسعد تبع) أحد الملوك التبابعة ذوي الصيت البعيد في الجمع بين التدين والملك، والذي تنسب اليه المراجع القديمة (كسوة الكعبة) لأول مرة في التاريخ بالانطاع والوصائل ثم البرود والملاءات، وينقل عنه قوله بهذه المناسبة:

وكسونا البيت الحرام من العصب
ملاء معضداً وبرودا
واقمنا به من الشهر تسعا
وجعلنا لبابه إقليدا
ونحرنا سبعين الفا من البدن
ترى الناس حولهن ركودا

ولعل كسوة الكعبة كأحد أبرز مراكز العبادة في جزيرة العرب قد استمر بعد هذا التاريخ إلى جانب مايكسى من آلهة وتماثيل في العديد من بقاع العبادة في اليمن، ولعلنا نذكر عذارى (دوار) اللاتي يحتجن لملاءة ذات مواصفات خاصة للطواف حوله من المحتمل أن تكون قد نسجت في مكان تابع للموقع الذي كان يقوم فيه دوار.

إضافة الى ماسبق نجد أن الدول اليمنية القديمة قامت حياتها على نظم تخصصية في صميم حياتها الاجتماعية فسلطة الدوله مثلها الملوك ورجال الدين

والـوزراء والأمـراء وحـكـام الأقـالـيـم (المخـالـيـف) والعسكريون، والحاشية، والعاملون في مجالات خدمية وإنتاجية تابعة للدولة، وكان لابد من توفير احتياجاتهم من الملابس والمنسوجات وفقاً للمراكز التي يشغلونها. وتدل التماثيل اليمنية لملوك وشخصيات المجتمع اليمني القديم تعدد الزى وجماله ودقة صنعة سواء كان للرجال أو النساء، وهذا كانت توفره دور النسيج التابعة للدولة، كما كانت الهدايا والخلع والهبات من الملابس احدى التقاليد القديمة لدول الشرق القديم وكانت تعد في دور النسج العامة بمواصفات تليق بمن تقدم إليه.

ونصل من كل ماسبق بأن دور النسيج العامة التابعة للدولة أقتضتها ضرورات نفعية وغدت لازمة أساسية من لوازم الدوله لتوفير محتاجاتها من الملابس والأقمشة المختلفة. واليمن كدولة وجد فيها هذا النظام لدور النسيج منذ عهود مبكرة شأنها في ذلك شأن بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين ومصر، والدليل على ذلك أن الدولة العربية الإسلامية التي أقامها العرب بعد خروجهم في الفتوحات من جزيرة العرب كانت قد حافظت على ماورثته من دور نسيج عامة في بلاد فارس وبلاد الرافدين ومصر والحقتها بمركزها عاصمة الدولة دمشق ثم بغداد في العهدين الأموى ثم العباسي، كما حافظت على دور النسيج في الأقاليم التابعة لها، وعرفت هذه الورش العامة للمنسوجات بـ (دور الطراز) أو (الطراز) وكان كتابة أسم الخليفة يعمل على النقود وعلى الأقمشة كرمز للسيادة سواء في عاصمة الدولة أو في الأقاليم التابعة لها سواء بالتفويض أو الإقرار.

ونجد في هذا الصدد بأن كافة الدارسين والباحثين في مجال حياكة المنسوجات وصناعة الملابس في العصر الاسلامي ركزوا في دراساتهم على بلاد فارس والعراق والشام ومصر فقط معتبرين هذه المراكز الصناعية هي الوحيدة التي كانت تسد احتياجات الدولة وموظفيها من الأقمشة والملابس في العالم الاسلامي، وأن جودها في أي قطر آخر ماهو إلا امتداد لتاثيرها أو نقل عنها، ومن هنا تم تجاهل دور اليمن كمركز حضاري سابق للاسلام لعب دوراً فاعلاً في إرساء قاعدة الدولة العربية الاسلامية في اكثر من منحى بما في ذلك سد احتياجاتها من الاقمشة والملابس التي كانت تنتج في دور النسيج العامة داخل اليمن.

ومن الأدلة المادية على ذلك ماكشفته التنقيبات التى تمت في الفسطاط عن وجود عدد من القطع النسيجية دلت الكتابة التي وجدت على بعضها بأنها نسجت في دور تابعة للدولة اليعفرية بعاصمتها مدينة صنعاء وكانت هذه القطع النسيجية مدموغة باسماء خلفاء عباسيين مع أسم مكان صنعها. وقد قام الدكتور ربيع حامد خليفة بتسليط الضوء عليها متناولاً ثماني قطع منها موثقة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة (٧٩) وقد حملت هذه القطع النسيجية تواريخ (٢٠٠ هـ،٢٦٦ هـ، ٢٨٢ هـ،٢٨٤ هـ، ٢٨٥ هـ، ٣٣١هـ). (٨٠)

ففي القطعة الأولى من هذه المنسوجات يوجد سطر من الكتابة الكوفية نفذ بالتطريز بخيوط صفراء اللون نصها (بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله لعبد الله ابن أحمد الامام المعتمد على الله امير المؤمنين) وقد تولى هذا الخليفة العباسي الحكم في بغداد فيما بين سنة ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ. وهذه القطعة من النسيج عملت من الحرير والقطن فسداها من الحرير ولحمتها من القطن، ويوجد على هذه القطع النسيجية مكان صنعها يرد على أشرطة الطراز، باسلوبين (طراز صنعاء) أو (طراز الخاصة بصنعاء) وهذا يدل على أن دور النسيج بصنعاء كانت تتبع الدولة وتزود الخلافة العباسية وأتباعها في الاقاليم بما يحتاجونه من منسوجات وملابس وذلك في عهد (دولة بني يعفر) الذين تقلدوا الحكم والا دارة في اليمن (ولاية تفويض - وولاية اقرار) من قبل الخلفاء العباسيين منذ بداية العصر العباسي الثاني(٨١)

أما قطعة النسيج الثانية فهي من نسيج القطن المصبوغ بلون بني فاتح عليه خطوط زرقاء رأسية سميكة وأخرى أفقية رفيعة تتقاطع مكونة مربعات متكررة عليها سطر من الكتابة الكوفية بيضاء اللون منفذة بالتطريز باسم الامام المعتمد على الله أمير المؤمنين (مما أمر بعمله في طراز الخاصة بصنعاء سنة ست وستين ومائتين).

قطعة النسيج الثالثة من نسيج قطني مصبوغ مقلم ذات لون أبيض يميل الى الاصفرار أما الخطوط الرأسية فيغلب عليها اللون الداكن عليها سطر من الخط

الكوفي مزخوف بوريقات نباتية نصه (.. عز و سلامة مما أمر بعمله في طراز صنعاء سنة اثنتين وثمانين ومائتين).

القطعة الرابعة قطعة من النسيج القطني المصبوغ المقلم يغلب عليها اللون السمني أما الخطوط الرأسية فيغلب عليها اللون النبى عليها سطر من الكتابة الكوفية باللون الأبيض نفذت بالتطريز نصها (بسم الله الرحمن الرحيم نعمة من الله لعبد الله ابي العباس الامام المعتضد بالله أمير المؤمنين.. مما أمر بعمله في طراز صنعاء سنة أربع وثمانين ومائتين) (٨٤)

وطرز في قطعة القماش الخامسة (.. أمير المؤمنين أكرم الله مما عمل في طراز صنعاء سنة خمس وثمانين وما..) وتحمل القطعة السادسة اسم الخليفة العباسي المقتدر بالله ويقرأ في شريط الطراز (.. صنعت في طراز الخاصة بصنعاءسنه ٣٢١ هـ) (٨٥). وتعطي بقية القطع النسيجية مدلولات عديدة أخرى على أن دور النسيج العامة في صنعاء نتيجة لجودة إنتاجها من حيث المادة والصباغة ودقة النسج أصبح في داخلها تخصصات تتبع مباشرة خلفاء الدولة الاسلامية وملوكها، ومن هنا يقول الدكتور ربيع حامد خليفة بأن وجود قطعة نسيج يمنية ذكر فيها مانصه (بفضل طراز الخلافة) وقطعة كتب عليها مانصه (صنع طراز الملوك سنة مائتين) يرجع تاريخها الى عصر الخليفة العباسي المأمون يدل على وجود (طرازين، جديدين) لم يذكرا في طراز العالم الاسلامي المعروفة وهي إضافة جديدة عن دور النسيج العامة التابعة للدولة العربية الاسلامية منسوبة الى اليمن (٨٦). وقد نشر الدكتور ربيع في نهاية بحثه القيم ثماني صور ملونة لهذه القطع النسيجية التي تولى دراستها من بين مجموعة كبيرة من قطع النسيج اليمنية الكثيرة الموجودة في متحف الفن الاسلامي في القاهرة والتي لم تدرس بعد.

ونخلص مما سبق بأن الدولة في اليمن منذ عصور قديمة وحتى العصر الاسلامي وجدبها دور نسيج توفر لحكامها وموظفيها وللدولة عموماً لوازم واحتياجات مختلفة من المنسوجات والملابس والخيام والاعلام والفرش والأغطية. ومما ذكره الدكتو ربيع عن دور الطراز، في عهد الدولة اليعفرية التابعة للخلافة العباسية نستنتج وجود أربعة دور لهذا الطراز هي (طراز الخلافة) (طراز الملوك) (طراز الخاصة) (طراز صنعاء)، وهذا الترتيب يجعلنا نستقرىء وجود التخصص في دور النسيج اليمنية فمنها ماكان يقوم بحياكة ونسج الملابس الخاصة بخلفاء وملوك الدولة، وطراز الخاصة، كان ينتج المنسوجات (للخاصة) وهم في مصطلحات تلك العصور الوزراء والأمراء والقادة العسكريين والقضاة وعلماء الدين، أما طراز صنعاء، فيبدو أنه كان يقوم بسد احتيجات الدولة من الأقمشة الى جانب تخصيص حصة من الانتاج لتسويقها لأفراد الشعب بفئاته الإجتماعية المختلفة وقد وجدت أدلة مادية على ذلك في فترات زمنية تاليه على الفترة الزمنية التي نحن بصددها سنتطرق اليها في دراسة أخرى كامتداد لهذه الدراسة.

وقد ذكرت المصادر المكتوبة أشياء هامة تدل على أن دور النسيج العامة في اليمن أنتجت بعض الاحتياجات من المنسوجات لخلفاء الدولة الأموية السابقة للدولة العباسية وبطلب من بعض خلفائها لولاتهم في اليمن أن يعملوا لهم نوعاً مميزاً من هذه المنتجات (.. قال خالد ابن صفوان أو فدني يوسف بن عمر الثقفي - كان عاملاً على اليمن من سنة ١٠٥ - ١١٧ هـ الى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق، فقدمت عليه وقد خرج بقرابته وحشمه وغاشيته وجلسائه في أرض قاع صحصح منيف أفيح في عام قد بكر وسيمه وتتابع وليه، وأخذت منه زينتها على اختلاف ألوان نباتها... وقد ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن فيه فسطاط فية أربعة أفرشة من خز احمر مثلها مرافقها، وعليه دراعة من خز أحمر مثلها عمامتها..) (٨٧).

وبهذا نكون قد أثبتنا وحددنا وضع دور النسيج العامة في اليمن على وجه العموم من النزر ليسير من المعلومات المتوفرة في هذا المجال. أما وجود إنتاج شعبي أوحر ، في مجال الحياكة فيدل عليه ذكر عدد كبير من المراكز التي تعد هامشية قياساً بغيرها من مراكز الاقاليم وعواصم الدولة التي تعددت قبل الاسلام وبعده وركز عليها المؤرخون والرحالة والجغرافيون ومنهم لسان اليمن (الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني)

الذي ذكر في مؤلفاته عدداً من المراكز الهامشية ونسب الى العاملين بها جودة العمل دون أن يذكر أي علاقة للدولة بها، وهذا ما درج عليه غيره من المؤلفين يمنيين وغير يمنيين، ونرى من وجهة نظرنا بأن هذا العدد من مراكز حياكة المنسوجات أفرزته في البداية الصدامات الدامية بين الدويلات اليمنية القديمة التي كان لكل منها عاصمتها التي تقوم فيها ضرورات التحضر ومرتكزات الدولة ومنها دور النسيج، والتي بانتهائها واندماجها في دولة أكبر تخلف عنها قوى تعمل في المركز السابق الذي شكل عاصمة في يوم ماومن هذه القوى تشكلت شغيلة الحياكة في المدن الى جانب ما كانت تنص عليه الشرائع قبل إسلامية والاسلامية من تحرير للعبيد (عتق رقبة) والتي لابد أن تطول أشخاصاً من العاملين كعبيد في ورش النسيج العامة فيتجهون بعد التحرر للتعيش من ممارسة مهنتهم في الحياكة وتكوين أسرلهم يتوارث أفرادها ويورثون المهنة.

أما القوى العاملة في حياكة المنسوجات والمتموضعة في الأرياف فيعود سبب وجودها من وجهة نظرنا الى عاملين:

الأول: علاقة الدولة بالقبيلة - فالقبيلة التي تتمرد على الدولة كانت تقمع بقسوة ويقع عدد من أفرادها في الأسر، وهؤلاء كانوا يسترقون ويوجهون لتأدية أعمال تخص الدولة ومنها مهنة الحياكة، وعندما يعتقون، أو ترضى الدولة عن قبيلتهم يعودون إلى القبيلة فيمارسون ماتعلموه من أعمال لسد احتياجاتهم الخاصة وقد يصل الأمر الى سد احتياجات القبلية خاصة إذا توفرت بها المواد الخام اللازمة للحياكة.

العامل الثاني: الأعراف القبلية الصارمة - مازلنا نجد في بعض الأرياف اليمنية التي مازال الاستقطاب القبلي فيها قويا من يمارس مهنة الحياكة من أبنائها، وبمراجعة نسبه السلالي نجده يتحدر من الاسرة التي منها شيخ القبيلة أو من يلونه من أبناء القبلية، ولكنه يعامل كشخص غير ذى أهمية كبيرة في القبيلة، وهذا يعود إما إلى السبب السابق في امتهان جده الاول المتفرع من رأس القبيلة حرفة الحياكة ورفضه بعد عتقه من الدولة أن يعود لحمل السلاح في وجهها مع أبناء قبيلته. أو لتمرده على أعراف وتقاليد القبيلة الصارمة ويعد عدم الاشتراك في الحرب إلى جانبها أحد الاسباب إلى جانب سلسلة من الاسباب الاخرى المنفصلة التي تؤدي واحدة منها إلى اسقاط الشخص من وضعه القبلي والحاقه بخدامها من حاكة وغيرهم أقل شأناً في نوع المهنة التي يعملون بها، ولايستطيع بعد إشهار وضعه الجديد أن يعود الى وضعه السابق لأن العرف القبلي لايجيز ذلك مطلقاً فيضطر عن قناعة أو بغيرها أن يندمج ويتعايش مع وضعه الجديد ويمارس ما به من أعمال، ومن هذا الجذر تشكلت هذه القوى الحرفية العاملة في حياكة المنسوجات في مختلف القبائل والأرياف اليمنية وطورت من نفسها ومن قدراتها الانتاجية وارثة ومورثة مهنها لمن يليها من الأجيال تاركة شئون الدفاع عن القبيلة وخوض الحروب لغيرها. ومن الملاحظ أيضاً أن حرفة حياكة المنسوجات نتيجة لما تتطلبه من اعمال مختلفة تستغرق وقت الشخص بكامله من بداية النهار الى نهايته مما يقيد الشخص الذي يعيش أسرته منها بها تقييداً كاملاً ويغلق أمامه فرص تعلم امور اخرى كالفروسية وفنون الحرب والقتال أو غيرهما ولعل هذا الى جانب الأسباب السالفة مايدعو الكثيرين الى النفور منها الى يومنا هذا وخاصة في المناطق والأرياف التي مازالت الأعراف القبلية بها قائمة وقوية تشكل الأساس القانوني الأول للتعامل بين أفرادها.

المصادر والهوامش:

(١) واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، ط ١، ١٩٨١ بيروت، ص ١٦، نقلاً عن د جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، م٧، ص ٥٩٨.

(٢) نفسه، ص ٣٧، نقلاً عن المفصل، د. جواد علي، م٢، ص٢٩٢.

(٣) محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ١٩٧٣ بيروت،

(٤) واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب...، ص ٣٦.

(٥) نفسه، ص ٣٦.

(٦) نفسه، ص ٣٦، ٣٧، ٣٨.

(٧) نفسه، ص ٤٨.

(٨) نفسه ص ٤٠، ٦٩.

(٩) نفسه، ص ٦٤.

(١٠) رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، مديرية الثقافة العامة بوزارة الأعلام العراقية، ١٩٧١م، ص ١١٠ - ١١١.

(١١) دوزي، ص ٥٨.

(١٢) علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده، المخصص، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، ج١، كتاب اللباس، ص ٧٢، طبع دار الآفاق بيروت.

(١٣) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، م١ مادة عصب ص ٣٨٢، نشر مكتبة الحياة عن الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ.

(١٤) الزبيدي، تاج العروس، م٢، مادة سند ص ٣٨٣. أبن سيده، المخصص، ج١، ص٧٢.

(١٥) الزبيدي، تاج العروس م ٧، مادة رجل ص ٣٣٩. أبن سيده المخصص، ج١، ص٧٢.

(١٦) ابن سيده المخصص، ج١، ص ٧٢. الزبيدي، تاج العروس، م٤، مادة خيش، ص ٣١٠.

(١٧) نفسهما على الترتيب، ج١، ص ٧٢.م٧ مادة خول وخيل، ص ٣١١، ٣١٣.

(١٨) نفسهما، ج١، ٧٣ .م٣، مادة عجر، ص ٣٨٣.

(١٩) نفسهما، ج١، ٧٢ .م٧، مادة طبل، ص ٤١٥.

(٢٠) نفسهما، ج١، ٧٣ .م٨، مادة تحم، ص ٢١٠

(٢١) الزبيدي، تاج العروس، م٣، مادة هصر، ص ٦٢١.

(٢٢) نفسه، مادة سير، ص ٢٨٧.

(٢٣) نفسه، مادة وصل، ص ١٥٦ .إبن سيده المخصص، ج١، ٧٢.

(٢٤) نفسه، مادة شرعب، م١، ص ٣١٥.

(٢٥) واضح الصمد، الصناعات والحرف، ص ٨٠.

(٢٦) نفسه، ص ٥٣.

(٢٧) نفسه، ص ٨٠.

(٢٨) نفسه ص ٧٣.

(٢٩) نفسه، ص ٩١.

(٣٠) نفسه، ص ٩١.

(٣١) الزبيدي، تاج العروس، م٥، مادة ريط، ص ١٤٥.

(٣٢) نشوان بن سعيد الحميري، منتخبات في أخبار اليمن، من كتاب شمس العلوم نسخ وتصحيح عظيم الدين أحمد، نشر وزارة الاعلام والثقافة اليمنية، ط٢، ١٩٨١م، ص ٤٠، ٤١.

(٣٣) نشوان الحميري، منتخبات، ص٧٢

(٣٤) ابن سيده المخصص، ج١، كتاب اللباس، ص ٧٢.

(٣٥) نشوان الحميري، منتخبات، ص ٨٣.

(٣٦) أبن سيدة، المخصص، ج١،كتاب اللباس، ص ٦٣، ٦٦.

(٣٧) د سعاد ماهر محمد، الفنون الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
ص٦٨.

(٣٨) علي بن الحسن الخزرجي، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، ص ٥٦ من مسودات تحقيق المخطوط الذي حققناه ولم ينشر بعد.

(٣٩) دوزي، معجم الملابس، ص١٩٤.

(٤٠) ابن سيده المخصص، ج١، كتاب اللباس، ص ٨٠ - ٨١.

(٤١) الملك المظفر يوسف عمر بن علي الرسولي، المخترع في فنون من الصنع، تحقيق د محمد عيس صالحية، ط١، ١٩٨٩ الكويت، ص ١٥٩.

(٤٢) نفسه، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٤٣) نفسه، ص ١٦٨.

(٤٤) نفسه، ص ١٧٠.

(٤٥) نفسه، ص ١٦٤، ١٦٥

(٤٦) نفسه، ص ١٦٥

(٤٧) نفسه، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٤٨) نفسه، ص ١٦٦.

(٤٩) نفسه، ص ١٦٧.

(٥٠) نفسه، ص ١٦٧.

(٥١) نفسه، ص ١٦٨.

(٥٢) نفسه، ص ١٧٠.

(٥٣) الزبيدى، تاج العروس، م٢، مادة برد، ص ٣٠٠.

(٥٤) الخزرجي، العسجد المسبوك، ص١٧.

(٥٥) محمد علي الأكوع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ٢٣٥

(٥٦) الزبيدى، تاج العروس، م٤، مادة خمس، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٥٧) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيزة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، ط دار اليمامة الرياض، ١٩٧٤. ص ٢٠٨.

(٥٨) نفسه، ص ٢٠٩

(٥٩) نفسه، ص ٢١٣

(٦٠) نفسه، ص ٢٢٩

(٦١) نفسه، ص ٢٢٩

(٦٢) نفسه ص، ٢٥٢

(٦٣) الملك المظفر، المخترع، ص ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠.

(٦٤) الهمداني صفة جزيرة العرب، ص٣٦٣.

(٦٥) نشوان الحميري، منتخبات، ص ٧٢

(٦٦) واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب..، ص ٦٨.

(٦٧) الهمداني، الاكليل، ج٨، تحقيق نبيه أمين فارس، ط دار الكلمة صنعاء، ص ٦٤

(٦٨) الهمداني، الصفة، ص ١٤٣.

(٦٩) نشوان الحميري، منتخبات، ص ٦٠

(٧٠) نفسه، ص ١٠٦

(٧١) نفسه، ص ٩٥.

(٧٢) واضح الصمد، الصناعات والحرف..، ص ٢٣٣.

(٧٣) نفسه ، ص ٢٣٢

(٧٤) الهمداني ، الصفة، ٣٦٢.

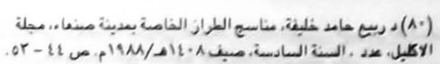
(٧٥) واضح الصمد، الصناعات والحرف..، ٢٣٢، ٢٣٣.

(٧٦) الدكتور وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر، ط الأديب البغدادية، ١٩٧٢ ص ٢٤ -٥١.

(٧٧) نفسه، ص ٥١ - ٦١.

(٧٨) نشوان الحميرى، منتخبات، ص ٧٣.

(٧٩) مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، وبه عدة قطع نسيجية يمنية تطرق اليها بالدراسة د ربيع حامد خليفة ، تحمل أرقام السجلات الآتية : سجل رقم (٩٤٦٤)و (١٣٦٦٦)و(١٤٠٣٠)و(٢٢٥١٧)و(٩٠٥٣)و(١٠٣٧٨)و(١٤٤٧٠).



(٨٠) د ربيع حامد خليفة، مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء، مجلة الاكليل، عدد ، السنة السادسة، صيف ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ص ٤٤ - ٥٢.
(٨١) د. ربيع حامد خليفة، الاكليل، ص ٤٥ - ٤٦.
(٨٢) نفسه، ص ٤٦.
(٨٣) نفسه، ص ٤٦.
(٨٤) نفسه، ص ٤٦ - ٤٧.
(٨٥) نفسه، ص ٤٧ا.
(٨٦) نفسه، ص ٤٨.
(٨٧) محمد الأكوع، اليمن الخضراء.. ص ٢٢٤.





«١» لقطة توضح تفاصيل الخوذة العسكرية السبئية.. تمثال معدي كرب «المتحف الوطني بصنعاء، سجل رقم م ى ٢٦٢»

«٢» تمثال معدي كرب وعليه نقش كتابي بخط المسند يشير الى أنه قدم قرباناً باسم بدع إل بين» ملك سبأ الذي عاش في حوالي القرن السادس قبل الميلاد.. يتضح منه جمال الزي العسكري المتقن «المتحف الوطني بصنعاء، سجل رقم م ى ٢٦٢».



▶ لقطة خلفية لتمثال معدي كرب «المتحف الوطني بصنعاء، سجل رقم م ى ٢٦٢».

تمثال امرأة من عهد الدولة الحميرية يوضح شكل ملابس المرأة وبعض الحُلي، من منطقة عالية وادي الشلالة «المتحف الوطني صنعاء، قاعة مملكة حمير، دون رقم».
▼

تمثال امرأة من نحاس مصبوب على الطراز الهيلينستي «اليوناني الشرقي» يظهر فيه تأثر الملابس الخاصة بالمرأة بالزي اليوناني.. من منطقة السلفية جبل ريمة «المتحف الوطني بصنعاء، قاعة مملكة حمير، دون رقم».

تمثال الرجل يظهر عليه الزي الرجالي للفترة الزمنية ١٠٠٠ق.م.. من حفريات معبد أوام في مارب «المتحف الوطني بصنعاء، قاعة الدولة اليمنية القديمة ١٠٠٠ق.م، دون رقم».





تمثال رجل آخر يوضح الزي في الدولة اليمنية القديمة.. من معبد أوام في مارب، حفريات ١٩٥٠. «المتحف الوطني صنعاء، قاعة الدولة اليمنية القديمة... اق.م، دون رقم».

قدمان من البرونز من الفترة الحميرية تقريباً يوضحان نموذجاً من أحذية ذلك العصر «المتحف الوطني بصنعاء، قاعة مملكة حمير، دون رقم».





لوحة رخامية عليها صورة امرأة اسمها «برلت» توضح أجزاء من ملابس المرأة الفوقية وحليها.. من منطقة الجوبة في الجوف، هدية من القاضي عبدالرحمن الارياني «المتحف الوطني بصنعاء، صالة آثار ماقبل الاسلام، دون رقم».

أسوار زبيد الثلاثة

عبدالرحمن عبدالله الحضرمي

التاريخ مرآة عاكسة لحياة الشعوب ومن خلاله تنعكس الصور الجمالية بحقائقها العلمية المذهلة تظل عالقة في اذهان الاجيال وتنير لها الطريق لاستمرار ديمومة الحياة التاريخية بتجدد علمي وفكري وسياسي مطرد،نضاحة بعبيرها الفواح تنعش النفوس الحية المتحفزة وتذكي العقول المتفتحة لربط اصالة الشعوب بمعاصرة الحياة المتجددة قائلا :

وما انا الا المسك عند ذوي النهى
يضوع وعند الجاهلين يضيع

والتاريخ بمنطلقاته الواسعة وصراعاته السياسية والاجتماعية والذاتية ،والفكرية والاقتصادية حكم عدل لا يقبل التحريف أو التجاهل، ولاينحني بعواصف الادعاء والعداء التاريخي والذاتية.. المغلقة. فهو نور ساطع وهاج مضيء تتجدد به الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية للأجيال لبناء الحياة ، فتنمو وتزدهر وتزداد ريعها بما يرسل من اشعاعات تسير على نهجه تجدداً وحضارة لما تتمتع من قوة الادراك وبعد النظر وذوق سليم لاينكر حقائقها الثابتة الامن فقد البصر والبصيرة ، والذوق السليم والعدل التاريخي :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

من هذا المنطلق ندخل في المسار التاريخي لأسوار زبيد الثلاثة التي أوردها ابن المجاور في كتابه «المستبصر ص ٧٧ » وجاء به المؤرخون وماأورده المقدسي البشاري المتوفى سنة ٣٢٧ هـ في هذه البنود :

أولاً – أول من أسس السور.

ثانياً – توضيح ما أثبته ابن المجاور في خريطته ووضعية الأسوار الثلاثة.

ثالثاً – المقدسي وحقائقه العلمية الساطعة التي لاتنكر.

رابعاً – هدم الأسوار الثلاثة.

خامسا – إعادة بناء السور.

سادسا – حفر الخندق.

سابعاً – هدم السور.

تاسعا – القناة المائية .

هذه البنود من المحتم تاريخياً مناقشتها مناقشة بحقائق علمية لاجدال فيها لأنها مستمدة من واقع علمي وتاريخي بمصادر معترف بها ولاقدح فيها.

أولاً – جاء في المصادر التاريخية من القرن السادس الهجري الى العاشر الهجري أن أول من أسس سور زبيد الحسين بن سلامة كما أسس الجامع الكبير وجامع الأشاعر والثابت أنه كان مجددا لامؤسساً فالحسين بن سلامة المتوفي سنة ٣٩١ هـ وقيل سنة ٤٠٤ هـ كان رجلا خيراً قام باعمال جليلة في تجديد سور زبيد والجامع الكبير بزبيد وجامع الاشاعر الذي اسسه ابو موسى الاشعري في العام الثامن الهجري وجدد في الدولة الزيادية. وقام بانشاءات كثيرة مثل بناء المساجد في ذمار وصنعاء وصعدة وتريم وقام بشق الطرق وحفر الآبار الى مكه في الطرق الثلاث الجبلية والوسطى والساحلية. وتجديد المدن مثل مدينة الكدراء التي لعبت دوراً كبيراً قبل الاسلام والمؤسس للسور والجامع الكبير الدولة الزيادية كما سيأتي .

ثانياً – توضيح ما أثبته ابن المجاور في خريطته ووضعية الأسوار الثلاثة .

جاء في كتاب المستبصر لابن المجاور ص ٧٧ رسم دائري لمدينة زبيد بالتالي .

١ – السور الأول – بناء الحبشة.

٢ – السور الثاني – بناء الدولة المهدية.

٣ – السور الثالث – بناء سيف الاسلام طغتكين.

وجاء في الرسم رسوم منشآت ملاصقة للسور الأول تعطينا ضوءاً أن زبيد اتسعت اتساعاً كبيراً .

– الرسم الأول – في الشمال الجنابذ الثلاث وهي ثلاث قباب لعلها كانت مسجداً ورباطين.

قال ابن المجاور في المستبصر ص ٧٥ هي ثلاث قباب

مبنيات بالآجر المحكوك والجص قريب بعضها من بعض، يكون مابين كل واحد الى الاخر مقدار أربعة اذرع بناء الأمير علي محمد الصليحي وأراد أن يبني من زبيد الى مكة في كل مرحلة من المراحل مسجداً ورباطا يذكر به بعد موته ولازال يبني الى المهجم ونزل بضيعة يقال لها بئر أم الدهيم وبئر خيمة أم معبد فالاولى نسبة إلى أم الدهيم بن عبس. والثانية نسبة إلى خيمة أم معبد بنت الحرث العبسي . حيث قتل هناك

- الرسم الثاني - يقع شمال شرقي السور الأول لقرية تسمى النويدره تباع فيها أخشاب المدينة.
- الرسم الثالث - بالغرب البحر.
- الرسم - الرابع - بالشرق الجبل.
- الرسم الخامس - رسم لقرية حافة الودن جنوبا.

يعطينا هذا الرسم للأسوار الثلاثة وجود المسافات بين كل سور وآخر مسافة قدرها تقريباً مائتان وخمسون متراً أي ربع كيلو متر وذلك لما كانت تواجه المنطقة من حروب وعمر لها أربعة أبواب.

ومن البديهي أن الأسوار الثلاثة لها اثنا عشر باباً تغلق مواجهة بعضها لبعض صداً للعدوءفاذا اقتحم العدو الأول ضد من الثاني واذا اقتحم الثاني صُد من الثالث.

بقي شيء آخر وهو سؤال يتردد: هل وراء كل سور مساكن؟ فالمقدسي الذي قدم في أول القرن الرابع الهجري،وهو أول من اثبت وجود السور الأول يقول بينه وبين المساكن فسحة. وهنا يحق لنا أن نستنتج هل الفسحة هي خالية من عمران السكن أو مقر للابراج والقلاع. والذي أراه أن الفسحة مزدحمة بالمساكن الى جانب الابراج البعيدة عن السكن .

تعطينا هذه الإشارة أن المدينة لم تكن داخل السور الثالث الداخلي فحسب وانما اكتظت بالسكن لما للمدينة من حركة تجارية وصناعية وعلمية الى جانب قصر شحار الذي يقع شمال المدينة . والقصر لايعني مبنى واحداً ، وانما ثمة قصور ولاتزال الساحة تعرف بالقصر حيث سجنت فيه السيدة اسماء بنت شهاب زوجة علي محمد الصليحي ثم عرف بقصر نجاح،وموقعه بجوار الهيئة العامة لتطوير تهامة بساحته الواسعة التي طمرتها الرمال. ويقول ابن المجاور ص ٧٨ صفة دار شحار بن جعفر (لما أقام ابن زياد في زبيد بنى شحار بن جعفر دار الملك في زبيد ذات طول وعرض، بالآجر والجص بناءً وثيقاً على مقاطع الطريق،وكل من تولى بزبيد سكنها . وكان له باب عال بالمرة ينظرون منه على فرسخين،وحفر حوله خندقاً عظيماً عريضا . وبقي الباب على حاله الى ان هدمه المسعود يوسف بن أبي بكر سنة ٦١٨هـ ويقال أن الذي سعى لهدمه أيبك العزيز فلما هدمه أخذ آجوره وبنى به داراً)

ويعطينا الخزرجي أحداثاً سياسية في الصفحة (٢٠٥) من «العقود اللؤلؤية» جزء (٢) قوله: كانت قرية النويدره مابين باب سهام وباب الشبارق ثم ابعدوا عن السور. ثم اذن لهم الملك الاشرف إسماعيل الرسولي فارجعهم الى قريتهم سنه ٧٠٩ وفي هذا المكان كان غزو الامام صلاح الدين امام صنعاء لزبيد فاستقر بالنويدرة حيث انتقل اهلها الى زبيد وكذا قرية المملاح الثاني الذي انشأ في عهده.

وفي ٢١ جمادي الآخرة من السنة حدث حريق بالنويدرة وامتد الى زبيد فحرق باب سهام وباب الشبارق ولما يئس الامام من دخوله زبيد حاول الجنود الدخول من مخاليل السور «أي مسائل الماء عند هطول الامطار » من ناحية باب النخل وكانت الفرصة لعدم وجود جيش كثير بهذه الجهة فتصدى لهم أهالي زبيد بالصد على السور حتي عادوا على أعقابهم فاتجهوا بعد اليأس الى إحراق قرية النويدرة وقرية المسرة الخارجية .

من هذا الطرح التاريخي نعرف وضعية الأسوار الثلاثة :

السور الأول - يبدأ بقرية النويدرة وهو سور الحبشة كما وضعه ابن المجاور الذي هو سور الزياديين ثم جدده الحسين بن سلامه فالوزير من الله الفاتكي .

ويقع شمالاً . وشمال شرقي المسرة وفي نظري ان قرية النويدرة قرية الشيخ علي افلح وقرية المسرة قرية الشيخ طلحة الهتار حاليا الواقعتان شمال شرقي زبيد حالياً ويمتد شرقا عن حافة المعز بن طفتكين الايوبي حيث قبر في قبة له عرفت بقبة الخليفة المعز بن طفتكين والمعروفة حاليا بحافة البيشية نسبة الى مسجد مصطفى باشا النشار المتوفى سنة ٩٦٢ هـ وقبر به وقبة الخليفة المعز ملاصقة له بالجنوب الشرقي مفتوحة وبها طاقة يدركها المتأمل بانها منفصلة عن المسجد .

وينعطف السور جنوبا الى حافة الودن التي تقع جنوب باب القرتب الذي أسماه ابن المجاور باب عدن حيث مسجد الشيخ العلامة الزاهد أبوبكر بن علي الحداد المتوفى سنة ٨٠٠ هـ وقد اندثرت وتحولت الى مجرى سائلة الماء للشريج الناصري الذي أنشأه الملك الناصر

احمد الرسولي وقد رايت بعيني آثار عمران من الجص والياجور في سائلة الماء المسماه جرزة .

السور الثاني - محاذ لمسجد مصطفى باشاه وجنوبه قصر الحائط المعروف بحائط ليبق الذي بناه الملك المؤيد داود الرسولي وفيه يقول ابو المحاسن عبد الباقي بن المجيد بن الدمشقي عندما زار اليمن ودخل زبيد والمؤيد فيه قوله :

ياناظم الشعر في نعم ونعمان
وذاكر العهد في لبنى ولبنان
قصر فبالواد من وادي زبيد علا
عالي المنار عظيم القدر والشأن
به التغزل احلى مايرى لهجاً
فدع حديث لييلات بعسفان
هذا الخورنق بل هذا السدير اتى
في قصر داود لا في قصر غمدان
قصر بناه هزبر الدين مفتخراً
فشاد ذلك بان ايما بان
فقف بساحته تنظر بها عجبا
كم راحة هطلت فيها باحسان
انسى بايوانه كسرى فلاخبر
من بعد ذلك من كسرى بايوان
سامى النجوم علا فهي راجعة
عن السمو لايوان ابن غسان
تود فيه الثريا لوبدت سرجاً
مثل الثريا به في بعض اركان

السور الثالث - السور المحاط بالمدينة وبخارجه قصر السلاح امام باب الشبارق،هذا ما اورده الخزرجي في العقود اللؤلؤية في الجزء الثاني ص٢٠٥ / ص٤٢٠ الجزء الاول واورد الديبع عن ابن المجاور في بغية المستفيد في اخبار زبيد ص ٥٠ «عددت ابراج مدينة زبيد فوجدتها مائة برج وتسعة ابراج بين كل برج وبرج ثمانون ذراعا . قال ويدخل في كل برج عشرون ذراعا الا برج فانه مائة ذراع فيكون دور البلد عشره الاف ذراع وتسعمائة ذراع »وقال الديبع قال الخزرجي وهذا غير صحيح فان مساحتها تكون على ماذكر تسعمائة معاد وخمسة واربعون معاداً ونحواً من ثلث معاد.»

اقول واذا حولنا مساحة المعادات الى كيلو متر نضرب ٩٤٥ معاد ضرب ٣٦٠٠ متر ثم نقسم الامتار على ١٠٠٠ متر يكون الناتج ٣٤٠٢ كيلو متر مربع.

وقال الديبع نقلا عن الخزرجي قوله (وقد مسحت في ايام الملك المجاهد الغساني سنة ٧٦٣ فجات ستمائة معاد وستة وثلاثين معاداً ونصف معاد وثمن معاد) فيكون مساحتها ٢٦٨٩ كيلو متراً وستة من عشرة.

وقال الديبع (قال وسمعت ذلك ممن اثق به . ثم مسحت في الدولة الافضلية الى الملك الافضل العباس الرسولي سنة ٧٦٧ فجات يومئذ مساحتها ستمائة معاد واربعة وعشرين معاداً ونصف معاد من غير اختيار وبالاختيار ستمائة وثمانين معاداً) وهذا اقرب الى الصواب مما قاله ابن المجاور تساوي ٢٢٤٦ واربعة من عشره كيلو متر مربع هذا ماجاء به الديبع وبالاشارة الى قول ابن المجاور بانها عشرة الاف ذراع وتسعمائة ذراع بمرافقها .

صفة عمارة السور :

يختلف سور زبيد عن اسوار المدن التاريخية باليمن التي عمرت بالزابور الطيني مثل سور صنعاء وسور صعده.

اما سور زبيد فعمارته بالياجور المحرق مبني بالطين والجص «النورة البلدي » مبني على شكل دائري وبين كل ذارعين فتحة مستقيمة على ارتفاع متر وفتحتان منحنيتان الاولى فتحة تتجه الى اليسار والثانية فتحة لليمين تسمى متاريس للرمي .

وارتفاع السور ثلاثة امتار من سطح الارض وبين كل خمسين ومائة متر حصن يسمى نوبة وبين كل باب تكنة عسكرية تسمى كاووش لعلها لغة تركية تعني سكناً للجنود والباب يتوسطهما وبأعلى الباب غرفة عليا تسمى كاووش للجنود بها المتارس وفوق الغرفة تجواب محاط بسور له متاريس للرمي.

والذي ادركته من النوب الكبار المحاطة بالابواب والسور نوبة الكدف وكانت تعرف نوبة الشريف الحسين تقع شمال باب الشبارق تطل على قارعة الطريق بطابقين وبها ساحة وفتحات للمدافع وهي قديمة وتبعد عنها نوبة مستطيلة بطابقين تسمى نوبة شبيط سميت باسم عريف يسمى شبيط،استقر بها مع جنوده ونوبة شرق باب سهام من الشمال تسمى الجربة بها فتحات كبيرة للمدافع قام التعاون الاهلي باصلاحها مكتباً له. وغرب باب سهام وشمال باب النخل نوبة تسمى نوبة ابي حسين

بجوارها مقبرة داخل السور تسمى «ابو حسين »وثمة نوبة مواجهة لمسجد الغصينية تسمى نوبة الغصينية ونوبة الصديقية وتقع شرق باب القرتب مدورة، وباعلاها تجواب بها متارس ونوبة المدافع تقع شمال الدار الناصري الكبير مبنى الحكومة ملتصق به خصصت للمدافع الثقيلة وكلها مبنية بالاجور والطين والنورة بارتفاع عن سطح الارض.

المقدسي وحقائقه العلمية :

نعود الى حقيقة بناء السور .. سبق ان اشرنا الى ان المؤرخين اسندوا اول من أسس السور الحسين بن سلامه.

والذي نثبته ماقاله العلامة الرحالة المؤرخ محمد ابن البنا الشامي المقدسي المعروف بالبشاري في كتابة احسن التقاسيم ص ٨٣و٨٤ المتوفى ٣٣٧هـ يقول المقدسي «زبيد قصبة تهامه وهو احد المصرين لأنه مستقر ملوك اليمن . بلد جليل حسن البنيان يسمونه بغداد اليمن ، لهم أدنى ظرف . وبه تجار كبار، وعلماء وأدباء مفيد لمن وصله مبارك على من سكنه .آبارهم حلوة . وحماماتهم نظيفة . عليه حصن من طين باربعة ابواب باب غلافقه . وباب عدن . وباب سهام وباب الشبارق . وحولهم قرى ومزارع .. اكثر بنيانهم الآجر ومنازلهم فسيحة طيبه . والجامع ناء عن الاسواق نظيف مبيرق الارض،تحت المنبر تقويره ليتصل الصف وقد اجرى اليها ابن زياد قناة . وهو بلد نفيس ليس باليمن مثله،غيرأن أسواقه ضيقة والاسعار بها غالية والثمار قليلة. واكثر طعامهم الدخن والذرة.)

فالمقدسي قدم اليمن في اوائل القرن الرابع الهجري ودخل زبيد،وملوكها الزياديون فهو يعطينا اولا وصفاً لمدينة زبيد وحياتها الاقتصادية والعلمية والادبية .

وثانياً يثبت لنا وجود السور وابوابه وذلك قبل الحسين بن سلامه المتوفي سنة ٣٩١هـ وقيل سنة ٤٠٤هـ ثالثا وجود الجامع الكبير الكائن بعيداً عن السوق .

رابعاً يصف لنا نظافة الجامع ووجود المنبر الممتد من جدار الجامع الى طول اربعة امتار .

ويوضح لنا ان به تقويره،اي فتحة ليتصل الصف الاول،ويعطينا فكرة حقيقية عن الدولة الزيادية ونشاطها في ايجاد قناة مائية وهذا ولاشك ان الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والاقتصادية لم تكن طارئة في وقت زيارته وانما امتداد لطول مدة الدولة الزيادية التي وجدت سنة ٢٠٤ هـ واهتمت ببناء عاصمة دولتها وان السور وجد بعد احداث علي بن الفضل سنة ٢٩٣ هـ .

هدم الأسوار الثلاثة :

ظلت زبيد باسوارها الثلاثة الشامخة رغم الاحداث السياسية والصراع التاريخي عبر مراحل التاريخ التي مرت بها زبيد في الدولة الرسولية مع الامام صلاح الدين امام صنعاء كما سبق شرحه . والدولة الطاهرية وصراعاتها مع الائمة والامام شرف الدين وابنه الامام المطهر. والوجود الجركسي المملوكي المصري الذي قدم بحجة الدفاع عن الاقتصاد المصري. وبحجة المحافظة على الاماكن المقدسة من الغزو البرتغالي إثر الكشوفات البحرية في القرن العاشر الهجري.

فالوجود العثماني الاول وصراعاته مع الائمة وكانت زبيد عاصمة في هذه المراحل التاريخية الى عام ١٠٤٥هـ حيث تحولت عجلة التاريخ السياسي وتسلم الحكم خلفاً للاتراك الامام المنصور محمد بن القاسم.قدم زبيد الامام الحسن بن المنصوربن القاسم لحصار زبيد اثر انهيار الحكم العثماني وطوق على زبيد بحصار شديد ودخلها فهدم الاسوار الثلاثة وظلت بلا اسوار كانتقام منها لعدم استطاعة الائمة السيطرة فكانت عقدة العداء التاريخي هدم الاسوار بلا تحفظ :

إعادة السور :

ظلت زبيد في عام ١٠٤٥ هـ دون سور وتحولت الحياة السياسية بالمخلاف السليماني حيث اصبح الصراع متمركزاً في الاسر الحاكمة الاشراف آل خيرات وآل المعيدي بعسير،واصبحت قبيلة يام القبيلة المتاجرة في الحرب لمن دعاها،بالاضافة الى الدعوة الوهابية المنتشرة بنفوذ محمد بن سعود وصراع محمد علي باشا والعثمانيين مع السعوديين وصراع الائمة بعضهم بعضا الى عام سنة ١٢٦٤هـ يعطينا العلامة عبدالرحمن بن احمد البهكلي في مؤلفه نفح العود ص ٢٢٨ و ٢٢٩ في عهد الامير حمود بن محمد الخيراتي بقوله : جدد عمارة سور زبيد سنة١٢٢٢هـ واسند القيام بعمارته على القاضي الحسين بن عقيل الحازمي قاضي زبيد . واستطرد قائلاً:اخبرني بعض من له خبرة بالتاريخ ان السور الاول كان بينه وبين العمران فسحة.وهذا اي الشريف حمود الصقه بالبيوت حتى ان بعض المحلات يكتفي فيها بعمارة البيت الذي اتصل به» وعليه ظل السور يرمم الى سنة ١٣٨٢هـ .

حفر الخندق :

اعطتنا المراحل التاريخية الاحداث التي مرت بزبيد في عهد الدولة النجاحية الاولى بين نجاح وعلي محمد الصليحي والدولة النجاحية الثانية بين سعيد الاحول وجياش اللذين قتلا علي محمد الصليحي بالمهجم في قرية ام الدهيم وبئر ام معبد.وتولى سعيد الاحول الملك. والاحداث التي مرت مع المكرم احمد بن علي الصليحي وصراع جياش مع سبأ بن احمد الصليحي واستقرار الدولة النجاحية ، ثم الدولة النجاحية الثالثة التي تسلم قيادتها وزراء الدولة النجاحية التي دخلت في حروب ضارية وغارات علي بن مهدي من سنة ٥٤٦هـ الى سنة ٥٥١هـ كان حفر الخندق لحماية المدينة من غارات علي بن مهدي الرعيني الحميري الذي قام بثورته من قرية القصيب غرب مدينة زبيد بالنخل حيث استطاع ان يطوق عليهم الحصار ومن الغرب البحر من الشرق جبل الداشر من جبال الركب وانتهت معاركه بالنصر بغاراته المتوالية التي بلغت سبعين غارة فقال :

ركوب العتاق الصافنات السوابق
الذ واشهى من عناق العواتق
تمزق شمل الجمع في كل مشهد
اذا ما زلقنا مازقا بعد مازق
اذا حكمت اسيافنا من غمودها
فتغرب إلأفي الطلا والمفارق
ادرنا على درب الحصيب صواعقا
فتحكي صداها موبقاتالصواعق
بجيش كجياش العبير عرمرم
يغمرآكام الربامثل ساحق
وسالت نواحيهاعلى باب قرتب
ولم تأل ان جالت بباب الشبارق
على بابها الغربي كان حصارهم
واسيافنا فيها حصاد المنافق
تركنا عليهم في زبيد بوائقا
بهاأنسيوا ما أسسوا من بوائق
تركنا رؤوس الجيش فيها مفالقا
بعيد الضحى من بعد تلك المفالق
كأن يتمنى كل طرف اذا جرى
جناحي عقاب كاسر غير خافق
طرقناهم والليل مرخ سدوله
وقد غفلت عنا عيون الطوارق

احاطوا عليهم دافعين بخندق
ايدفع أمر الله حفر الخنادق
سلوا هل فزعنا يابني حام منكم
وهل يفزع الأساد صوت الفرانق
أنا السيد المهدي والفيلق الذي
يمزق يوم الروع شمل الفيالق
له حكم داود وصورة يوسف
وحكمة لقمان وملك العمالق

تعطينا هذه القصيده والصراع الدامي ان النجاحيين اول من حفروا الخنادق لما نالت زبيد من حروب مدمرة واستمرار حفر الخندق باستمرار كلما امتلأت بالتراب حيث اصبحت تملأ بمياه المدينة عندما تهطل الامطار فتطلب الدوله من مشائخ القبائل جمع ضمايد الثيره لحفر الخندق بغية التعميق، ومن ذلك بعد ان هدمت الثلاثة الاسوار عام ١٠٤٥هـ ثم كان اعادته سنة ١٢٢٢هوفي مقر السور الثالث الملاصق للمدينة ظل بلا خندق الى عام ١٢٦٤ هـ إثر الحملات اليامية وخاصة عندما اسر الامام محمد يحيى المتوكل خليفة الامير حسين بن حيدر امير المخلاف السليماني وسجنه بزبيد بحي البيشية فاستنجد اخوانه وابناؤه بالامير عائض المعيدي أمير عسير خليفة الايوبي فلم يساعدهم طمعاً في الاستيلاء على زبيد فاستنجدوا بقبيلة يام المقاتلة المعدة لمثل هذه الاحداث فقدمت الحملة زبيد ودارت المعارك الحامية فلم تستطع الدخول وبعد لأي دخلت المدينة من مسايل المياه وتمركزت في الاماكن المطلة على الحكومة ومنها منارة مسجد كمال الرومي المعروف بالكمالية المطلة على الدار الناصري الكبير وعبثت بالمدينة نهباً وسلباً وقتلاًومن قتل في هذه المعركة العلامة محمد بن علي العمراني لصموده للمحافظة على منزله من النهب.

ومن ثم بدأت المساومة في الافراج عن الامير الحسين على بن حيدر مع الجنود الموكلين بحراسته فافرج وهدمت منارة الكمالية.

يفيد الشيخ داود حسن امحمد فاشق قوله في هذه المعركة:«سجن الشيخ الفتيني فاشق من قبل اليامين لاعتراضه لهم عند مرورهم بالحسينية فالقى القبض عليه وسجن بالزهرة نحو خمسة وثلاثين عاماً خلفه في المشيخة الهبه على فاشق»

وبعد انتهاء الغزو والمعارك قامت السلطة بزبيد بحفر الخندق فاستدعت مشائخ زبيد والهبة علي فاشق وطلبت

منهم جمع ضمايد الثيرة وتوزيعها على كل قبيلة والزمتهم بسوق ما امتثل به كل شيخ واخذ السند بذلك .

ومن ثم كان الالتزام وحفر الخندق وكان نصيب الهبة على فاشق خمسة وثلاثين ضمداً عثر على هذا السند في وثائق امحمد حسن فاشق المتوفي سنة ١٣٨٢هـ.

هدم السور :

استمر السور يرمم كلما حدث به خراب الى ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م بعد قيام الثورة ودخولها في الاعتداءات الخارجية ومانجم من تسيب وانفلات أقدم الجنود والجهلة ومنهم الجندي مهدي بقلان الساكن بباب النخل الى نقض أجود السور وبيعه ولم يستطع اي مسئول ضبطه لما حوله من الجنود البراني - اضافة الى ذلك قام مايسمى بمندوب الاملاك على شرف من الجنود البراني الى بيع مابقي من السور باسم الاملاك حتى انتهى . كما تعدى الى بيع نوبة تسمى نوبة شبيط عندما بدأ بها الخراب بحجة ترميم باب الشبارق غيران البائع عليه احجم عن هدمها واستعاد نقوده عندما شعر باللوم وبقيت الابواب الاربعة تحتاج الى تدارك قبل انتهائها.

هدم منبر الجامع :

عرفنا تاريخيا عن المقدسي صورة حية عن منبر الجامع الكبير شكلاً ووصفاً،وكان يتصدر الجامع الكبير مرتفع باربع عشرة درجة حيث يرى المصلى الخطيب ويسمع صوته.ومن هذا الارتفاع توجد به فتحة واسعة يمتد من تحته الصف الاول دون انقطاع وظل بشكله ووضعه عبر مراحل التاريخ ورغم تجديد عمارة الجامع سنة ٨٩٧ هـ لم يتغير وكان من الخشب الجيد منقوشاً وبه كتابات كان يحتاج الى ترميم .

وفي مساء الخميس ٢٦رمضان ١٣٨٩هـ في منتصف الليل جمع مدير الاوقاف محمد احمد حاجب العمال لهدم المنبر واقام منبراً صغيراً على شكل منبر جامع صنعاء اصلحه بصنعاء ووضعه بالجامع .

وعندما حضر المصلون لصلاة الجمعة فاذابهم يرون منبراً آخر فاستاءوا لهذا الاجراء ومن ثم بدأت الاحتجاجات والرفع لماحدث غير ان الاصرار على بقائه كان شديدا الى عام ١٤٠٠هـ اثر ترميم الجامع الكبير وكنت مشرفا على الترميم وكان الاصرار على اعادة المنبر القديم فامرت وزارة الاوقاف باعادته فاعيد بشكله ووضعه من قبل النجار احمد داود معمري ومساعده الامين بكري معمري بمواد خشبية جديدة ونقوش وزخرفة مشابهه للاول.

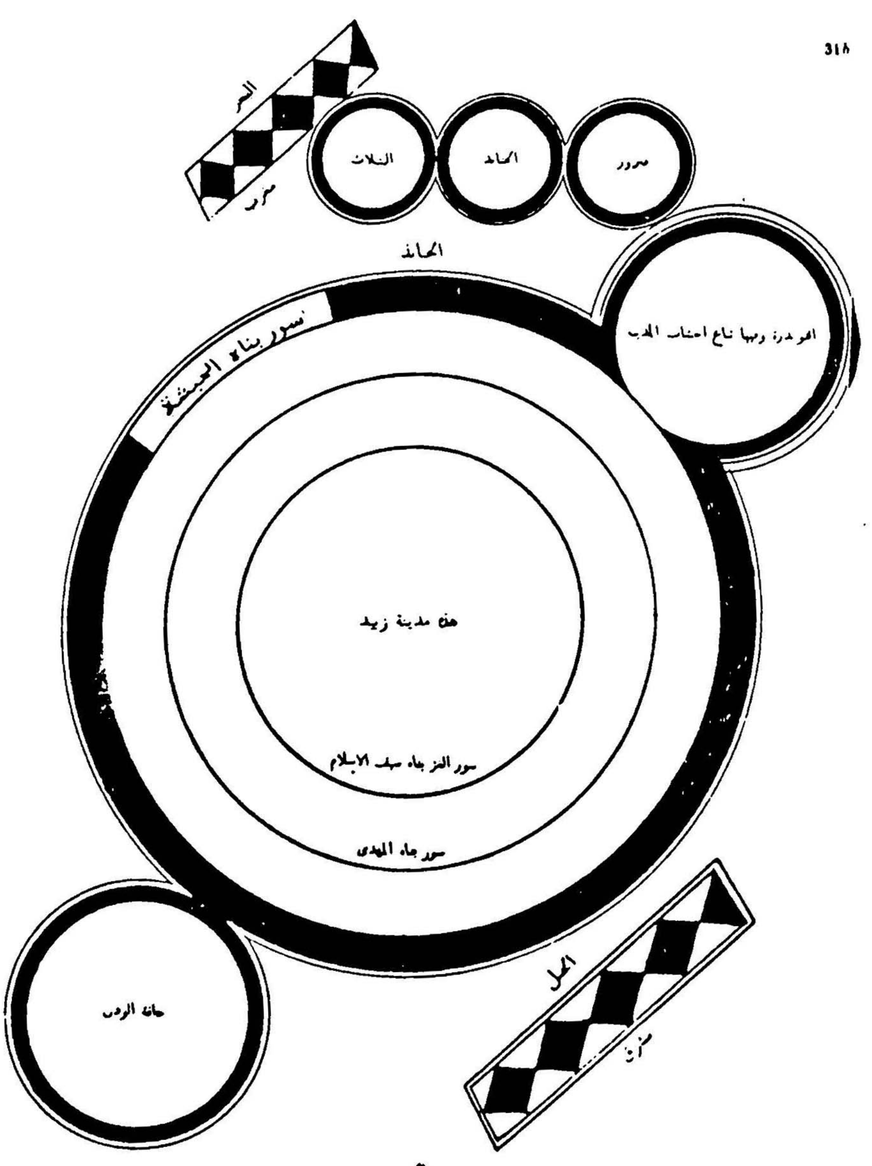
القناة المائية :

ذكر الديبع في بغية المستفيد ص ٤٨ « ان القاضي الرشيد ابا الحسن احمد بن القاضي ابي الحسين الرشيد بن ابراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني الكاتب والشاعر الاسواني المتوفي سنة ٥٦٣هـ اول من اجرى القناة المائية الى زبيد لما اشتهر به من فن هندسي والذي تحقق ان القناة أنشئت في العهد الزيادي كما ذكر ذلك المقدسي والذي اثبته ان المنشآت التي قام بها الحسين بن سلامة هي تجديد لمنشآت الزياديين كما ان القناة قام بتوسيعها القاضي الرشيد في القرن السادس الهجري عندما زار اليمن ودخل زبيد في عهد وزراء الدولة النجاحية .

هذا هو التاريخ لاسوار زبيد الثلاثة والسور الاخير وما آل اليه اخيراً ومنبر الجامع الكبير والصراع التاريخي فحقائق التاريخ لن يستطيع طمسها التحريف مادام الحق ابلج والايمان به قوة لاتقهر بعلم وادراك.

ومن رعى غنما في أرض مسبعة
وغاب عنها تولى رعيها الأسد

□□



Tabula III. Supra: افرور ا S.p. L. ا نجابد ا نخامد ا .

المراحل الحضارية الأولى في اليمن القديم

« عصور ماقبل التاريخ »

د. أسمهان سعيد الجرو

أستاذ التاريخ القديم المساعد جامعة عدن

مفهوم الحضارة:

الحضارة عند ابن خلدون :« طور طبيعي في حياة المجتمعات يمثل خير نتاج المجتمع وابداعاته في الميادين المختلفة كإنشاء المدن والامصار والفنون والملك والادارة والصنائع والعلوم ومظاهر الدعة والترف ... الخ »«١» فهي اذن تجسيد للنشاط المادي والفكري في مختلف مناحي الحياة.

ان هذا المستوى الحضارى الذي تحدث عنه (ابن خلدون) ماهو الا نتاج لحضارة مبكرة نشأت بمعزل عن الحضارات الاخرى فاستحقت ان نطلق عليها الحضارة الاصلية الاولى. مثل تلك الحضارة كثيرة، وقد تركزت في مناطق توفرت لها المقومات الاساسية لنشوئها وازدهارها، كالعوامل الطبيعية المتمثلة في وفرة المياه، والتربة الخصبة، والظروف المناخية الملائمة، فالعوامل الطبيعية على الرغم من انها يستحيل ان تخلق المدنية خلقاً، الا انها تستطيع ان تهيأ لها سبل النجاح، فقد سعى الانسان منذ ان وجد على الارض الى درء عوارض الطبيعة عن نفسه فنزل الكهوف واكتشف النار الصناعية، واصطاد الحيوانات ،وابتكر صناعة بعض الادوات الحجرية والخشبية والعظمية البسيطة، ومنذ ذلك الحين شعر ببعض الروابط التي تربطه بمن حوله فانتظم في اسر او في مايشبه الاسر، وفي هذا كله بذور الحضارة.

لقد عاش الانسان دهوراً طويلة قبل ان يهتدي الى الزراعة وينتقل بواسطتها من مرحلة الاستهلاك «جمع القوت» الى مرحلة الانتاج «انتاج القوت». وقد قسم العلماء تاريخ الانسان الى عصور ما قبل التاريخ وعصور تاريخية، واعتبر ابتداع الكتابة كوسيلة للتدوين حداً فاصلاً بين العصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ، الا ان ازمنة تلك المراحل تختلف من منطقة الى اخرى حسب التطورات التاريخية الهامة التي شهدتها. فمثلاً تقدر بداية العصور التاريخية في العراق مع بداية اختراع الكتابة اي منذ اواسط الالف الرابع ق.م، وكذلك في مصر منذ اواخر الألف الرابع ق.م، اما في اليونان فبداية العصور التاريخية تعود للقرن السابع ق.م. وفي اوربا الشمالية تعود للقرن الاول الميلادي.

كما قسمت عصور ماقبل التاريخ بدورها الى عصور وادوار واطوار ثانوية، ليسهل للباحث متابعة تطور حياة الانسان، ولم يأت ذلك التقسيم جزافاً بل جاء بعد دراسة دقيقة للمعطيات الاثرية التي خلفها لنا الانسان القديم كالادوات المصنوعة من الحجارة والخشب، والرسومات والمخربشات التي نقشها في سقوف وجدران الكهوف التي عاش فيها في العصور الحجرية القديمة، كذلك عظامه وعظام الحيوانات التي اصطادها وبقايا النبات، كما ان المعلومات الجيولوجية الخاصة باحوال المناخ والبيئة التي عاش فيها الانسان القديم، هي الاخرى تمثل مصدراً هاماً من مصادر تاريخ الانسان وتطوره.

يبدو جلياً ان الانسان القديم استخدم في مراحله التاريخية المختلفة اشكالاً متعددة من الادوات التي تميز كل مرحلة بالتحديد ومن ثم تصبح هذه الادوات ومميزاتها وخصائصها قاعدة لتحديد مراحل تاريخ النشاط البشري، واستناداً على ذلك تمكن العلماء منذ القرن التاسع عشر من تقسيم العصور الحجرية بصورة عامة الى ثلاثة عصور رئيسية، العصر الحجري القديم، العصر الحجري الوسيط، والعصر الحجري الحديث.

وقبل التطرق لخصائص كل عصر لابد من الاشارة الى ان الحديث سيكون عن تاريخ الانسان بصورة عامة بغض النظر عن المنطقة التي عاش فيها فدراسة تاريخ

الانسان في مراحله الحضارية الاولى ليست لها حدود جغرافية، فالحديث عن انسان العصر الحجري القديم في اليمن ينطبق على انسان العصر الحجري القديم في جميع الاقاليم من حيث نمط الحياة واسلوب المعيشة.

العصر الحجري القديم:

يبدأ منذ أن ظهر الانسان على وجه الأرض لم يتفق العلماء حول تحديده فقد قدر بعض العلماء بدايته بحدود مليوني سنة بينما قدره اخرون بمليون سنة او نصف مليون سنة. امتاز هذا العصر باستخدام الادوات الحجرية غير المصنعة وهذا ما انعكس على حياة الانسان انذاك التي امتازت بالبساطة، فقد كان يعتمد بشكل مباشر على جمع النبات وصيد الحيوانات الكبيرة، وكان يتنقل من مكان الى اخر بحثاً عن الغذاء، وتجنباً للكوارث الطبيعية، فقد قسم العلماء هذا العصر الى عدة اطوار مستندين الى خصائص ومميزات الادوات الحجرية التي استخدمها انسان ذلك العصر.

العصر الحجري الوسيط:

وضع العلماء فاصلاً بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط، حيث انتقل الانسان من حياة الاعتماد على جمع القوت الى حياة منتجة ينتج قوته بنفسه، فقد امتازت ادوات هذا العصر بدقتها وصغر حجمها وتعدد اشكالها بذلك تنوع اقتصاده واصبح متهيئاً للانتقال الى مرحلة جديدة اكثر تطوراً واستقراراً.

العصر الحجري الحديث:

يمثل هذا العصر منعطفاً تاريخياً كبيراً في حياة الانسان القديم فقد اكتشف اسرار السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمته فاهتدى الى الزراعة وتدجين الحيوان بدلاً من الصيد والجمع والالتقاط فانعكس ذلك على اسلوب حياته، فبعد ان ضمن قوته بفضل تطور ادواته، توفر لديه بعض الفراغ للتفكير في اشباع رغباته الروحية فاتجه للفنون والتصورات الدينية، كما ادخل لحياته انواعاً جديدة من الحرف كصناعة الفخار والحياكة...الخ فاستقر حول الارض التي يقوم بزراعتها، فتجمعت الاسر في بقعة ثابتة فنشأت القرى ومعها بذور الحياة الاجتماعية والمجتمع والعائلة وساعد هذا الانقلاب الانسان على التكاثر فتكاثرت المستوطنات البشرية مما مهد السبيل لازدهار الحضارة بشكل اكثر نضوجاً وتطوراً.

عصور ماقبل التاريخ في اليمن القديم:

يبدو جلياً مما ذكرناه آنفاً ان الانسان القديم ومنذ عصور ماقبل التاريخ تركزت اقامته في المناطق الجاذبة للسكان حيث تتوفر المقومات الطبيعية، فالشرق الادنى يمثل بحق مولداً للحضارة البشرية، هذا لا يعني عدم ظهورها في بقاع اخرى من العالم بل ظهرت ايضاً في اقاليم توفرت لها نفس المقومات لكن في فترات لاحقة. فعندما نلقي نظرة فاحصة على الخريطة الجغرافية للجزيرة العربية لاينبغي ان نتصور لها حدوداً طبيعية ولا حدوداً اقليمية فاصلة في تلك العهود الموغلة في القدم، لذا فقد كانت الجماعات البشرية تتنقل من مكان الى اخر للرعي والصيد وبحثاً عن موارد للعيش، فانتشر الانسان في تلك البقاع على نطاق واسع.

ان معلوماتنا عن عصور ماقبل التاريخ لليمن القديم ضئيلة للغاية، وذلك يعود لحداثة هذا العلم الذي يكتنفه الغموض ويطغى عليه الحدس والتخمين، فما كشف حتى الان من اثار لعصور ماقبل التاريخ شحيح وناقص وملىء بالثغرات، وقد لايتيسر مطلقاً سد هذه الثغرات مالم يتم العثور على نتائج اثرية جديدة، ونتيجة لهذا القصور برزت منذ الثلاثينات من هذا القرن عدة فرضيات وآراء تخمينية حول الاستيطان البشري في اليمن القديم والنشاط الحضاري فيه، فتضاربت الآراء وتشعبت وجهات النظر بين العلماء، نستعرض هنا بعض تلك الفرضيات لبعض المستشرقين، غايتنا منها استجلاء تلك الآراء والوقوف امامها، وهذا لايعني على الاطلاق المساس بقيمة تلك الاعمال الجليلة التي قام بها هؤلاء العلماء في خدمة تراثنا القومي.

ان أولى المعلومات التي قدمت لنا حول عصر ماقبل التاريخ في اليمن القديم تلك التي قدمتها الباحثة (كاتن تومبسون (G. Caton Thompson) رئيسة البعثة الانجليزية التي قامت بعمل حفائر في (حريضة) بوادي (عمد) احد الفروع الجنوبية لوادي حضرموت، كان ذلك في عام ١٩٣٧م وقد نشرت نتائج ابحاثها القيمة في كتاب (قبور ومعبد القمر

بحريضة»«٢» ان اهم استنتاجاتها التي توصلت اليها تقول: (ان انفصال جنوب غرب بلاد العرب عن افريقيا الشرقية حدث في حقبة زمن البلايستوسين اي قبل مليون سنة على اقل تقدير، كما انها تعتقد ان الادوات المصنوعة من حجر (الظران) التي عثر عليها في حضرموت تشبه كثيراً الادوات المصنوعة من (الظران) التي عثر عليها في افريقيا، وفي رايها ان الثقافة المركزية كانت في افريقيا ومنها تفرعت ثقافات متعددة ليس في افريقيا فحسب بل وفي اسيا ايضاً، والدليل الذي استندت اليه لتزكي نظريتها في ذلك، عدم وجود ادوات حجرية من العصر الحجري القديم الاسفل (الباليولتي) والتي كانت منتشرة في تلك الايام على طول افريقيا من الشمال الى الجنوب (٣)

الفرضية الثانية للعالم (فان بيك Van Beek) احد اعضاء البعثة الامريكية لدراسة الانسان التي زارت اليمن ١٩٥٠ - ١٩٥١ - ١٩٥٢ وقامت بالتنقيبات في بيحان ضمن نطاق مملكة قتبان كما زار «فان بيك» حضرموت منطقة اليمن القديم بقيت من العصر الحجري حتى نهاية الالف الثاني ق.م عندما جاءت الى المنطقة جماعات متحضرة، وبفضل هؤلاء القوم تأسست في جنوب الجزيرة العربية حضارة بلغت قمة نضجها في الفن المعماري والزراعة والتعدين والكتابة ويعتقد انهم اتوا من الاطراف الشمالية لبلاد الهلال الخصيب.

ان تطور تلك الحضارة في نظرة (فان بيك) يرجع لتاثيرات مصر وثقافات الهلال الخصيب، فقد استند في استنتاجاته على بعض اللقى الاثرية كالفخار ونماذج اثرية اخرى ارجعها لبلاد وادي الرافدين وسوريا وفلسطين في فترات زمنية مختلفة، بل اعتبر اقدم فخار عثر عليه في (هجر بن حميد) العاصمة القتبانية يرجع الى الشمال خاصة الى سوريا وبلاد الرافدين التي تعود الى منتصف اواخر عصر البرونز ١٥٠٠ ق.م، كما تطرق للعمارة اليمنية القديمة، وتحدث عن نماذج الحجر المستخدم (القطع الحجرية المهندمة) ذات الاطراف فاعتبر هذا النموذج مستعاراً من الاشوريين في حدود القرن السابع ق.م (٤)

اما البعثة السوفيتية فتتفق مع الرأي السابق والقائل بان الحضارة اليمنية منقولة وليست محلية في اصولها بل تنتمي لجماعات قدمت من الشمال - من بلاد مابين النهرين»وقد تمت الهجرة في مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث التي تقدر بحوالي ٣٠٠٠ ق.م (ثلاثة الاف سنه ق.م) كما يرفض هذا الرأي وجود الزراعة في جنوب الجزيرة في نهاية العصر الحجري الحديث وفي رأيهم بان الاقوام القادمة من الشمال هم الذين نقلوا الزراعة والادوات المعدنية وخاصة البرونزية، فالمهاجرون (في اعتقادهم) اعطوا اليمنيين بنات افكارهم الحضارية ودفعوا بهم للتحضر السريع. (٥)

اضافة الى هذه الفرضيات يجدر بنا ان نورد هنا رأياً اتسم بالموضوعية هو رأي العالم (لانكستر هاردنج Lankester Harding) مبعوث الحكومة البريطانية الذي زار مواقع الاثار في عدن والمناطق المجاورة ١٩٦٠م واصدر كتاباً بعنوان (الآثار في عدن ومحمياتها) في كتابه هذا اجاب (هاردنج) على تلك الفرضيات بقوله ان الحضارة اليمنية قديمة جداً ولايمكن ان تكون مستوردة ففي رأيه لايمكن لاي حضارة ان تظهر الى حيز الوجود فجأة وبدون مقدمات، نجدها في اوج ازدهارها من حيث الفن المعماري وصناعة الفخار ومعرفة مبادىء الكتابة واستخراج المعادن، فهو يؤكد انه من غير المحتمل ان تكون هذه المنطقة قد تم استيطانها على حين غرة من قبل القادمين من اقصى الشمال، ويعلل اسباب الزيادة السكانية السريعة للنشاط الاقتصادي المطرد الذي شهدته المنطقة في الالف الثاني ق.م، ولكنه يرى ان هناك فجوة آثارية واقعة بين العصر الحجري الحديث (اي حوالي ٥٠٠٠ ق.م) والقرن الثامن او التاسع ق.م، بسبب عدم العثور على آثار تعود لتلك الفترة. (٦)

ظلت تلك الآراء المتعارضة سائدة فترة طويلة من الزمن واضعة المهتمين بدراسة الحضارة اليمنية في حالة من الاضطراب فلا يستطيعون التميز بين الغث والسمين، حتى جاءت البعثة الايطالية برئاسة (الكسندر دي ميجري) عام ١٩٨٤م الذي نشر بدوره دراسة تحت عنوان (عصر البرونز في اليمن). لقد جاءت تلك الدراسة مصحوبة بمعطيات مثيرة وجديدة غيرت كثيراً من المفاهيم الخاطئة ووضعت حداً للآراء السابقة كما سدت

الفجوة المربكة التي اشار اليها (هارد نج) فقد قامت البعثة بالتنقيب عن الآثار في موقع بوادي (يلا) في (خولان الطيال) فقد بينت بعض التواريخ بواسطة (كربون ١٤) بعد ان اجريت تحاليل لعينات مجمعة من الموقع الاثري، وكانت النتيجة ان العصر البرونزي يعود لمنتصف الالف الثاني ق.م، فاكتشاف مدينة تعود لعصر البرونز، يعتبر دليلاً قاطعاً لا يقبل الشك فلم يتم الكشف عن لقيات اثرية فحسب، بل تم اكتشاف مدينة متكاملة بنظمها الاقتصادية، وبملامحها الثقافية والطقوسية (٧) ان ذلك الانجاز فاق كل التوقعات، وبدأت معالم تاريخ الثقافة التي قامت في اليمن القديم واضحة بمراحلها التاريخية المتسلسلة.

نماذج من مواقع اثرية تعود لعصر ماقبل التاريخ:

تزخر اليمن بالعديد من المواقع الاثرية التي تعود لاكثر الاحقاب قدماً منذ العصر الحجري القديم الاسفل ومن ابرز تلك المواقع «جبل تلع» ويعتبر هذا الموقع الاثري نموذجاً حياً لمخلفات العصر الحجري القديم الاسفل يقع «جبل تلع» على بعد ٤٠ ميلاً الى الشمال من عدن يطل على وادي تبن من جهة الغرب عند موقع ماكان يعرف بـ (سد العرائس) ففي عام ١٩٦٥م عثر (بريان دو) (Brian Doe) احد مدراء متحف عدن سابقاً، على فؤوس يدوية ترجع للثقافة الاشيلية فقد أرخ استعمالها لما يزيد على ١٥٠٠٠٠ سنة (٨) فمثل هذا الاكتشاف المثير يعتبر بلا شك هاماً جداً فهو يؤكد وجود اثار اكثر الاحقاب قدماً، ويلغي استنتاج (كاتن تومبسون) حول غياب آثار هذه الحقبة من الزمن.

فبتلك الفأس استطاع الانسان في اليمن القديم ان يصل الى مرحلة التصنيع، تصنيع الادوات الحجرية باسلوب شطر وطرق الحجر، كما استطاع ان يصطاد فريسته وان يسلخ جلدها فاكتسب خبرة ساعدته على تحسين ادواته فاصبحت اكثر دقة ومتانة في مراحل لاحقة.

اما «حريضة» فتعتبر ايضاً من المناطق الاثرية التي تعود لعصر ماقبل التاريخ فقد عثرت بعثات التنقيب على ادوات ترجع للعصر الحجري الحديث النيبولتي «٩» هي عباره..عن رؤوس سهام وبعض الاسلحة النصلية كما جاءت نتائج البعثة السوفيتية مؤكدة لذلك «١٠» كما عثر في منطقة (صافر) الواقعة على بعد ٨٠ كم شمال شرق مأرب على مجموعة من الأدوات الظرانية تتكون من اسلحة ورؤوس سهام....الخ في هذا العصر عصر الصيد وصل اسلوب صقل الحجر الى مستوى عال من المهارة وتطورت خلالها المقدرات الابداعية للانسان في مجال تجهيز الادوات كما نالت صناعة الفؤوس والاسهم ذات الاشكال المختلفة في كل مكان.

كما تم في هذا العصر اكتشاف تقنية تجهيز المصنوعات الفخارية وحرقها وكان له دور كبير في تطور ثقافة العصر الحجري الحديث وظهرت اواني فخارية متنوعة وقد تم الكشف عن بعض نماذج منها في مناطق متفرقة من اليمن.

الفنون الصخرية:

ان اثار الفنون الصخرية شاهد حي على تطور عقل الانسان وتطور نمط حياته فجاء ذلك نتاج سلسلة من التجارب والخبرات، فبعد ان توفرت للانسان متطلبات المعيشة الضرورية تفرغ لتحقيق متطلباته الروحية المتمثلة في الفنون والتصورات الدينية.

فالبذور الأولى للفن الصخري بدأت في أواخر المرحلة (الموستيرية) (العصر الحجري القديم الاوسط) ولم يأت العصر الحجري الحديث الا وتطورت تقنية الادوات مصاحبة معها تطوراً للفنون فاتجهت تلك الرسومات في الواقع كتعبير صادق عن الطبيعة وامتازت بدقة التصور لاهم السمات الاكثر نفعاً واشد التصاقاً بالانسان.

لقد ظلت الفنون الصخرية في اليمن مجهولة لفترة طويلة ولم تكن موضوع اهتمام الباحثين عن آثار مرحلة الحضارة الراقية، وربما يرجع ذلك لعدم عثور هؤلاء الباحثين على اي نوع من تلك الرسومات. حتى جاءت البعثة الاثرية الفرنسية وسلطت الضوء على فنون العصور الحجرية الصخرية في عام ٧٥ ـ ٧٦م في المنطقة الشمالية الشرقية لوادي الجوف.

اما الانجاز الهام فكان للبعثة الفرنسية ـ اليمنية التي قامت بمسوحات أثرية في لواء صعدة عام ١٩٨٨م وتم المسح في اكثر من موقع منها موقع (المسلحقات) و (الخزائن) و (الخمرات) وكشفت تلك المسوحات عن نماذج من الرسوم في لوحات فنية تمثل صوراً لحيوانات مختلفة، وعول وكلاب، وبقر وحشي، وصور

آدمية وثعابين، وجمال، ان تلك الرسومات تمت عن طريق الحفر الغائر في الصخور، وفي مرحلة متطورة نجد رسوماً بالألوان لونت بحجر (الحسن) وهو حجر احمر اللون يسحق ويستخدم كمادة تجميل للنساء (حتى وقتنا الراهن). كما عثر على رموز لم يعرف معناها بعد (١١) اما الاشكال الادمية فتحمل في الغالب سلاحاً او عقداً. ان اكتشاف الفنون الصخرية يعتبر تحولاً جذرياً للحياة البشرية فهي تمثل وثيقة حية للنشاط البشري وتفاعله مع الطبيعة خلال العصور الحجرية، من خلال تلك الاشكال نستنتج ان رسامي تلك العهود بلغوا قدراً عالياً من المهارة الفنية فتفاصيل اجسام الحيوانات تشير الى معرفتهم بالتركيب التشريحي لتلك الحيوانات، ولاشك ان دراسة تلك الفنون هامة للغاية لما لها من اهمية عند دراسة التصورات الدينية.

المراجع والهوامش:

١) عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة الجزء الاول . ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر . دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ١٥٠ .

٢) - G . caton thompson ,the tombe and moon templ of Hurayda Chdramaut), Reports of the Research committee of the Society Antiguaries of London XII Coxford , 1944) .

٣) قبور ومعبد القمر بحريضه (حضرموت) .

٤) - Op . Cit
- Van Beer ,South Arabian History and Arechaeology extrait par. the Bible and the Ancient neer East ed. by. G. Ernest wright London 1961 p. 229 - 248. تاريخ الجنوب العربي وآثاره

٥) بطرس أفان سيقتش جريزنيقتش . الحضارة اليمنية في الاستشراق العدد ٢٢ ،١٩٨٨م ص ١١٦ - ١٢٢ .

٦) harding G. Lankester ,Archaeology in the Aden protectrates .Lonson 1964 ip 4 ......
- الآثار في عدن ومحمياتها .

٧) Ade Maigret ,A Bronze Age for soist-hern Arabia East and west 34 - 1984
عصر برونزي لجنوب الجزيرة العربية . الكسندر دي ميجريت
A.de Maigret Die Bronzenzeit des jemen , in w Daum (ed) jemen ,
نفس الكاتب ، العصر البرونزي اليمني . نشر في كتاب دبليو .دوم

Alessandro de Maigret et christian Robin Les fouilles Italennes de yala ,nouvelles donnees sur la chronologe de sud preiolamigue Academie des insertions et belles ,letters , paris 1989
تنقيبات البعثه الايطالية (يلا) نتائج جديدة حول التسلسل التاريخي للجنوب العربي

٨) Dos Brian southern Arbia ,switzerland 1961, p. 134

٩) - G. coton thompson ,op G,t

١٠) راجع نتائج أعمال البعثه السوفيتية ، ١٩٨٦م ،المركز اليمني للابحاث الثقافية والآثار والمتاحف .

١١) -Michel A. Gercia ,madiha Rachad ,Missin de releve d''art rupestre our yemen 1989.
الكشف عن بعثة الفنون الصخرية في اليمن

■■■■■

قراءة في كتاب القمندان :

« فصل الخطاب في اباحة العود والرباب »

بقلم : محمد سعيد جراده

مقدمة:

في الاربعينات ان لم تخني الذاكرة اصدر الامير احمد فضل العبدلي القمندان كتيبه « فصل الخطاب في اباحة العود والرباب» . وكان هذا الكتيب قد سبقته مقالات نشرت في صحيفة فتاة الجزيرة حول « فن السماع» او فن الموسيقى وهل هو حل في التشريع الاسلامي ام محرم ، وكان الامير احمد فضل في خلال تلك الفترة قد غمر المجتمع اليمني، ولاسيما عدن وما جاورها، بالحانه التي صيغت من كلماته وتوج تلك المهرجانات الفنية باصدار ديوانه الغنائي المشهور «المصدر المفيد في غناء لحج الجديد».

والواقع ان صدور كتيب يعالج موضوع اباحة او تحريم الغناء في تلك الفترة ليس بالامر الغريب، فقد كان التحريم سائداً في الشطر الشمالي من الوطن والذين عايشوا فترة الاربعينات في الشطر الشمالي يعرفون الاجراءات المشددة في سبيل منع انتشار الغناء. حيث كانت جلسات الغناء تتداول بشكل سري جداً، وكان العود الخشبي الصنعاني القديم يحمل مجزأ الى اكثر من قطعتين، علـى ان (عدن) حملت في تلك الفترة وماقبلها الثلاثينات، حملت لواء التمرد على تحريم فن الموسيقى فكانت لمجموعة من فناني صنعاء وكوكبان وغيرها من مناطق الشطر الشمالي من الوطن رحلات الى عدن، امثال العطاب وغيره من اساتذة الغناء، حيث تتلمذ على ايدي هؤلاء كوكبة من الفنانين الذين حذقوا فن الغناء الصنعاني امثال (الماسين) الاب والابن والاخوين (الجراشين) واحمد ومحمد عبد القادر مكاوي وعلي ابوبكر باشراحيل وعوض عبدالله المسلمي وسعد عبدالله اللحجي وغيرهم.

الباعث الى تأليف الكتيب :

ولم تكن عدن بحاجة الى كتاب او كتيب يدافع عن الموسيقى ويذهب الى الرأي الشرعي في اباحتها فقد كانت الموسيقى في عدن في تلك الفترة منتشرة والاغاني تسجل في اسطواناتها المعروفة وانما كان الباعث للقمندان الى اصدار كتيبه ذاك مناكفة حكام صنعاء الذين كانوا يحرمون الغناء علناً، ويستمعون اليه سراً في مجالسهم التي كان يحضرها عدد من الفنانين القدماء الذين يحسنون الضرب على العود، بالاضافة الى النشادين الذين كانوا يغنون غناء غير مصحوب بالعزف.

وكان القمندان كما اسلفت على « خصومة قوية» مع حكام صنعاء لايترك مناسبة تمر دون ان يمسهم بالهجوم الذي يصل احياناً الى حد اللذع والقذع.

وكان كتيب « فصل الخطاب في اباحة العود والرباب » جزءاً من الحملات الموجهة الى النظام الامامي في شمال الوطن. على ان حكام صنعاء سكتوا كعادتهم على صدور هذا الكتيب،ولم يوعز اي منهم الى احد من الفقهاء ليرد على القمندان محرماً فن الغناء. وتولى هذا الامر كاتب من عدن نشر كتيباً مناقضاً موقعاً باسم الشيخ الهندي .. وحال كتابة هذه العجالة لم نعثر على هذا الكتاب الذي قرأناه في الاربعينات ، الذي غاب عن ذهن كاتب هذه العجالة مواضيع الكتيب واسلوب تأليفه وسياق شواهده، ولكن يغلب على الظن ان الشيخ علي محمد باحميش كان هو

مؤلف الكتيب لانه كان يتصدى للرد على اي رأي او فكر ديني لايروقه، كما فعل ذلك مع فضيلة الشيخ احمد العبادي حين رد على منظومة الشيخ العبادي « هداية المريد الى سبيل الحق والتوحيد » التي علق عليها تلميذ الشيخ العبادي الشيخ محمد بن سالم البيحاني، وكان الشيخ علي باحميش قد رد على تلك المنظومة بكتابه المعروف « درر المعاني في التحذير من منظومة العبادي وتعليق البيحاني ».

مصادر كتيب القمندان :

لم توضع في مصادر الادب العربي كتب خاصة تعنى بموضوع اباحة الموسيقى، لان فن الغناء كان معروفاً عند العرب من قبل الاسلام وقد توالت الاحاديث النبوية واقوال السلف في عدم تحريمه، فقد نصح النبي عليه السلام عائشة بان تصطحب معها اثناء ذهابها الى عرس الانصار من يغني لهم. ووصف عليه السلام صحبه الانصار وهم حيان يمنيان من الاوس والخزرج، وصفهم عليه السلام بانهم قوم يحبون الغناء. كما حضر عرس ابنته فاطمه وفتاة ترقص وتغني بهذا البيت:

هلْ عليَّ ويحكم ؛
إن رقصت من حرج

فقال النبي عليه السلام لاحرج وازدهر الغناء في العصر الاموي على ايدي جماعة كبيرة من المغنين والعازفين، امثال الغريض ومعبد وعزة الميلاء، ووو .. وكان اعلام من التابعين يستمعون الى الغناء ولايرون فيه بأساً..

اجل لم توضع في مصادر الأدب العربي كتب متخصصة في اباحة الغناء لانه فن انعقد الاجماع على قبوله، مالم يحل دون اداء الواجبات المكلف بها المسلم، على ان بعض الفقهاء اوردوا في الغناء والرقص ضمن ما أوردوه من ضروب اللهو المباح، بعض الآراء المتشددة التي قصد بها الحرص على عدم الافراط فيها الى حد الخروج عن الآداب العامة.

ومصادر القمندان التي رجع اليها اثناء تأليف كتيبه كانت كثيرة، من اهمها كتاب « نهاية الارب في فنون الادب» لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري من مؤلفي القرن الثامن للهجرة ، وقد عقد النويري في هذا الكتاب السفر الرابع فصلاً حوالي ٧٠ صفحة، أورد فيها رأي فريقين متعارضين اختلفت اقوالهما في الغناء. على ان النويري كان مع فريق الاباحة وكانت شواهده اطول واوفر مما اورد من آراء الجانب المتشدد.

الرأي المتشدد في كتاب النويري:

أورد النويري في كتابه رأي الجانب المتشدد في مسألة الغناء وهو رأي يمثله فريقان، فريق يرى التحريم وفريق يرى الكراهة فقط، فالجانب الذي يرى التحريم يستدل بالايات الكريمة القائلة « قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذي هم عن اللغو معرضون» والآية التي تقول « واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه» والآية التي تقول « واذا مروا باللغو مروا كراما» والآية التي تقول « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم » والآية التي تقول عن الشيطان « واستفزز من استطعت منهم بصوتك ».

كما اورد بعض الاحاديث التي قال فيها ابن حزم الظاهري والعلامة محمد علي الشوكاني انها احاديث لاتصح وليس لها سند معتبر.

كما اورد النويري آراء بعض الفقهاء في السماع مثل قول مالك متحدثاً عن الغناء في تشدد قال : حين سئل عن ذلك (مايفعله عندنا الا الفساق) وقال الشعبي (لعن المغني والمغنى له) وقال الحكم بن عتيبه (السماع ينبت النفاق في القلب) وقال الفضيل بن عياض «الغناء رقية الزنا » وكل هذه اقوال محافظة تفتقر الى ادلتها من الكتاب والسنة اللذين لم يرد في اي منهما دليل على التحريم.

رأي أصحاب الاباحة في السماع:

واطال النويري واسهب وتحدث واطنب في الجانب الذي يذهب الى اباحة السماع، وقدم لذلك بقوله « اما الاستدلال بالموضوعات - يعني الاحاديث الكاذبة - والغرائب - يقصد الاحاديث الغريبة - من رواية المكذبين بفتح الذال وتشديده - والمجرحين الذين

لاتقوم بروايتهم حجة وباقاويل من يفسر القرآن على حسب مراده ورأيه ولايرجع الى قولهم ولايسلك طريقهم ».

وأتى النويري بحديث عائشة ، قالت : دخل علي ابوبكر رضي الله عنه وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بغاث فقال ابوبكر رضي الله عنه (امزمار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال له الرسول عليه السلام (إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) وفي رواية أخرى دعهما .

واورد مشاهدة الرسول وعائشة لرقص السودان - المقصود بالسودان الحبشة - وحديث عائشة في عرس الانصار الذي ذكره وفي لفظ أخر قال لها ان الانصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول :

اتيناكم اتيناكم

فحيانا وحياكم

وحديث ماورد في الدف قال عليه السلام «فصل مابين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح «قال الحافظ ابو الفضل رحمه الله تعالى (هذا حديث صحيح الزم الدار قطني مسلماً باخراجه في صحيحه) وروى هذا الحديث من طرق أخرى اخرجها النسائي وابن ماجه في سننهما ، واحاديث اخرى واخبار عن الصحابه اوردها النويري في هذا الفصل وتحدث عن آلات موسيقيه كانت مستعملة آنذاك .. كاليراع - آلة نفخ موسيقية - والاوتار العود او مايشبهه.وقال كل ماورد في تحريم ذلك فغير ثابت عن النبي عليه السلام و لاخلاف بين اهل المدينه في اباحة سماعه .لانه مما لم يرد الشرع بتحريمه وكان اصله الاباحه .

القمندان يأخذ الجانب المبيح:

والقمندان في كتيبه يستأنس باراء الجانب الذي يبيح الغناء ويضيف اليه ان فن الغناء ابتدأ من عصور الاسلام الاولى وانه فن مستمر الى عصرنا هذا،ولم تصدر فتوى لا من الازهر ولا من غيره من الجامعات الاسلامية في الوطن العربي تقضي بتحريمه.. ولم يكن القمندان ليطيل في عرض الأحاديث التي رويت في التحريم ولم يورد الطرق التي فندها رجال الحديث في تصنيفها وتصنيف رجالها المشبوهين.ومن اهم رجال الحديث الذين ضعفوا تلك الأحاديث ابو الفضل المقدسي وعثمان بن سعيد الدرامي وغيرهما .وهذان نموذجان في تضعيف حديثين من احاديث غيرهما ضعفها اصحاب الجرح والتعديل، قال النويري في صفحة ١٥٢ من كتاب نهاية الارب ، السفر الرابع:

«واحتجوا مما روي عن النبي عليه السلام انه قال «امرني ربي عز وجل بنفي الطنبور والمزمار» وهو حديث رواه ابراهيم بن اليسع بن الاشعب المكي واسماعيل بن هشام بن عروة من ابيه عن عائشة، وراوي الحديث ابراهيم قال: قال فيه البخاري منكر الحديث،وقال النسائي المكي ضعيف.

قال النويري: واحتجوا بماروي عن علي رضي الله عنه انه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب الدف ولعب الصنج وصوت الزمارة» وهو حديث رواه عبدالله بن ميمون عن مطر بن سالم .قال عبدالله هو القداح واهن الحديث.ومطر هذا شبه مجهول .

اجل لم يعد القمندان في كتيبه فصل الخطاب باثبات احاديث الاباحة وتفنيد احاديث التحريم، بشيء من الاسهاب الذي استخدمه النويري .

ولكنه التقط من الاحاديث مايثبت قوله ويزكي رأيه .وقد اصاب في ذلك النجاح.

الرد على القمندان كتابياً:

ظهر هذا الكتيب الموقع باسم الشيخ الهندي رداً على كتيب القمندان فصل الخطاب ، وقد اسلفنا القول بان الايام قد باعدت بيننا وبين قراءة هذا الكتاب، الذي لن يتجاوز - بلا ريب - الاقوال والاحاديث الموضوعة،التي قيلت في التحريم.وان مجرد الرجوع الى السفر الرابع من كتاب النويري يمكن ان ينير السبيل للقارىء المثقف ثقافة دينية،ليلمس كيف عالج ذلك العالم الجليل هذا الموضوع معالجة مستفيضة، اتي فيها على كل شاردة وواردة،في هذا الباب،باسلوب العالم القدير،الذي يأخذ الأمور من مصادرها، وليس باسلوب ينقصه العلم بالحديث والتفريق بين صحيحه وضعيفه،وموضوعه ومتروكه. حيث يكون الحكم واهياً هشاً يرفضه الكتاب والسنة

والاجماع والقياس.

الرد على القمندان شعرياً:

وكان الرد الثاني على الكتاب مقاطع شعرية كتبت رداً على ابيات القمندان التي دافع فيها عن الغناء دفاعاً لم يخل من استفزاز لرجال الدين، رغم انها ابيات ليست خارجة على الشرع فهي تنكر الاعتماد على أي مصدر من مصادر الفقه أو الحديث اذا ناقض العقل ونحن نذكر من ابيات القمندان هذين المقطعين.. قال :

غنوا فان العود حقاً حلال
وليس في التحريم الا ضلال
وسوف لانلقاه بالامتثال
اذا قضى في نوقنا بالخراب

****

لاتعتمد قط ولاتنتمي
للعسقلاني ولا للهيثمي
ولاالبخاري ولا مسلم
فان عند العقل فصل الخطاب

وكان الرد على هذه الابيات من شاعر معاصر للقمندان هو الشاعر الكبير الاستاذ عبد المجيد الاصنج الذي نختار من قصيدته المناقضة قوله:

ياراكباً متن الغرور الذميم
اركبه ماشئت ارتكاب الرجيم
فان عظم الطيش واهٍ رميم
الى سحيق الجهل بئس المآب
انكرت ما للبخاري وما
لمسلم من مركز في السما
ياضحكة التاريخ من ذا العمى
..
اهل الملاهي غير اهل الحديث
والطيب الطاهر فوق الخبيث
والصيد للمغوار لا للهيث
والباز لايجري مجاري الذباب

*****

الرد على القمندان غنائياً:

وناقض الشاعر الاستاذ الاصنج احدى قصائد القمندان الغنائية المشهورة، ناقض قصيدة« حالي ياعنب رازقي» فقد نظم الاصنج على غرار هذه القصيدة اخرى مثلها في نفس الوزن والقافية، سلك فيها مسلكاً تعليمياً، فيه دعوة الى حب الوطن والى ترك الخمر والى التمسك بالاخلاق الحميدة .. قال :

لعينيك حبي نقي
ياذا الصارم المبرقي
ياكاسي واستبرقي
مَنْ للباب ذا المغلق
لعينيك ياذا الغزال
يامن بالنصال اكتحل
كحل السيف بالابرق
مَنْ للباب ذا المغلق

**

ياعين المحب اسهري
لاتأسي ولاتضجري
لولا الحب لم تخلقي
مَنْ للباب ذا المغلق

**

ومنها ايضاً :

ان الحب حب الوطن
فافهم يافتى في عدن
ذا حكمي وذا منطقي
من للباب ذا المغلق

**

لاتحزن بلادك عدن
باب الهند ثغر اليمن
وارفع ذكرها يانقي
من للباب ذا المغلق

**

خل الخمر خذلك بدل
اكل اللوز شرب العسل
وأغز القوم بالفيلق
من للباب ذا المغلق

**

كم من كأس يادارسي
راح المال للفارسي

من جيب الغبي الشقي

من للباب ذا المغلق

**

لقد عاصر الكتيب بداية اشراقات النهضة الثقافية التي تمثلت في اليمن بظهور مجلة الحكمة اليمانية في صنعاء، وظهور فتاة الجزيرة في عدن. وعاصر من شعراء هذه الفترة كل من الشعراء محمد عبده غانم وعلي لقمان واحمد حامد الجوهري في عدن، ومجموعة من شعراء الشطر الشمالي، من ابرزهم القاضي احمد محمد الحضراني وعبدالكريم الامير. ومن شعراء حضرموت عبدالرحمن عبيدالله، ومن اقرب المعاصرين له في لحج الامير سالم سعد وهو الشاعر، الذي هنأ كبير شعراء مصر شوقي في قصيدة له في الحفل الذي اقيم له بمناسبة امارة الشعر، وله ديوان شعر مخطوط كان في اوائل الخمسينات في حوزة الصديق الاستاذ عبدالله عمر البان، وعاصر القمندان صاحب الفضيلة الشيخ احمد محمد العبادي الذي كان مديراً لما تسمى بالمدرسة المحسنية، وكانت له زيارات الى منزل الشيخ العبادي، بعد ان انتقل الاخير من المدرسة المحسنية الى الشيخ عثمان، ليصبح بعد ذلك اماماً لمسجد الحاج زكريا في الشيخ عثمان.

ولعل من الطرافة في شيء ان نتحدث عن ثقافة القمندان الدينية التي قد يستبعدها البعض على رجل موسيقي مثله. فان تصدي الامير احمد فضل لاصدار كتيب في اباحة الغناء، بالاضافة الى اتصاله المباشر القوي بفضيلة الشيخ العبادي، الذي كان يحمل فكراً دينياً مستنيراً، واحتضانه لتلك الشخصية التي كان يناصبها رجال الدين العداء يدل كل ذلك على قدر جيد من المشاركة في فقه الشريعة الاسلامية.

ولسنا نجد من بأس في ان نضمن هذه الرسالة نبذة موجزة عن علاقة العبادي بالقمندان. في فترة العشرينات واوائل الثلاثينات. كان العبادي متهماً لدى رجال الدين التقليديين بالانتماء الى المذهب الوهابي وكان العبادي يجيب في سخرية من سأل عن ذلك بقوله : نعم انا وهابي اشرب المداعة، اشارة الى مذهب محمد عبدالوهاب الذي يحرم تدخين التبغ.

والواقع ان العبادي كان رجلاً مجتهداً وان غلب عليه التأثر بمذهب الشيخ احمد تقي الدين بن تيمية الذي سبق محمد عبدالوهاب بعدة قرون، اجل كان العبادي مجتهداً يعتمد على القرآن والحديث، ويعتمد في الاحكام الشرعية على مختارات شتى من احكام المذاهب الاربعة. وان كان اميل الى مذهب الامام احمد بن حنبل في اغلب اقتباساته، وهو المذهب الذي يطلق على رجاله اسم اهل الحديث.

وابن تيمية الذي ظهر في حدود القرن السابع للهجرة، وسع من مساحة هذا المذهب، وجاء بآراء جديدة في عصره، عدها بعض معاصريه من الفقهاء، كفراً ومروقاً، مثل آرائه في زيارة القبر النبوي، وفي الوسيلة والاستغاثة، وفي مسألة الطلاق بالثلاث وغير تلك من المسائل.

وقد حوكم ابن تيميه في عصره. ورغم تفوقه على خصومه في الجدل والحجاج، الا انه سجن لسنوات طويلة من عهده. وفي السجن كتب عشرات بل مئات الرسائل والكتب، من اشهرها كتاب الفتاوى، وقد جاء محمد عبدالوهاب في الحجاز محتضناً مذهب احمد بن تيميه. ولكن لم يكن لابن عبدالوهاب احاطة وعلم ابن تيميه بالحديث والفقه والاصول، ولا طول باعه ورسوخ كعبه في استنباط الادلة وتخريج الاحكام. وانما وقف عند مسألة رفع القبور والاستغاثة والتوسل وما الى ذلك من مسائل علم التوحيد البسيطة. ومن هذا العرض الموجز لمذهب ابن تيمية وتابعه ابن عبدالوهاب نصل الى علاقة القمندان بالشيخ العبادي الذي احتضنه فترة من الزمن في لحج كمدير لمدرسة اعدادية. ففي هذه الفترة حاول العبادي اعلان آرائه التي استهدفت مهاجمة اصحاب الطرق وزيارة الاولياء ومحاربة الدجل والشعوذة، ولكن الامير احمد فضل، حاول أقصاء الشيخ عن المهمة التي ندب نفسه لها. لذلك انتقل العبادي الى الشيخ عثمان وتعرض فيها مرة للضرب بالعصا، واخرى للرمي بالرصاص من نافذة المسجد. ولما كانت البندقية صدئة لم تطلق الرمية. وحاول الجاني طعن الشيخ المسن بالخنجر ولكنه القى القبض عليه واقتيد الى الشرطة حيث سجن بعد ذلك.

وقد كان القمندان بعد ذلك قارئاً جيداً يهضم الكثير مما ضمنته مكتبته الفاخرة من كتب التراث، ومن بينها كتب التراث اليمني، تاريخاً وادباً وفقهاً، كما لاحظنا ذلك في استشهاده باقوال الشوكاني في موضوع السماع، وكما رأينا في كتابه القيم «هدية الزمن» الذي ارخ فيه لفترة من الزمن» حكمت فيه الاسرة العبدلية لحج وعدن. وفي الكتاب اشارات تاريخية تدل على اطلاعه الواسع والمامه بتاريخ اليمن قديماً وحديثاً.

ونود ان نشير في هذه الاضافة الى شعره الفصيح فقد اورد في كتابه هدية الزمن قصيدته المشهورة بمناسبة عودة اخيه السلطان عبدالكريم فضل من اوربا التي اولها:

طلعت انوار لحجٍ من عدنْ
فاسقها يا أيها الوادي تبنْ

وقصيدته المغناة التي اولها :

أذا رأيت على شمسان ...

وهو في شعره الفصيح ناظم حسن النظم اكثر منه شاعراً مجنح الخيال..

مساجلة بينه وبين العبادي:

من المساجلات الشعرية التي دارت بينه وبين فضيلة الشيخ العبادي هذه الابيات التي اهدى بها كتاب تلبيس إبليس للعلامة ابن الجوزي وهي ابيات تدل على اهتمامه بالقضايا الدينية :

خذها هدية مخلص
في يوم عيد واصله

تكشف لنا تلبيس
ابليس اللعين وباطله.

واقبل تهاني العيد في
خيرات ربي النازلة

في السالمين الغانمين
مدى السنين القابلة

وقد رد فضيلة العبادي عليه بهذه الابيات من نفس الوزن والروي:

يا ايها المولى الذي
نعماؤه متراسلة

والحبر والشهم الذي
حاز المزايا الفاضلة

اهديت للملوك آراء
الرجال الكاملة

تلبيس ابليس الذي
ابدى الخلال الباطلة

فازلت بالسفر الجليل
صدى القلوب الغافلة

فلك الهنا ولك الثنا
نهدي اليك مناهله

هنئت عيداً جاء في
خيراته المتواصلة

وجعلت من عواده
الحائزين اماثله

وعلوت فخراً اذ حويت
من الخضم سواحله

ومن النظم الجيد الذي قاله فضيلة الشيخ العبادي في القمندان واصفاً اريحيته ونبوغه وهي شهادة ليست بالقليلة من عالم حبر له دوره الكبير في ايقاظ الفكر القومي والوعي السياسي منذ ايام رياسته لنادي الاصلاح في الشيخ عثمان في اوائل الثلاثينات من هذا القرن قال :

رياض الجنان بك الانس طاب
فنحِّ لدى الوصل ذاك النقاب

وحيي تحية صب مشوق
يقاسي من الوجد شرّ العذاب

فهذا اوان ابتسام الثغور
لتلك الزهور ورفع الحجاب

ونشر العزام لمن قد اقام
لحفظ السلام بتلك الرحاب

اتاك الفرات بماء الحياة
اذا ما الربيع به الظن خاب

ابو احمد الفضل من فضله
اذا انهل يروي بماء السحاب

والعلم في فنه لجة
فسله يجبك الجواب الصواب

❁ **خاتمة:**

وفي ختام هذه السطور اود ان اشير الى القول الذي اسلفته في ذكر المصادر التي اعتمدها القمندان اثناء تأليفه الموسوم باسم «فصل الخطاب في اباحة العود والرباب» والتي اشرت الى انها كثيرة ولكن من اهمها كتاب «نهاية الارب في فنون الادب» لشهاب الدين النويري، ومن سياق سطور الكتيب يتضح لنا ان المصادر الثانوية التي رجع اليها تتمثل في المراجع التالية :

١- نيل الاوطار للشوكاني

٢- اسباب النزول للسيوطي

٣- العقد الفريد لابن عبدربه.

❁❁❁

بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد فضل بن علي الى صديقه العلامه الشيخ احمد العبادي استاذ المدرسه المحسنيه بلحج المحروسه

شعر

[illegible] هدية مخلص ... [illegible] واصلة

[illegible] لنا ملبيس [illegible] ... ليس للمعايد [illegible]

وادبل تراها في العيد في ... خيرات ربي لنا [illegible]

في السالمين الغانمين ... [illegible]

١٠ الحجه ١٣٤٣

مخلصكم

احمد فضل

الشاعر بكربن مرداس الصنعائي.. تأثره وتأثيره

الاستاذ/ عبدالله البردوني

لم يعد هناك شك في صحة الفكرة التى رأت: أن الماضي يفسر الحاضر، ذلك لأن أحداث الحاضر عند انبثاقها – تبدو كالمصادفات، ولايمكن الاهتداء إلى أسبابها الا بقياسها على الاحداث الماضوية، وبعد أن يمر على احداث اليوم شوط زمني تتكشف اسبابها، فتتحول إلى تفسير للأحداث التى سوف تستجد، سواء كانت تلك الاحداث تغييرات ثقافية أو أعمالاً سياسية تعهدتها الثقافات، وقد برهنت التجارب أن الاحداث التغييرية بشقيها، الثقافي والسياسي تخترق المسافات ولايقف في وجهها عائق، فإذا تساءلنا اليوم عن سبب اتساع المذاهب الفكرية والأدبية المعاصرة فسوف نجد تفسيرها في آداب الماضي لأن الأداب أشواق إنسانية، فكما كانت تنتقل الأقاويل الشعرية والتآثر بها من المشرق الى الأندلس والعكس، انتقلت المذاهب المعاصرة من قطر الى أقطار. نشأ المذهب الوجودي في الدنمارك وموسكو وترعرع في باريس ثم امتد منها الى ايطاليا وبريطانيا وشكل موجة في الوطن العربى وبالاخص في ادب الخمسينات وأول الستينات، كذلك مذهب الحداثة الشعرية طبق في أوروبا في اخر القرن التاسع عشر ثم امتد الى بواكير الشعر المعاصر في الاقطار العربية من فجر أربعينات هذا القرن.

فهل هذا يملك تفسيراً اليوم؟

إ ن الماضي هو الذي يفسره، فقد كانت البديعيات الشعرية تنتقل من «عكاظ» في العصر الجاهلي الى اليمن والشام والعراق ومصر، وكانت تلك البديعيات تخترق المسافات قبل الصحافة والاذاعة التي تؤدي ما أداه الركبان في القديم، ذلك لأن بدائع الفن تجتاز المسافات بأدنى الوسائل.

فكيف كان الرواة يطيرون أفواج القصائد من قطر الى قطر بسرعة نجهل أسبابها؟

إن السر في الابداع الشعري والفكري، أنه يمتلك أجنحة غير منظورة، فإذا امتدت مذاهب أوروبا إلى العالم الثالث، فإن تفسير ذلك عند انتشار آداب الماضي حين كان الرواة هم الوسيلة الوحيدة، من هنا تبدو دعوى الشعب المعزول غير صحيحة أمام الإمتداد الثقافي، فقد وصلت فلسفة اليونان إلى الحواضر الإسلامية كما وصلت إلى حواضر الغرب، كذلك الشعر العربي كان يصل من قطر إلى قطر في أقصر مدة.

ألم يكن المتنبي معاصراً لأبن عبد ربه؟

وعندما وفد سائح من الأندلس الى مصر والمتنبي هناك كان ينشد ذلك السائح أشعاراً أندلسية، فاستنشد المتنبي ذلك السائح من أشعار ابن عبد ربه قائلاً: ألاتنشدنا لابن عبد ربه ذلك الشاعر المليح؟.. فقد كانت أشعار أي شاعر مبدع تتجاوز قطر شاعرها بمجرد

ظهورها في موطن الشاعر، ولعل (بكر بن مرداس) الشاعر اليمني من الأدلة على استقبال البديعيات من أماكنها البعيدة واستحداث أمثالها أو أفضل منها.

نشأ ابن مرداس في صنعاء في القرن الثامن الميلادي، وكانت اليمن يوم ذاك خاضعة لعامل «الرشيد» الذي كان يقاومه اليمنيون لعنفه، حتى أن الرشيد ابتعث والياً جديداً إلى اليمن وأوصاه قائلاً:

«اسمعني أصوات أهل اليمن فقد ضقت بهم ذرعاً» ولما عجز ذلك الوالي عن مهمة الإخضاع عين الرشيد وبعده المأمون ابراهيم بن موسى الذي لقبه اليمنيون بالجزار. فقد كانت في اليمن يوم ذاك من الانتفاضات الشعبية كانتفاضات (الراوندية) و(الزط) و(العلويين) في العراق، لان تحدي الشعوب للقهر من النزعات المشتركة بين البقاع النائية، وكالاحداث السياسية الاحداث الثقافية، فقد كان مثقفو اليمن يروون الشعر الجاهلي والأموي ويتبنون نفس المذاهب الفكرية والفقهية التي تبازغت في بغداد والكوفة والبصرة، الم يصلهم المذهب الزيدي من الدولة العلوية بطبرستان قبل وصول الهادي؟!

فكالاشتراك في الاحداث الاشتراك في الثقافات وفي ابداع أشكالها، فقد كان في اليمن في القرن الثامن الميلادي شعر يمد عهود المعلقات الجاهلية والنقائض الأموية، إلى جانب شعر كان يولد تجارب جديدة على الأسس القديمة، وكان أبدع التوليديين في اليمن الشاعر بكر بن مرداس الصنعائي.. صحيح أنه جايل شعراء يمنيين كانوا يمدون فخامة النابغة والفرزدق، ولكن هذا الامتداد للقديم كان سائداً إلى جانب التوليد في كل قطر، فكما كان دعبل الخزاعي يمد العمود الكميتي في العراق، كان يحيى البنوي يمد تقاليد مدرسة زهير في اليمن، كما كان مروان بن أبي حفصة يمد الأماديح الجريرية في اليمامة.

فتعايش المذاهب الأدبية وتآزرها من ظواهر ثقافة الماضي ومن ظواهر ثقافة العصر، فلم يغن السياب عن الجواهري ولا أغنى سليمان العيسى عن محمد الماغوط، ولاناب محمد المجذوب عن الفيتوري ولا الفيتورى احتل مقام المجذوب، لأن لكل شاعر تجربته ورؤاه المختلفة، وكذلك شعراء القديم فلم يكن «بكر بن مرداس» بديلاً عن يحيى البنوي كما لم يكن بشار بديلا عن «مروان بن أبي حفصه» ولا مروان كان بديلاً عنه، ذلك لأن إختلاف الأشكال ومعجماتها أقدر على ترجمة ضمائر الأمة بمختلف مستوياتها، وخلجاتها.

وإن كانت الميول إلى امتداد القديم أغلب على اكثر الطبقات وبالأخص في بداية عصور الانتقال الثقافي، على أن الجديد يمتلك ساحاته بالتدرج سواء كان كجديد أدب اليوم أو كتوليد أدب الأمس.. لعل هذا التمهيد يدنينا أكثر من الشاعر بكر بن مرداس فلم تكن له من الشهرة في اليمن كما له من الاشتهار عند مثقفي العراق، روى صاحب الإكليل أن حجاجاً من اليمن شاهدوا عند البيت تجمعاً حول رجل، فسأل احدهم: من ذلك الرجل الذي يتحلقون حوله؟ فقيل له: إنه أبو نواس، فاقترب منه اليمني وبعض صحبه محيين مستنشدين، فقال النواسي: ممن القوم؟ فقال عريفهم: من اليمن، فرد النواسي: وهل يستنشد ني اليمنيون وعندهم بكر بن مرداس، فقال اليمنيون: وهل هو على مكانة عندكم بهذا القدر؟ فقال النواسي: أليس هو القائل:

ياإخوتي ان الطبيب الذي
ترجون ان يبرئني مسقمي

فاندهش اليمنيون من انتشار سمعة شاعرهم وشيوع أشعاره.. الخ وقبل الدخول في أشعار ابن مرداس وتأثرها وأثرها يحسن التوقف عند الاحكام الشعرية النواسية، فقد كان لاراء النواسي صيت بعيد الآماد كأشعاره، فلم يكن رأيه في ابن مرداس هو الوحيد، فقد اندهش الحمصيون عند وصول أبي نواس الى حمص وتساؤله عن بيت عبد السلام إبن رغبان الملقب بديك الجن، وحينما ألح في التساؤل قال أحد الحمصيين: من أنت؟ فقال: انا أبو نواس، فاستغرب القوم أن يسأل مثل النواسي عن مثل ديك الجن، ولما أحس النواسي استغرابهم قال: أليس هو القائل في الخمر:

مشعشعة من كف ظبي كأنما
تناولها من خده فادارها

فاندهش الحمصيون من إعجاب أبي نواس بشعر شاعر منهم لايجدون له تعظيما في نفوسهم بل لا يروون عنه شعرا.

أليست حكاية أبي نواس مع ديك الجن كحكايته عن بكر بن مرداس؟

فما سر إعجاب أبي نواس بالشاعرين؟

لعل دوافعه مدرسية، فقد كان النواسي يدعو إلى اطراح التقاليد القديمة وبالأخص التقاليد الطللية والغزلية بالأنثى كما في قوله:

قل لمن يبكي على رسم درس
واقفاً ما ضر لو كان جلس

أو كما في قوله:

صفة الطلول بلاغة القدم
فاصرف همومك لابنة الكرم

فاعجاب النواسي بابن مرداس وديك الجن نابع من حبه الجديد والإجادة فيه، لأن الجدة بلا إجادة لاتضر قديماً ولاتنفع جديداً، ولقد كان ابن مرداس وديك الجن من اثقب المولدين نظر أ، واكثرهم اضافة الى جماليات القديم، ولعل قصيدة ابن مرداس التي انشدها ابو نواس أبدع النماذج، لمعرفة فن شعر التوليد كما تبرهن القصيدة حرفيا.

يا إخوتى ان الطبيب الذي
ترجون ان يبرئني مسقمي

وما ألا نصحاً ولكنه
عن علم مابي من سقام عمي

فسائلوه عن عقاقيره
وسائلوه ما الذي أحتمي

فإنما الطب لمن داؤه
من مرة أو بلغم أو دم

والحب لايشفى بآيارج
ولابترياق ولا محجم

إلابشم الحب أو ضمه
ومص ريقين فما من فم

فياشفاء النفس من دائها
داوى سقامي وارحمي ترحمي

وأعتقي عبدك مما به
وأكرمي وجهك أن تظلمي

فهذه القصيدة من الإضافات الجمالية الى شعر الحب والاستطباب، كما أنها أحدثت تاثيراً في شعراء جاءوا بعد ابن مرداس من أمثال ابن الرومي كما سيأتي بعد تلمس ينابيع قصيدة ابن مرداس.

لم يكن ابن مرداس أول من ابتدع هذه الشكوى، ولكنه استولد رؤية جديدة ومصطلحات حديثة بالنسبة الى عصره كما تدل النصوص التي سبقت قصيدته، ولعل أشهر نص في هذا الباب قول عروة بن حزام في عراف اليمامة ونجد:

قبلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد إن هما شفياني

فقالا نعم نشفي من الداء كله
وقاما مع العواد يبتدراني

فما تركا من رقية يعلمانها
ولاخرز الابها سقياني

فقالا : شفاك الله اذهب فمالنا
بما حملت منك الضلوع يدان

كأن قطاة علقت بجناحها
على كبدي من شدة الخفقان

فهذا المقطع من قصيدة عروة في عفراء هو الذي شكل نواة قصيدة بكر بن مرداس إلا أن عروة شكا إلى عرافين فأجاباه بعلاج دائه ثم أخفقا في مهمتهما لعضالة الداء على طبهما، فكيف جود بكر بن مرداس؟

حول الشكوى الى اخوته الذين يستدعون له الطبيب وأيأسهم من قدرة الطبيب لأنه لايعاني مرضاً جسديا بل غرامي لاتقدر عليه الا الحبيبة أو الحب اي الحبيب، وقد عبر بكر بشم الحبيبة وضمها عن الحاجة الأخرى رمز لها بمص الريقين .. فهذه القصيدة تكشف كيفية التوليد من القديم وكيفية الاضافة اليه وبعض الاستقلال الرؤيوي عنه، حول بكر وجهة الحوار الى الأخوة وأضاف تعابير لم يعهدها عروة ابن حزام في العصر الأموي من امثال العقاقير والاحتماء من بعض المأكولات والترياق والبلسم على ان عروة أبن حزام قد اشار إلى علاجات طب عصره كالرقيات والخرزات التي كانت تسمى بخرز السلوان، ثم إن لعروة بن حزام أمثالا من عصره أشاروا إلى الاستطباب بهامن الحب والى وجود الطب الشعري كقول مجنون ليلى:

وشاة بلا قلب يداوونني بها
وكيف يداوي القلب من لاله قلب

أو قوله:

يقولون ليلى بالعراق مريضة
فيا ليتني كنت الطبيب المداويا

ففي البيت الأول اشارة الى طب البادية وفي الثاني الى طب المدينة وكل هذه النصوص للمجنون وعروة سبقت ابن مرداس بحقبة فولد منها وأضاف اليها، الى جانب هذا فإن قصيدة ابن مرداس تبدو مسردا ثقافيا للمصطلحات الطبية من أمثال العقاقير، الترياق، البلسم، الآيارج، وهذه من أسماء الأدوية الشائعة أو من أمثال أسماء الامراض عند الأطباء يوم ذاك من امثال المرة البلغم، الدم، فقد شاعت في عهد ابن مرداس المصطلحات الدائية والدوائية، وتقولبت في صور شعرية من امثال قول النواسي:

سألت ابا عيسى — وجبريلاً له عـــقل
فقلت الخمر تعجبنى — فقال وقوله الفصل
رأيت طبائع الانسان — أربعة هي الأصل
فاربعـــة لاربـــعة — لكل طبيعة رطـل

والطبائع الاربع هي البلغم والسوداء والدم والصفراء .. وكانت هذه المصطلحات الجديدة حينذاك طبية فلسفية أيام اتحاد الفلسفة بالطب وعلم النفس أو قبل تفرع الفلسفة الى علوم وأفكار، اذاً فقد كان ابن مرداس من طليعة مثقفي عصره كما تبين قصيدته التي سردت المصطلحات وجمعت بين المصطلح العلمي والعنصر الشعري والحنين الوجداني، وهذه هي التي ميزت قصيدة ابن مرداس لتمثله ثقافة عصره ونسجها بلغة الشعر وروائه ، اذا فشعر التوليد كان يبني على أساسيات وراثية ويجدد في اختلاف المنحى وفي جوانب الرؤية وفي سهولة المعجم وفي حداثة الصورة، فكما كان ابن مرداس متأثرا بقصيدة عروة وأبيات المجنون فإنه بتجديد لمحاته احدث أثراً فيمن بعده ولاسيما ابن الرومي الذي أسس على بيت واحد من قصيدة ابن مرداس، جاء في قصيدة بكر بن مرداس السالفة:

والحب لايشفى بايارج
ولابترياق ولامحجـــم
الا بشم الحب أو ضمه
ومص ريقين فماً من فم

لعل هذه اللمحة في البيتين أثرت في ابن الرومي فنسج تجربته الخاصة على أصل تاثيري كما تنم مقطوعة ابن الرومي:

أعانقه والنفس بعد مشوقة
إليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي
فيشتد ما القى من الهيمان
وليس بمقدار الذي بي من الجوى
ليشفيه ماتلثم الشفتـان
كأن فؤادى ليس يشفي غليله
سوى أن يرى الروحين تمتزجان

تبدو مقطوعة ابن الرومي مختلفة التجربة متناهية العضوية تدرجت من العناق واشباهه الى الامتزاج، فهل أسس هذه التجربة على الشم والضم ومص الريق عند ابن مرداس اليمني؟

لاشك ان استقلال ابن الرومي عن ابن مرداس أوضح من استقلال ابن مرداس عن عروة بن حزام ولايمكن القطع بتأثر ابن الرومي بقصيدة ابن مرداس في هذه التجربة، ولكن هناك قرائن تلمح الى تأثر ابن الرومي بابن مرداس في نصوص أخرى، ألم يستكثر ابن الرومي من هجو اللحى الطويلة حتى لاح كمبتدع لتشنيع اللحى وبشاعة صورها.

اذا لاحظنا سابقاً لابن الرومي في هذا الباب فسوف نجد بكر بن مرداس صاحب رؤية شعرية الى اللحى وطولها وغم الضجيج بها غير أن ابن مرداس لايهجو لحية أحد كابن الرومي وانما استهدف لحيته ولحى قومه عن غرض تذمري ضد الوالي العباسي كما تفصح حرفية الابيات:

فقدنا لحانا ما أقل غناءها
وأضيع فيها الدهن يا ابن مطيع
دهنا ونفشناهما لأميرنا
كخافيتي نسر هـوى لوقـوع

فما ساقتا خيرا سوى الطول منهما
وانهمــاغــم لكـل ضجيــع

فياليتنا كنا (سناطين) منهما
نؤمل كالاعراب كل ربيــع

فنسلب مالاً لانروع بعــده
مخافة عري او مخافة جوع

فهذا الهجو للحى او اللحيتين مصوب على لحية الشاعر وصاحبه ابن مطيع، الا ان صيغة جمع اللحى، في البيت الأول، تنطوي على اشارة الى ذقون قومه الذين لم يثوروا على الأمير الى حد أن الشاعر تمنى ان قومه (سنا طين) من لحاهم اي «كوسج» فابن مرداس يرى في اللحية علامة الرجولة الخائبة، فهجائية ابن مرداس تشبه هجو الحطيئة وجهه، كما في قوله:

أبت شفتاي اليوم الاتكلمـا
بفحش فلا أدري لمن انا قائله

ارى لي وجهاً شوه الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حاملــه

غير أن «الحطيئة» يتفكه بنفسه على حين يثور ابن مرداس على بؤس لحى قومه لأنها لاتنفع الا بالطول وغم الضجيع ولعل ابن الرومي تأثر جزئياً بأبن مرداس فأجاد تصوير اللحى في اشنع صورها وأبدع فيها قصائد ومقطوعات كقوله من قصيدة:

ان تطل لحية عليك وتعــرض
فالمخالي معروفة للحمير

ركب الله في عذاريك مخلاة
ولكنها بغيــر شعيــر

فارع فيها الموسى فحسبك منها
نصف شبر علامة التذكير

فرؤية ابن الرومي تعييبية تشخيصية على حين أبيات ابن مرداس ذاتية تذمرية من الرجولة، ولا يجمع بين نص ابـن مـرداس ونص ابـن الرومـي الا الموضـوع ، امـا التصوير الفني فإنه بين الاختلاف، لأن ابن الرومي يشبه اللحية بالمخلاة الفارغة ويلزومها للحمير إذا كانت مليئة بالشعير، وينصح صاحب اللحية بحلقها.

صحيح أن ابن الرومي اشار الى مضايقة الضجيع بلحية ضجيعه في أبيات شتى من ديوانه، وهذا يدل على أنه قرأ أشعار ابن مرداس واستظرفها، كما استظرف ابو نواس غزلية ابن مرداس الشاكية.

ومن هنا يبدو أن ابن مرداس كان وفير الشعر والابداع اذ لايمكن ان يؤثر في ابي نواس وابن الرومي الاشاعر في مستواهما يتميز بطرافة خاصة، فكما أجاد الشكوى الوجدانية والنقد الذاتي الهاجي تراءت له شذرات تعليمية تشي بالفطنه وبعد النظر من مثل قوله:

فلا تحسبن الصبر يأتي بلا حجا
تبينت صدق الصبر يأتي تعلما

وهذا برهان سعة التجربة والثقافة قال الامام علي في الصبر: الصبر صبران صبر على حق وصبر على باطل. واجمل الصبر ما كان على غير مضض .

ومن هذا المنظور المح ابن مرداس إلى أن الصبر الصادق يتأتى بتوطين النفس على المكاره وعلى تقبل الأوجاع حتى تحين الفرصة لأن الصبر غير العجز، الصبر تأن والعجز صبر اضطراري قلما فرجت عنه فرصة. أما صبر الحكماء فهو تخمر فكري وانتظار التجاوز، فابن مرداس ذو حكمة تعليمية ذات صبغة شعرية كأمثاله من شعراء التوليد الذين كانوا يمزجون الفكرة بالرؤية الشعرية وينسجون الحكمة في القالب الطريف لكي يستجمعوا الإثارة الفنية والتجربة التعليمية دلت أشعار ابن مرداس على أنه كان يمثل عصره وتجديده الأدبي، لأن الثقافة الجديدة لم تقتصر على عواصم السياسة وانما تجاوزتها الى كل تجمع ثقافي ينشد الجديد لكي يضيف اليه ويمد الأصيل لكي يؤسس جديداً على جذورنابضة الخ.

فالثقافات التغييرية كالاحداث الخلاقة تتجاوز محيطها الاجتماعي الى كل تجمع بشري. ولقد كان ابن مرداس في اليمن ابدع نموذج يمثل ثقافة عصر وطرائق الابداع الفني التي تستدعيها ثقافة العصر ونزعة النفوس الوطنية.

دراسة تاريخية للسيف اليمني القديم من المصادر والمراجع

سمير مقبل احمد

مقدمة تاريخية عن السيف في الحضارة القديمة

عرف السيف في كثير من انحاء العالم وكان له انماط خاصة بين كل من شعوب الأرض ، كما أن تطوره تقدم مع تقدم حضارة ورقي كل شعب، ويعرف السيف على أنه سلاح للهجوم يستعمل باليد له نصل طويل قد يكون مستقيماً أو مقوساً مصنوعاً من الحديد أو الصلب «الفولاذ»[1] وهناك تعاريف عديدة له [2]، أما التعريف اللغوي للسيف فمشتق من قولهم «ساف ماله أي هلك فلما كان سبباً للهلاك سمي سيفاً»[3] ومن المحتمل أن تكون السيوف مشتقة في الحقبة المبكرة من التاريخ من المدى التي صنعت من حجر الظران في العصر الحجري الحديث Neolithic ، والتي تعد النموذج الأول للأسلحة اليدوية المبكرة المصنوعة من النحاس[4] وقد أجمع الكثير من مؤرخي السلاح بان شكل السيف باجزائه المعروفة قد استقر من القرن السادس ق.م[5] .

وكان السيف الأول الذي ظهر في معظم الحضارات من ذلك النوع الذي ينسب الى الحيثيين والآشوريين[6] وقد سمي الآشوريين السيف نمصارو Namsaro بالسومرية[7]، كما كان السيف المستقيم النوع السائد في الاستعمال لدى شعوب الشرق القديم في أول الأمر، ثم بدأ يطرأ تقوس خفيف على نصال السيوف ، وربما كان أول ظهور ذلك في النصف الثاني للألف الثاني ق.م، اذا استثنينا من ذلك السيف المنجل الذي ظهر قبل هذه الفترة، وكانت نصال السيوف الآشورية اما ورقية الشكل أو مثلثة ، كما أن نهايتها ذات شكل مدبب وأحياناً تكون النهاية مستديرة[8] .

وقد ورثت إيران معظم تقاليد آشر وبابل وخلاصة السيف المستقيم الذي عرف باسم «اكيناكس» Akinakes كما عرف الساسانيون من قبلهم السيف المستقيم والذي يشتمل على نصل قصير ذي حافتين ، ويظهر ذلك من النقوش الصخرية والحجرية لملوك أسرة آل ساسان[9] وقد صنعت مصر القديمة مختلف الأسلحة وكان السيف من أبرز هذه الأسلحة ، ومن مميزاته أنه ذو نصل مستقيم قصير لايزيد طوله على ثلاثة أقدام له حدان وطرفه مدبب، يستعمل كالخنجر ومقبضه بسيط مقعر وكان يرصع أحياناً بالأحجار النفيسة، اما نصل السيف فكان منتفخ الوسط عليه شطبه بطوله كما قلت أهمية السيف الوطني المصري بعد دخول الفرس مصر سنة ٥٢٧ ق.م وتأثر الجيش المصري بعد ذلك بالأسلحة الأجنبية كالسلاح الاغريقي والروماني والسيف الذي عرف في شبه الجزيرة العربية ، وقد استخدم السيف المقوس في مصر في منتصف الألف الثاني ق.م ومابعده[10] .

وعرف الهنود الحديد منذ العصور القديمة، وتأتي الهند في مقدمة بلدان العالم باستغلاله صناعياً، والواقع ان كثيراً من مؤرخي المعادن يتفقون على أنها كانت أقدم موطن للحديد، وقد مهر الهنود في

صناعة الحديد الصلب «١١» كما برعوا في صناعة النصال، والاتجار بها الى مناطق متعددة من العالم خاصة مع أسواق العالم القديم، إلا أن العصر الذهبي لصناعة الحديد في الهند كان في العصور الوسطى، أى مابين القرن الخامس والسادس الميلادي «١٢» حيث أتقن الصناع مهارتهم في صنع الحديد وتحويله الى مصنوعات عديدة، وقد استمرت الهند مصدراً هاماً لحاجيات الشرق من الحديد، وقد ذكر كثير من المؤرخين أن النصال الدمشقية كانت تصنع من حديد الهند «١٣» وقد تحدث البيروني عن أنواع معينة من حديد الهند كانت تصنع منه السيوف الجيدة والتي ذاعت شهرتها في جميع أنحاء العالم «١٤» كما اشتهرت الهند بنوع من السيوف عرفت باسم «تولوار» ويسمى عند العرب «Scimit tar» المحدب «١٥» وقد ذكر الكندي نوعاً من سيوف الهند عرف بالفاقرون شبهه الكندي بجوهر اليماني من ميله الى السواد «١٦».

أسماء أجزاء السيف

لأجزاء السيف مصطلحات معينه أطلقت عليه، وهي في الواقع تعتبر مصطلحات حرفية وصناعية ذاعت شهرتها وعرفت بها خلال عصور ماقبل الاسلام، وظلت حتى العصر الاسلامي، وقد أشار اليها الكثير من المؤرخين والشعراء الذين ذكروا محاسنها في أشعارهم ولم يتركوا جزءاً من أجزاء السيف إلا ووصفوه وصفاً دقيقاً لذلك وجدت من الاهمية أن أعرض لها على النحو التالي :فالسيف عادة يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية هي :

١- المقبض ٢- الكلاب ٣- النصل

كتلة المقبض :

وهي الجزء العلوي من السيف، ويطلق عليها بالانجليزي Hitt وبالفرنسية La mancna «١٧»، ويعرف المقبض بما تقبض عليه الأكُف، وله تسميات أخرى منها النصاب «١٨» ورأس السيف أو قائمه «١٩» ويصنع المقبض من مواد مختلفة قد تكون من الحديد أو العاج أو الأبنوس أو الخشب «٢٠» وغالباً ماتزخرف مقابض السيوف بزخارف متنوعة تختلف هذه الزخرفة من سيف الى أخر وفق الأساليب الصناعية والفنية المختلفة لكل بلد «٢١».

من هذا نجد دواوين الشعراء العرب مليئة بالتفاخر والاعتزاز بالسيوف العربية، حيث تناولوا في أشعارهم كل جزء بالوصف الفني الدقيق. ومما قيل في مقبض السيف قول طرفة بن العبد :

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتني
منيعاً ، إذا بلت بقائمة يدي «٢٢»

وقول أخر :

ومرفق كرئاس السيف إذ شفا
بابيض مهو في متنه ربد «٢٣»

كما يلبس أعلى القائم القبيعة، وهي حديدة عريضة يطلق عليها القلة ويقال سيف مقلل، وتسمى بالانجليزي Pommel والفرنسي Le Pomeau «٢٤»

وقال الشاعر :

ولقد شهدت الحيَّ بعد رقادهم
تفلي جماجمهم بكل مقلل «٢٥»

ويلبس المقبض جلدة محببة تسمى السفن «٢٦» . ولكي يكون المقبض ثابتاً يستخدم الصناع مسامير من القتير المعدني لتثبيت المقبض «٢٧».

ويختلف مقبض الشمشير والياتاكان عن السيف المستقيم ، فمقبض الشمشير يشبه المسدس وشكله بسيط وله واقية كالسيف المستقيم، أما مقبض الياتاكان فهو شبيه بالأذنين وبدون واقية، وأما القليج فيشبه مقبض الشمشير ويختلف عنه قليلاً في شكل القبيعة التي على شكل اللوزة أو كمقبض السوط «٢٨».

الواقيـــة :

وفي منطقة انتهاء مقبض السيف وبداية النصل، توجد كتلة حديدية مستعرضة ذات شكل صليبي يطلق عليها عادة الكُلاب، أو الواقية ، وقد تطورت الواقية في السيف الأوروبي على عكس زميلتها في السيف الإسلامي كما كان طرفا الواقية في السيوف القديمة أو الاندلسية يتجهان الى أسفل ، وتسمى الواقية بالانجليزي Quillon أو Cross - Guard وبالفرنسي La Guarde - ، وهي تقي يد المحارب من السيوف «٢٩».

النصـــل :

يعتبر النصل الجزء الرئيسي والهام في القتال ،

ونصل السيف حديدته ، ويطلق عليها ذلك بدون المقبض، فاذا كان لها مقبض فيعني بها السيف كاملاً«٣٠».

ويسمى النصل بالانجليزي Blade والفرنسي La Lame، وقد يكون مستقيماً أو مقوساً ويطلق على نصل السيف مصطلح العجوز، قال الشاعر:

وعجوز رأيت في فم الكلب

جعل الكلب للأمير جمالاً

كما يوجد في النصل السيلان، وهو سنخ قائمة السيف ويدخل في القائم وفي النصل، ويسمى بالانجليزي Tang والفرنسي La Soie «٣١».

وبالنصل ايضاً المضرب وهو الموضع الذي يضرب به، يقال مضرب ومضرب، قال سيبوية: قالوا مضرب السيف فجعلوا اسماً له كالحديدة«٣٢».

والمضرب هو نحو شبر من طرف السيف وهو الجزء المتقوس من طرفه، قال عنتره:

وتطربني سُيوفُ الهِنْد حتى

أهيمَ الى مضاربها اشتياقاً«٣٣».

كما توجد بالوجه المقابل للمتن شفرتاه، وهما حداه، ويطلق عليها بالانجليزي Edge وبالفرنسي La Fil«٣٤»، وقد وصفت شفرتا السيف في كثير من الأبيات الشعرية وذلك لأهميتها، قال الحطيئة :

مثابرة رهوا وزعت رعيلها.

بأبيض ماضي الشفرتين صقيل«٣٥».

كما يطلق على حد السيف زره وغراره وذبابته، وتسمى بالانجليزي Point وبالفرنسي La Pointe«٣٦».

كما كان السيف يحلي ويوشى ويسمى الفرند وعرف الفرند بأنه مايرى في السيف شبه الغبار أو مدب النمل، وقد أطلق المسلمون على جوهر السيف أسماء مختلفة فبعضهم يسمونه الأثر والبعض الآخر الفرند أو السفسقه«٣٧».

كما يوجد على نصل السيف الشطب والقنوات أو الطرائق«٣٨»، قال امرؤ القيس:

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا

الى كل حاري جديد مشطب«٣٩».

ويقول البيروني :

«والمشطب من السيوف الذي فيه طرائق كالجداول معمولة فربما كانت مرتفعة وربما كانت منحدرة، وهذا الانحدار ، الذي ذكر لايكون إلا اذا كان الجدول واحداً، وأما إذا كانت الجداول أكثر من واحد فالمرتفع هو بين كل جدولين بضرورة«٤٠». كما ذكرها الكندي عند إشارته للسيوف اليمانية قائلاً : لها أربع شطب منها المحفورة، وهو الذي شطبه شبية بالانهار مدورة الحفر«٤١».

أما فائدة هذا الشطب والقنوات في نصل السيف هو تخفيف ليونته الشديدة كما أن وزن السيف يقل ويصبح ذا قوة فاعلة في القتال ، وعندما تضيق القناة يزداد النصل قوة ولدانة«٤٢».

الغلاف :

كما أنه عادة مايكون للسيف غلاف يطلق عليه جفن السيف أو قرابه«٤٣»، وغالباً مايصنع من الخشب بطول السيف ويلبس أما بالجلد الناعم أو الحرير أو المخمل، كما تفنن الصناع في صناعته ، وقد بلغ ذروة الجمال والدقة في القرن الخامس عشر الميلادي«٤٤»، وقد ابدع الصناع في تحلية الأغماد بالصفائح من الحديد والفضة والذهب ونقشوا عليها الكتابات والزخارف النباتية والهنسية«٤٥»، وغالباً ما كان يحلى بالرصائع وهي حلق مستديرة تتصل بالحمائل والحمائل هي علاقة السيف التي تحمل على العاتق ويطلق عليها أيضا نجاد السيف«٤٦».

وتمتاز مجموعة المتحف التي أتناول دراستها بوجود أغلفة لمعظمها، سنتناولها في الفصول القادمة من الدراسة

أهمية السيف اليمني القديم

لقد عمت شهرة السيف اليمني مناطق كثيرة من شبه الجزيرة العربية ومن الواضح أن السيوف اليمنية، تميزت بجودتها وصلابتها فقيل للسيف «يمان» ويماني إذا صنع باليمن كما وصفت في كثير من أبيات الشعر الجاهلي، قال الشاعر:

بأسمر من رماح الخط لدن

وأبيض صارم ذكر يماني

وأيضاً :

كأنهم أسياف بيض يمانيه

عضب مضاربها باق بها الأثر«٤٧»

وكان السيف اليمني القديم ذا حد واحد وغالباً ماكان

ذا حدين وكان بنو أسد من القبائل ا لتي عملت في مجال صناعة الأسلحة حسبما ورد بالمراجع القديمة، وأن أول من عمل الحديد«٤٨» من العرب الهالك بن عمرو بن أسد وموطنه اليمن وأطلق على كل حداد هالكي ، كذلك اشتهر من هؤلاء القوم خباب بن الأرث من نصارى بني تميم الذي سُبي من موطنه وعمل في مكه بصنع السيوف للمسلمين«٤٩».

وقد سمي السيف اليمني بأسماء منها الصارم«٥٠» والصمصام«٥١» والحسام«٥٢» والصيقل«٥٣» والرسوب«٥٤» والذالث«٥٥» والفولاذ«٥٦» كما أطلقت هذه الاسماء على السيف العربي بشكل عام.

من الأسياف اليمنية المشهورة قبل الأسلام وبعده أسياف عمرو بن معدي كرب الزبيدي الصمصامة ، ذوالنون ، والقلزم

تعد اسياف عمرو بن معدي كرب الزبيدي من أهم السيوف اليمنية المشهورة قبل الأسلام وبعده، وكان عمر بن معدي كرب«٥٧» من فرسان اليمن المشهورين بالبأس في الجاهلية والاسلام حتى أن عمر بن الخطاب قال فيه انه يعد بألف فارس«٥٨» ويعتبر سيفه الصمصامة من أشهر السيوف اليمنية التي ذكرت في كتب الأدب والتاريخ والشعر الحماسي فقد ضرب به العرب الأمثال في كرم الجوهر وحسن المظهر، وفيه يقول الشاعر:

سناني ماحق لاعيب فيه

وصمصامي يصم الى العظام«٥٩»

وجاء في «اللسان» الصمصم من السيوف هو الذي يمر في العظام ويقطعها ، أما إذا أصاب المفصل وقطعه فيقال طبق، كما أنه سيف صارم لاينثني«٦٠» ويقال أن هذا السيف وهبه له علقمه بن ذي قيفان ملك من ملوك حمير«٦١» :

وعمرو القائل فيه :

وسيف لابن ذي قيفان عندي

تخيره الفتى من عصر عاد

يقدُّ البيض والأبدان قدا

وفي الهام الململم ذو اجتذاذ«٦٢»

وكان من قوة ولدانة هذا السيف أنه في عهد هارون الرشيد أرسل له ملك الهند مجموعة من الهدايا ضمنها سيوفاً هندية ذات جودة صناعية عالية، فدعا الخليفة بالصمصامة فقطعت به بين يديه سيفاً سيفاً كما يقطع الفجل من غير أن تنثني له شفرة، ثم أراهم حد السيف فلم تتأثر شفرته«٦٣» . وقد ذكرت بعض الكتب بعض أوصافه من انه كان يزن ستة أرطال كما أن له حداً واحداً . وقد حلي بالذهب وكان مكتوباً عليه :

ذكر على ذكر يصول بصارم

ذكر يمان في يمين يمان«٦٤»

أما نصل السيف فكان مصنوعاً من حديد جبل نقم المطل على صنعاء من ناحية الشرق وقد قال الهمداني في الأكليل أنه من بقايا السيوف اليرعشية التي اشتهرت اليمن بصنعها في الفترة التي كان يحكم فيها الملك شمر يرعش «٦٥» . وقد وصف الطبري الصمصامة بأنها صفيحة موصولة من أسلفها مسمرة بثلاثة مسامير تجمع الوصلة «٦٦» ويعتبر الصمصامة ايضاً من أشهر السيوف اليمانية العتيقة، وعرض نصله قدر ثلاث أصابع تامة وأقل، كما أنه لاينثني ذو حد واحد وله شفرة حادة والأخرى جافة«٦٧». وقد قال عمرو في سيفه الصمصامة أشعاراً كثيرة ووصفه في ديوانه، حيث يقول في بعض الأبيات :

فاني لو ادركت ابن خويلد

علوتك والعزى بصمصامة عضب«٦٨»

«السيف المسمى ذو النون»

وكان لعمرو معد يكرب سيف آخر يدعى ذا النون اذ كان في وسطه تمثال سمكة، وكان يعتقد أنها تجلب له النصر في حروبه، وقال في وصفه عمرو:

وذو النون الصفي معي

وتحي الورد مقتعدة

وأيضاً :

وذو النون الصفي صفي عمرو

وكل وارد الغمرات نامي «٦٩»

«السيف المسمى القلزم»

كما كان له سيف ثالث يدعى القلزم«٧٠»، وكل هذه السيوف المذكورة سابقاً كانت تشترك بمميزات عامة منها الطول، وكان يبلغ طول السيف أربعة قدود مخروط الرأس مربع السيلان تربيعاً مخروطياً، كذلك الشطب منها الشبيهة بالأنهار والأخرى ذات زوايا مربعة وعرض

النصل ثلاثة أصابع تامه ويبلغ أقلها أصبعين«٧١».

مميزات وطرق صناعة السيف اليمني

من المميزات العامة للسيف اليمني القديم صناعته من الحديد الفولاذ«٧٢». ويطلق عليه الكندي العتيق وهو المذكر الصلب ويسمى الشابرقاني«٧٣»، ويقول الكندي : وهذا النوع قابل للسقي بطبعه وينقسم بدوره العتيق الى ثلاثة أقسام أولها وأجودها اليماني، ثانيهما القلعي، وثالثهما الهندي، وخواص الحديد العتيق المصنوع منه اليماني ، هي الأكتناز والمتانة واللدانة، مالم يحمل عليه في السقي وشدة الصقالة وصفاء المكاسير وميلها الى البياض وحمرة حمأها وثوبالة وجعودة الفرند«٧٤»، وتعقده واستواء الفرند«٧٥»، وقد ذكر الطرسوسي عدة وصفات في طرق صناعة السيف منها هذه الطريقة وفيها يقول : فأما مايتركب منه السيف فالفولاذ وهو أذكا مايصنع منه وأقواه وأشرف مايعمل في أصنافه وأعلاه . وله تراكيب عدة وأفعاله تختلف باختلاف تراكيبه وخواصه وسأذكر من ذلك ماوقع لي عن الحكماء المتقدمين صفة «عمل الفولاذ الصحيح» يضاف إليه في حين سبكه من العقاقير مايخفف رطوبته ويكسبه يبساً يسيراً تعتدل به طبيعته وتنقي المادة الترابية المفسدة التي خالطته في المعدن لترويقة وتصفيتـــــه من أذياتــــه تصفيــــة يشرق بها نوره ويظهر فعلـــــه المستبطن ويؤخذ من حديد النرماهن«٧٦» وان كان من رؤوس المسامير القدم كان أجود منوال، فيلقى عليها وزن سبعة عشر درهماً أهيلج كابلي«٧٧» وبليج من كل واحد يتساوى ويضع الحديد في قصعة ويغسل بالماء والملح غسلاً نقياً ثم يلوث بذلك الدواء ويصير في بوتقة ويذر عليه درهم ونصف مغنيسيا مكسر وينفخ عليه في المسبك ثم يذوب ويجتمع ببعضه وذلك في أيام عدة ثم يبرد ويعمل منه سيفاً«٧٨».

كما امتاز جوهر السيف اليماني من أنه مستطيل معرج متساوي العقد وليس بعض العقد أكبر من بعض أبيض الجوهر أحمر الأرض أخضر قبل الطرح كما توجد على قدر شبرين من سيلانه «٧٩» «أنك» صفار بيض مثل الدود يتلو بعضه بعضاً ذو لون كبياض الفضة. ولأنك آثار في السيف بيض مثل حلقة الدود. ومن السهل أن يتعرف أي صانع على السيف اليمني لأن السيف اليمني العتيق يصل طوله أربعة قدود ومنها أيضاً العريض الأسفل ذا رأس مخروطي مربع السيلان تربيعاً مخروطياً الى طرف السيلان. كما توجد على نصل السيف اليماني أربع شطب«٨٠»، ذات أنواع متعددة منها المحفورة وهو الذي شطبه شبيهة بالأنهار مدورة الحفر«٨١».

ومنها شطبة ذات زوايا مربعة وتكون هذه الشطب متساوية في وجه السيف وتسمى شهابست ونوع آخر ذو ثلاث شطب واحدةفي الوسط،واثنتان في الشفرتين، وتسمى داست . وكانت هذه التسمية في الجاهلية. وأكثر السيوف اليمنية يبلغ عرض نصلها ثلاثة أصابع تامة كما يبلغ أقل مايكون منها أصبعين ونصف «٨٢» وقد اشتهرت من السيوف اليمنية في الجاهلية سيوف تمتاز بثقبين في سنبك «٨٣»، السنبك ، وثقب السنبك في إحدى وجهتية أوسع من الوجهة الأخرى والوجهتان متساويتان ووسطة أضيق «٨٤» . لذا كانت السيوف اليمنية لها مواصفات تقنية واضحة ومن السهل التعرف عليها.

زخرفة السيوف اليمنية القديمة

اهتم الصناع اليمنيون بزخرفة وصناعة السيوف اليمنية، كما برعوا في إتقانها واجادتها إجادة تامة.. وقد ذكر ذلك «الكندى » و« البيروني » من أن بعض أنواع السيوف اليمنية كانت عليها صور حيوانات وأشجار وغيرها على ضربين أحدهما أن تكون الصورة في أحد المتنين «٨٥» وباقي أعضائها قد نفذت حتى ظهرت في الجانب الآخر . ويقول « البيروني » اذا كانت الصورة المنقوشة إنسية فان النصل يكون ذو قيمة عالية «٨٦» . ومن السيوف اليمنية التي اشتهرت بنقش جميل سيف لعمرو بن معدي كرب يدعى « ذو النون» وكان عليه نقش على هيئة سمكة «٨٧».

أما بالنسبة لمقابض السيوف فكانت هي الأخرى تحلى بالزخارف المتعددة وكانت معظم صناعة هذه المقابض من العاج والأبنوس والخشب النفيس . وكان أغلب الصناع يرصعونها بالأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والعقيق «٨٨» . والواقع أن كثيراً من السيوف كانت تنقش عليها جملاً وعبارات وطلاسم حيث

اعتبروا أن لهذه الطلاسم قوى سحرية في النصل، واعتقدوا أيضاً أن بعض السيوف من عمل الجن، وقد ذكرت الأساطير والملاحم سيوفاً سحرية (٨٩) مثل سيف « سام بن نوح » وكان يعتقد بأنه يحمي حامله من القتل وسيف « آصف بن برخيا » وكلا السيفين كانا محمولين « لسيف بن ذي يزن » الملك اليمني الذى حارب الأحباش وطردهم من اليمن (٩٠).

أما في العصر الاسلامي فكانت معظم السيوف تنقش عليها كتابات قرآنية وأسماء النبي والخلفاء الراشدون أو أدعية للتبرك (٩١) وقد ذكر « الكندى » عن السيوف اليمنية القديمة أن زخرفتها كانت توضع بشكل خاص على العروق الموجودة في السيف اليمني، وقوام هذه الزخرفة تماثيل آدمية وحيوانية وزخرفة كتابية ونباتية عبارة عن أشجار وغيرها.

وكانت هذه الزخرفة تخفي العروق الموجودة على نصل السيف (٩٢). أما شكل الشطب فكانت بأشكال زاوية هندسية مربعة متساوية في وجه السيف وتسمى « شهادست » وهناك بعض الشطوب زخرفتها شبيهة بالأنهار (٩٣). كما أن جوهر السيف كان يتخذ شكلاً هندسياً قوامه مستطيل متساوي العقد وكان لون جوهر السيف اليمني أبيض على أرض حمراء أوخضراء وقد شبه الكندى « الانك » وهو الآثار في السيف على أنه يشبه حلق الدود وأما رئاس السيف فهو ذو شكل هندسي مخروطي. وقد كان سيلان (٩٤) السيف اليمني القديم يتخذ شكلاً هندسياً مربعاً (٩٥).

وقد استخدم في زخرفة السيوف اليمنية طريقة التكفيت وذلك عن طريق تحمية جزء من النصل المراد تكفيته حتى يكتسب اللون الأزرق، ثم تحفر فيه خطوط رفيعة باستخدام مقص حاد أو إزميل دقيق رفيع يستخدم لحفر الرسوم والاشكال المطلوب حفرها. ثم تثبت في تلك التجاويف الدقيقة الأسلاك الذهبية أو الفضية يضغط عليها بخفة الى أن يتم حفر الخطوط الدقيقة (٩٦).

ولقد صادف التكفيت مجالا واسعا في زخرفة السيوف الاسلامية وبالذات النصال كان ذلك في القرن الخامس عشر (٩٧). وهناك أسلوب آخر استخدم في تزيين السلاح بالتزميك وهو الصاق الذهب والفضة بالمعدن لتزيينة أو تلبيسه. ويتحدث الدكتور عبد الرحمن زكي عن زخرفة نصال السيوف فيقول ان الزخارف الكثيرة التي توضع على النصل تذهب بجماله فيكاد جوهر السيف لايرى والسيوف التي طبعها سلاحون مشهورون كانت قليلة الزخارف..

أهم المدن اليمنية في صناعة السيوف

لقد بلغت بلاد اليمن مرتبة طيبة في صناعة آلات القتال، فقد أشتهرت مدن يمنية عديدة بصناعة السيف (٩٨)، إلا أن الانتاج اليمني بالنسبة للسلاح لم يكن قاصراً على المواد الخام المحلية، وأنما أمتد أيضاً ليشمل أستيراد الحديد لاسيما من الهند والصين وصناعته محلياً (٩٩).

ومن المدن اليمنية التي اشتهرت بصناعة السيوف صنعاء، ويقول « الهمداني » هي أم اليمن وقطبها، لأنها في الوسط. وكانت تسمى في الجاهلية أزال (١٠٠) وكان يأتيها الحديد من جبل نقم المطل عليها من الشرق كذلك من غمدان، وكان التجار يبتاعونه عند نزولهم صنعاء، كما اشتهرت صنعاء بالانتاج الصناعي الحرفي، وكان فيها - والى اليوم أسواق مخصصة لبيع السلاح وغيرها من الشفرات إلا أنها اشتهرت بصناعة السيوف ويذكر ذلك « ابن المجاور » فيقول أن السيوف المصنوعة في صنعاء لها مميزات واضحة منها أن السيف متقدم قصير لأنه سيف الرجالة (١٠١)، يقطع اليابس والرطب ومن مميزاته الواضحة أن يكون في وسطه مرازب (١٠٢)، ويقال مرزاب واحد، وأكثر ماتوجد هذه السيوف في جبال اليمن (١٠٣).

وأطلق على السيوف المصنوعة من حديد جبل نقم المطل على صنعاء سيوف يرعشية لأنها صنعت في زمن الملك اليمني شمر يرعش (١٠٤)، كما توصل البدو الى معرفة مواقع مناجم الحديد القديمة في شبة جزيرة سيناء فخرجت القوافل محملة بالمعدن قاصدة صنعاء لصناعة نصال السيوف (١٠٥).

كذلك اشتهرت مدينة صعدة الواقعة شمال صنعاء باستخلاص مادة الحديد اللازمة لصناعة نصال السيوف

وبالذات الحديد الجيد المستخرج من بلد باقم ويطلق على الحديد المستخرج من بلد باقم معدن الهنوان لذا أطلق كصفة على بعض السيوف اليمنية وقيل للسيف المصنوع من حديد باقم سيف هنواني «١٠٦».

كما يوجد منجم آخر للحديد في رغافة وهي قرية على مرحلة من صعدة وقد عمل الحديد في هذه القرية وكان موجود بها حوالي خمسة عشر كيراً يسبك فيه حديد معدنها «١٠٧». ونظراً لتوفر مادة الحديد الجيد وصناعات أخرى في صعدة فقد أصبحت مركزاً تجارياً هاماً يقصدها التجار من كل بلد «١٠٨»، كما اشتهرت بيحان بصناعة السيوف وتقع في الجهة الجنوبية من البيضاء «١١٠» وفي جهة الشرق من حضرموت «١٠٩» حيث وجد فيها معدن حديد جيد عملت منه سيوف جيده لم يكن لها في السيوف قياس ولامثيل «١١١». كما برزت في صناعة الدروع والسيوف سلوق «١١٢» وهي قرية باليمن واليها نسبت الدروع «١١٣» والسيوف السلوقية . قال ثعلب:

تسور بين السرج واللجام

سور السلوقي الى الاجذام «١١٤»

والواقع ان اشهر الصناع اليمنيين كانوا بني أسد وموطنهم قساس وقد وجد فيه معدن حديد جيد وأطلق على كل سيف مصنوع من هذا المعدن سيف قساسي «١١٥» ومن ذلك يقول الشاعر:

إن القساسي الذي يعصى به

يختضم الدارع في أثوابه «١١٦»

كما تأتي في مقدمة السيوف اليمنية المشهورة السيوف المشرفية والتي ذكرت في أشعار الشعراء العرب ووصفوها بجودتها ، وتعتبر أحسن السيوف عند العرب وهي منسوبة الى مشارف قرى من أرض اليمن. وفي اللسان قال مشارف قرى من أرض اليمن وقيل من أرض العرب تدنو من الريف «١١٧» إلا أن الأرجح قرى من أرض اليمن ويؤكد ذلك صاحب العمدة حيث يقول ليس قول من قال انها منسوبة الى مشارف الريف بشيء عند العلماء بل انها منسوبة الى مشرف وهي قرية باليمن كانت تعمل بها السيوف «١١٨». وقد ذكر الشعراء السيف المشرفي في أشعارهم مما يدل أن لهذا السيف مكانة خاصة في أيدي المحاربين وأصحاب الخبرة بجودة السيوف فهذا عنترة الشاعر والفارس العظيم يقول :

سل المشرفي الهندواني في يدي

يخبرك عني أنني أنا عنترة «١١٩»

ويقول في بيت ثاني :

إذا اضطربوا سمعت الصوت فيهم

خفياً غير صوت المشرفي «١٢٠»

أي ان سيوف الأعداء ليس لها صليل كصليل المشرفي وقد كان صوت السيف أثناء المعارك يدل على أنه من معدن جيد.

ومن السيوف اليمنية العتيقة السيوف القلعية فقد اشتهرت قلعة وهي موضع باليمن بوادي ضهر باستخراج الحديد وصنعت منه السيوف المسماة بالقلعية، كما استخراج منها الرصاص وهو نو نوع أبيض، وقد عرف بالانك وقال بعض العلماء الأنك هو القلزدير «القصدير» وورد في الحديث من استمع الى مغنيه صب الله الأنك في أذنيه يوم القيامة «١٢١»

وقال الراجز في السيف القلعي :

محارف بالشاء والاباكر

مبارك بالقلعي الباتر

وقال ابن الرومي :

يكشف الدهر منه في تصرفه

عن منصل قلعي من منصله «١٢٢»

كما يمتاز السيف القلعي أنه مصنوع من الحديد العتيق الفولاذ ويتحدث «الكندي» عن السيف القلعي، فيقول وليس في السيوف القلعية ماعرضه أربع أصابع ولاثلاث تامة الا معمولة ويكون طولها مابين الأربعة الأشبار الى الخمسة أشبار الا ماقصر فعولج وقدودها قدود متساوية أعاليها وأسافلها واحد «١٢٣» والسيف القلعي طنين ولغيره بحح ويمتاز بعرض نصله «١٢٤».

الهوامش والمراجع :

«١» عبد الرحمن زكي / السيف في العالم الاسلامي /ص١

«٢» تعريف السيف بالانجليزيه :

EncyclopaediaAshort handied long - bladed weapon akinto adagger but larger , it is cvried

in scabbard usually wood lined ,noramally srtapped to in the left side of the body .
the Encyclopaedia Britannica vol 21 p . 549 :
Encyclopaedia Americana,vol 26, p. 156.
Encyclopaedia Britannica, p. 549.
coussin ,p, : les armes Romaines p. p: 7 - 9.
Encyclopaedia Britannica vol 2 / p. 549.

«٣» سليمان احمد سليمان . قطع من السلاح الايراني بمتحف الفن الاسلامي . القاهره . ص٦٩.

«٤» يوسف خلف عبدالله . الجيش والسلاح في عهد الآشوري الحديث . رسالة ماجستير . جامعة بغداد . ص٢٢٤، ٢٢٤، ٢٢٧ .

«٥» stocklein, H, Arms and Armour survey of per sian art (popa) vol 111, p. 570.

«٦» عبدالرحمن زكي . المرجع السابق. ص٥٥ - ٥٦.

«٧» Yadin, y (1) the art of warfarein Biblical Lands. 79, 294.
London 1963.

«٨» عبد الرحمن . السيف في العالم الاسلامي . ص٧١.

«٩» عبد الرحمن زكي . صناعة السيوف الاسلامية في الشرق الادني في العصور الوسطى. ص ٧٧ - ٨٢ .

«١٠» Goodale: chronology of iron and steel p. 26 London 1950 .

«١١» البيروني . الجماهر في معرفة الجواهر . ص٢٥٢.

«١٢» مصطفى عبدالله شيحه . دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان واربعة سيوف يمانيه معاصره . ص٦.

«١٣» الكندي. السيوف وأجناسها. ص٨ - ٩.

«١٤» البيروني : الجماهير في معرفة الجواهر. ص٢٤٩.

«١٥» الكندي : السيوف وأجناسها. ص٢٣.

«١٦» البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر ص٢٤٨.

«١٧» د. عبدالرحمن زكي. السيف في العالم الأسلامي. مايو ١٩٥٧م. ص ٢٤٠.

«١٨» النويري. نهاية الأرب في فنون الأدب. وزارة الثقافة والارشاد القومي. مصر . ص٢٠٧ - ٢٠٨.

«١٩» ابن سيده. المخصص. المكتب التجاري للطباعة والنشر. بيروت. جـ٦ ص١٧. أنظر ايضاً The Encyclopaedia Britannica Vol 21,p. 529

«٢٠» عبدالرؤوف عون .الفن الحربي في صدر الاسلام. دار المعارف. ١٩٦١م . ص١٤٩.

«٢١» عبد الحسين عبد الأمير الشمري. السيف العربي. مقال في مجلة التراث الشعبي العراقية ١٩٧٣. ص٢٩.
ص٢٣٨.

«٢٢» ديوان طرفة بن العبد. تحقيق كرم البستاني. بيروت. ١٣٨٠هـ. ١٩٦١م. ص٣٨.

«٢٣» النويري. نهاية الأرب في فنون الأدب. جـ٦ ص٢٠٧.

«٢٤» د. عبدالرحمن زكي. السيف في العالم الاسلامي. ص٢٣٨.
أنظر ايضاً Encyciopaedia Britannica Vol 21.P .549.

«٢٥» ديوان عنترة. حققه المحامي فوزي عطوي. الطبعة الأولى. ١٣٨٨هـ.١٩٦٨م.ص١١٢.

«٢٦» ابن سيده. المخصص. جـ٦ ص١٧.

«٢٧» ديوان معدي كرب الزبيدي. حققه هاشم الطعان. وزارة الأعلام. العراق ص٦٣.

«٢٨» د. عبدالرحمن زكي. السيف في العالم الاسلامي. القاهرة. مايو ١٩٥٧. ص١٧٩.

«٢٩» د. مصطفى عبدالله شيحة. دراسة لمجموعة من السيوف اليمنية. ص٢٠.

«٣٠» د. ابراهيم السامرائي. السلاح في العربية. مجلة التراث الشعبي. وزارة الاعلام . العراق. ١٩٧٧م ص٥٨.

«٣١» ابن سيده. المخصص. ص١٨.
أنظر Encyclopaedia Britannica. Voi,21P. 549.

«٣٢» د. عبدالرحمن زكي. المرجع السابق. ص٢٣٣

«٣٣» ابن سيده. المخصص. جـ٦ ص١٨.

«٣٤» ديوان عنتره. حققه المحامي فوزي عطوى. الطبعة الاولى. ١٩٧٩م. بيروت ص١٦٢.

«٣٥» د. عبدالرحمن زكي. السيف في العالم الاسلامي. ص٢٣٠ - ٢٣١.

«٣٦» دوان الحطيئة . تحقيق ابن سعيد السكري. تريخ الطبعة ١٩٦٧م بيروت دار صادر . ص٩٢.

«٣٧» د. عبدالرحمن زكي. المرجع السابق. ص٢٣٢.

«٣٨» النويري. نهاية الأرب. جـ٦ . ص٢١٢.

«٣٩» بن سيده. المخصص. جـ٦. ص١٨.

«٤٠» ديوان امرء القيس. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . الطبعة الثانية. مصر. ١٩٥٨م. ص٥٣.

«٤١» البيروني، الجماهير في معرفة الجواهر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٥٣.

«٤٢» الكندي، السيوف وأجناسها، مجلة كلية الآداب، المجلد الرابع عشر، ١٩٥٢م، جـ٢، ص١٦.

«٤٣» د. عبدالرحمن زكي، السيف في العالم الاسلامي، ص١٧٧.

أنظر ايضاً The Encyclopaedia Americana, Vol 265.

«٤٤» ابن سيده، المخصص، جـ٦، ص٢٦.

«٤٥» عبدالحسين عبدالامير الشمري، السيف العربي،ص٢٩.

«٤٦» د. عبدالرحمن زكي، السيف في العالم الاسلامي، ص.

«٤٧» النويري، نهاية الأرب، جـ٦، ص٢٠٩.

«٤٨» النويري، نهاية الأرب، جـ،ص٢٠٣.

«٤٩» الحديد : عرف الحديد بهذا الأسم لانه جوهر منيع حاد وتعرف القطعة منه بالحديدةوالجمع حدائد وتوصف السيوف والنصال بأنها حداد لاستواء حدها وشدة قطعها.

أنظر أبن منظور : لسان العرب ٤جـ، ص١١، طبعة مصورة عن طبعة بولاق الدار المصرية.

«٥٠» د. جواد علي/ المفصل جـ٦ – ص٥٥٦.

أنظر ايضاً: ابن رشيق ٢ – ٢٣٢، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة.

«٥١» الصارم : القاطع

أنظر عبدالرحمن زكي، السيف في العالم الأسلامي/ ٢٣٥.

«٥٢» الصمصام : هو السيف الذي لاينثني.

النويري : نهاية الأرب : جـ٦ ص٢٠٣.

«٥٣» الحسام : القاطع الذي يحسم في القطع.

أنظر النويري، المرجع السابق،٢٠٢.

«٥٤» الصيقل : شحاذ السيوف والسيف الصقيل الماضي في القطع.

د. عبدالرحمن زكي،المرجع السابق،ص٢٣٥.

«٥٥» "سبوب : هو السيف الذي يغيب في الضريبة

أنظر .نويري ،المرجع السابق،ص٢٠٣.

«٥٦» الذالث : السيف السلس الخروج من غمده.

«٥٧» الفولاذ : المصنوع من الحديد والفولاذ ‹

أنظر : الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب،جـ٢ ،ص٦٢.

انظر ايضاً : د. عبدالرحمن زكي، المرجع السابق : ص٣٥.

«٥٨» الفيروز أبادي، القاموس المحيط، جـ٤، ص١٦٩، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت

أنظر: القلقشندي › صبح الأعشى في صناعة الانشاء،جـ٢، ص١٣٩.

«٥٩» عمرو بن معدي كرب الزبيدي :

من منجح كان قد قدم الى الرسول «ص» مع العنسي الملقب بالأسود العنسي فسار اليه خالد بن سعيد بن العاص فقاتله خالد فانهزموا واخذ خالد سيفه الصمصامه»، وفي رواية أخرى أن عمرو وهب خالد الصمصامة.

أنظر : أبن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤،ص٢٧٣.

الرأي الثاني، ابن منظور، اللسان، ج١٢، ص٣٤٨.

«٦٠» الأصفهاني، الأغاني، جـ١٥، ص٢١٥.

«٦١» عبدالرحمن زكي، السيف في العالم الاسلامي، ص٢٨.

«٦٢» ابن منظور، اللسان، جـ١٢، ص٣٤٧، المخصص جـ٦، ص١٩، نهاية الأرب، جـ٦، ص٢٠٣.

«٦٣» الهمداني، الاكليل، جـ٨، ص٢٥٧، ايضاً نشوان، المنتخبات، ص٦٣.

«٦٤» الهمداني ،الاكليل، جـ٨،ص٢٥٧.

انظر أيظاً : نشوان، المنتخبات، ص٦٣.

«٦٥» ابن عبدربه، العقد الفريد، جـ٢، ص٢٠٢.

«٦٦» ابن عسكر، ديوان المعافي، جـ٢، ٥٣.

أنظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٢٠.

«٦٧» الهمداني، نفس المرجع السابق، جـ٨، ص ٢٥٧.

«٦٨» سعاد ماهر، السيف المنسوب الى الرسول، ص٩.

«٦٩» نبيل عبدالعزيز، خزانة السلاح، ص٢٨.

انظر ايضاً: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٢، ص١٣٩.

«٧٠» ديوان عمرو بن معد يكرب، ص٣٦، حققه هاشم الطعان، وزارة الاعلام بغداد بصمصامة عضب: يقصد السيف القاطع الذي لاينثني.

كما يصف قتير السيف، وهي المسامير التي تثبت المقبض فيقول :

تمنياتي وسابغتي دلاص

كأن قتيرها حرق الجراد

أنظر ديوان معد يكرب، ص٦٢.

وفي أحد الأبيات أيضاً يذكر ان نصل السيف من العقيق اليماني فيقول :

لما عثر بأبيه شد أمامه

بمهند صافي العقيقة مبتر

أنظر ديوان معد يكرب، ص١٠٦.

«٧١» البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر ص٢٥٥.

«٧٢» الفيروزبادى، القاموس المحيط، ج٤ ص١٦٩، المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت.

«٧٣» عفيف بهنسي، السيف الدمشقي، ص٧٢.

«٧٤» النرماهن : هو المعدن المسمى المؤنث لرخو الذي ليس يقابل للسقي بطبعه

أنظر : رسالة الكندي، السيوف واجناسها، ص٥.

«٧٥» هيليج كابلي : عقير من الادوية منه عدة انواع - النسخ منه يسمى هليج أسواد ونوع أصفر وآخرهندى.

انظر : عبد الرحمن زكي، السيف في العالم الاسلامي، ص ١٦٥، الهامش (١).

«٧٦» عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق، ص ١٦٥.

«٧٧» السيلان : مايدخل من السيف في القائم أو في النصاب.

انظر : عبد الرحمن زكي، الرجع السابق ، ص ٢٣٣.

«٧٨» الشطب : هي طرائق السيف أو قنواته وهي التي تحفر على وجه النصل لتقلل من ثقله وتجعله أكثر لدانة وليونة وقابلية للانثناء مع ازدياد قوته وتتميز الشطب في السيف اليمني أنها شبيهة بالأنهار ومدورة الحفر ومنها ذات زوايا مربعة.

أنظر : الكندى، السيوف وأجناسها ، ص ١٦.

انظر أيضاً : عبد الرحمن زكي، المرجع السابق ، ص ١٧٧.

«٧٩» الكندى : المرجع السابق ، ص - ١٦.

«٨٠» الكندى ، السيوف وأجناسها، ص ١٦.

انظر أيضاً : عفيف بهنسي، صناعة السيوف الدمشقية ، ص ٧٢.

«٨١» السنبك : طرف نعل السيف .

أنظر : الكندى ، المرجع السابق ، حاشية رقم (٣) ، ص ١٦.

«٨٢» جورجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ا، ص ١٨٥، الطبعة الاولى.

«٨٣» بطرس البستاني : كتاب دائرة المعارف ، جا ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣، دار المعرفة، بيروت.

«٨٤» عبد الحسين الشمرى : مقال عن السيف العربي ، ص ٣٢، مجلة التراث الشعبي عدد ٨، ١٩٧٣م.

«٨٥» عبد الرحمن زكي : السيف في العالم الاسلامي : ص ١٨٣.

«٨٦» الكندى : السيوف وأجناسها ، ص ١٨

«٨٧» عفيف بهنسي : صناعة السيوف الدمشقية بالجمهورية العربية السورية ، ص ٧٢

«٨٨» رناس السيف : مايدخل من السيف في القائم أو في النصاب ويعبر عنه بالانجليزية Tang والفرنسية La soie

أنظر عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٢٣٣.

«٨٩» الكندي : المرجع السابق ص ١٥.

«٩٠» عبد الحسين الشمرى : السيف العربي، ص ٣١

ايضاً : wchwarzlose,w,f
Die waffen der Alten Arabar aus hren Dichtera, b.b 138 - 142

التكفيت : كلمة من أصل تركي والتركي من الفارسية والعرب لم تعرفها وتسمى بالانجليزية Inlaying وبالفرنسية incruslation

انظر : عبد الرحمن زكي : السيف في العالم الاسلامي : الهامش ، ص ١٨٤.

«٩١» عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ص ، ١٨٥.

«٩٢» متن السيف : جملة النصل، وفي قول آخر ظهر النصل، وكان الصناع يضمون الزخرفة أعلى متن السيف.

أنظر : عبد الرحمن زكي : السيف في العالم الاسلامي ، ص ٢٣٩.

«٩٣» البيروني : الجماهير في معرفة الجواهر ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

«٩٤» حسين عبد الأمير الشمرى : السيف العربي ، ص ٣٠.

«٩٥» عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ١٨١.

يعتبر العيقيق اليمني من أجود أنواع العقيق فقد كان اليمنيون يصنعون منه مقابض السيوف وقد جاء في كتاب « كشف الاسرار الباطنية وأخبار القرامطة للحمادى اليمني ص ٤٣ فلما استقر (الصليحي) بالجبل (جبل مسار) كتب سنة (٤٥٣) الى صاحب مصر وهو المستنصر من بني عبيد ووجه اليه بهدايا سبعين سيفا مقابضها عقيق واثني عشر سكينا نصبها عقيق اى ان العقيق اليمني كان يستخدم في اغلب مقابض السيوف اليمنية . انظر الاكفاني :نخب النخائر في احوال الجواهر، عالم الكتاب، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤م ، بيروت.

«٩٦» جواد علي، المفصل في تاريخ العرب القديم ، ج٧، ص ٥١٦

أنظر أيضاً : ابن منظور السان العرب المحيط ، ج٢ ، مادة سلف اعداد يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت.

«٩٧» عبد الرحمن زكي، السيف في العالم الاسلامي ، ص ٩٧.

«٩٨» الحجري، معجم بلدان اليمن وقبائله، ج٢ ، ص ٤٨٥

«٩٩» نزار عبد اللطيف الحديثي : أهل اليمن في صدر الاسلام، ص ٤٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

«١٠٠» سيف الرجاله: يعنى به السيف الذى يستخدمه الجند.

«١٠١» مرازب : وهي عبارة عم شطوف.

«١٠٢» ابن المجاور : تاريخ المستبصر، ص ٢٨، تحقيق أو سكر

لوففرين ، مطبعة ١٩٥١م.

«١٠٣» الهمداني : الاكليل ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، ج٨ ، ص ٢٥٧

«١٠٤» Boheim Die waffenkunde, p . 610

«١٠٥» البيروني : الجماهير في معرفة الجواهر ، ص ٢٧٠.

«١٠٦» البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى : تحقيق القاضي اسماعيل الاكوع ، ص ١٢١، الكويت ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م.

«١٠٧» ياقوت الحموى: معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٤٠٦.

«١٠٨» البيضاء : قرية في مخلاف صباح من بلاد رداع وهي مدينة حميرية خاربة في ناحية الجوف.

انظر : الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق القاضي اسماعيل الاكواع ، ج١ ، ص ١٣٣.

«١٠٩» حضرموت : بالفتح ثم السكون، وفتح الراء والميم ، اسمان مركبان طولها احدى وسبعون درجة وعرضها اثنتا عشره درجة وهي ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال تعرف بالاحقاف وقال ابن الفقية : حضرموت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخا.

أنظر : البلدان اليمنية عند ياقوت الحموى، تحقيق القاضي اسماعيل الاكوع ص ٩٠.

«١١٠» الالوسي : بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، ج٢ ، ص ٢٠٤.

«١١١» سلوق : أرض باليمن وفي التهذيب قرية اليمن.

انظر : ابن منظور : لسان العرب المحيط، المجلد الثاني، ص ١٨٨، اعداد يوسف خياط.

«١١٢» الدروع : لبوس الحديد تذكر وتؤنث والجمع في القليل أدروع وأدراع وفي الكثير دروع هي درع الحديد.

ابن منظور : للسان : ج٨ ، ص ٨١.

«١١٣» ابن منظور : لسان العرب المحيط، مادة سلق، ص١٨٨.

«١١٤» ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٥.

«١١٥» عبدالرحمن زكي : السيف في العالم الاسلامي،ص٣٥.

أنظر أيضاً : النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٦، ص٢،٣.

الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، جـ٢، ص١٢ - ٦٤.

«١١٦» ابن منظور : اللسان، جـ٨، ص٢٩٣.

«١١٧» ابن رشيق : العمدة ، ج٢ص٢٣٢، دار الجبل، الطبعة الرابعة.

«١١٨» ديوان عنترة : تحقيق أمين السعيد،ص٦٨.

«١١٩» نفس المرجع،ص١٦٤.

«١٢٠» جواد علي : المفصل في تاريخ العرب القديم، جـ٧،ص٥١٦.

«١٢١» عبدالرحمن زكي، السيف في العالم الاسلامي، ص٨٩.

أنظر ايضاً: الكندي، السيوف وأجناسها ، ص٥.

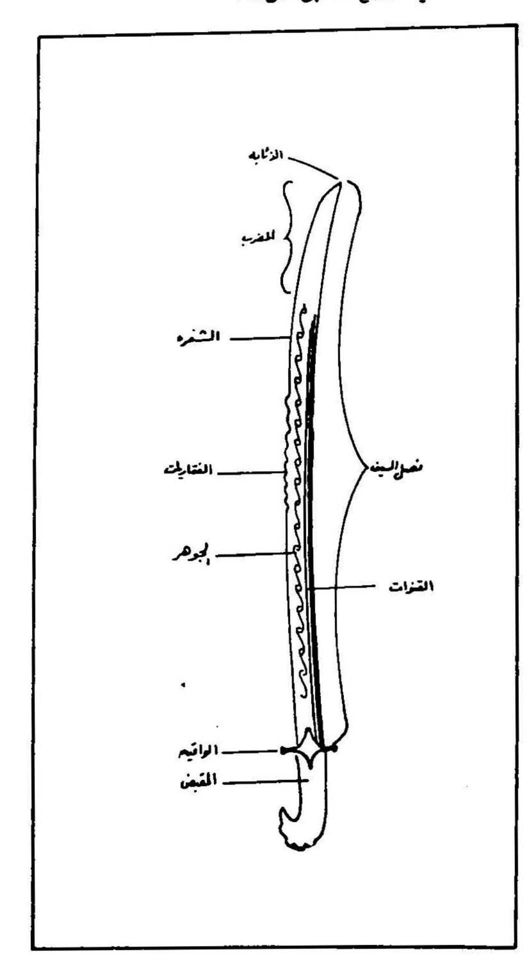
«١٢٢» الشابرقاني : هو الحديد ا لصلب او الفولاذ الخام. والأسم بالفارسية

أنظر: الكندي، المرجع السابق ، ص٥، الهامش.

«١٢٣» الفرند : هو عبارة عن تموجات ترى على صفحات النصال، على شبه عقد متناسقة متقاربه متلاصقة أو كبقع يستدير بها خانات متعددة تخال لعين الرائى أنها مؤلفة من الوف أسلاك الفولاذ الدقيقة ممتزجة بمعدن آخر يختلف عنها لوناً.

أنظر : عبدالرحمن زكي، المرجع السابق، ص١٦٦.

«١٢٤» الكندي، المرجع السابق، ص١٢.



الفن المعماري لتصميم مساجدنا

مهندس معماري/
نجيب محمد مبارك

المقدمة :

لدراسة الفن المعمارى في بلادنا وتناول اى جزء منه ودراسة خصائصه وتحليلها يتوجب علينا فهم الخصائص العامة للعماره العربية الاسلامية والفنون التي تأثرت بها ومقومات ظهورها. لان الفن المعمارى في البلاد العربية مرتبط ببعضه فظهور الاسلام والانتشار الواسع للدعوة الاسلامية لعب الدور العظيم في التأثير والتأثر بالفنون عامه.

ذلك ان الفن مظهر من مظاهر حضارات الامم. ونتاج الحضارات جهد متراكم تتبادله الامم فتؤثر، وتأخذ وتعطي بنسب تختلف من امة لاخرى.

كانت الفنون السائده في الجزيرة العربية وشمالها وشمال افريقيا وقتئذ تنحصر في فنين عالميين هما:-

- الفن البيزنطي
- الفن الساساني

انتشر الاول في الشام ومصر والشمال الافريقي، وانتشر الثاني في العراق وفارس واطراف الجزيره العربية.

ظهر فن العمارة الاسلامية كمدرسة عالمية، واسعه الامتداد، جغرافياًوزمنياً.ومن الواضح ان للعمارة الاسلامية تراثاً عظيماً ظفرت به معظم البلدان التي حكمها المسلمون منذ فجر السلام حتى اليوم حين امتدت اطراف الدولة الاسلاميه من المحيط الاطلسي حتى الخليج العربي،ومن جنوب اوربا حتى جنوب شبه الجزيره العربية. ويحق لنا ان نلم بما بقى من آثارها وان نحافظ على هذا التراث الخالد.

ومن اجل تحقيق هذا الهدف في بلادنا نتناول احد ثمار الفن العربي الاسلامي في اليمن ونسلط الضؤ على الفن المعمارى لتصاميم المساجد فيها.

وذلك من خلال دراسة بعض نماذج من المساجد التي تمكنا من زيارتها ورؤيتها في فترات متقطعه خلال مدة عملنا،ولانقصد من اختيارنا لهذه النماذج قط،انها هي الافضل تصميما او الاقدم عمراً او اكبر مساحة،بل ان في اليمن الكثير من المساجد الاثرية والضخمة بمساحتها وبهيئتها البديعة والتي تحمل طابع الفن الاسلامي.

ونمهد لهذا البحث بنبذة عن نشوء الفن المعمارى الاسلامي وتأثره ببقية الفنون وعن الخصائص العامة لهذا الفن والتى جعلت لانتاجه طابعاً عاماً مميزاً وذا شخصيه منفرده.

يبقى ان نوضح نقطه هامة في المقدمة وهي ان مساجد بلادنا كثيرة جداً نسبة للكثافة السكانية. وقديمة قدم هذه الارض وقدم الحضارة

الاسلاميه وعمارتها المميزة.

وهذا البحث المتواضع يعتبر بداية لدراسة موضوع الفن المعمارى لتصميم المساجد في بلادنا والتي لم تحظ بأي اهتمام خاص من قبل اى باحث، رغم اهميتها الفنية والمعماريه والتراثيه والحضاريه.

نشوء فن العمارة العربية الاسلامية:

كما خضع الانسان لسنة النشؤ والارتقاء في افكاره ومفاهيمه واذواقه متأثرا بالبيئة الطبيعية المحيطة به، وبالشعور الديني والتقاليد والوسط الاجتماعي، فكذلك تطور انتاجه الفني واختلفت مظاهر هذا النتاج وخصائصه بأختلاف الزمان والمكان.

لقد خضعت الحضارات الكبرى لظاهرتي التقليد والاقتباس دون ان تنمحي شخصيتها وتفقد مقومات اصالتها.

وغدا الانشاء والتعمير لدى الامم من أهم مظاهر الحيوية والرقي والطابع المميز لحضاراتها. تتفاوت منشآت الأمم وأعمالها العمرانية بحسب ماحصلت عليه من مبتكرات وتقنية ومالها من ذوق وثقافة. وكذلك تسهم مواد البناء المتوفرة لدى كل منها في اعطاء الشخصية المميزة لعمائر الامم.

فبعض البلدان يعتمد في البناء على اللبن او الآجر، وبعضها يعتمد على الحجر المنحوت، ومنها من يفتقد الخشب فيلجأ الى استعمال الحجر حتى في تسقيف المباني، ومنها من يتوفر لديه الخشب بكثرة فيعتمد عليه حتى في اقامة الجدران والسقوف- ويسهم الاقليم كذلك في تكوين المظهر العام والسمات التفصيلية للعمائر واساليب البناء. ومن الطبيعي ان تكون المباني المشيدة بالحجر اكثر بقاء على مر العصور واكثر مقاومة من مباني الخشب واللبن.

الخصائص العامة للفن الاسلامي:

ظهر الاسلام في جزيرة العرب في بيئة فقيرة حضاريا، ولكن كانت هناك في اطراف الجزيرة العربية وفي بلاد الشام واليمن والعراق فنون معمارية مزدهرة وعمائر تخلفت عن حضارة سبأ ومعين (سد مأرب وقصر غمدان وغيرها). وكانت التأثيرات الهندسيه الساسانيه ظاهرة في الفنون المعمارية حيث كانت اليمن عند ظهور الاسلام خاضعة لنفوذ الفرس.

ومع ظهور الاسلام ونشوء الحضارة العربية والاسلامية ظهر في العالم فن جديد هو الفن العربي الاسلامي اطول الفنون عمرا- ساد خلال ثلاثة عشر قرناً (بين القرنين السابع والتاسع عشر الميلادى) بلاد تمتد مابين الصين وشمال اسبانيا، ونشأ هذا الفن على ايدي الامويين العرب المسلمين وترعرع في بلاد الشام.

وكانت طبيعة المنشآت الجديدة ووظيفتها التي جاءت تلبية لحاجات وشرائط العقيدة الاسلامية والثقافة العربية من اهم اسباب ظهور الشخصية المتميزة والأصالة في الفن الاسلامي.

ومن الخصائص العامه التي اتصف بها الفن العربي الاسلامي في مجال العمارة والزخرفة، التنويع في الزخرفه، مراعاة التناظر. شمول الزخرفه وتغطيتها لكل فراغ، تجنب تصوير الانسان والحيوان، لاسيما في المساجد، والتعويض عن ذلك بالمواضيع الزخرفية، النباتية والهندسية ومشاهد الطبيعة.

ان مثل هذه الخصائص التي أعطت الفن الإسلامي شخصيته المميزة جعلت لإنتاجه طابعاً عاماً ووحدة. ومما يؤكد هذه الوحدة أننا نستطيع التعرف على إنتاجه أينما صادفناه بسهولة ويسر سواء شاهدناه في سوريا ام في مصر، في الأندلس ام في اليمن. وسواء كان إنتاجاً منفذا في القرن التاسع ام في القرن التاسع عشر.

ومرد ذلك بالطبع إلى وحدة العقيدة والحضارة والثقافه والى التشابه في المنطقة عامة. هناك عوامل اخرى ساهمت في تحقيق الوحدة الفنية تتلخص في الصلات الدائمه بين اقطار العالم الاسلامي التي توثقت عن طريق الاسفار ومواسم

الحج، وتبادل السلع وارتحال الفنانين وتنافس الحكام على اجتذابهم.

على انه لايجوز ان نفهم من هذه الوحدة التطابق التام في الاعمال الفنية اذا لم تكن المنشآت التي تقام هناك وفي كل زمان تقليدا لنموذج معين، مهما بلغ النموذج من الكمال والجمال ومهما نال من الاعجاب فلقد اسهمت الاذواق والرغبات الفردية في تكوين المنشآت المعمارية واسهمت معها كذلك التقاليد الموروثه ومواد البناء المتوفرة في كل اقليم وبلد. وأخيراً فإن التيارات السياسية وما كانت تحمله معها من تاثيرات معينة كان لها أثر كبير في تغيير ملامح الفن السائد وتوجيهه في خط سير جديد. الامر الذي أدى الى وجود مدارس فنية عديدة داخل نطاق الفن الاسلامي، المدرسة الأم، فكان الفن الأموى والفن العباسي والفاطمي والسلجوقي والايوبي والمملوكي والعثماني.

نبذه تاريخية عن ظهور الاسلام في اليمن

دخل الإسلام اليمن عندما عاد وفد حضرموت من عند النبي (ص) بالمدينة المنورة في السنة العاشرة من الهجرة.

وارسل الرسول عليه السلام اول عامل على حضرموت، من قبله وهو زياد بن لبيد البياضي الأنصارى. وكان يقيم بتريم وتارة بشبام. وعندما جاءه كتاب الخليفة الأول ابى بكر الصديق رضى الله عنه، يعلمه بوفاة الرسول. وأخذه البيعة للصديق قرأ ه على اهل تريم فبايعوا لابي بكر. وارتد بعض كنده فقاتلتهم جيوش المسلمين، كان لأهل تريم وهم ممن ثبتوا على اسلامهم دور في قتال المرتدين وكانت المعركة الفاصلة التي انتصرت فيها جيوش المسلمين بحصن النجير شرقي تريم وجرح في هذه المعركة رجال من الصحابة فجاءوا الى تريم ليتداووا بها فمات جماعة منهم ودفنوا فيها.

أما من موالي بني زياد الأنصارى الذين تولوا حكم اليمن قرنين من الزمن هو الحسين بن سلامه وقد كان ذكيا حازما عفيفا وفيا لمواليه بني زياد، استطاع بسياسته وحسن تدبيره للامور أن يسترد ملكهم ويقضي على الملوك الذين استقلوا بحكم بعض المناطق اليمنية حتى وحد اليمن تحت حكمة وكانت ولايته من سنه ٣٧٥ هـ الى أن توفى سنه ٤٠٢ هـ وقد وصفه المؤرخون بالتقوى والصلاح والرحمه، والعطف على الرعيه.

ونذكر ماكتبه المؤرخ اليمني المخضرم (عماره الحكمي) المتوفى سنه ٥٦٩ هـ في كتابه التاريخي المشهور (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) فقد قال عند ذكره للحسين بن سلامة (ومن محاسن الحسين بن سلامة هذا إنشاء الجوامع الكبار والمنارات الطوال من حضرموت الى مكة حرسها الله تعالى، وطول المسافة التي بني فيها ستون يوماً، وحفر الآبار المروية والقلب العادية في المقافر المنقطعة وبنى الأميال والفراسخ والبرد على الطرقات فمن ذلك مارأيته عامراً أو مهدوماً ومنها مارواه الناس لي رواية إجماع. فأوله شبام وتريم مدينتا حضرموت أتصلت عمارة الجوامع منها الى عدن وأبين ولحج، والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة جامع ومئذنه وبير اما عدن ففيها جامع من بناية عمر بن عبد العزيز، وجدده الحسين بن سلامه.).

تدل هذه الوقائع التاريخية المؤكدة أن الأسلام انتشر بشكل كبير في اليمن من بداية ظهوره وبفضل الحسين بن سلامة تم إنشاء العديد من المساجد من تريم الى عدن.

وبقيت اليمن منضوية تحت راية الدولة الأسلامية الواحدة أيام الخلافه الراشدة ثم في دولة بني أميه حتى قام الكندى بثورته عليهم سنه ١٢٩ هـ ودخلت حضرموت كغيرها تحت شوكة الأباضية * الى قيام اول دولة سنية بها في مطلع القرن الخامس للهجرة.

وهي دولة آل راشد وأشهر سلاطينهم السلطان العادل عبدالله بن راشد المتوفى سنه ٦١٦ هـ، واليه ينسب وادي حضرموت الرئيسي.

وتمضي أيام هذه الدولة وتأتي بعدها دولة آل

يماني ومركزها تريم أيضا ومؤسسها مسعود بن يماني المتوفى سنه ٦٤٨ هـ وتتلاشى دولتهم بظهور الدولة الكثيرية الأولى في أواخر القرن الثامن الهجرى ويمهلهم الزمان، ويرخي لهم عنانه ثلاثة قرون أو تزيد حتى ينتزع زمام السلطه منهم قبائل يافع ، ويفعلون في حضرموت وغيرها الآفاعيل، ويعيثون في الارض فساداً ثم تبرز مرة ثانية الى الوجود دوله آل كثير وهي آخر أقوى السلطنات في اليمن.

يذكر الباحث (علي سالم سعيد بكير باغيثان) من فقهاء مدينة تريم في بحثه في تاريخ جامع تريم (الجامع في تاريخ الجامع) أن أهل اليمن القاطنين من حضرموت الى عدن كلهم مسلمون سنيون ويتبعون في فروع فقه الشريعه مذهب الامام الشافعي وفي مسائل التوحيد طريقه أبي الحسن الأشعري.

المساجد والتجمعات السكنية :

عند ظهور الإسلام كانت العمارة في اليمن وفي بقية بلاد العالم التي اعتنقت الدين الاسلامي بسيطة في تخطيطها،وبدأ الناس في كل مكان تهتم في مختلف التجمعات السكنية ببناء المساجد المتواضعة، وخلال فترة توسع الدوله الأسلامية تطورت الفكرة وصار المسلمون يتنافسون في بناء المساجد واهتموا بتخطيطها وتشكيلها وطرق بنائها .

وفرضت الضرورة والتقاليد الأسلامية الحنيفة برفع مكانة وشأن المساجد باعتبارها بيوت الله وهي الملتقى الرئيسي والمركزي الذي يتجه صوبه المسلمون صغارهم وكبارهم في كل وقت لاداء الشعائر الدينيه للقاء ربهم وللالتقاء بينهم لقضاء حوائجهم وتدبير شئونهم الحياتيه ولذلك يهتم المصممون ومخططو المدن بايجاد المكان المناسب للمسجد عند تخطيط أي منطقه سكنيه.

المساجد ووظيفتها قديماً وحديثاً:

كانت المساجد قديماً تستعمل في شتى الاغراض الدينية التي اسست من أجلها فبالإضافة الى اقامة الفرائض الدينية فيها تقام حلقات الذكر القرآنيه ،وكان يوجد في بعض المساجد من يقوم بواجب الدعوة الى الله بوعظ الناس وتذكيرهم وارشادهم في أمور المعاش والمعاد . وتعقد في بعض المساجد حلق التدريس. فيدرسون الفقه والتفسير والحديث والتصوف وغيره من العلوم الدينيه والدنيويه.

وكانت المساجد قديماً تعتبر هي المدرسة،وهي المكتبة العامة وهي مكان تجمع القوات والمقاتلين ومكان إنطلاقهم وتدارس خططهم ولهذا أهتم المسلمون ببناء المساجد وتوسيعها وتجديدها وتطويرها وخاصة بعد تطور العلم والتقنية والتكلوجيا في صناعة مواد البناء وعلى مدى الحقب الزمنية.

ولهذا فقد اختلفت الوظيفة الأساسية للمساجد بعض الشي وبعد أن كانت هي ملتقى الناس معظم اوقات اليوم، وصار الناس بعد تطور المدينة لايقصدونها إلا لاداء الفرائض فقط، وذلك يرجع لاتساع مجالات الحياة المدنية وبناء المدارس المختلفة والمباني الخدماتية والحكومية الأخرى.

ورغم ذلك ومع تطور المدن فقد توسعت وتطورت المساجد وصار حديثاً لايكتفى ببناء صحن مكشوف للصلاة ولا باضافة صالة مسقوفة وأروقة متعددة بل تراعى فيها إضافة جناح خاص كمدرسة لتعليم القرآن وفي بعض التصاميم يفصل مثل ذلك الجناح ليكون جناحاً خاصاً بالنساء وأخر للرجال وجناحاً خاصاً كمكتبه للمسجد وقاعة للصلاة اليومية وأخرى شتوية وغيرها . هذا وتتنافس الأقطار المسلمة في الفترات الأخيرة في بناء المجمعات الضخمة الدينية وتسمى بجامع الدولة الكبير لكل منها،حيث يراعى فيه وجود قاعات اجتماعات كبيرة وأخرى للضيافة في مآرب الافطار وغيرها ، ومعاهد دينية متخصصة بشئون الفقه والشريعة بدل المدارس والكتاتيب ومكاتب ضخمة خاصة بالعلوم الدينية وغيرها من الملحقات والحدائق.

طرق البناء قديماً وحديثاً:

كانت أساليب بناء المساجد قديماً تتميز بالبساطة والتواضع، حيث ظهر العديد من المساجد ذات جدران من اللبن وأسقف من سعف النخيل، بسيطة في تخطيطها محاطة بجدران أربعة، وكانت السقوف مقامة على أعمدة مصنوعة من جذوع النخيل، أو من الأعمدة الحجرية المأخوذة من المعابد والكنائس القديمة في الأقطار التي فتحها العرب.

يمكن القول بأن مساجد بلادنا القديمة لايختلف حالها عن ماتقدم فقد استخدمت مواد البناء المحلية المتوفرة في كل منطقة من مناطق اليمن والتي تتمثل في الغالب بمادة الطين والنوره وعزف النخيل، اغصان الأشجار وجذوعها، حيث أستخدمت هذه[75] المواد في وادى حضرموت في بناء المساجد التي تعد بالمئات واستخدمت الأعمدة الضخمة فيها حيث يبلغ محور مقطع معظمها بين ٥٠ - ٩٠ سم وبعدد كبير ومسافات صغيرة بين محاورها مما تشغل حيزاً ومساحة زائدة من صحن الصلاة وبعد تطور اساليب البناء وتقدم العلم استغل ذلك المصممون لتسخيرها في تنفيذ أفضل الأشكال المطلوبة مهما بلغ من التعقيد واستبشر المصممون في كل العالم بتقديم افكار جديدة وجريئة وشجاعة في التصاميم حيث أمكنهم عمل الأبحر العريضة والطويلة التي كانوا يتجنبونها سابقاً واستطاعوا بذلك من تسقيف (تغطية) مساحات أكبر من المسجد وباستخدام عدد أقل من الأعمدة وبمختلف المقاطع. وبنوا القباب الواسعة والعالية جداً وشكلوا وزخرفوا المنارات الرشيقة الحديثة وتفننوا في تكسية الجدران والأعمدة بالمرمر والرخام وغيرها واستخدموا بالطبع كل المواد المصنعة الحديثة للبناء.

القيمة الأثرية للمساجد وأهمية الحفاظ عليها:

يشهد التاريخ أن شعبنا اليمني كان أول الشعوب التي آمنت بالإسلام ودخلت في الدين الاسلامي أفواجاً منذ أول ظهوره.. وهذا قد أشرنا له سابقاً وبهذا فقد تأثرت اليمن بهذه الدعوة، وتطورت بتطور الدولة الأسلامية وقد شيدت في اليمن مساجد كثيرة لاتحصى. وفي بعض المناطق وعلى فترات متعاقبة هدمت العديد من المساجد القديمة وبنيت مكانها مساجد أخرى وهكذا دون توثيق ذلك ودون إبقاء أي أثر لبعضها.

وكما هو متعارف عليه في كل العالم الأسلامي وغيره ان الآثار التاريخية القديمة تعتبر ثروة لاتقدر بثمن لكونها الدليل المادي لوجود الأمم القديمة وتطورها. وتسجل الآثار مهما صغرت معارف كثيرة لكل باحث ومهتم كل في مجاله، ولايستهان بها - وتخصص لها المبالغ الطائلة سنوياً كل الامم حسب امكانياتها.

هذا وتقوم المنظمة الدولية المعروفة (اليونسكو للثقافة والعلوم والآثار) بدور كبير وهام في الحفاظ على الآثار في كل العالم والمساهمة الفعالة بتقديم الدراسات والعون في هذا المجال لاعتبار ذلك تراثاً إنسانياً وثروة عالمية من المهم جدا الحفاظ عليها.

تولي الدولة في بلادنا اهمية كبيرة للائمة وخطباء المساجد ورجال الدين والعلماء وكذا للمساجد وعمليات ترميمها. والبالغة أكثر من ٦٠٠٠ مسجد منتشرة في طول البلاد وعرضها.

ولكن لعدم وجود الإمكانيات اللازمة للقيام بترميم هذا الكم الهائل من المساجد من قبل الدولة أهملت الكثير منها، ونشيد هنا بالجهود الذاتية الكبيرة التي يقوم بها المواطنون وأهل الخير من المهاجرين والميسورين من أبناء اليمن الذين يرجع لهم الفضل الكبير في بناء المساجد وتشييدها قديماً وحديثا وتجديدها باستمرار وذلك دليل كبير لحب هؤلاء لبلادهم الغالية اليمن ولقوة إيمانهم بدينهم الأسلامي الحنيف.

مساجد مدينة سيئون:

مدينة سيئون من اقدم مدن وادى حضرموت وتحتل موقع الوسط تقريباً في الوادى وتعتبر

هذه المدينة عاصمة وادى حضرموت الخصب والذي يتألف من ثلاث مديريات اهمها مديرية سيئون والتي يقدر عدد سكانها اكثر من ١٥٥ الف نسمة في تعداد عام ١٩٧٨م حسب ماجاء في كتاب الاحصاء السنوى لعام ١٩٨٨. وحيث تنقسم هذه المديرية الى مراكز خمسة وهي:-

١ - مركز سيئون يقدر عدد سكانها ٣٤٩٣٥ نسمة

٢ - مركز تريم يقدر عدد سكانها ٦١٤٦٥ نسمة

٣ - مركز شبام يقدر عدد سكانها ٤٠٩٥٩ نسمة

٤ - مركز الساه يقدر عدد سكانها ١٤٢٧٤ نسمة

٥ - مركز السوم يقدر عدد سكانها ٧٨٤١ نسمة

تتمركز المباني العامه والحكوميه والخدماتيه والاسواق في مدينة سيئون لاهميتها في الوادى ولدورها الهام في التاريخ اليمني فقد بنيت فيها القصور الضخمة والمساجد البديعة منذ ظهور الاسلام وفي فترات الازدهار، وخاصه فترة حكم السلطنة الكثيريه فيها، وتبلغ عدد المساجد في مدينة سيئون وحدها اكثر من ٥٢ مسجداً.

ونتناول في هذا البحث مجموعة من مساجد مديرية سيئون ونبدأ بمساجد مركز سيئون وهي:-

١ - مسجد الجامع القديم في مدينة سيئون.
٢ - مسجد جامع السيد طه في مدينة سيئون
٣ - مسجد جامع السيد محمد في القرن - سيئون.
٤ - مسجد الجامع في تريس - سيئون.

مسجد الجامع القديم بسيئون:

الموقع

يقع جامع سيئون في وسط المدينة سيئون بجانب قصر السلطان الكثيرى المعروف (متحف العادات والتقاليد والاثار حالياً) الواقع في المنطقة التجارية الخدماتية ويعتبر هذا المسجد من أقدم المساجد التي بنيت في مدينة سيئون وفي كل الوادى وأوسعها حيث تقدر مساحته الكلية ١٢٩٨ متراً مربعاً حيث يتسع لصلاة اكثرمن ١٨٠٠ مصلٍ فيه.

تأسس هذا الجامع في القرن التاسع وينسب للشيخ (عبدالله بن محمد باكثير) وقد جددت عمارته ببعض الإضافات الواضحه في داخله وقد وجدت على جدار القبلة كتابة بالارقام ١٢٨٦ هـ ويخمن أنه تاريخ آخر تجصيص لجدران الجامع.

وصف معماري خارجي

يشغل المسجد مساحة مربعه الشكل تقريباً ابعادها ٤٤ مترx ٣٤ متراً عدا الزيادة في موقع المستنجى. يقع المسجد فوق مرتفع طيني يقارب نفس مستوى ارتفاع قاعدة قصر السلطان الكثيرى المجاور حيث ترتفع جدرانه الخارجية بمقدار سته امتار وتزين جدرانه فتحات النوافذ المميزة وللمسجد ابواب عديدة من كل النواحى هذا وترتفع منارته ملاصقة للجدار المقابل لجدار القبله وترتفع بمقدار ١٦ متراً على هيئة مخروطية في الدورين العلويين اما من اسفل فهي تقترب من شكل المربع.

وصف معمارى داخلي

يتوسط المسجد صحنه المكشوف الذي تحيطه الأروقه من كل الجهات الأربع أكبرها رواق القبله الذي هو عبارة عن سبعة صفوف من الأعمده تجري موازية لجدار القبلة وتكون صيوان المسجد الرئيسي اما رواقه الخلفي المقابل لرواق القبلة فهو أقلها ويتكون من صفين من الأعمدة اما الرواقان في الجهتين الأخريين فأحداهما يكون خمسة صفوف من الأعمدة المنظمة المتعامدة مع جدار القبلة والأخرى أربعة صفوف من الأعمدة.

هذا وتوجد في الزاوية الشمالية الغربية للمسجد الصاله الشتويه للصلاه وبجانبها يوجد المستنجى ودورات المياه المسقوفة ويرفع سقفه بعدد ١٦ عموداً اسطوانياً.

هذا ويتميز مسجد الجامع القديم بكثرة اعمدته المبنية من الطين وضخامتها حيث يبلغ عددها الكلي ١٨٠ عموداً اسطوانياً قطر كل منها حوالي متر واحد و ٢٢ عمود أ مربعه الشكل طول ضلع مقطع كل منها حوالي متر واحد ايضاً هذا وتتوزع الأعمدة بشكل منتظم حيث تقدر المسافة المحورية بين كل منها ٣٠و٢ متر وكل أربعة أعمدة ترفع قبه صغيرة وتترابط الأعمدة مع بعضها بواسطة العقود وتكون هذه القبب بتماسكها السقف المتين المكون من الأخشاب والطين والنورة.

ان مسجد جامع سيئون القديم هذا يعتبر تحفة معمارية أثرية اصلية ولذا كان من واجبنا الحفاظ عليه وهو يعتمد في بنا ئه بشكل كامل على مادة الطين كمادة رئيسية لبناء أعمدته وجدرانه وأرضياته وحتى سقوفه حيث أنه متميز بسقفه المكون من قبب عديدة وأعمدته وعقوده الضخمة وكثرة المحاريب والدواليب الصغيرة لحفظ القرآن في جدار القبلة.

ويوجد في هذا الجامع منبر خشبي مع سلم وباب خاص فيه بشكل كتلة واحده منحوتة بدقة واتقان كتب عليه سنة صنعه وهي ١٢١٠ هـ.

لوجود هذا الجامع في مركز مدينة سيئون فهو يمتلئ يومياً بالمصلين وخاصة في أيام الجمعه، وفي ليالي رمضان وفي المناسبات يكاد لايتسع ولايستوعب حتى نصف القاصدين اليه والساكنين من حوله وقد وجد اهل الخير من الميسورين في هذه حجة ولرغبتهم بتوسيع المسجد ودون اي علم بالاهمية الأثرية والتاريخية لهذا الصرح العتيق قاموا بتهديم هذا الجامع بشكل كامل دون إبقاء أي أثر له وللأسف في بداية هذا العام ١٩٩٠م. شرعوا ببناء مسجد محله

مسجد (جامع طه في سيئون)

الموقع:

يقع المسجد وسط مدينة سيئون تحيطه المساكن من كل الجهات وتنتشر حوله اشجار النخيل. وقد بني هذا المسجد اول بناء عام ٩٧٠ هجرية وقد اسسه طه بن عمر الصافي من ابناء تريم (عائلة آل السقاف) حيث عرفنا ذلك من خلال مادون في محرابه القديم الذي ابقي عليه بعد هدم المسجد القديم وتم بناؤه وتوسيعه عام ٨٤ - ١٣٨٥ هجرية برعاية نفس العائلة. ومن الواضح ان مساحة المسجد القديم اضيفت لها أربعة أروقة في مقدمة المحراب القديم وقد ازدادت مساحته الى النصف بعد التجديد.

يتسع هذا المسجد بشكل عام في الصاله الرئيسيه والبرنده حوالي ١١٧٠ مصلياً حيث تقدر مساحته الكليه ١٨٥٠ متراً مربعاً ويمكن استخدام سطح المسجد للصلاه عند الحاجة في المناسبات وهو مهيأ لذلك.

وصف معماري للمسجد:

المسجد عبارة عن صالة كبيرة مستطيلة الشكل ابعادها حوالي ٣٠ متر × ٥٠ متراً محورها الأكبر في اتجاه متعامد مع جدار القبلة ويرتفع سقف الصاله الرئيسية (صيوان المسجد) بمسافة حوالي سته امتار على أعمدة اسطوانية قطر كل منها ٤٠ سم عددها ٤٨ عموداً مرتبة كل ستة اعمدة بصفوف ثمانيه موازيه لجدار القبله وحيث توجد المناره الجميلة عند الجدار الغربي للمسجد وتبرز الى داخل الصاله بحوالي ثلاثه أمتار ويمكن صعودها من الصاله مباشرة الى سطح المسجد أو الى آخر دور فيها.

هذا ويشغل المستنجى ودورات المياه الجهة الجنوبية بمساحة تقدر حوالي ٣٠٠ متر مربع ويشغل جزء منها غرفه كبيرة وسلم يصعد فيه المصلون الى الدور الأعلى حيث توجد المدرسة التي يتجمع فيها اطفال المنطقة المحيطة من البنات لتعلم قراءة القرآن كما تؤدي النساء فيها فريضه الصلاة.

جدران المسجد ومنارته مبنية من الحجارة الجيريه البيضاء مكحلة من الخارج بشكل جميل

أما الجزء الداخلي في بدن المنارة مبني من الطين ومجصص بالنوره المخلوطة جيداً.

هذا ويوجد في الجهة الشرقية من صيوان المسجد مصلى صيفي (برنده) جزء بسيط منها مسقوف تقدر مساحتها ٢٥٠ متر مربع تسع ٣٥٠ مصليا فيها.

ترتفع المناره بثمانيه ادوار عدد درجاتها تقدر بـ ١٩٠ درجة متوسط ارتفاع كل منها ١٥ سم ويقدر ارتفاع المناره الكلي من الخارج بحوالي أربعين متراً.

مسجد جامع محمد في القرن (سيئون)

الموقع

يقع مسجد جامع محمد في منطقة القرن في مديرية سيئون في وسط التجمع السكاني لهذه المنطقة وبين اشجار النخيل الكثيفة التي تتميز بها منطقة الوادى بشكل عام.

بني هذا المسجد في أول بنائه في القرن الحادى عشر وقد كان يشغل حيزاً صغيراً لانعلم مدى أبعادة حيث أنه لم يبق من ذلك البناء سوى المحراب القديم الأثري المدون عليه سنة اول البناء، حيث أنه من الواضح بانه قد زيدت فيه جهة جدار القبله رواقان عند التجديد.

هذا وقد جدد المسجد في عام ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٤ وقد اسسه آل السقاف وجدده محمد بن عمر الصافي.

وتقدر مساحته الكلية ١٦٨٠ متراً.

وصف معماري للمسجد:

المسجد يشغل مساحة مربعة تقريباً ٤٢ × ٤٠ متراًويتكون المسجد من صالة رئيسية مسقوفة يرتفع سقفها على عدد خمسين من الأعمدة المبنية من الحجر الجيري وبمونة من الطين ومجصصه بمونه من النوره المخلوطه جيداً وكذلك الجدران الذي يبلغ سمكها ٧٠سم بنيت بنفس الطريقة.

ويوجد في المسجد صالة ثانوية للصلاة (غرفة) مساحتها ١٤٨ (متراًمربعا) ومستنجى للطهارة وعشرة حمامات (دورات مياه) كما يتوسط الجدار الخارجي المقابل لجدار القبله سلم كبير يوصل الى الدور الاول ومنه الى السطح ويحتوى الدور الأول على غرفتين كبيرتين يجتمع فيهما الدارسون للقرآن ويحفظ فيهما الكثير من الكتب المعدات.

توجد للمسجد برنده (مساحة مفتوحة) يصلي فيها الناس عندما يكون الطقس مناسباً ومساحتها حوالي ٣٨٦ (متر مربع) ويسع ٥٥٠ مصلين كما تسع الصاله الرئيسيه (صيوان المسجد) حوالي ٢٣٤٠ مصلياً

تشغل المنارة (مربعه المقطع الذي طول ضلعه ٣ أمتار) أقصى زاوية المسجد في الجدار المقابل لجدار القبلة وترتفع المنارة ٢٤.٥ متر من المستوى الداخلي لصالة المسجد ومبنية من الطين.

مسجد الجامع في تريس (سيئون)

الموقع

تقع منطقة تريس على مسافه غير بعيدة من مركز المدينة سيئون وتتميز بموقعها المرتفع على جوانب الوادى.. ويربض مسجد الجامع في تريس على رابيه من الوادى خضراء شديده الانحدار.

بني المسجد سنه ١٩٣٨ على انقاض مسجد صغيرقديم لم يعرف بانيه ولاسنة بنائه.

وصف معماري للمسجد:

يتكون المسجد من جزئين جزء عند الإنحدار عبارة عن دورين الدور الأرضي عبارة عن مستنجى ومخزنين لحفظ الكتب والقرآن والادوات الاخرى مثل المجنز وغيره. كما يحتوى هذا الدور على صاله شتوية صغيرة تستخدم للصلاة اليومية، مساحتها حوالى ٤٨ (متر مربع) ويوجد في هذا الدور مدخلان رئيسيان من الجهتين الشمالية والجنوبية.

يمكن الصعود الى الدور الأول للمسجد من الخارج من الجهة الجنوبية عن طريق سلم خارجي يصل بواسطته المصلون الى الصاله الرئيسية

للصلاة (صيوان المسجد) كما انه يمكن الوصول الى الدور الأول من خلال الدور الأرضي بعد اتمام عملية الوضوء والطهارة وذلك بالصعود من خلال السلم المغلق الداخلي الملتصق بجدار الواجهة الجنوبية والذي يوصل المصلين الى برنده (مساحة مفتوحة) واسعة تغطي مساحة المستنجى ودورات المياه في الدور الأرضي جزء منها مغلق يظلل البوابات الخمسة التى توصل الى الصاله الرئيسية للصلاه (صيوان المسجد) والذي يرتفع سقفه بواسطة ٢٤ عموداً اسطوانية المقطع من الحجر ملبسة بالطين والنورة ويعلو كل عمود منها تاج مربع الشكل تعمل عليها العتبات الرابطة في الإتجاهين والسقف عبارة عن قباب نصف اسطوانية.

ويمكن الصعود الى أعلى المنارة أو الى سطح المسجد من الباب الخاص في بدن المنارة من داخل الصالة. وقد بنيت المنارة من الطين على شكل مربع المقطع طول ضلعه ٣.٤٠ متر وترتفع شامخة في أعلى جزء من الانحدار في الزاوية الجنوبية الغربية بارتفاع أربعه أدوار ملتصقه بجدار الصيوان من جهة الخارج حيث توجد برندة كبيرة مفتوحة.

إرتفاع المنارة الكلي يقدر بحوالي ٢٠ متراً عدد الدرجات داخل بدن المنارة تقدر بـ ١٠٢ درجه ارتفاع كل منها ١٥ سم من السطح الداخلي للصاله الرئيسية للمسجد حتى آخر دور فيها والذي هو عبارة عن شرفه جميلة داخلية والذي يمثل قمة السلم والسطح الذي يمكن الوقوف عليه للاطلال من خلال الفتحات بين الأعمدة الثلاثة الموجودة في كل جدار من الأربعة الجدران في الدور الأخير عدا الاعمدة الأربعة للزوايا في المناره.

المساحة الكلية لصيوان المسجد ٣٢٦ (متر مربع)

سعتها الكلية ٤٦٠ مصلياً

مساحة البرنده ١٦٠ (متر مربع)

سعتها الكليه ٢٢٠ مصلياً

سعة الصاله الشتوية ٦٨ مصلياً.

السعة الكلية للمسجد ٧٤٨ مصلياً.

مساجد مدينة تريم

يذكر مؤرخو العرب قبل الاسلام ان مدينة تريم كانت من بين المدن الشهيره التي يرجع تاريخ اختطاطها الى مابين القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن الرابع بعده.

ومدينة تريم تعد من أقدم المدن العربية على الاطلاق.. وتشير النقوش القديمة انها وجدت منذ اوائل القرن الرابع الميلادي بل هي أقدم من ذلك.

ومنذ ذلك التاريخ وقبله استمرت الحياة في مدينة العلم دون انقطاع. وفي العصور الاسلامية شهدت المنطقة أحداثاً كبيرة .. وقد أصبحت المدينة - تريم - بعد ظهور الاسلام مركزاً كبيراً للعلوم واقيمت مراكز لتعليم الدين الاسلامي والفقه.

وكان طلاب العلم من المناطق اليمنية والإفريقية المجاورة يرتادونها للتزود بالعلوم والمعرفة في اربطتها - جمع رباط بل كانت تحفل بطلاب العلم من أندونيسيا والشرق الاقصى.. وأحد مفاخر المدينه، منارة جامع المحضار تنتصب شامخه على ارتفاع سبعة طوابق، جصصت وزخرفت بالجير. وتعد آيه في الفن المعماري.

ويعتبر أقدم المساجد المسجد المعروف الان بمسجد الوعل والذى اسسسه احمد بن عباد بن بشر الانصاري جد آل الخطيب التريميين والذي استمرت فيهم خطابة الجمعه الى اليوم، ولانعلم هل يمكن ان يقال ان اهل تريم، كانوا في ذلك العهد - كاهل حضرموت عامه - لايصلون الجمعة عملاً بمذهب الاباضيه القائلين بعدم جواز إقامه الجمعه الا خلف امام او نائبة، وانها لاتصلى في القرى. ولا المدن الصغيره. ومن المعروف ان الاباضيه هي المذهب السائد في حضرموت في تلك العصور وهم اصحاب الشوكة فيها.

تريم تلك المدينة التي اشتهرت بكثرة مساجدها حتى قيل انه بلغ عددها ثلاثمائة او ثلاثمائة وستين مسجداً وتناقل هذا القول الرواة والكتاب والمؤرخين والمستشرقيين الذين زاروها. وسواء صح هذا العدد ام كان مبالغاً فيه فإن الذي لاشك فيه ان مساجد تريم كثيرة اذا ما قيست بمدينة في حجمها وعدد سكانها الذي يقدر باكثر من ستين الف نسمة تقريباً. فان الموجود بها اليوم مايقرب من مائه مسجد لاتزال عامرة باقامة الفرائض الدينية آهلة بالراكعين والساجدين مع توفير مايحتاجون اليه في أداء شعائرهم من ماء وإضاءة وغير ذلك. ولايستغرب وجود الكثره من بيوت الله فإن تريم كانت مركز الاشعاع الديني لجميع مدن حضرموت والجنوب الشرقي لليمن..

مسجد الجامع (جامع تريم)

الموقع

مسجد الجامع في مدينة ترميم هو أكبر المساجد فيها ويتوسط المدينة تقريبا ويصل اليه الداخل الى تريم من بابها الجنوبي في شارع كبير رئيسي، يصل الى ساحة الحصن - قلعة تريم الأثرية - ويقع في شمالي المسجد وشرقه سوق البلد.

التأسيس:-

يعود تاريخ تأسيس هذا المسجد الجامع الى مايقرب من الف سنه وعلى وجه التحديد فإن عمارته الأولى كانت في الفترة مابين سنه ٣٧٥ خمسة وسبعين وثلاثمائة هجريه وسنه ٤٠٢ أثنين واربعمائه. فقد روت كتب التاريخ أن الحسين بن سلامه الذي ولي حكم اليمن سنة ٣٧٥ خمس وسبعين وثلاثمائه هجرية. هو أول من أنشأ هذا الجامع في جملة ما أنشأه من الجوامع. ولاتعطينا مصارد التاريخ التي بين ايدينا اكثر مما سبق عن تأسيس هذا الجامع وإنشائه فلسنا نعرف شيئا عن كيفية بنائه ولا كم كانت مساحته أول إنشائه لانه زيدت فيه زيادات أخرى بعد ذلك كما سيأتي

تجديد عمارة الجامع والزيادة فيه:-

فقد ذكر العلامة أحمد بن عبدالله بن علي المعروف بشنبل عند ذكر حوادث سنه ٥٨١ هـ قوله (وفيها خرب جامع تريم) ويظهر ان هذا هو أول تجديد لعمارته بعد تأسيسه. اما العمارة الثالثه فقد كانت بزيادة ثلاثة اروقة في مقدم المسجد اى في جهة الغرب منه وقد ذكر هذه العماره العلامة المحدث محمد بن علي خرد المتوفى سنه ٩٦٠ هـ في كتاب (غرر البهاء الضوني) كما ذكر هذا العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور في كتابة (شمس الظهيرة).

أما العمارة الرابعة للجامع فهي التي قام بالأشراف عليها مجمد بن أحمد باساكوته وهي اشهر واكبر عمارات هذا الجامع. حيث تذكر المصادر أن السلطان عامر بن عبد الوهاب (أخر ملوك بني طاهر باليمن) بعد علمه بأن الجامع ضاق بالناس أرسل باساكوته ومونه بالمال وامر بتوسيع وأعادة تعميد الجامع سنة ٩٠٢ هـ

وبعد ذلك أضاف ابن السلطان المصلى الشتوى في الجهة الشرقية في سنه ٩١٧ هذا ويتبين ان عماره باساكوته كانت من الاجر. وان مساحة المسجد وسعت فيها الى ماهي عليه الآن - من غير الملحقات الأخيرة وغير الزياده القليلة في الجانب الشرقي ثم جاءت بعدها عمارة الطين الموجوده قبل البناء الأخير والتي لم تشتمل على زياة تذكر عن التي قبلها غير الرواقين الشرقيين كما سبق. هذا وتوجد بالجدار الغربي للمسجد من الداخل قريبا من المنبر كتابه بالأرقام (١٣٧٦) ويظن ان هذا قد يكون تاريخ الإنتهاء من هذه العمارة، او انه تاريخ للإنتهاء من تجديد النورة للمسجد.

العمارة الأخيرة للجامع:-

تكفل الشيخ سالم باحبيش بجمع مصاريف الهدم والبناء على الطراز الحديث بالحجر والأسمنت. ووضع التصميم المهدس المعماري

المشهور في الأوساط الحضرميه عمر بن عبيد يعمر باحريش التريمي . وأشرف على تنفيذ العمل يساعده في ذلك ابنه احمد واخوه عوض - طيله مدة العماره التي أستغرقت أكثر من ثلاثه اعوام فقد كان ابتداء العمل بهذا الجانب الغربي الجنوبي في اواخر محرم سنة ١٣٩٢هـ ووضع حجر الاساس في ٢١ من شهر ربيع الثاني من العام المذكور . وقد روعي مدة العمل عدم تعطيل الصلاة في المسجد فلم تنقطع اقامة الفرائض اليوميه فيه . فكانوا كلما انتهوا من هدم جانب وعمارته شرعوا في هدم جانب اخر . اما صلاة الجمعة فقد نقلت الى مسجد المحضار عندما تعذرت اقامتها في الجامع بسبب العمل فيه وذلك في الثالث من شهر ذي القعده سنة ١٣٩٢ هـ.

وأول جمعة صليت في الجامع بعد تجديده كانت بتاريخ ٢٩ من شهر ذي القعده سنة ١٣٩٤هـ وانتهت العماره مع التجصيص بالنوره في أوئل عام ١٣٩٥هـ الموافق عام ١٩٧٥م .

وقد بلغت تكاليف هذه العمارة حوالي مئة الف دينار يمني كما ذكر عبد القادر بن محمد بن طه السقاف المشرف على سير العمل في هذا المشروع .

وصف معماري لمسجد الجامع «جامع تريم» :-

وصف خارجي :-

شملت هذه العماره مساحة المسجد القديم مع ملحقاته الجنوبيه والشماليه ولم يزد فيه غير مساحه صغيره في الجانب الجنوبي الشرقي ابعادها من الشرق الى الغرب ٩ متر ومن الشمال الى الجنوب ١٩ متراً . وتركت في هذه العماره من الجانب الشرقي ثلاثه اروقة من المسجد القديم . ثم بنيت منها ٥ متر على هيئة رحبه للمسجد وترك الباقي وهو ٣ متر في الطريق العام شرقي المسجد .

يشغل المسجد في وضعه الحالي مساحة مستطيلة الشكل تقدر بحوالي ٢١٧٠ متراً مسقوفة بالكامل شيدت عمارة المسجد الحاليه من الحجارة البيضاء والأسمنت واستخدمت فيها الخرسانة المسلحة لتقوية الأعمدة والكمرات الرابطة والسقوف وتقدر مساحة الصالة الرئيسية للصلاة «صيوان المسجد» بحوالي ١٥٠٠ متر مربع والصالة الشتوية الصغيرة ٧٢ (متراً مربعاً) تتوسطها ثلاثة أعمدة اسطوانية .

السعه الكليه للمسجد الجامع هي ٢١٠٠ (مصلي).

ترتفع أرضية المسجد الداخلية عن مستوى الارض خارجة بحوالي مترين والارتفاع الداخلي للصالة يقدر ب ٦,٦ متر وارتفاع البناء ما فوق السقف حوالي ١,٤ متر فيكون ارتفاع المسجد من الخارج الى نهايته ١٠ متر . وسمك الجدران الخارجية الحاملة ٦٠ سم ويرتفع السقف على عدد ستين من الأعمدة الأسطوانية قطر مقطع كل واحد منها ٤٠ سم .

وصف داخلي :-

يتكون المسجد من قسمين قسم يكون الصالة الرئيسية «صيوان المسجد» والذي يبلغ ارتفاعها الداخلي ب ٦.٤ متر وقسم يكون الصالة الشتوية والمستنجى ودورات المياه التي تشغل الدور الأرضي ويعلوها في الدور الأول في الجانب الشمالي على امتداد من الشرق الى الغرب مكتبة الأحقاف الدينيه التاريخيه العريقه التي تملك العديد من الكتب التاريخية النفيسة والمخطوطات النادرة .

للمسجد الجامع في عمارته هذه ثمانية أبواب أحدها في الجانب الغربي يدخل خطيب الجمعة منه وثلاثة في الجانب الجنوبي واثنان في الشرقي . وفي الشمال اثنان ، وهي من الحديد وكذلك النوافذ والمنبر وتزين مرأى المسجد المنارة التي بنيت في منتصف الجدار الشرقي للمسجد . ويبلغ ارتفاعها ٣٤,٥ متر وتتكون من ستة ادوار . عدد درجات السلم فيها ١٢٤ درجه متوسط ارتفاع كل منها حوالي ٢٠ سم .

مسجد المحضار:-

الموقع

يقع مسجد المحضار في مركز المدينه تريم على بعد من مسجد الجامع الى جهة الشرق بحوالي ١,٥ كم وتحيط به المساكن من كل الجهات والنخيل وتمر من امام المسجد طريق طينيه ترابيه رئيسيه .

مسجد المحضار هو مقصد الزوار وهو أحسن مساجد تريم هندسة واتقانا في البناء وأوسعها مساحه بعد الجامع ولهذا نقلت الجمعه اليه عندما هدم الجامع اخيراً كما سبق الإشاره الى ذلك وهو مبني باللبن والطين ومجصص بالنورة البيضاء واعجب مافيه منارته الشامخة الإرتفاع في سماء تريم وسنذكر لاحقاً وصفاً دقيقاً لها .

وصف معماري خارجي للمسجد:-

يربض المسجد على رابيه ترابيه ترتفع عن الطريق بحوالي متر واحد ويوجد أمام المسجد عند المدخلين الرئيسيين له ناحية الطريق تيراس «برندة» وسلالم عدد درجاتها ١٦ درجه أمام كل من المدخلين . وتشمخ أمام أعين الناظرين للواجهة الرئيسيه والقاصدين للدخول الى المسجد المناره البديعة التي تتوسط رواق المدخل ، وتبرز من وسط الواجهه الاماميه وتشكل مع بقية عناصر الواجهه شكل متناغم وبديع . المناره مربعه الشكل في مقطعها الأفقي ويقدر طول ضلع مقطعها في الدور الأرضي حوالي أربعه أمتار تتناقص هذه المسافه تدريجياً كلما ارتفعت المناره خلال ادوارها السبعه الى ان تصل مترين في أخر دور .

تبلغ عدد الدرجات داخل بدن المنارة من المستوى الداخلي لصحن المسجد الى آخر دور فيها ١٤٢ درجه متوسط ارتفاع كل درجه ٢٣ سم ويتغير الشكل الداخلي لجدارها من مربع الى دائري في الدرجات الأربعين الاخيرة ، ويقدر ارتفاع منارة مسجد المحضار ٤٦ متراً .

تبدو المنارة للمتفحص بها تحفة معمارية غاية في الابداع ودقيقة التنفيذ والصنع والتشكيل متناسقه الألوان وفريده في تصميمها واتزانها وتزداد الدهشه عند المعرفه بان هذه التحفه المعماريه النادره والشامخه عباره عن كتله متينه من الطين المجصص ومدعمه بجنوع الأشجار بدقة ويزداد الأعجاب عند معرفة عمرها الطويل الذي يقدر باكثر من خمسمائة عام .

وصف معماري داخلي للمسجد:-

المسجد يتكون من صحن مكشوف مربع الشكل مساحته الصافيه حوالي ٥٦٧ متراً مربعاً محاطاً بأروقة مسقوفه من كل الجهات اكبرها جدار القبله المكون من ثلاثه أورقة ومن جدار القبله يمكن الوصول الى صالة كبيرة من خلال الخمسة الأبواب الموجودة فيه وهذه الصالة الكبيرة مقسمة الى نصفين بجدار متعامد مع جدار القبلة ومتصلة ببعضها بواسطة نفس الجدار ومن خلال الثلاثه الأبواب الموجودة فيه .

ويوجد جزء ملحق في أحد زوايا المسجد من جهة القبلة هو مكان الوضوء والطهاره ودورات المياه يؤدي اليه بابان خارجيان وباب واحد الى جهة المسجد ومن خلال رواق صغير يتوسطه عمودان هو «ممر توزيع» منه يتجه المصلون الى الصاله الرئيسيه أو القاعات الأخرى .

القاعتان اللتان تتقدمان جدار القبله تتكون أحداهما من صفين من الأعمده كل صف يتكون من اربعه أعمده اسطوانيه ويوجد في جدار القبله في القاعه محراب صغير واحد ومساحة القاعه ١٨٨ (متر مربع) وتسع ل (٢٦٨) مصلي فيها . اما القاعه الأخرى فيوجد بداخلها ايضاً صفان من الأعمده الأسطوانيه كل صف يتكون من خمسه اعمده ويوجد في جدار القبله فيها ثلاثه محاريب صغيره ومساحتها حوالي ٢٨٠ متراً مربعاً تسع ل (٥٣٤) مصلي . وهاتان القاعتان مخصصتان للصلاه في أيام الشتاء القارس .

المساحة الكليه للمسجد ١٣٤٤ متراً مربعاً .

وسعته الكليه تقدر ١٨٠٠٠ (مصلي) .

مسجد جامع الهدار «في السويري - سيئون»

الموقع

يتوسط مسجد الهدار منطقة السويري المدينة الهادئة التي تقع في الجهة اليمنى من الطريق المؤدي من مدينة سيئون الى مدينة تريم وهي تتبع مركز تريم وتبعد عنه بمسافة واحد كيلو متر فقط

بني هذا المسجد الحالي على انقاض مسجد قديم لم يعرف سنة بنائه حيث كان مبنياً من الطين ولم تبق منه الا منارته القديمه الجميله مربعة المقطع والتي ترتفع بشكل مخروطي حيث ان الفرق في طول ضلع مقطعها في الدور الارضي يقارب الامتار الاربعه واما طول ضلع مقطعها عند الدور الاخير يساوي مترين وترتفع على شكل خمسه طوابق بارتفاع كلي يقدر ب ١٤ متراً .

لقد تم بناء وتجديد هذا المسجد في تاريخ ٦ صفر ١٤٠٥هـ الموافق ٢ أكتوبر ١٩٨٤م ، بجهود ذاتيه وتمويل من اهل الخير .

وصف معماري للمسجد:-

المسجد عباره عن صاله كبيره مربعة الشكل ٣٢×٣٥ متراً ما عدا الجزءالزائد فيه من الخارج والملتصق في الجدار المقابل لجدار القبله وحيث خصص هذا الحيز للمستنجى ودورات المياه والطهاره وهو بارتفاع ثلاثه امتار فقط . واما الصاله الرئيسيه الكبيره «صيوان المسجد» فهي بارتفاع يقارب السته الامتار يرتفع سقفها على عدد ٣٢ عموداً اسطوانياً قطر مقطعه ٤٠ سم وقد رصت الاعمده على شكل ثمانيه صفوف موازيه لجدار القبله كل صف مكون من أربعه أعمده .

وتبرز المناره القديمه بمسافة تقارب المترين الى الداخل من الجدار الشرقي للمسجد عند منتصفيه تقريباً .

بني هذا المسجد بالطريقه الحديثه حيث استخدمت في بناء الأحجار الكلسيه البيضاء وربطت أعمدته في داخل الصاله بكمرات خرسانيه مسلحه وروعيت الدقه في تنفيذه واختيار مواد بنائه وتشطيباته الداخليه والخارجيه

ومع انه قد ابقيت منارته القديمه عند التجديد الا انه بنيت ايضاً له مناره جديده من الحجر في الجدار المقابل لجدار القبله من الجهه الخارجيه للمسجد هذه المناره تحاكي في شكلها منارة المحضار الا انها غير مخروطيه بل ان طول ضلع مقطعها المربع يقارب الثلاثه أمتار ، وترتفع المناره على هيئة سته طوابق ، ويوجد مدخل المناره عند منتصف السلم المؤدي الى السطح من خارج المسجد ، حيث تقدر عدد الدرجات الى عند المداخل ١٦ درجه من مستوى سطح الارض وتقدر عدد درجات المناره في داخل بدنها من المدخل الى قمة المناره ١١٥ درجه ارتفاع كل درجه ٢٠ سم حيث يقدر ارتفاع المناره الكلي ٣٠ متراً وسعة المسجد داخل الصيوان ١٤٢٥ (مصلي تقريباً).

مساجد مدينة شبام

توجد في شبام خمسه عشر مسجدا إذا ضمينا ضاحية السحيل والضاحيه الغربيه اليها .

اما المدينه التي يضمها السور القديم ففيها سبعه مساجد ولعل أول مسجد بني فيها هو مسجد الجامع الذي بني بأمر الخليفه هارون الرشيد عام «١٣٢هـ - ٢١٥هـ» وقد جدد بناؤه وتوسيعه في فترات متتابعه ، وفي فترات التجديد أتخذت منذنته اشكال متعدده حيث اتخذ شكلها النهائي الان الشكل المربع من الاسفل وسداسي الاضلاع في المنتصف العلوي .

وسوف نتناول هذا المسجد ومسجد الخوقه كنموذجين من مدينة شبام لنتعرف على الفن المعماري للمساجد في مدينة شبام التاريخيه ولكي تكتمل الصوره بالمقارنه مع بقيه المساجد الاخرى.

وتبقى كلمه اخيره للتنويه عن تدهور حالة المساجد في المدينه حيث أن معظمها بحاجه الى

إعادة البناء وفي الوقت الحاضر لا يصلي الناس في المدينه إلا باستخدام خمسه مساجد فقط .

وتتميز مساجد مدينة شبام التاريخيه بدقة التصميم وبساطة المنظر في جدرانها الداخليه والخارجيه مع تطعيمها بالاشكال الهندسيه الجميله وتنفرد بتوافر المآذن الرشيقه المظهر في كل المساجد والتي تبدو كلها مبنيه بطريقه تعدد اشكال المقاطع حيث تبدأ في الادوار الأولى بالارتفاعات المناسبه على شكل مربع المقطع وفي الادوار الاخيره تتخذ اشكال مختلفه للمقاطع منها اسطوانيه مخروطيه سداسية وثمانية المقطع كما هو موضح في اللوحه رقم «١٧» .

وللمسجد حضور واهميه خاصه في تكوين واستكمال للمنظر العام للمدينه ويتضح ذلك من اي جهه للمدينه او مقطع ونوضح هذا من خلال اللوحه رقم «١٧» .

مسجد الجامع «جامع شبام»

الموقع

يقع مسجد الجامع في مدينة شبام التاريخية في الجنوب الغربي منها وقريب من مركزها حيث يمكن الوصول اليه من الساحة العامة بسهولة .

أسس مسجد الجامع الخليفة العباسي هارون الرشيد وقد دونت على جدار المنارة فيه سنة بنائه ١٣٣هـ - ٩٠٤م وقد جددت عمارته عدة مرات ولم يبق من عمارته السابقه إلا عمود في رواق القبلة اسطواني بشكل وردة ثمانية المقطع .

وصف معماري للمسجد:-

يشغل المسجد مساحة مستطيلة الشكل تقدر بحوالي ٨٦٤ متراً مربعاً وينقسم الى صالة مسقوفة بثلاثة اروقة موازية لجدار القبلة ويتوسطه صحن المسجد المكشوف التي تحيطه أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة الذي يتكون من ثلاث بلاطات مغطاه بثلاث كمرات رابطة تجري موازيه لجدار القبلة كما يوجد صاله ملحقه صغيرة مسقوفة للصلاة اليومية في الأيام الشتوية مساحتها حوالي ٢٦٢ متراً مربعاً وتوجد في إحدى زواياها مكان الوضوء والطهاره وتقدر مساحته ٣٢ متراً مربعاً .

هذا وتحتل المنارة إحدى أركان المسجد ومطلة على الساحة الخارجية مواجهة للممر المؤدي الى الساحة الرئيسية للمدينة عند بوابتها هذا وتتكون المنارة من ستة ادوار الأربعة الأولى على شكل مربع المقطع طول ضلعه ثلاثة أمتار والدورين الأخيرة بهيئة أسطوانية سداسية المقطع قطرها حوالي مترين .

يبقى أن نذكر أن المساحة الكلية للمسجد تقدر بحوالي ١١٥٨ متراً مربعاً ويسع ما يقارب ١٦٠٠ (مصلي) .

مسجد الخوقة

الموقع

يقع مسجد الخوقه «مسجد المعروف» في الشمال الشرقي من مدينه شبام التاريخيه تحيط به المباني العاليه من كل جانب حيث يلتصق جدار القبله بأحد المساكن وتبتعد جدرانه الأخرى عن المساكن المجاوره بمسافات صغيرة بين المترين والثلاثه أمتار والتي تكون الطرق المعروفه بضيقها والتي تخصص للماره وعبور الحيوانات فقط حيث أنها تكاد لاتتسع لعبور أكثر من جملين محملين فيها فقط وهذه ميزه عامه للشوارع الداخليه في مدينة شبام .

تأسس هذا المسجد في عهد الأباضيه ولم تعرف سنة تاسيسه بالضبط وقد جدد بناؤه عام ١٩٦٨م .

وصف معماري للمسجد:-

يشغل المسجد مساحه مربعه هي عباره عن مصلى رئيسي تقدر مساحته ٢٥١ متراً مربعاً يتكون من رواق المدخل الرئيسي والذي هو عباره عن صف واحد من الأعمده وعددها اربعه تجرى مواجهه لرواقي القبله وبينهما يوجد صحن المسجد المكشوف والذي يحده من الجانبين رواق يؤدي الى المناره في احد اركان المسجد ورواق في الجهه المقابله يؤدي الى المياه والمستنجى

والذي يؤدي اليه أيضاً بابان من الخارج من الجهه الخلفيه للمسجد ومساحة المستنجى تقدر بحوالي ٤٨ (متر مربع) كما يوجد في المسجد صالتان صغيرتان احدهما خاصه بالصلاه اليوميه ومساحتها حوالي ٥٢ (متر مربع) واخرى خاصه بالصلاه في فصل الشتاء القارس حيث لاتوجد لهذه الصاله نوافذ ويمكن دخولها اما من الصاله الاولى أو من الشارع مباشره وتقدر مساحتها ب ٣٠ متراً مربعاً .

الصاله الرئيسيه المفتوحه على صحن المسجد يوجد في وسط جدار القبله ومنبر واحد بارز من جدار القبله ويصعد اليه الإمام من سلم مخفي عبر المحراب .

المساحه الكليه للمسجد تقدر بحوالي ٣٩٥ (متر مربع) وتصل سعته بحوالي ٥٠٠ مصلي . ترتفع مناره مسجد الخوقه الى ارتفاع ١٨ متراً من أرضيـة المسجد الداخليه وهي تتكون من خمسه ادوار: الدوران الأرضي والأول على شكل مربع طول ضلعه حوالي مترين ونصف وينتهي هذان الدوران بشرفه جميله مربعه الشكل ويتحول بدن المناره في الدورين الثاني والثالث بشكل رشيق ويظهر بشكل ثماني الأضلاع ولكنه يرتفع في الدور الثالث بشكل أرشق من الدور الثاني وحيث ينتهي الدور الثالث بشرفه بارزه بهيئة ثمانية الأضلاع كما يرتفع الدور الأخير بشكل مربع حاملاً قبته على اربعه أعمده دائرية المقطع في كل جدار عدا أعمدة الأركان المربعه

استخلاصات وتوصيات

مما سبق في دراستنا لبعض نماذج للمساجد في بلادنا وبالاخص في وادي حضرموت ، ومن خلال هذا النتاج المعماري البديع الذي مازال بلادنا تزخر بآثاره الرائعه نستخلص مايلي :-

١ - ان هذا الفن المعماري لمساجد بلادنا يؤلف تراثاً محلياً أصيلاً وينتمي الى فنية عاليه هي الفن الأسلامي .

٢ - إن هذه الثروه تنتهك وتدمر وسوف تندثر اذ لم نعو بصيحتنا لنسمع كل الغافلين وكل الناس الخيرين والذين يسيئون لتراثنا الوطني بدون وعي وبحسن النيه وبرغبه منهم في بناء بيوت لله جديدة محل تلك المساجد الأثريه القديمة .

٣ - على هذا الأساس يتوجب علينا - كمصممين معماريين في هذا الجزء من العالم الأسلامي وفي هذه البلاد الخيرة الغنية بالتراث الأسلامي الاصيل - الحفاظ على هذه الثروه المعماريه واحيائها وتطويرها وعدم التخلي عنها والأستفاده منها عندما توكل على عاتقنا مهمة الترميم أو الأضافات أو التصاميم الجديده والحديثه للمساجد علي اننا لا نريد أن يفهم من احياء التراث وتطوير الفن العربي الأسلامي على انه تقليد الأعمال القديمه أو النقل عن آثار الماضي وتكرار نماذج منها ، كما يفعل بعض المهندسين عند تشييد مسجد حديث .

ان هذا التقليد خال من الأصاله ، وان دل على شيء فانما يدل على انعدام القدره على الخلق والتجديد . لقد كان أجدادنا يطورون نتاجهم باستمرار فتختلف صفات هذا النتاج وخصائصه من عصر لآخر .

وأرى أن أي عمل معماري يجري تحقيقه اليوم ، إذا اريد له أن يكون له هويه قوميه أو محليه ، لابد ان تتوفر فيه الشروط التاليه :-

أ - يعبر عن روح العصر ، ويمثل التطور الحضاري ويستفيد من التقنية الحديثه .

ب - أن يلائم بين البيئه الجغرافيه والأقليم ، والعادات والتقاليد والأذواق المحليه ، وبين الفن الحديث العالمي .

ج - أن يفيد من تراث الماضي فيقتبس عنه كل ماهو صالح من المكتسبات وكل ماهو جميل ، ويطوره بحيث يتفق مع حاجات الحياه الحديثه ومتطلباتها وينسجم مع ما أوجدته من مبتكرات نافعة وعملية في مجال المواد وطرق البناء .

كما نستخلص في الجوانب التصميمية للمساجد في بلادنا وخاصة في وادي حضرموت

التالي :

١ - معظم المساجد القديمة تتكون من صحن مكشوف للمسجد ، «مصلى صيفي» يتوسطه وقريب من رواق المدخل الواقعه على الجدار المقابل لجدار القبله ويكون رواق القبلة هو الأكبر غالباً .

٢ - تحتوي كل المساجد القديمة على جناح «مصلى» خاص للصلاة في أيام الشتاء وفي الليالي البارده ويتميز بانعدام وجود الفتحات .

٣ - تتميز مساجد وادي حضرموت ببروز منارتها مهما كانت المساجد صغيرة في مساحتها وتوجد المنارة في الغالب على الجدار المقابل لجدار القبلة في وسطه مثل مسجد الجامع ومسجد المحضار في تريم ومسجد الهدار في السويري ، وتأخذ المنارة في نفس الجدار موقعاً في إحدى زواياه وفي الغالب في الجهة الغربية منه مثل مسجد جامع محمد في القرن ومسجد طه ومسجد جامع تريس في سيئون واحياناً توضع المنارة في أحد الجدران الجانبية المتعامدة مع جدار القبلة وخاصة في الجدار الشرقي مثل مسجد جامع سيئون القديم والمنارة القديمة في مسجد الهدار .

٤ - تفردت تصاميم المساجد التي جددت بعد السبعينات بفصل المصلي الصيفي «البرنده المكشوفة» بدلاً من صحن المسجد والحقت بها الصالة الرئيسية للصالة المغلقة تماماً «صيوان المسجد» .

ونوصي بمايلي:

- الاسراع في اتخاذ الاجراءات اللازمة لايقاف الهدم العشوائي للمساجد القديمة والقائمة الى الآن وبدون أي دراسة .
- العمل على ترميم المساجد بكل حرص واعادة بناء مايحتاج لذلك بعد دراسة دقيقة لعدم تشويهها وللحفاظ عليها من التدهور والأندثار .
- تقديم دراسات هندسية وفنية وابحاث لكل مسجد او مبنى اثري على حده من قبل المتخصصين بالعماره والآثار المهتمين ،تحت اشراف وزارة الأنشاءات ممثلة بالدائرة الهندسية فيها وايضاً كلية الهندسة ووزارة الثقافة والآثار ..
- الاستعانة بالمنظمات العربية والدولية للاستفادة من خبراتها وتقديمهم العون لنا في هذا المجال .
- تكوين مركز هندسي استثماري خاص لاحياء التراث المعماري في اليمن .

❋ أنتشرت الأباضية في حضرموت وعندما أعلن عبدالله بن يحي الكندي ثورته على بني أميه عام ١٢٩هـ، وظل المذهب الأباضي مسيطراً على حضرموت بين مد وجزر الى أن وصل إليها الإمام المهاجر الى الله أحمد بن عيسى الحسيني سنة ٣١٨ هـ ، فقام بنشر مذهب أهل السنه في الأصول ، ومذهب الأمام الشافعي في الفروع وخلفه من بعده أولاده واحفادهم وتلامذتهم حتى تلاشى المذهب الأباضي من حضرموت في أوائل القرن السادس الهجري على ماهو، مذكور في كتب التاريخ

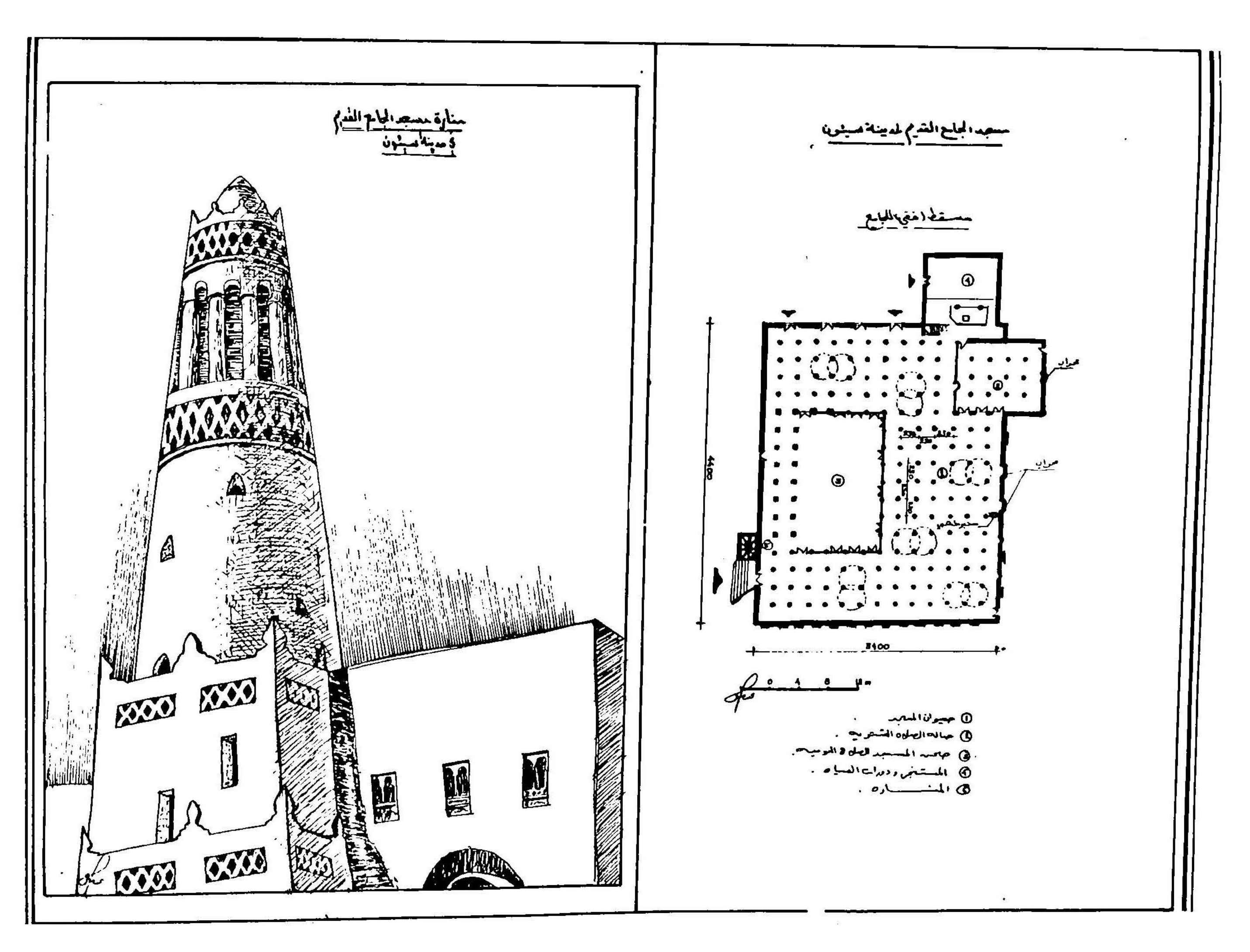
المراجع المستخدمة

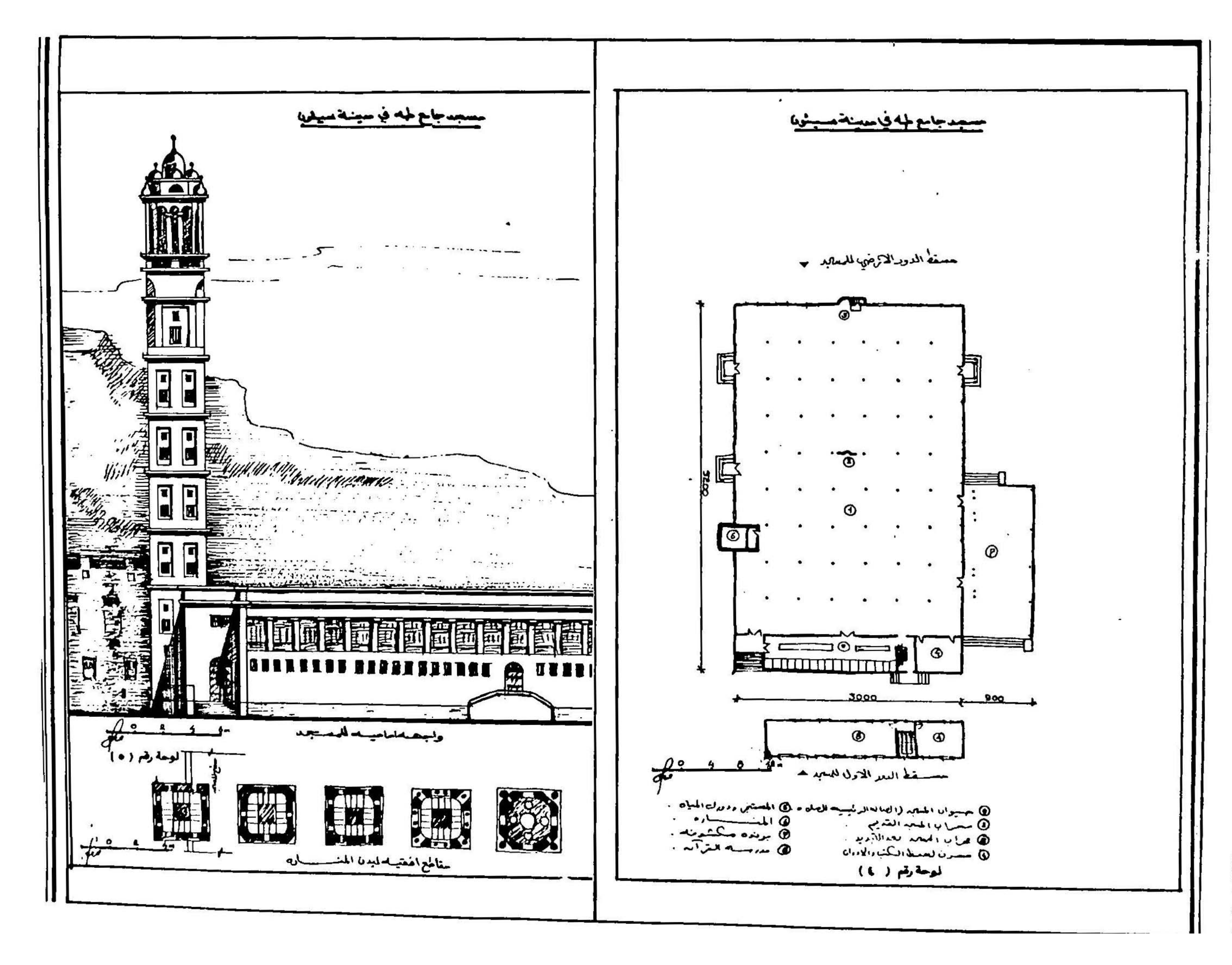
١-العماره العربية الأسلامية — د. عبد القادر الريحاني

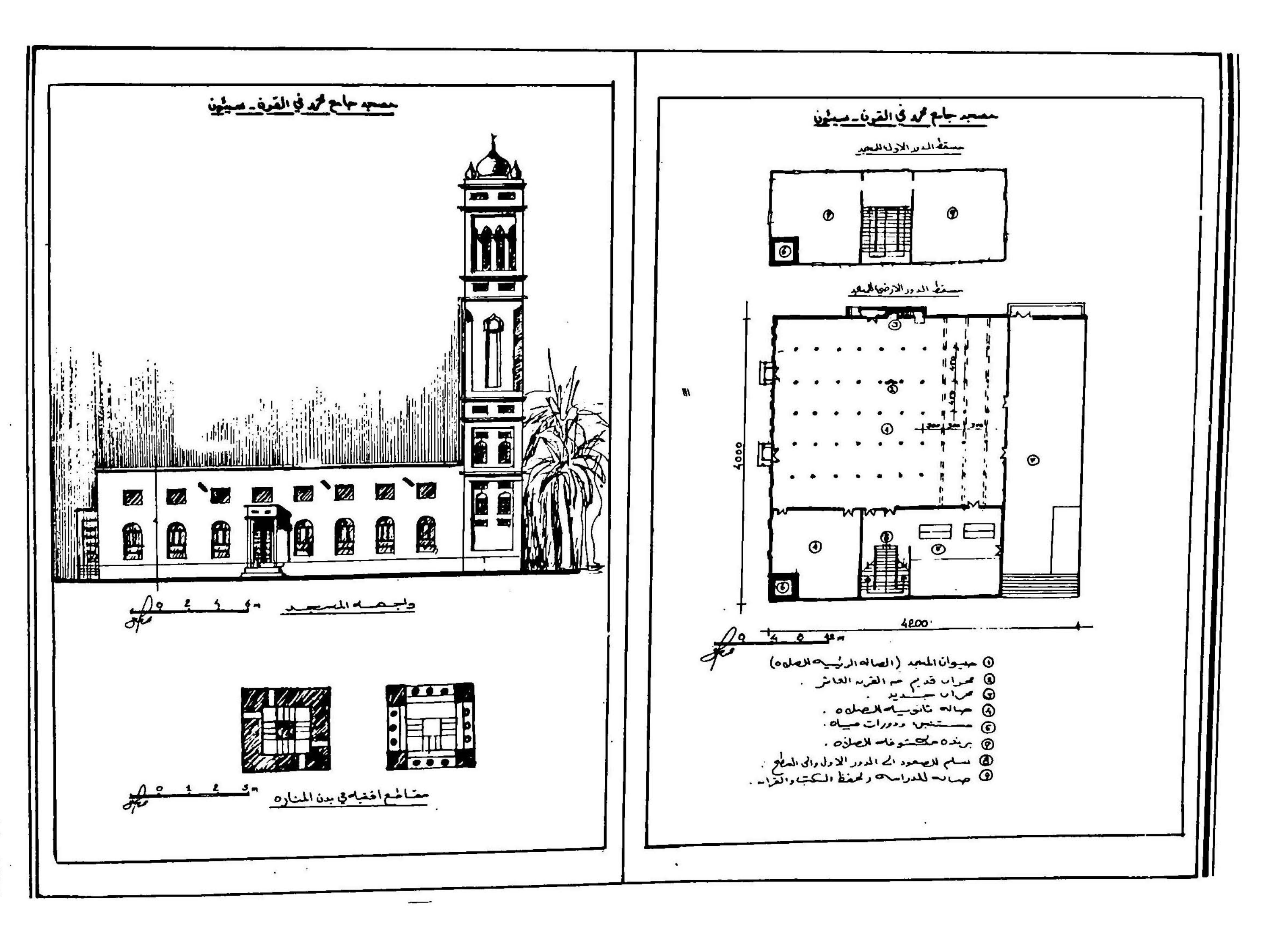
٢- دراسات في العماره الأسلامية — المهندس الأستشاري عبد السلام احمد نظيف

٣- العماره في صدر الأسلام — د. كمال الدين سامح

٤ - القبات في العمارة الأسلامية — د.صالح لمعي مصطفى


منارة مسجد الجامع القديم
في مدينة سيئون
مسجد الجامع القديم لمدينة سيئون
مسقط افقي للجامع
محراب
محراب
4400
0 4 8 12
① جيوان المسجد .
② صالة الصلاة الشتوية .
③ صحن المسجد للصلاة الموسمية .
④ المستنجى ودورات المياه .
⑤ المنارة .


مسجد جامع طه في مدينة سيئون
الواجهة الامامية للمسجد
لوحة رقم (٥)
مقاطع افقية لبدن المنارة
مسجد جامع طه في مدينة سيئون
مسقط الدور الارضي للمسجد
3000
900
مسقط الدور الاول للمسجد
لوحة رقم (٤)



مسجد جامع محمد في القرن ـ سيئون
واجهة المسجد
مقاطع افقية في بدن المنارة
مسجد جامع محمد في القرن ـ سيئون
مسقط الدور الاول للمسجد
مسقط الدور الارضي للمسجد
4000
4200
① ليوان المسجد (الصالة الرئيسية للصلاة)
② محراب قديم من القرن العاشر.
③ محراب جديد.
④ صالة ثانوية للصلاة.
⑤ مستنجى ودورات مياه.
⑦ سلم للصعود الى الدور الاول والى السطح.
⑧ صالة للدراسة وحفظ الكتب والقرآن.

مقاطع افقية في بدن المنارة

مسقط أفقي للصالة الرئيسية

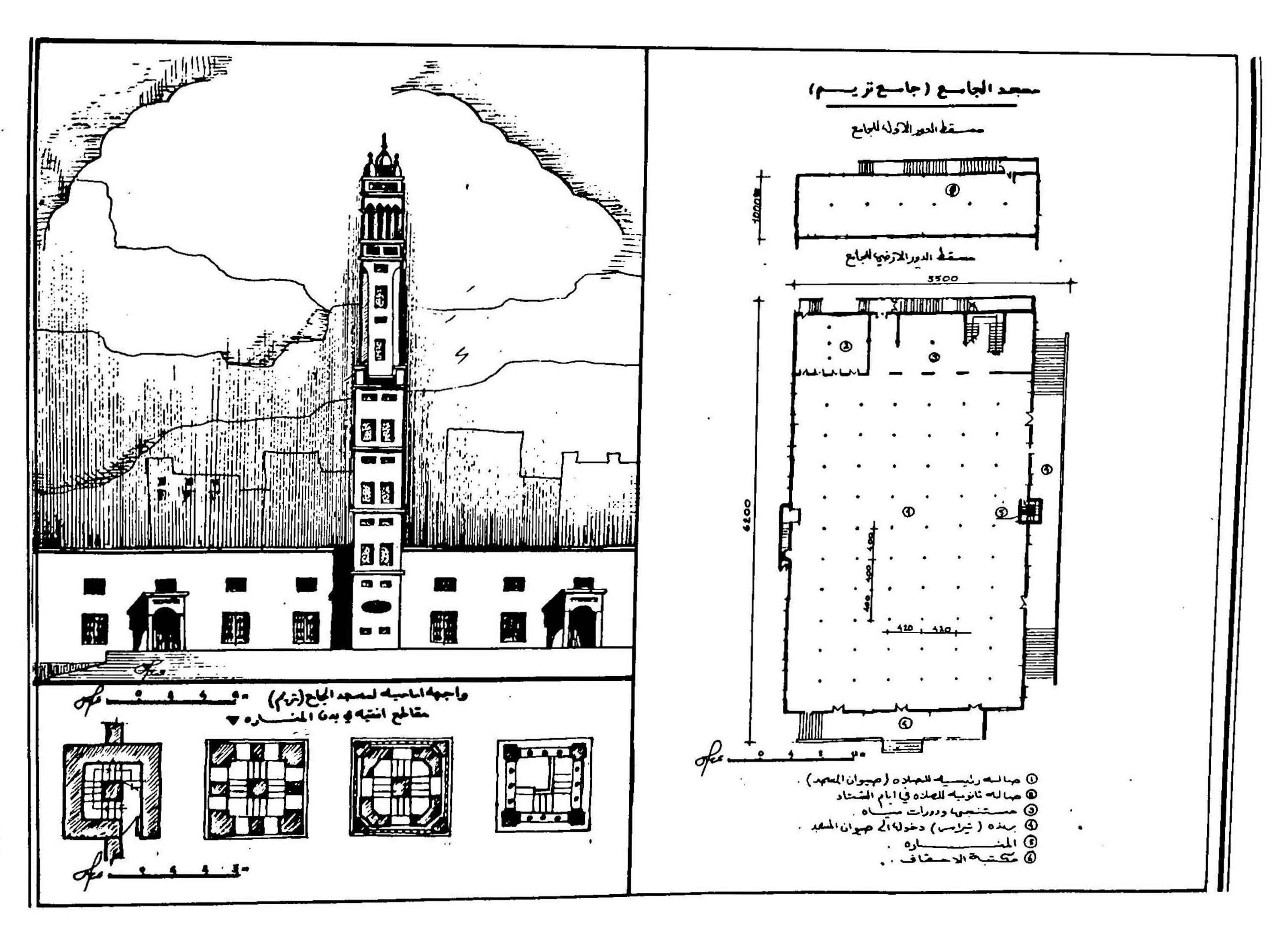
مساقط جامع تريس

مسقط أفقي للدور الأرضي

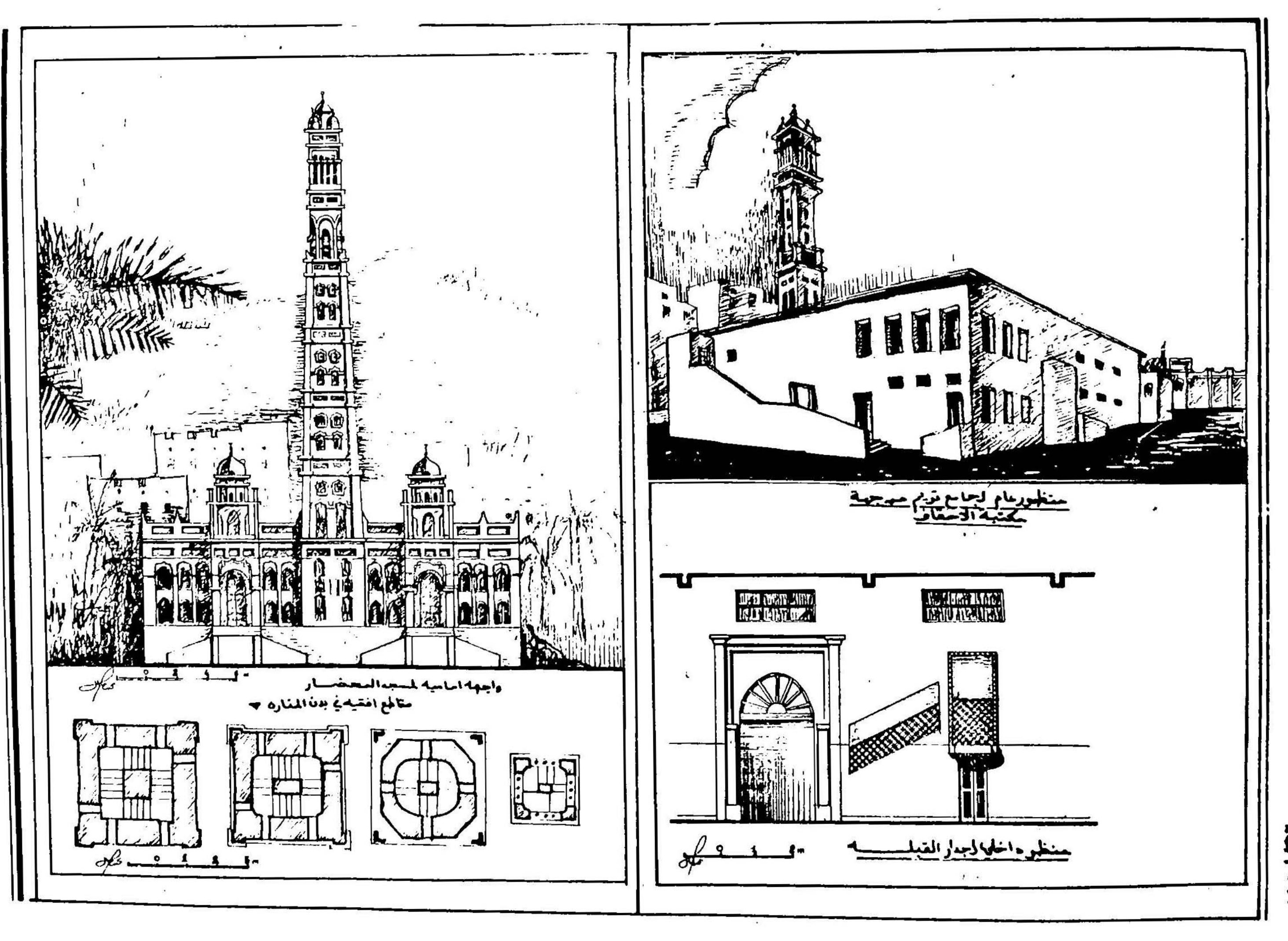
1. ايوان المسجد الرئيسي .
2. برنده دخول مكشوفه .
3. برنده مكشوفه .
4. مستنبي ودورات مياه .
5. صالة الصلاة اليومية .
6. المنارة .
7. مستودع .
8. دوان دخول .

منظور عام مسجد جامع تريس (سيئون)

مقطع طولي للمسجد



مسجد الجامع (جامع تريم)
مسقط الدور الاول للجامع
مسقط الدور الارضي للجامع
3500
6200
1000
① صاله رئيسيه للصلاه (صحيوان المسجد).
② صاله ثانويه للصلاه في ايام الشتاء
③ مستنجى ودورات مياه .
④ بنده (تيراس) دخولاً الى صحيوان المسجد .
⑤ المنـــاره .
⑥ مكتبة الاحقاف .
واجهه اماميه لمسجد الجامع (تريم)
مقاطع افقيه في بدن المناره


واجهه اماميه لمسجد المحضار
مقاطع افقيه في بدن المناره
منظور عام لجامع تريم من جهة مكتبة الاحقاف
منظور داخلي لجدار القبلـــه

مسجد جامع الجدار في السويري (سيئون)

مسقط أفقي للدور الأرضي

3100

680

390 390

3810

مسقط أفقي للسطح

0 4 8 12م

① قاعة الصلاة (صيوان المسجد)
② المستحم ودورات المياه
③ المنارة القديمة للمسجد
④ المنارة الجديدة للمسجد
⑤ سطح المسجد

مسجد المحضار

مسقط أفقي للمسجد

Ø40

Ø40

Ø60

300

200

800 800 1200 2200 600

400 2800

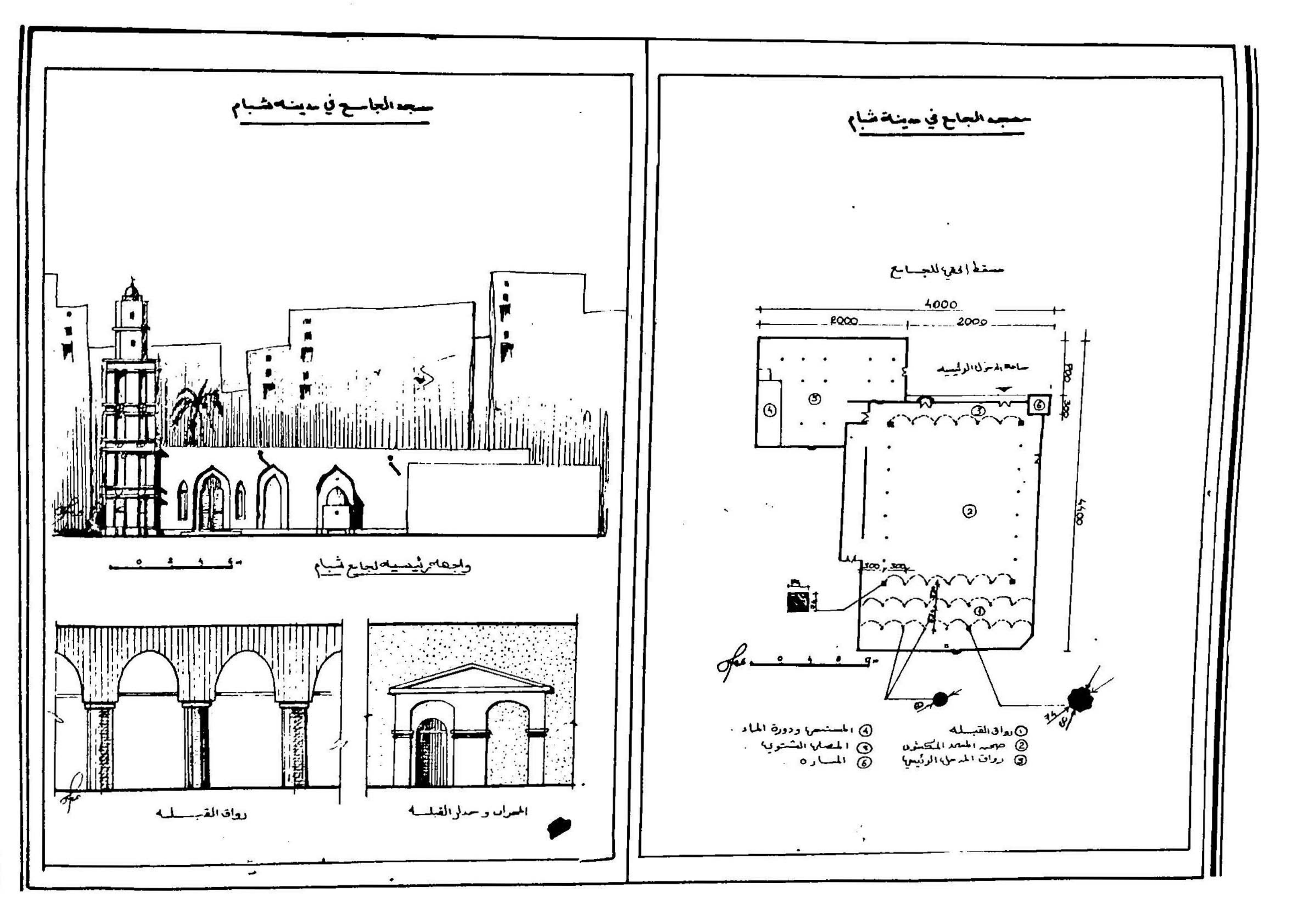
① صحن المسجد
② رواق القبلة
③ حجر مشتوي
④ دهليز (ممر)
⑤ مستحم ودورات مياه
⑥ المنارة
⑦ ربه (نيراس)

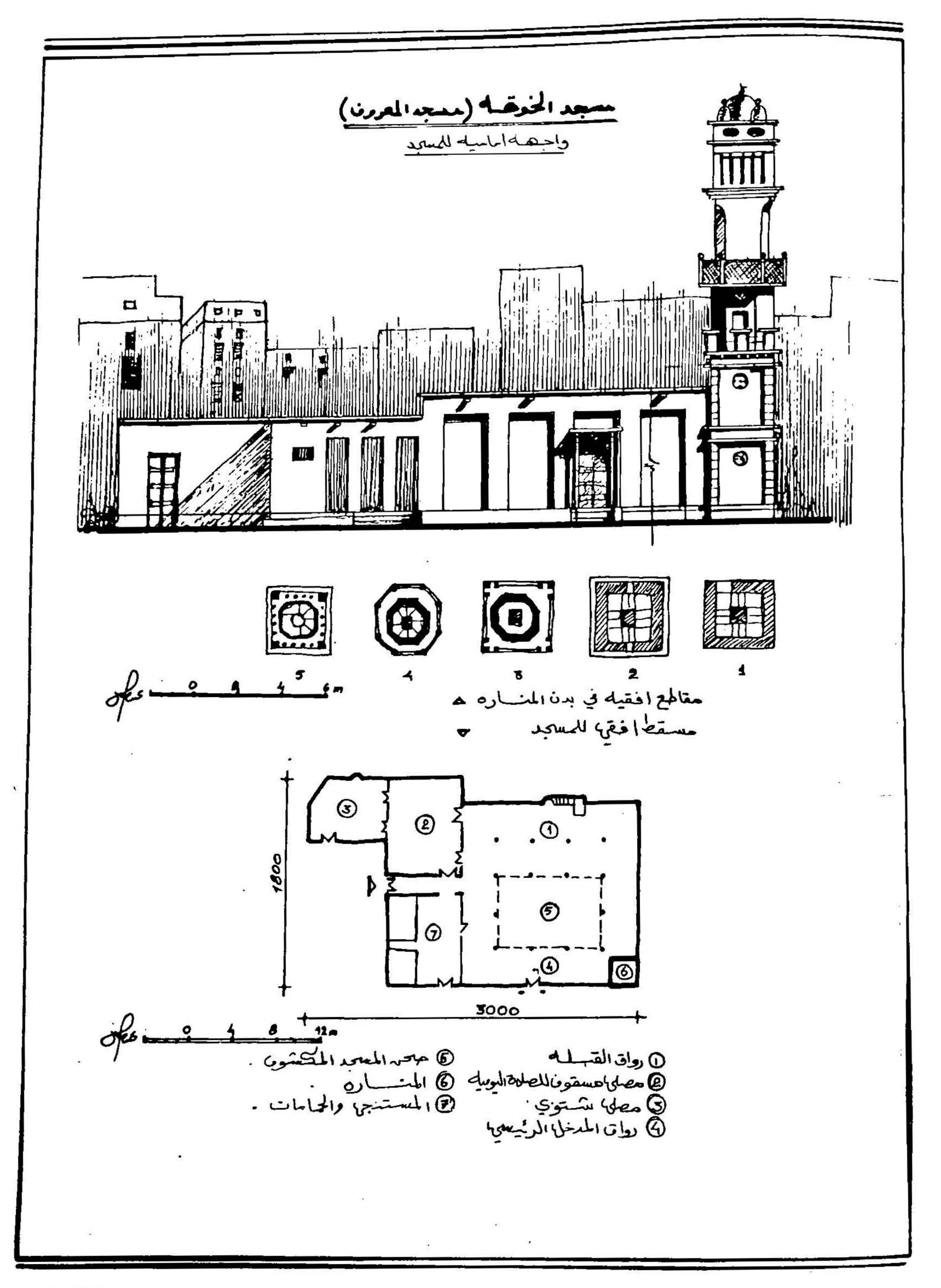
مساجد مدينة شبام التاريخية

بروز المساجد بين التجمعات السكنية
في وادي حضرموت

منظور عام لمسجد جامع الهدار

مقاطع أفقية للمنارة الحديثة


مسجد الجامع في مدينة شبام
مسقط أفقي للجامع
4000
2000
2000
ساحة المدخل الرئيسية
800
300
4400
رواق القبلة
صحن المسجد المكشوف
رواق المدخل الرئيسي
المتوضى ودورة المياه
المصلى الشتوي
المنارة
مسجد الجامع في مدينة شبام
واجهة رئيسية لجامع شبام
رواق القبلة
المحراب و جدار القبلة


مسجد الخوقه (مسجد المعروف)
واجهه اماميه للمسجد
مقاطع افقيه في بدن المناره
مسقط افقي للمسجد
1800
3000
① رواق القبله
② مصلى مسقوف للصلاة اليوميه
③ مصلى شتوي
④ رواق المدخل الرئيسي
⑤ صحن المسجد المكشوف .
⑥ المناره .
⑦ المستنجى والحمامات .

مقدمة

لدراسة مصطلحات المساحة في اليمن

« مدخل لرسالة ابن الأشْخر في علم المساحة »

المهندس محمود إبراهيم الصغيري

(١ - ١) : التمهيد :

في الشهر السابع من عام ١٩٧٩ كنت في زيارة للمدينة العربية الاسلامية العريقة : زبيد . وعرفني مؤرخها المعاصر الاستاذ عبدالرحمن الحضرمي الى احد شيوخها الاجلاء ؛ وهو الشيخ محمد عبدالجليل الغُزي ! الذي توفاه الله قبل حوالي عشر سنوات .*

واثمرت جهود الاستاذ الحضرمي في اقناع الشيخ الغزي بالسماح لي بالاطلاع على مالديه من مخطوطات أهل اليمن عامة، والعلمية منها على وجه خاص.

وكان الشيخ رحمه الله كثير الغيرة على مخطوطات البلاد ، عزيز النفس، واسع الاطلاع، ذا همة ونشاط على رغم ثقل السنوات و «الشلل» النصفي الذي لم يمنعه من انهاء عمل جليل عن أعلام اليمن في هذا القرن . وهو العمل الذي قيل لي إنه اكثر كمالاً من « نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر» الهجري للعلامة محمد زبارة.

وبعد أيام من ترددي على بيت الشيخ ابديت له أهمية «المجموع» الذي يضم في اوراقه عدة رسائل علمية منها «الجبر و المقابلة» للفقيه المكي ابن دَحْلان و « الإراحة في علم المساحة» لمحمد بن أبي بكر الاشخر - برغم ما أصاب هاتين الرسالتين - وأوراق «المجموع» جملة - من تلف شديد في مراكز الصفحات.

واذكر أن الشيخ الجليل سالني عن تجاوزي اهمية «اللمعة الماردينية» في شرح «أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة» لبدر الدين سبط الماريني ، باعتبار الأرجوزة من اكثر رسائل «الجبر العربي المنظوم» شهرةً وإثارة .

---

* استكملت هذه الدراسة في شكل كتاب عام ١٩٨٩م

فقلتُ له بأن شهرتها وحدها قد استقطبت عدداً من الباحثين العرب والأجانب في فترات متقطعة من هذا القرن، ربما كان آخرهم الأستاذ بديع الحمصي الذي حظيت بالاستماع الى بحثه أثناء مشاركتي في «الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب» والتي عقدت قبل ثلاثة أشهر من مقابلتي للشيخ ، عقدت في معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ، في الفترة الواقعة بين ٥ - ١٢ نيسان / أبريل عام ١٩٧٩م .

فقال رحمه الله وهو يبتسم :

- الحمد لله على اقتراب يوم اهتمام العرب بما «بعد» المؤلفات المشهورة، وخاصة مؤلفات أهل اليمن.

وغمرني إحساس باطمئنان الشيخ الى قوة التاريخ. تلك القوة التي من شانها إعادة التوازن الى ذاكرة الأمة ، ومواطنيها ايضاً .

وبعد حديث طويل، بعضه عن المحطات الغامضة في مراحل تاريخ زبيد ، وبعضه الآخر عن هموم تسرب المخطوطات الى خارج اليمن عن طريق التجار والغرباء المقنعين بلبُوس البحث والآثار والدراسات التاريخية، استاذنت الشيخ في السفر الى الحديدة ، التي كنت آتي منها فجر كل يوم .

وفي صباح اليوم التالي وبعد وصولي إلى منزل الأُستاذ الحضرمي علمت بأن الشيخ قد ارسل احد مريديه عدة مرات سائلاً عن وصولي. وترك المريد خبراً بوجود الشيخ في منزل «آل الانباري».

فخرجت برفقة الأستاذ الحضرمي . وأذكر أن الحديث الذي غطّى التواءات الأزقة التي مررنا بها كان خاصاً بظهور مدينة الحديدة في التاريخ وتاثير ذلك الظهور على مدينة زبيد وثغورها ا لبحرية . والحق أن الحديث كان من طرف واحد لأنني لم أكن إلا مستمعاً أو سائلاً . وجلّ ماصدر مني كان تحريض الأُستاذ الحضرمي على الكتابة والنشر في مجلة الاكليل التراثية التي كانت قيد التأسيس .

وبعد الاجتماع بالشيخ بوقت قصير قدّم إليّ .. المجموع قائلاً :

- أمانة.

ولم يزد على الأمانة كلمة أخرى فتنامت في داخلي أحاسيس هي مزيج من الفرح والامتنان والخوف .

ولا اكتم القارىء العزيز أن تلك الاحاسيس لم تنطلق في النفس قبل تلك اللحظة بثلاث سنوات حين حصلت على أول مخطوط عربي في الجبر للقلصادي .

ولعل تفسير ذلك يرتد إلى أن الحاجة إلى المخطوطات ا لعربية أو الاشتغال بها مسالة من مسائل الاستغراق العقلي لاسباب عديدة أبرزها إكتشاف الإسهام العربي ا لعقلي وحده ، اما تلك المخطوطات التي تاتي من زبيد فيثير بقاؤها في النفس يقظةً لامحدودة بقرون الحزن والملاحم الدامية التي مرت على هذه المدينة : زبيد .

فما مر على بعض العواصم العربية الاسلامية من فترات حالكة وظالمة - وعلى سبيل المثال ماحدث لبغداد ومخطوطاتها وبشرها على أيدي جنود هولاكو - لايمكن اعتباره زمناً متصلاً بالقدر الذي يعترضنا في تاريخ مدينة زبيد على ا متداد اربعة عشر قرناً أو تزيد .

فما حدث لزبيد في التاريخ كان كفيلاً بحريق شامل لذاكرتها .

ولكنها بقيت وظلت أيضاً تحافظ على عدد غير قليل من مكوّنات المدينة التاريخية الاسلامية : العلماء والمساجد والمخطوطات.

ولكل الاحالات السابقة إن لمخطوطات زبيد نكهةً خاصةً وسروراً يبعث على الاطمئنان بارادة الحياة في اليمن المبارك.

فجزى الله الشيخ الغُزّي خيراً واسكنه فسيح جناته، وكافح اولئك الذين عرّضوا ويعرضون تراث اليمن للتسرب الى خارجها حيناً وللتاكل و العت والضياع في الأحيان الاخرى الغالبة.

(١ - ٢) : وصف المخطوطة :

تقع المخطوطة في اثنتي عشرة صفحة من القطع المتوسط وعلى هوامشها إضافات وفوائد وملاحظات بعضها من وضع المرحوم الشيخ عبدالله بن محمد البطاح ناسخ «الإراحة في علم المساحة» وبعضها الآخر من وضع «سليمان بن علي بن محمد البطاّح».

وفي الصفحة الأخيرة أشار ا لناسخ إلى أنه قرأ نسخته على الشيخ المحقق «محمد بن محمد بن حسن الأهدل» وفي جانب من إشارة الناسخ كتب سليمان بن علي بن محمد البطأح - بخط مختلف عن الاول - ذاكراً أنه قرأ المخطوطة على والده «العلامة ا لشيخ علي بن محمد البطّاح».

ويعود تاريخ الانتهاء من نسخ مخطوطة الاشخر إلى الحادي عشر من شهر ربيع الاول عام ١٣٠٤ للهجرة.

وجميع القراءات والمراجعات قد تمت في العام نفسه من غير إشارة إلى الشهور.

وأما الاضافات والفوائد والاستدراكات التي كتبها الناسخ بخطه على هوامش المخطوطة فبعضها منقول عن «ابن زياد الوصابي تلميذ السانه» وبعضها الثاني عن الشيخ عبدالقادر بن محمد الاهدل» والبعض الثالث عن «الخالدي».

وثمة صفحة ألحقها الناسخ بخطه في نهاية المخطوطة ذكر في نهايتها انه أخذها «بتصرف يسير جداً من التفاحة».

وقد الحقت الهوامش والاضافات في نهاية الكتاب حرصاً على الفائدة من جهة ومنعاً للإلتباس من جهة أخرى بينها وبين المتن - وبالاضافة الى ذلك حرصت على نشر نسخة مصورة من المخطوطة كما ستجدها في نهاية هذا الكتاب.

وصحيح أن مناهج تحقيق التراث العربي قد أرست تقليد استناد النشر الى مخطوطتين أو اكثر لاسباب معلومة معروفة الآن هذا التقليد في موضوعات الرياضيات والعلوم البحتة ضرب من «لزوم مالا يلزم» وعلى وجه خاص في بلد مثل اليمن تسلخ فيه حوالي عشر سنوات من البحث المتواصل عن نسخة أخرى فلاتجد من تستجيب نخوته لانقاذ تراث اليمن العلمي كما لمسناه ويلمسه اليوم قارىء هذا الكتاب في شخص الشيخ الغُزّي رحمه الله.

وعلى وجه العموم إن نسخة هذه المخطوطة والمراجعات التي أشرت اليها سابقاً تكفي وحدها للتوكيد على أنها نسخة «محققة في حينها».

(١ - ٣) : اسم المخطوطة :

في الصفحة «٤٩٠» من كتابه الرائد «مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن» يقول الأستاذ عبدالله الحبشي في ترجمته للأشخَر:

«هو محمد بن أبي بكر الأشخَر المتوفى ٩٩١ «فقه» له مختصر التفاحة * للأشعري».

وفي الصفحة «٢١٤» يقول:

«كان بارعاً في علم الحديث والفقه والتاريخ، من شيوخه احمد بن حجر الهيثمي وغيره، ولد سنة ٩٤٥. وصنف في علوم جمة مع تمكنه التام من نظم الشعر، وقد

---

* المقصود «التفاحة في علم المساحة» لاحمد بن محمد الاشعري المتوفى كما يقول الاستاذ الحبشي في القرن السادس الهجري - انظر «مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن» - الصفحة (٤٩٠).

أورد له العيدروس* الكثير من شعره، توفي سنة ٩٩١ للهجرة.

ولايراودنا شك في ان المختصر الذي أشار إليه الاستاذ الحبشي هو ذاته كتاب «الإراحة في علم المساحة»، وليس «هذه الإراحة في علم المساحة»، كما اورد الدكتور يوسف شلحد في الصفحة «١٣» من مقدمته لكتاب «الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد» لأبن الدَيبَع.

وقد تاكد لي بالمقارنة أن نسخة مخطوطة الأشخر التي وقف عليها الدكتور شلحد هي في الاحتمال الأقوى نسخة الشيخ الغُزي ذاتها، أو هي في أضعف الاحتمالات نسخة منقولة عنها.

وما أورده الدكتور شلحد في الصفحة «١٣» نقلاً عن المخطوطة، حول مساحة المعاد في زبيد، ليس من متن المخطوطة وإنما هو من إضافات الناسخ الشيخ عبدالله بن محمد البطاح نقلاً عن احمد بن عبدالله السلمي.

ورغم ذلك يقول د. شلحد: [والواقع أن مساحة المعاد، التي استخرجناها بالحساب نجدها ايضاً في بعض المؤلفات القديمة. ففي مخطوطة عثرنا عليها بزبيد، عنوانها «هذه الاراحة في علم المساحة» تاليف الشيخ جمال الدين محمد بن أبي بكر الأشخر، تاكيد لما حققناه إذ يقول: اعلم أرشدني الله وإياك للصواب .. الخ].

ولكن ماأثاره د. شلحد حول مساحة المعاد ومقدار «الذراع بالسنتيمترات» ليس جديداً فحسب وإنما جديراً بالدراسة.

فما مساحة المعاد؟ وماطول الذراع؟ - وبالتالي ما الشكلة؟، والقصبة؟ واللّبْنة وغيرها؟

(١ - ٤): فائدة عن المعاد:

ورد بخط الناسخ - كفائدة - على صفحة عنوان مخطوطة الأشخر ما يلي:

[إعلم أرشدني الله وإياك للصواب: أن المعاد في عُرف أهل اليمن قطعة من الارض مربعة كل[١] جانب منها حبلان، أي قصبتان وتكسيره.[٢] كل قصبة حبل وعرضها كذلك، وكل من هذه الأربع[٣]: أربعة قراريط طولاً وعرضاً. [واذا ضربنا] اربعة[٤] في اربعة بلغت ستة عشر، فهي جملة المعاد قراريط، وكل قيراط من هذه الستة عشر طوله خمسة وعشرون ذراعاً وعرضه كذلك. فإذا مسحت القيراط بان تضرب عرضه في طوله - خمسة وعشرون في مثلها - بلغ ستمائة وخمسة وعشرين. فاذا ضربت ذلك في جملة قراريط المعاد - وهي ستة عشر - كان الحاصل عشرة آلاف. وهو مبلغ المعاد لبناً، كل واحدة عرضها وطولها ذراع[٥]. فقد بان لك من هذا انك إذا سلكت في اعمال المساحة على مافي متون الكتب في هذا الفن كالتفاحة وغيرها والمنتهي تقسمه على عشرة آلاف يعود إلى المعاود، فان قسمته على ربع المبلغ المذكور الفين وخمسمائة كان الخارج قصباً، أو على ستمائة وخمسة وعشرين كان الخارج قراريط، هذا اذا كان تقديرك بالأذرع، فإن قدرت بالحبال، ابتداءً، مثل أن يكون معك مربع متساوي الأضلاع هكذا:

١٠ × ١٠ = ١٠٠ (حبل)

١٠ حبال (أسفل المربع) — حبال (جانب المربع)

فتقول المساحة ضرب احد الجوانب في مثله يبلغ مائة حبل، أي قصبة، كل قصبة ربع المعاد.

* يظهر ان الاستاذ الحبشي تاثر بالعيدروس القائل باختصار الأشخر لكتاب «التفاحة» - انظر «تاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر» - صفحة (٣٤٩) لمحي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس «العيدروس» ط١/١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - بيروت/دار الكتب العلمية.

فإن قسمت ذلك على اربعة ، عاد إلى خمسة وعشرين معاداً، وإن ضربت المئة في اربعة بلغ اربعمائة ، وهي قراريط المعاود المذكورة . ا . هـ . إفادة صفي الاسلام احمد بن عبدالله السلمي رحمة الله عليه]

(١ - ٥) : الذراع في زبيد :

وورد بخط الناسخ ايضاً ، وفي صفحة العنوان تحديد مايلي :

[ذراع اليد عندنا اربعة وعشرون أصبعاً معترضات . والاصبع سته «كذا» شعيرات معتدلات معترضات، وذراع الحديد ذراع وربع ، لكن المصطلح عليه في المساحة بوادي زبيد غير الذراعين المذكورين وهو ستة «كذا» قبضات وترفع الابهام في القبضة السابعة . وحيث قد استمر العمل بالذراع المذكور فينبغي أن تحرر الحبال عليه ويستمر العمل به ولا خلل في ذلك .

فان المساحة للممسوحات كالكيل للمكيلات والوزن للموزونات ، فانه إذا استمر العمل به استد باب النزاع والشقاق وانصرف الذراع إليه عند الأطلاق كما ذكروه في النقد ، انتهى ابن زياد الوصابي تلميذ السانة] .

والمقصود بالسانة هو : مفتي زبيد احمد بن عبدالله السانة ، من قرية السانة بوصاب ، ويقرر الاستاذ الحبشي[٦] انه توفي عام ١١٠٥هـ.

(١ - ٦) : مناقشة أراء د. شلحذ :

(١ - ١/٦) : اولاً : تعليقاً على النص السابق الذي استخرجه ناسخ المخطوطة من ابن زياد الوصابي قال د. شلحذ في الصفحة «١٤»:

«ومن المعلوم ان القبضة تساوي ست «كذا» اصابع، ونتيجه ذلك ان ذراع المساحة بوادي زبيد يعادل اربعين اصبعاً، اي ذراع اليد وثلثيه ، فإذا سلمنا بما يقول المستشرق هنز في بحث له عن الأوزان والمكاييل في الاسلام ، يكون طول ذراع اليد ٤٩,٨ سنتيم، وطول ذراع المساحة بوادي زبيد ، ٨٣ سنتيم اي انه يعادل الذراع الهندي»[٧]

ولاشك ان د. شلحذ حاول ان يقترب من المقابل المتري للذراع «الزبيدي» الذي يختلف عن ذراعي اليد والحديد استناداً الى المعلومات التي اوردها الناسخ[٨] .

ويتطابق التقدير الذي بناه د. شلحذ . تاسيساً على حسابات المستشرق الالماني هنز[٩] ، مع نتائج المستشرق الايطالي نللينو، كما سيأتي ذكره.

فاذا كان طول ذراع اليد هو (٤٩,٨ سم) فهذا يعني انه الذراع العربي الشرعي؛ والذي قدره نللينو بـ (٤٩,٣٣سم).

وجدير بالذكر ان علاقة المستشرق الايطالي نللينو بالحسابات العربية في الفلك والرياضيات اكثر غزارة وعمقاً من هنز. ولهذا السبب وحده اعتمدناه في تقدير طول الذراع العربي الشرعي . ولمزيد من المراجعة يمكن العودة الى «علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى» ـ كارلو الفنسو نللينو . روما/ ١٩١١ . وكذلك بحث «قياس محيط الارض» في كتاب «دور العرب في تكوين الفكر الاوربي» د. عبدالرحمن بدوي/ ط١٩٧٩/٣/ ص ٢٤٩ - وكالة المطبوعات - الكويت / دار القلم - بيروت.

(١ - ٢/٦) : ثانياً : يقرر د. شلحذ في الصفحة «١٣» أن «المعاد يعادل عشرة الآف ذراع مربع ».

وقد اصاب في إقرار هذه النتيجة ؛ على الرغم من انه قد لجا الى نصوص معقدة الإحالات في كتاب «تاريخ المستبصر» لابن المجاور[١٠]، وكتاب «العقود اللؤلؤية» لأبي الحسن الخزرجي .

وكان بامكانه أن يفيد من النص الواضح الذي نقله في الصفحة «١٣» ذاتها من هامش المخطوطة للتاكيد على هذه النتيجة .

(١ - ٣/٦) : ثالثاً : في نهاية الصفحة «١٣» يشير الدكتور شلحذ إلى مسالة مهمة تتعلق بزيادة الذراع اليمني، ويستند الى ابن المجاور الذي يقول بالنص «١١» :
«والذراع اليد في أيام الموسم بمدة شهر كامل زيد في الذراع «١٢»، وفي سنة اثنين «كذا» وعشرين وستمائة زيد في الذراع ورجع «١٣» ا الذراع على ذراع مصر».
(١ - ٤/٦) : رابعاً :
وورد في كتاب ابن الديبع «قرة العيون في اخبار اليمن الميمون» مايلي :
«قال ابو الحسن الخزرجي مسحت زبيد في ايام الملك المجاهد الغساني فبلغت ستمائة معاد وثلاثين معاداً، ثم مسحت في الدولة الافضلية فنقصت على المساحة الأولى نحو «كذا» من خمسين معاداً والله اعلم «١٤»».
وعلق فضيلة الوالد العلامة القاضي محمد بن علي الاكوع الحوالي قائلاً «١٥»:
«المعاد : في عرفنا معاشر اليمنيين ثمانون قصبة او لبنة او شكلة ؛ على اختلاف التعابير وأعراف جهات مناطق اليمن والمعاد يقدر بفدان مصري على وجه التقريب .
والشكلة ومايرادفها مما ذكرنا تختلف باختلاف المناطق . فمن اثني عشر ذراعاً إلى اربعة وعشرين ذراعاً».
وفي الهامش رقم «١٦» من هوامش مقدمته قال د. شلحذ «١٦»:
«وأما ماقاله الاستاذ محمد علي الاكوع عن المعاد فقد يكون صحيحاً في العرف اليمني اليوم، ولكن الأولى عدم الاعتماد عليه من الوجهة التاريخية».
وبصرف النظر عن بذرة الشك التي غرسها د. شلحذ في عباراته وبالتالي التقليل من كلام العلامة محمد بن علي الاكوع الا انه من غير المفهوم المراهنة على عدم الجدارة «التاريخية» ، وسيجد القارىء المتابع في الفقرات الخاصة بمناقشة المصطلحات المساحية اليمنية الأدلة الكافية على دقة مفردات العلامة الاكوع ، وعلى وجه خاص هذه الدقة المدهشة التي عبر عنها في حديثه عن الشكلة؛ وتراجحها بين اثني عشر ذراعاً واربعة وعشرين ذراعاً ، وماينطبق على «الشكلة» ينسحب على سائر المصطلحات التي وردت أيضاً في النص الذي قلل من قيمته وجدارته معاً الاستاذ شلحذ .
ولو اجرى د. شلحذ تحويلاً مترياً - كمبدا قياس - للمعاد والفدان المصري معاً لوجد انهما «على وجه التقريب» كما يقول العلامة محمد الاكوع متقاربان.
اذ ان «الوحدة المساحية لقياس الارض الزراعية بمصر هي الفدان وتساوي «١٧» ٤٢٠٠,٨٣م٢» .
وبالمقارنة بالمعاد اليمني «العادي» تكون الأبعاد المساحية : للفدان المصري «٦٤,٨ × ٦٤,٨» متر مربع ، وللمعاد «٦٤ × ٦٤» متر مربع .
واستناداً الى دراسات وزارة الزراعة بصنعاء «١٨» توجد عدة مساحات للمعاد ؛ الغالب فيها ماأراده القاضي الاكوع ؛ والذي ينبغي إيضاحه بعدد اذرعه او منسوباً اليها .
ولاشك ان هذا المعاد الغالب هو المعاد المئوي :
«١٠٠ ذراع طول × ١٠٠ ذراع عرض» ؛ بالنسبة الى ذراع اليد تحديداً

★ ★ ★

وتوثيقاً للمناقشات السابقة اجد من المناسب استخراج تصور «موحَّد» لمصطلحات اليمن المساحية بما يحقق حسن تصورها هندسياً ويستفاد منها في المناهج اليمنية.

(١ - ٧) : تعريفات وتحليل تعليمي :

(١ - ١/٧) : التعريفات ومربع التحويل :

* المعاد : قطعة مربعة من الارض تعادل عشرة آلاف ذراع مربع «١٠٠ ذراع × ١٠٠

ذراع».
* المعاد والحبل والقصبة واللبنة والشكلة والقيراط ونحوها قياسات للمساحة ، وأما الذراع فقياس للمسافة الطولية .
* الحبل «المقصود به المساحي أي المربع » = القصبة = قيراطان طول × قيراطان عرض = أربعة قراريط.
* القيراط : قطعة مربعة من الارض . تعادل ستمائة وخمسة وعشرين ذراعاً مربعاً ، وقياسها : «٢٥ ذراع × ٢٥ ذراع»
* المعاد : = (حبلان)^{2} = (قصبتان)^{2} = (٤ قراريط)^{2} =(٢٥× ٤ ذراع)^{2}
= ١٠٠٠٠ ذراع مربع.
ومنه :
يكون الحبل (أو القصبة) : ربع المعاد ، والقيراط يبلغ جزءً من سته عشر جزء من المعاد (القيراط = $\frac{1}{16}$ معاد).
وملخص هذه التعريفات موضح في «مربع التحويل» التالي الذي أعددناه لتيسير التصور الهندسي .

١٠٠ ذراع — ٢٥ ذراع

١٣	١٢	٥	٤
١٤	١١	٦	٣
١٥	١٠	٧	٢
١٦	٩	٨	١

(أركان المربع: أ ، ب ، حـ ، د ؛ ونقاط: هـ ، ز ، و ، ط ، ك ، ل ، م — ١٠٠ ذراع ، ٢٥ ذراع)

ا ب حـ د =معاد
ا هـ ط ح =حبل مساحي
ا ك ل م =قيراط
ا ك = ا م =٢٥ ذراعاً
وكذلك:

ذراع اليد = ٢٤ اصبعاً
ذراع اليد = ٢٤× ٦ شعيرة
= ١٤٤ شعيرة

ذراع الحديد = ١$\frac{1}{4}$ ذراع يد.

وهكذا تكون :
-الشعيره وحدة المسافة
- والقيراط وحدة المساحة .

***

(١ - ٧ - ب) قواعد التحويل :

واستناداً إلى النصين المستخرجين من فوائد المخطوطه - وبالإضافة إلى ذلك مربع التحويل
- يمكن وضع التحليل التالي :
لنفترض ان مساحاً أجرى قياسه لقطعة من الارض فوجدها (س) ذراعاً مربعاً . فكيف بامكانه ان ينتقل من الذراع المساحي إلى المعاد وغيره؟.
قاعدة (١): إذا قسم المساح ما وجده بالذراع المربع وهو (س) على عشرة الآف يحصل على المعاد مباشرة.

$$\frac{\text{س (بالذراع المربع)}}{10000} \Longleftarrow \text{بالمعاد} \qquad \text{نتيجة(١)}$$

«واذا قسمت النتيجة (١) على اربعة مباشرة تنتج القصبة أو الحبل».

قاعدة (٢): وكذلك يمكن وضع القاعدة التالية:

$\frac{\text{س(بالذراع المربع)}}{٢٥٠٠}$ ⟸ بالقصبة (او الحبل) نتيجة(٢)

قاعدة (٣): ولأن المعاد يعادل ستة عشر قيراطاً لذا يمكن كتابة القاعدة التالية:

$\frac{\text{س (بالذراع المربع)}}{٦٢٥}$ ⟸ بالقيراط نتيجة (٣)

قاعدة (٤): واذا افترضنا ان القياسات كانت بالحبال او القصبات (وليست بالانرع) واردنا أن يتجه التحويل نحو المعاد والقيراط نجد النتائج التالية:

$\frac{\text{س(بالحبال)}}{٤}$ ⟸ بالمعاد نتيجة (٤)

وكذلك:

س(بالحبال) × ٤ ⟸ بالقراريط

(١ - ٧ - ج): الذراع والمتر:

ولكن: ماهي العلاقة العددية بين الذراع والمتر؟.
«سنستخدم هنا ذراع اليد لغرض مقارنته بالذراع الماموني الشهير».
تشير وثيقة عن التعداد الزراعي صدرت [١٩] في شهر ابريل / نيسان من عام ١٩٨٣م الى ان المعاد في لواء الحديدة و(زبيد جزء منه) يتراوح بين (٣٦٠٠م٢) و (٤٠٩٦م٢) . واقرت الوثيقة القيم الثلاث التاليات للمعاد:

المعاد = ٦٤م × ٦٤م = ٤٠٩٦م٢ (١)
المعاد = ٣٦٠٠ م٢ (٢)
المعاد = ٣٨٠٠ م٢ (٣)

ثم أخذت الوثيقة المذكورة بالقيمة الكبرى مشيرة إلى وجود «معاد اصغر تتراوح مساحته بين ٣٦٠٠م٢ و٣٨٠٠م٢»
ولغرض إظهار العلاقة العددية بين الذراع والمتر نضع الجدول التالي:
الجدول «١٠» : استخراج القياس المتري لنوعي الذراع: اليد والحديد .

	القيمة الكبرى	القيمة الوسطى	القيمة الصغرى
المعاد	٦٤م×٦٤م=٤٠٩٦م٢	٦١,٦٤٤م×٦١,٦٤٤م= ٣٨٠٠م٢	٦٠م×٦٠م=٣٦٠٠م٢
الحبل	$\frac{٤٠٩٦م٢}{٤}$=١٠٢٤م٢	$\frac{٣٨٠٠م٢}{٤}$=٩٥٠م٢	$\frac{٣٦٠٠م٢}{٤}$ =٩٠٠م٢
القيراط	$\frac{١٠٢٤م٢}{٤}$=٢٥٦م٢	$\frac{٩٥٠م٢}{٤}$ = ٢٣٧,٥م٢	$\frac{٩٠٠م٢}{٤}$ = ٢٢٥م٢
ضلع القيراط	٢٥ ذراع = ١٦م «جذر مساحة القيراط»	٢٥ ذراع = ١٥,٤١م	٢٥ ذراع = ١٥م
الذراع	$\frac{١٦م}{٢٥}$ = ٠,٦٤	$\frac{١٥,٤١م}{٢٥}$ = ٠,٦٢م	$\frac{١٥م}{٢٥}$ = ٠,٦٠م
الذراع الحديد	١,٢٥×٠,٦٤= ٠,٨٠م	١,٢٥×٠,٦٢م=٠,٧٦م	١,٢٥×٠,٦٠م=٠,٧٥م

* نراع اليد «الوسطى» = ٠,٦٢م = ٦٢سم.
* نراع الحديد«الوسطى» =٠,٧٧م = ٧٧سم «لواء الحديدة».

(١ - ٧ - د): اضطراب المصطلحات المساحية في اليمن:

وبالمقارنة مع الذراع العربي التاريخي، نجد ان ذراعي اليد والحديد في اليمن اكبر من الذراع العربي ؛ واعنى ذلك الذراع الذي اعتمد عليه في قياس محيط الارض ووحدة «الميل المأموني».

ولقداثبت الاستاذ نليبو في مقال له عن «القيمة المترية لدرجة سمت الراس عند الجغرافيين العرب (تورنتو سنة ١٨٩٣م ، في مجلة كوسموس ، ج٥»ان الذراع السوداء هي الذراع الشرعية ، وان مقدارها هو ٣ , ٤٩٣ مليمتر »[٢٠]

وهذا يعني ان: الذراع الشرعي = ٤٩٣٣, . متر

وهو اقل من نصف المتر بجزء مئوي واحد . ويمكن ان نقول إنه يساوي نصف المتر تماماً ، إذا اخذنا بالاعتبار عاملاً واخداً من اخطاء القياس؛ وليكن الخطا في المطابقة مثلاً .

وبالاضافة إلى ذراعي اليد والحديد هناك وحدة اخرى للمسافة الطولية تعرف في بعض الالوية اليمنية باسم «الذراع المكفف». مثال ذلك (لواء حجة ، لواء ذمار).

ففي لواء حجة يبلغ الذراع المكفف (٥٦سم) ، بينما يتراوح نراع الحديد بين (٦٧سم) و(٧٢سم) . ولكن ذراع اليد المستخدم هو نفسه «الذراع الشرعي» ، اي (٥٠سم) .

وتشترك حجة والحديدة في استخدام «المعاد» و«الحبل» . ولاخلاف في المساحة المترية للمعاد بين اللوائين:

(٦٤م × ٦٤م).

واما الحساب الخاص بـ «الحبل» فينطوي على تباين واضح لم استطع تقدير مصدر سببه.

فاستناداً إلى القواعد السابقة يبلغ «الحبل» (٥٠ ذراع طول × ٥٠ ذراع عرض) ؛ كما وجدنا ذلك في لواء الحديدة ؛ وكما نصت عليه فوائد المخطوطة.

واما في لواء حجة فيبلغ (٣٢ نراع طول × ٣٢ نراع عرض) - رغم ان ذراع اليد في حجة (٥٠ سم) ؛ اي اقل من نراع اليد في لواء الحديدة بـ (١٢سم) .

ومن الناحية الهندسية الصرفة يعني هذا التباين وجود اختلافات في التعريفات الاولية للقياسات الطولية من جهة (الذراع)، والقياسات المساحية من جهة اخرى (الحبل مثلاً).

ويتجلى هذا الاختلاف صارخاً على صعيد اللواء الواحد. مثال ذلك لواء «إب».

ففي لواء «إب» وحده خمسة تعريفات متباينة للقصبة (بالنسبة لذراع اليد فقط - كما يتضح في جدول «الوثيقة» المشار اليها). وتنسحب على هذا التباين الاصطلاحي اختلافات ملموسة في التحويلات المترية التي نصل اليها.

وعلى الرغم من استخدام وحدة «اللبنة» كاكبر وحدة مساحية في عدة الوية يمنية - (مثال ذلك : نمار، المحويت، حجة، صنعاء، صعدة، مارب) - الأ أن التطابق يكاد يكون معدوماً بالنسبة للوحدة المساحية.

وليس هناك اتفاق الأ في المقابل المتري لنوع الذراع.

وتشترك الوية حجة والحديدة وصعدة والبيضاء والجوف في استخدام «الحبل» ولكن حال هذه الوحدة لايختلف عن غيرها - بالنسبة لانواعها من جهة ونوع المسافة الطولية المتعامل بها من جهة اخرى.

وكذلك نجد بعض المطابقات المساحية، كما هو حاصل في استخدام «الضَمَد» في ذمار وتعز (٣٠٠٠م^2) ولكن هذه الوحدة ذاتها تبلغ (٢٠٠٠م^2) في صَعْده.

* ويظهر أن اليمنيين خرجوا على استخدام مفهوم واحد ومحدد للمصطلح المساحي. لذا نجدهم في التعامل مع بعض المصطلحات ينسبونها إلى «عدد الاذرع» المرتبطة بها، أو

التي اصطلحوا عليها بالاتفاق - كما هو الحال في مصطلحات «اللّبْنة» و«القصبة» و«الشّكلة» و«المطْرح».
فيقولون: «لبنة ١٠» ويعنون بها تلك اللبنة التي مساحتها (١٠ اذرع طول × ١٠ اذرع عرض) - وتسمى احياناً «اللبنه العشارية».
وتصل «اللّبنة» إلى سبعة وعشرين ذراعاً في مثلها. وربما اكثر. (راجع الجدول «٢»)
وكذلك تتراوح «القصبة» بين «عشرة اذرع مربعة» و «اربعين ذراعاً مربعاً». ولايسمح هذا التوظيف المتعدد للمصطلح المساحي الواحد بافتراض اتفاق تساوي المصطلحات الواحدة؛ حتى تلك المنسوبة إلى نفس عدد الاذرع المقاسة.
ففي المحويت تبلغ «اللّبْنة ١٦» في التحويل المتري (١٢٥م^{2})، ولكن هذه اللبنة ذاتها في حجة تبلغ (١٣٢م^{2})، بالنسبة لمقياس واحد وهو ذراع الحديد - راجع الملحق «١»، والجدول «٢».
وثمة اتفاقات مدهشة رغم التباينات التي اشرنا اليها. مثال ذلك: المقابل اليمني للمساحة المترية (٦٤م^{2})؛ بالنسبة لذراع اليد تحديداً:
٦٤م^{2} = «قصبة ١٦» في لوائي «تعز» و «إب».
= «حبل ١٦» في لوائي «البيضاء» و«الجوف».
= «مطرح ١٦» في لواء «ذمار».
وبالنسبة لذراع الحديد تتفق الوية (او محافظات) «ذمار» و «صنعاء» و«مارب» في استخدام مفهوم واحد لـ «اللبنة ١٠»؛ قياساً بالتحويل المتري «٤٩م^{2}».
وبالإضافة إلى هذه الاتفاقات هناك اتفاقات طريفة في تعدد المصطلح بالنسبة للمساحة الواحدة؛ مثال ذلك في لواء «إب».
ففي هذا اللواء تستخدم «القصبة ١٦» بالمعنى ذاته الذي يرد فيه استخدام «الشكلة ١٦» - وهو مايكافيء في التحويل المتري (٦٤م^{2}) بالنسبة لذراع اليد.

(١-٧-هـ): في تعريف المصطلحات المساحية اليمنية:

لاشك أن هذه الاتفاقات والاختلافات التي يغلب عليها الطابع العشوائي صادرة عن تلك المحنة التاريخية التي سادت اليمن في مراحل اضطراباته الاجتماعية والسياسية وتجذرت بفعل التركة الإمامية الشريرة التي جعلت البلاد «جُزُراً» متخلفة وغير متصلة.
وبلا جدال يمكن تخطي الاختلافات التي من فئة أجزاء المئة واعتبار الاتفاق كاملاً في استخدام مصطلحات المسافات الطولية.
ودليلنا على ذلك ماهو موجود ومتوارث حالياً، والبيان التالي يوضح ذلك:
* الذراع الحديد (حوالي ٧٠سم) في: ذمار، المحويت، حجة، صنعاء، مارب.
ورغم أن الوثيقة التي اعتمدناها لم تشر إلى الالوية (او المحافظات) الاخرى، الاّ أن لدينا قناعة بان ذراع الحديد فيها يقترب من (٧٠سم).
* ذراع اليد (حوالي ٥٠سم) في: ذمار، حجة، إب، تعز، الجوف، صعدة، صنعاء، البيضاء، مارب.
وفي الاحوال كافة وجدنا أن الزيادة أو النقصان ضئيلة ويمكن إهمالها في الاغراض العملية المساحية.
* الذراع المكفّف (حوالي ٦٠سم) في: ذمار، حجة، صنعاء، - وربما وجد هذا الذراع ايضاً في الوية اخرى لم تشر إليها الوثيقة.
وهذا الذراع المكفّف ايضاً يتراوح بين (٦٠,١سم) و (٥٥,٩سم). ومعنى ذلك في التقريب أن تحويله المتري احد امرين: إما أن يزيد أو ينقص عن (٦٠ سم) بما لايتعدى «جزء الالف» من المتر.
وهذا التبسيط الذي نحسبه معقولاً وغير متناقض مع ماهو «منقول» يفرض علينا وضع اقتراح مساحي توحيدي؛ لعل القائمين على الحسابات المساحية ياخذون به ويقرونه.

(١-٨) : الاقتراح :

أولاً : يعتبر بالتعريف أن :

ذراع الحديد = ٧٠سم

والذراع المكفف = ٦٠سم

وذراع اليد = ٥٠ سم ، (ويسمىً بالذراع الشرعي).

((ملاحظة : في الملحق «٢» من هذا الكتاب صورة لقرار المشرع اليمني باعتبار ذراع الحديد (٦٧سم) وذراع اليد (٤٤,٦٦سم) . ولايعرف الكاتب من أين استقى المشرع أولياته، خاصة وأنها لاتتفق مع أوليات وزارة الزراعة والثروة السمكية في «ج.ع.ي» سابقاً من جهة وتخالف ماانتهى إليه الباحثون المعاصرون بالنسبة لمدونات القياس في التراث العربي الاسلامي.))

ثانياً : تنسب المصطلحات المساحية كافة إلى عدد الأذرع بانواعها الثلاثة، وتحسب وفقاً لهذه الأذرع، واستناداً إلى المقابل المتري لها.

وهذه المصطلحات المساحية هي :

المعاد، والحبل ، واللَّبْنة، والشكلة، والقصبة، والمطرح ومثيلاتها ..

فيقال «المعاد ١٠٠» ويقصد به ذلك المعاد الذي مساحته (١٠٠ ذراع طول × ١٠٠ ذراع عرض) . ويختلف تحويله المتري حسب نوع الذراع المستخدم.

ويقال أيضاً : «لبنة ٢٧» وتعني قطعة الأرض التي مساحتها (٢٧ ذراعاً × ٢٧ ذراعاً).

امثلة :

١- إذا كان القياس «بالذراع المكفّف» فما مساحة «حبل ١٠»؟

الجواب : (١٠×٠,٦٠م) × (١٠×٠,٦٠م) = ٣٦م^2

وإذا كان القياس «بذراع الحديد» يكون الجواب :

(١٠×٠,٧٠م) × (١٠×٠,٧٠م) = ٤٩م^2

و «بذراع اليد» :

(١٠×٠,٥٠م) × (١٠×٠,٥٠م) = ٢٥م^2.

٢- إذا كان المعطى «لبنة ٢٠»:

فاستنادا الى مقياس «الذراع المكفف» :

«٢٠×٠,٦٠م» × «٢٠×٠,٦٠م» = ١٤٤م٢.

وبذراع الحديد :

«٢٠×٠,٧٠م» × «٢٠× ٠,٧٠م» = ١٩٦م٢.

وحسب ذراع اليد :

«٢٠×٠,٥٠م» × «٢٠×٠,٥٠م» = ١٠٠م٢.

٣- وعلى الرغم من ان القصبة والشكلة مثلا تستخدمان بمفهوم الحبل في بعض الالوية الا انه لاخوف في التعامل مع مصطلحات المساحة اليمنية ، بصرف النظر عن معرفتنا السابقة بهذا التطابق:

مثال ذلك : «القصبة ١٢» :

فاستنادا الى الذراع المكفف :

«١٢×٠,٦٠م» «١٢×٠,٦٠م» = ٥١,٨٤م٢.

وحسب ذراع الحديد :

«١٢×٠,٧٠م» «١٢× ٠,٧٠م» = ٧٠,٥٦م٢.

وحسب ذراع اليد :

«١٢ × ٠,٥٠م» «١٢× ٠,٥٠» = ٣٦م٢

وهكذا دواليك ..

ولقد اعدنا كتابة جدول «وحدات المساحة المحلية في جميع الوية الجمهورية ومايقابلها بالامتار المربعة» الذي نشرته وزارة الزراعة والثروة السمكية اليمنية - راجع المصدر في الهامش «١٩»   - واضفنا عموداً جديداً يوضح بسهولة المقابل المتري لكل نوع من الانواع الثلاثة للأذرع اليمنية : اليد/ الحديد/ المكفف.

وقد استخرجنا من الجدول «٢» النتيجتين الاساسيتين التاليتين :

الاولى : يؤكد الجدول «٢» على ان هناك قياسات مسيطرة تبلغ في عموم الجمهورية :

للذراع الحديد = ٧٠سم

ولذراع اليد = ٥٠سم

ولذراع اليد المكفف = ٦٠سم.

الثانية : بما ان كل «وحدة قياس» في الجدول «٢» جاءت منسوبة إلى عدد اذرعها طولاً وعرضاً لذلك يمكن استبعادها كلها دفعة واحدة، والابقاء على «عدد الاذرع».

الجدول «٢» : وحدات المساحة المحلية في جميع الوية الجمهورية ومايقابلها بالامتار المربعة :

(١-٩) : المصطلح المساحي العربي : جهود ونصوص :

تتفق النتائج التي انتهينا إليها إعتماداً على النصوص اليمنية السابقة مع نتائج الباحث العربي د.م جلال شوقي الذي يقول :

«ولما كان طول الذراع الشرعي طولاً ثابتاً على امتداد الحضارة الاسلامية زماناً ومكاناً ، ولما كنا قد اثبتنا انه يبلغ ٤٩,٥ سنتيمتر امكن بيان المكافىء المتري لوحدات الطول العربية «٢١»

ثم اعتبر طول الذراع الشرعي في الجدول الذي وضعه لوحدات الطول العربية معتبراً انه نصف متر للتبسيط «٢٢».

وتفيدنا النصوص التي نقلها الباحث الرياضي د. أحمد سليم سعيدان بمصطلحات أخرى خاصة بوحدات الطول والمساحة لم يشملها جدول د. شوقي.

ففي تعليقاته على «رسالة المساحة» لابن طاهر البغدادي أورد د. سعيدان أن الذراع قسمان:

«ذراع البز وذراع الملك، وهو ذراع ونصف بذراع البز. ولكن تستعمل كلمة الذراع أيضاً لما نسميه الذراع المربع، وهو وحدة مساحة. وهذا الذراع نوعان أيضاً : ذراع البز، وذراع الملك هو $\frac{1}{4}$ ٢ بذراع البز» «٢٣»

ومن رسالة أخرى بعنوان «المساحة» بإملاء الإمام المظفر بن اسماعيل الفزاري أورد د. سعيدان النص التالي :

«إعلم أن الحبل ستون ذراعاً بذراع الملك ، وبذراع البز تسعون ذراعاً، وبالشبر مئة وثمانون شبراً، وبالمشتقة ثلاثمئة وستون مشتقة، وبالقبضة خمسمئة واربعون قصبة، وبالاصابع الفان ومئة وستون اصبعاً ».

«وعلى الحبل عشرة أبواب ، كل باب ستة أذرع بذراع الملك، وبذراع البز تسعة اذرع ، وبالشبر ثمانية عشر شبراً، وبالقبضة أربع وخمسون قبضة ، وبالمشتقة ست وثلاثون مشتقة ، وبالاصابع مئتان وستة عشر «كذا» أصبعاً ».

«إعلم ان ستين ذراعاً في ستين ذراعاً بذراع الملك يكون ثلاثة الاف وستمئة ذراع بذراع الملك مكسراً وهو جريب ، وثلاثمئة وستون ذراعاً يكون قفيزاً». - الصفحة ٣٧٨/ المرجع المذكور في الهامش رقم «٢٣»

واختصاراً نكتب المعلومات السابقة على النحو التالي :

ذراع الملك = $\frac{1}{2}$ ١ ذراع البز

الجدول (٢): وحدات المساحة المحلية في جميع ألوية الجمهورية وما يقابلها بالأمتار المربعة

اللواء	الوحدة المساحية	المقابل المتري (م٢)	الذراع الواحد بالمتر
ذمار	لبنة ١٠×١٠ ذراع جديد	٤٩	٠,٧٠ ر
	لبنة ١٨×٧٠ ذراع جديد	١٥٩	٠,٧٠ ر
	لبنة ٢٧×٢٠ ذراع جديد	٣٥٧	٠,٧٠ ر
	لبنة ١٥×١٥ ذراع يد	٥٦	٠,٥٠ ر
	لبنة ١٢×٢٤ ذراع يد	٧٢	٠,٥٠ ر
	لبنة ١٨×١٨ ذراع يد	٨١	٠,٥٠ ر
	لبنة ٢٤×٢٤ ذراع يد	١٤٤	٠,٥٠ ر
	لبنة ٢٧×٢٧ ذراع يد	١٨٢	٠,٥٠ ر
	مطرح ١٢×١٢ ذراع مكلف	٥٢	٠,٦٠ ر
	مطرح ١٤×١٤ ذراع يد	٤٩	٠,٥٠ ر
	مطرح ١٦×١٦ ذراع يد	٦٤	٠,٥٠ ر
	ضمد أو منية	٣٠٠٠	غير معلومة الذراع
الحديدة	معاد ٦٤×٦٤ (م٢)	٤٠٩٦	٠,٦٤ ر (يد)
	معاد (وسط)	٣٨٠٠	٠,٦٢ ر

اللواء	الوحدة المساحية	المقابل المتري (م٢)	الذراع الواحد بالمتر
تابع الحديدة	معاد (صغير)	٣٦٠٠	٠,٦٠ ر
إب	قصبة ١٢×١٢ ذراع يد	٣٦	٠,٥٠ ر
	قصبة ١٤×١٤ ذراع يد	٤٩	٠,٥٠ ر
	قصبة ١٦×١٦ ذراع يد	٦٤	٠,٥٠ ر
	قصبة ١٨×١٨ ذراع يد	٨١	٠,٥٠ ر
	قصبة ٢٤×١٢ ذراع يد	٧٢	٠,٥٠ ر
	شكلة ١٥×١٥ ذراع يد	٥٦	٠,٥٠ ر
	شكلة ١٦×١٦ ذراع يد	٦٤	٠,٥٠ ر
المحويت	لبنة ١٢×١٢ ذراع جديد	٦٤	٠,٦٧ ر
	لبنة ١٤×١٤ ذراع جديد	٩٢	٠,٦٩ ر
	لبنة ١٦×١٦ ذراع جديد	١٢٥	٠,٧٠ ر
	جربة	١٥٠٠	غير معلومة الذراع
حجة	لبنة ١٢×١٢ ذراع مكلف	٤٥	٠,٥٦ ر
	لبنة ١٢×١٢ ذراع جديد	٦٤	٠,٦٧ ر

اللواء	الوحدة المساحية	المقابل المتري (م٢)	الذراع الواحد بالمتر
تابع حجة	لبنة ١٢×١٢ ذراع جديد	٧٣	٠,٧١ ر
	لبنة ١٦×١٦ ذراع جديد	١٣٢	٠,٧٢ ر
	لبنة ٢٠×٢٠ ذراع جديد	٨٥	٠,٤٦ ر
	جبل ٣٢×٣٢ ذراع يد	٢٥٦	٠,٥٠ ر
	معاد ٦٤×٦٤ م٢	٤٠٩٦	٠,٦٤ ر
	معاد (صغير)	٢٧٥٠	٠,٦١ ر
تعز	قصبة ١٠×١٠ ذراع يد	٢٥	٠,٥٠ ر
	قصبة ١٢×١٢ ذراع يد	٣٦	٠,٥٠ ر
	قصبة ١٦×١٦ ذراع يد	٦٤	٠,٥٠ ر
	ضمد	٣٠٠٠	غير معلومة الذراع
الجوف	جبل ١٦×١٦ ذراع يد	٦٤	٠,٥٠ ر
	ذاريه "تلام يوم"	٣٢٥٠	غير معلومة الذراع
البيضاء	جبل ٢٠×٢٠ ذراع يد	١٠٠	٠,٥٠ ر
	جبل ١٦×١٦ ذراع يد	٦٤	٠,٥٠ ر

اللواء	الوحدة المساحية	المقابل المتري (م٢)	الذراع الواحد بالمتر
تابع البيضاء	جبل ١٥×١٥ ذراع يد	٥٦	٠,٥٠ ر
	جبل ٤٠×٤٠ ذراع يد	٤٠٠	٠,٥٠ ر
	جبل ٢٤×٢٤ ذراع يد	١٤٤	٠,٥٠ ر
	قصبة ١٢×١٢ ذراع يد	٣٦	٠,٥٠ ر
	قصبة ١٦×١٦ ذراع يد	٦٤	٠,٥٠ ر
	شكلة ١٥×١٥ ذراع يد	٥٦	٠,٥٠ ر
	شكلة ١٢×١٢ ذراع يد	٣٦	٠,٥٠ ر
	شكلة ١٧×١٧ ذراع يد	٤٢	٠,٥٠ ر
مأرب	لبنة ٢٠×٢٠ ذراع يد	١٠٠	٠,٥٠ ر
	لبنة ١٠×١٠ ذراع جديد	٤٩	٠,٧٠ ر
	قصبة ٢٠×٤٠ ذراع يد	٢٠٠	٠,٥٠ ر
صنعاء	لبنة ١٠×١٠ ذراع جديد	٤٩	٠,٧٠ ر
	لبنة ١٢×١٢ ذراع جديد	٧١	٠,٧٠ ر
	لبنة ١٦×١٦ ذراع جديد	١٢٠	٠,٦٨ ر

اللواء	الوحدة المساحية	المقابل المتري (م٢)	الذراع الواحد بالمتر
تابع صنعاء	نيحة [?] ١٠×٢٠ ذراع جديد	٢٠٠	؟
	لبنة ١٠×١٠ ذراع يد	٢٥	٠,٥٠ ر
	لبنة ١٦×١٦ ذراع يد	٦٤	٠,٥٠ ر
	لبنة ٢٠×٢٠ ذراع يد	١٠٠	٠,٥٠ ر
	مطرح ١٢×٢ ذراع مكلف	٥٢	٠,٦٠ ر
	لبنة (طهري)	١,٦	غير معلومة الذراع
صعدة	لبنة ٧×٧ ذراع يد	١٢,٢٥	٠,٥٠ ر
	لبنة ١٠×١٠ ذراع يد	٢٥	٠,٥٠ ر
	لبنة ١٢×١٢ ذراع يد	٣٦	٠,٥٠ ر
	جبل ٤٥×٤٥ ذراع يد	٥,١	٠,٥٠ ر
	جبل ٢×١٨ ذراع يد	٩	٠,٥٠ ر
	جبل ١×١٠ ذراع يد	٢٥	٠,٥٠ ر
	جبل ١٠×١٠ ذراع يد	٢٥	٠,٥٠ ر
	جبل ١×١٢ ذراع يد	٣٠	٠,٥٠ ر

اللواء	الوحدة المساحية	المقابل المتري (م٢)	الذراع الواحد بالمتر
تابع صعدة	جبل ٦٠×٤٠ [?] ذراع يد	١,٦	٠,٥١ ر
	ضمد	٢٠٠٠	غير محددة الذراع

(*) المعاد: بشكل عام مئة ذراع ومن ذلك استخلص الذراع الواحد بالمتر.

(**) كذا وردت ولم أحسم الرأي فيه.

طريقة حساب "الذراع الواحد بالمتر": تساوي جذر "المقابل المتري للمساحة" تقسيم "عدد أذرع الوحدة المساحية".

المرجع: انظر الملحق (١) في نهاية الكتاب.

ذراع الملك (مساحة) = $2\frac{1}{4}$ ذراع بز

الحبل = ٦٠ ذراع ملك = ٩٠ ذراع بز
= ١٨٠ شبراً = ٣٦٠ مشتقة
= ٥٤٠ قبضة
= ١١٦٠ اصبعاً

الحبل = ١٠ابواب = ٦ اذرع ملك
= ٩ ذراع بز
=١٨ شبراً = ٥٤ قبضة
= ٣٦ مشتقة = ١١٦ اصبعاً
الجريب = ٦٠ ذراع ملك × ٦٠ ذراع ملك = ٣٦٠٠ ذراع ملك مربع
القفيز = ٣٦٠ ذراعاً = $\frac{1}{10}$ جريب

ويورد د. سامي شلهوب [٢٥] في الصفحة «٣٠١» ومابعدها من تحقيقه لكتاب «الكافي في الحساب» للكرجي - ويقال ايضاً الكرخي - معلومات مطابقة لما سبق ذكره.

ويميز د. شلهوب بين الأذرع الاربعة التالية:

١) ذراع اليد «وهي لشئون المنازل والحوانيت»
وتساوي ست قبضات، وكل قبضة اربعة اصابع «ليس فيها إبهام»، وكل اصبع ست شعيرات «متلامة البطون والظهور».

٢) ذراع الملك [وتسمى ايضاً ذراع المساحة او الذراع الهاشمي، وقد وضعها بنوامية حسب راي «ابي برزة الحاسب - الشهرزوري»] وتساوي «٨» قبضات في بغداد، واستعمل هذا الذراع في مسح المزارع لتقدير الخراج.

وقديماً قدر هذا الذراع = $1\frac{1}{2}$ ذراع يد.

وحالياً - كما يقول الباحث د. شلهوب - تساوي $1\frac{1}{3}$ من ذراع اليد.

٣) الذراع السوداء، وقد استعملت في اعمال الحفر والبناء وهي ست قبضات ايضاً، وتنسب إلى هارون الرشيد، ولربما وصفت بالسوداء لانها كانت من الحديد.

٤) ذراع الميزان = «ذراع الأزلات» = ١٢ قبضة = ٤٨ اصبعاً.

ومن المعلومات التي اوردها د. شلهوب عن الواحدات مايلي بيانه:
القصبة = ٦ أذرع بذراع المساحة
الأشل = ١٠ قبضات
= ٦٠ ذراعاً «بذراع المساحة»
= ٧٥ ذراعاً «بالذراع السوداء»
= ٨٠ ذراعاً بذراع اليد.

وبناءً على ماسبق يمكن استخلاص واحدات الطول العربية إذا اعتمدنا واحدة القياس الاولى «الاصبع» او «الشعيرة».

وكذلك لم نجد اختلافاً في واحدات المساحة بين المصدرين المذكورين للأستاذين الباحثين: د. سعيدان و د. شلهوب.

(١-١٠): حول المشكلة الرياضية في المخطوطة:

«١-١٠-أ»: لماذا لم يتطور العمل الرياضي في اليمن؟

في كثير من المخطوطات العربية الرياضية تعترضنا مشكلة اساسية تضطر الباحث فيها، او المحاول في الإفادة منها، إلى إرجاع تطبيقاتها العددية إلى أصولها البرهانية

المعروفة في النظريات أو النتائج والقواعد.

ومخطوطة الأشخر هذه مثال حاد على عدم اللجوء إلى الصياغات الرياضية البرهانية .وعبر امثلة المخطوطة والحالات الهندسية المذكورة فيها اكتفى الاشخر بشرح النظريات الهندسية بلغة رقمية لاشك أنها وغيرها من المخطوطات الرياضية المماثلة حالت دون تطوير العمل الرياضي في البلاد اليمنية.

فالعمل الرياضي الحقيقي إنما يقوم على التعميم أولاً والعقلية البرهانية ثانياً وآخراً..

ومنذ زمان فيثاغورس أدرك الرياضيون أن العمل الهندسي لايكون مامون المسالك إذا اقتصر على المثال العددي.

وبقدر ابتعاد العمل الهندسي عن الأمثلة العددية، وعلى وجه خاص في صياغة القوانين ونتائجها ، يتجلىّ التماسك الصارم في النسق الهندسي البرهاني.

وعلى العكس تماماً من النهج الذي سلكه الأشخر وآخرون غيره - في داخل البلاد اليمنية وخارجها - نقول إنه لم يكن جائزاً أو مقبولاً الحديث عن نظريات هندسية شهيرة «أو مغمورة» من خلال أمثلة رقمية : كالقول بان الأطوال التالية : ٣، ٤، ٥ - تشكل اضلاعاً لمثلث قائم ؛ ومن غير ذكر للقاعدة الهندسية «الفيثاغورية» ، فذلك منطق فات، وطريق انقطع منذ أيام فيثاغورس بالتعيين.

والرياضيون عادة يستعينون في التطبيقات الهندسية بالعدد لغرض واحد محدد وهو التحقق من النظرية أو إحدى نتائجها.

وحين تكون النظرية الهندسية مصاغة بلغتها البرهانية ينبغي باطلاق الكلام أن تخضع لقانونها مايدخل في تطبيقاتها العددية كافة.

ويكاد العمل العكسي أن يكون مرهقاً أعني الاستدلال على النظرية من خلال تطبيق عددي واحد أو أكثر ..

وللاسباب السابقة مجتمعة وجدت مهماً استخراج القواعد الهندسية لاهم المسائل التي عالجها الأشخر، وصياغتها بلغة معاصرة ، ليتمكن القارىء الإفادة من المخطوطة، كما سعت إليه بلاشك غاية مؤلفها.

(١-١٠-ب) : حول صحة وأصول الطرق الشائعة في حساب المساحة :

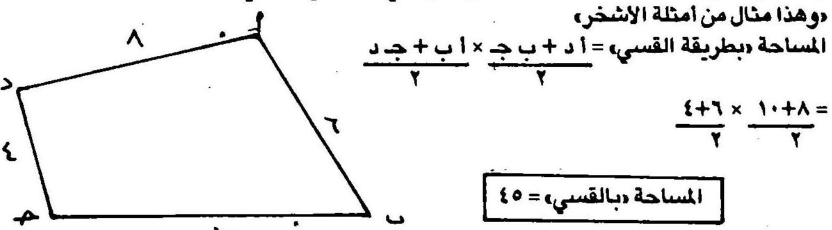
تتكرر في مخطوطة الأشخر ثلاث طرق لحساب مساحة المضلعات «المثلثات، ومتعددات الأضلاع ..» وهذه الطرق هي : القسي، والتجذير، والمكاثرة العامة.

ولقد أخذ البحث عن الأصول التاريخية لطريقة القسي وقتاً طويلاً، فهي رغم نتائجها الخاطئة لحساب مساحات رباعي الأضلاع، الآ أن وجودها في البلاد اليمنية يستدعي درسها.

فماهي هذه الطرق ؟ وماهو سندها الهندسي ؟ ومن اين جاءت ؟

وللأجابة على هذه الأسئلة نفرض أن لدينا رباعي الأضلاع التالي :

«وهذا مثال من امثلة الأشخر»



المساحة «بطريقة القسي» = $\frac{\text{أ د + ب جـ}}{٢} \times \frac{\text{أ ب + جـ د}}{٢}$

$= \frac{٨+١٠}{٢} \times \frac{٦+٤}{٢}$

المساحة «بالقسي» = ٤٥

ومن الناحية الهندسية ليس هناك أي سند هندسي لهذه الطريقة، «بل هي خاطئة» ، ولكن لغرض الإيضاح نلفت الانتباه إلى أن القائلين بها عملوا على تحويل رباعي الأضلاع «غير

المنتظم» إلى مستطيل يحمل الشكل التالي :

٥	٥ × ٩ = ٤٥
	٩

وهذا يعني أن رباعي الأضلاع كلما اقترب
من الانتظام أصبح للقاعدة
أهميتها ، أي ان الطريقة ليست
شراً مطلقاً كما يقال في
غير العلوم الهندسية.

ولكن من أين جاءت هذه الطريقة ؟

في رسالة عن المساحة أورد أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي «ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م» المثالي التالي :

«مربعة أحد أضلاعها ثمانية، والذي يقابلها ستة، والثالث : عشرة، والذي يقابلها اثنا عشر.

فمساحتها على قول أهل الفرس : أن يجمع الاثني عشر والعشرة ويؤخذ نصفهما ، وهو أحد عشر، وكذلك تجمع الستة والثمانية ويؤخذ نصفهما ، وهو سبعة، فتضرب سبعة في أحد عشر يكون سبعة وسبعين ، وهي التكسير »[٢٦]

ويتابع إبن طاهر البغدادي فيقول :

«وأما قول أهل الهند فتضرب ستة في ثمانية يكون ثمانية واربعين. ثم في عشرة تصير أربعمائة وثمانين ، ثم في اثني عشر تصير خمسة الآف وسبعمئة وستين.

فجذر ذلك هو التكسير وذلك بالتقريب خمسة وسبعين ونصف»، فقد نقص عن قول أهل الفرس واحد ونصف»[٢٧].

واما الطريقة الثالثة التي وردت عند الأشخر تحت عنوان « المكاثرة العامة» فإن ابن طاهر البغدادي يقول عنها من غير أن يسميها .

قال إبن طاهر البغدادي :

«وأما مافي قول أهل الروم : تجمع الجوانب كلها ، ويؤخذ نصفها ، وذلك ثمانية عشر ، وننظر على فضله على كل جانب . فأما على الاثني عشر، فسته وعلى العشرة : فثمانية، وعلى الثمانية : عشرة، وعلى الستة : اثنا عشر. وقد وافق الأضلاع. الفضول»[٢٨]، فلايخالف التكسير»[٢٩].

وفي نهاية الكلام السابق مباشرة يستدرك إبن طاهر البغدادي بلغة سليمة المعنى ومامونة العواقب هندسياً ، فيقول :

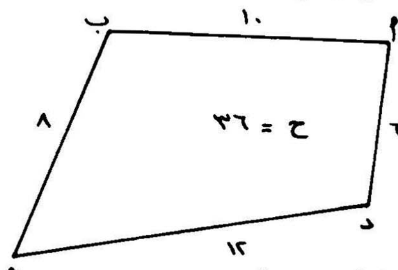
«وربما يقع مخالفة بين القوانين . والصحيح منها هو أن تجعل مثلثين ، ويمسح كل واحد على حده ، وليس يمكن ان يجعل قطراها معلومين الاَّ بالمساحة»[٣٠].

ومن النصوص السابقة يمكن استخلاص الجدول التالي :

الطريقة الهندسية		القاعدة «عددياً»	مضمون القاعدة نظرياً	المساحة
الأشخر	ابن طاهر			
القسي	فارسية	$\frac{١٠+١٢}{٢} \times \frac{٦+٨}{٢}$	$\frac{أب + حـد}{٢} \times \frac{أد + ب حـ}{٢}$	٧٧
التجذير	هندسية	$\sqrt{٦\times١٠\times١٢\times٨} =$ ٧٥,٨٩	$\sqrt{أب \times ب حـ \times حـد \times أد}$	٧٥,٥ «تقريب ابن طاهر»
المكاثرة العامة»[٣١]	رومية «بيزنطية»	$\sqrt{(١٨-٦)(١٨-١٠)(١٨-١٢)(١٨-٨)}$	$\sqrt{(\frac{ح}{٢}-أب)(\frac{ح}{٢}-أد)(\frac{ح}{٢}-دحـ)(\frac{ح}{٢}-حـب)}$	٧٥,٨٩

(ح) في الجدول = مجموع أطوال أضلاع رباعي الشكل .

مثال ابن طاهر لحساب مساحة رباعي أضلاع «مختلف»



(١-١٠- جـ) : هل طريقة المكاثرة العامة صحيحة؟

أولاً : حالة المثلث :

إن مايسمى بطريقة المكاثرة العامة في هذه المخطوطة - ومانسبه ابن طاهر البغدادي إلى الروم؛ ويقصد بذلك البيزنطيين - إنما هو بالتحديد مايعرف بنظرية الرياضي الاسكندري هيرون «Heron» لحساب مساحة أي مثلث اعتماداً على أطوال أضلاعه الثلاثة فقط.

وفي هذه المخطوطة طبق الأشخر ببراعة النظرية السابقة وعالج حالة المثلث القائم، مقارناً بعد ذلك بين المساحة المستخرجة بالحساب وفقاً لها، والقاعدة التي تقول إن مساحة المثلث تساوي «نصف القاعدة في الارتفاع».

«وفي حالة المثلث القائم تصبح المساحة تساوي نصف مضروب ضلعيه الأصغرين».

وكان أكثر صواباً إن يشير الى ماهو أخطر من ذلك في هذه النظرية، ، فايا كان شكل المثلث فإن معرفة اطوال اضلاعه الثلاثة تكفي وحدها لتعيين مساحته بشكل برهاني هندسي . مثال ذلك الشكل التالي : «أ أو ب».

وبفرض : ح = $\frac{1}{2}$ (أ ب + ب جـ + جـ أ).

تكون المساحة = $\sqrt{\text{ح}(\text{ح} - \text{أب})(\text{ح} - \text{ب جـ})(\text{ح} - \text{جـ أ})}$. العلاقة «١»

ويقول الباحثان كنيدي وموالدي :

«إن هذه المسالة استرعت اهتمام العديد من العلماء كارشميدس وايرن والبيروني والخازني وغيرهم، وتناولوها بالبحث والدراسة ، وببراهين عديدة ومختلفة «٣٣».

وفي موضع آخر ذكر الباحثان «٣٤» أن العلاقة السابقة رغم انها تعرف باسم ايرن - هيرون - الا ان الفضل في اكتشافها يعود الى البيروني الذي نسبها الى ارخميدس «ح : ٢٥٠ ق.م».

وحين ظهر كتاب هيرون متريكا «Metrica» حوالي العام ٧٥ ميلادية ظهرت ايضاً علاقة أخرى هي :

المساحة = د/٢ √(ب٢ - ((د٢+ب٢-جـ٢) / ٢د)٢) العلاقة «٢»

بفرض أن اطوال أضلاع المثلث «العام» له الأطوال التالية : «ب،جـ،د».
وفي التراث العربي العلمي المبكر هناك برهانان :
الأول : لبني موسى بن شاكر «-حوالي ٨٧٥م» . والثاني للمهندس ابي عبدالله محمد بن أحمد الشاني «٩٥٠م» وقد وجد أن برهان الأخير [٣٥] اكثر شمولية من برهان هيرون الاسكندري .
ومن المفيد هنا ذكر بعض منجزات المهندس والفلكي والرياضي ابي الوفاء البوزجاني «٩٤٠ - ٩٩٨م» الذي برهن على العلاقة اللامعة التالية [٣٦] : «وهي مصاغة برموزرياضية معاصرة»

مساحة «اي مثلث» = √[((جـ + د)/٢)٢ - (ب/٢)٢] [(ب/٢)٢ - ((د - جـ)/٢)٢] العلاقة «٣».

بفرض اطوال اضلاع المثلث في العلاقة «٣» [٣٧] هي : (ب،جـ،د)
وبتعبير ابي الوفاء البوزجاني/ بالنص :
«إذا اردنا ذلك ضربنا نصف مجموع ضلعين من اضلاعه «المثلث»، اي ضلع كان في مثله، ونقصنا من المجتمع مضروب نصف الضلع الثالث في مثله، وحفظنا الباقي، ثم ضربنا فضل نصف مجموع الضلعين الأولين على احدهما في مثله ، ونقصنا ذلك من مضروب نصف الضلع الثالث في مثله فيما بقي ضربناه فيما حفظناه اولاً، واخذنا جذر المجتمع، فما كان فهو مساحة المثلث» [٣٨].
وقد وجد الباحثان البرفسور إدوارد كنيدي والاستاذ مصطفى موالدي أن البوزجاني اورد ايضاً علاقة ثانية، ولم ينشر برهاناً، وهي :
مساحة «المثلث» [٣٩] = ١/٤ ١ (د + جـ٢) - ب٢ (د - جـ)٢ - ب٢ العلاقة «٤»
ولكن البوزجاني قد قدم علاقة ثالثة مع برهانها. وهي :

مساحة (المثلث) = ١/٢ √(د٢ ب٢ - (د٢ + ب٢ - جـ٢)٢) العلاقة «٥».

ملاحظة : يمكن الرجوع إلى «الملحق الرياضي» في نهاية الكتاب، لمقارنة النتائج التي تعطيها كل علاقة من العلاقات الخمس السابقات ، وإلى اي حد تبدو هذه العلاقات اكثر دقة من اسلوب القياس، وبالتالي تطبيق القاعدة التي تقول إن مساحة المثلث تساوي نصف القاعدة في الارتفاع .

ثانياً : حالة رباعي الأضلاع «المختلف».

ولاهمية تحديد مساحة الأشكال المضلعة بالاعتماد فقط على اطوال أضلاعها جرت في التاريخ محاولات رياضية مهمة لصياغة قوانين المساحة الخاصة بها .
وفي كتابه المفيد « تاريخ للرياضيات» ينسب كارل بوير [٤٠] «CARL BOYER» إلى العالم الرياضي الهندي براهما جوتبا Brahmagupta «حوالي ٦٢٨م»، الذي عاش في وسط الهند، وقال انه صاغ القانون الهندسي الاول لتعميم مايسمى بعلاقة هيرون الاسكندري ، فاذا كانت لدينا أطوال اضلاع رباعي الشكل كالتالي :(س،ص،ع،ل).
وحيث أن : ح = (س+ص+ع+ل)/٢ ، تكون لدينا العلاقة التالية :

المساحة «رباعي الأضلاع» = √((ح - س) (ح - ص) (ح - ع) (ح - ل))

ويشير بوير إلى أن عظمة براهما جوبتا تعرضت للتعثر حين اكتشف أن العلاقة صحيحة فقط ، في حالة واحدة وهي حين يكون رباعي الأضلاع دائرياً Cycliic Quad-rilateral .أما العلاقة العامة التي هي اكثر تعميماً لما يسمى بعلاقة هيرون الاسكندري -

وبراهما جوبتا الهندي من بعده ، فينبغي أن يضاف - الى معطياتها معرفة «نصف مجموع زاويتين متقابلتين » في رباعي الاضلاع ، أيا كان نوعه : Arbitrary) Quadrilateral) وبفرض ز = نصف مجموع زاويتين متقابلتين ، تصحح العلاقة السابقة على النحو التالي :

$$\text{مساحة (رباعي الأضلاع)} = \sqrt{(ح-س)(ح-ص)(ح-ع)(ح-ل) - س\times ص\times ع\times ل\times جتا^2 ز}$$

(١-١٠-د) : ولكن ماذا عن اسهامات العرب ؟

يقول د. علي عبدالله الدفاع عن محاولة العالم العربي الرياضي أبي بكر محمد بن الحاسب الكرخي ·- الذي يدعى أحياناً بالكرجي - والمتوفى في بغداد عام ٤٢١هـ/١٠٢٠م : إنه ادخل تعديلات على قانون هيرون ، واستنتج من ذلك أن مساحة أي شكل رباعي «كذا» :

$$م = \sqrt{(ح-ا)(ح-ب)(ح-جـ)(ح-د)}$$

حيث أن ح = نصف محيط الشكل الرباعي ، وكل من أ،ب،جـ،د أطوال اضلاع الشكل الرباعي »[٤١].

ومنعاً للاستطراد يمكن البرهان بسهولة علي أن المعادلة السابقة التي أوردها د. الدفاع في كتابيه «العلوم البحتة في الحضارة العربية الاسلامية» و «المدخل الى تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين».

والخاصة بايجاد مساحة «أي» شكل رباعي الأضلاع ، انما هي معادلة خاطئة، الا اذا استدرك على القول السابق بمفردة أخرى بحيث تصبح العبارة كالتالي : «أي شكل رباعي دائري».

وإذا طبقنا قاعدة براهما جوبتا - الكرخي أو المكاثرة العامة ، كما وردت في مخطوطة الاشخر، على رباعي الاضلاع الذي أورده إبن طاهر البغدادي وهو «٦،١٠،٨،١٢» لوجدنا ان الجواب هو «٧٥,٨٩٥». وهذا الجواب بالتقريب المعقول يساوي «٧٥,٩».

واستناداً الى القاعدة العصرية الصحيحة التي تعالج أي شكل رباعي يكون الجواب «٧٥,٧٩٠٨» وهو بالتقريب «٧٥,٨» .

ونلاحظ ان الفرق في حدود« واحد بالعشرة فقط[٤٢] » .

وقد اورد الأشخر في هذه المخطوطة مسالة لشكل رباعي أضلاعه «٦،٨،٤،١٠»،وذكر إن «طريق »القسي يعطي قيمة للمساحة تساوي «٤٥»، وبطريق «التجذير» تساوي ($٤٣ \frac{٧١}{٨٦}$) . ومن الغريب انه لم يطبق عليها «طريق المكاثرة العامة» على الرغم من معرفته بها.

وبفرض أنه طبقها على مسالته، يكون الجواب[٤٣] كالتالي :

$$\text{المساحة} = \sqrt{٢٨٨٠} = ٥٣,٦٦٥٦.$$

واما تطبيق القاعدة الصحيحة لحساب مساحة أي شكل رباعي فتعطينا الجواب التالي:

$$\text{المساحة} = \sqrt{٢٨٨٠ - ٢٨٨٠ \times ١٢١٨...,..} = ٥٣,٦٣٢٩$$

أي أن الفرق بين الطريقتين الأخيرتين لايتعدى ٣٪ . وهكذا يلاحظ أن الفرق ضئيل للغاية في التطبيقات العملية . ولكن عبقري الاسكندرية اقليدس ترك قبل اكثر من ثلاثة وعشرين قرناً وصية مقدسة لكل المشتغلين بالعلوم الرياضية يقول فيها : «ليس هناك طريق ملكي للرياضيات ».

وكان يومئذ ينصح رجلاً «وجيهاً» تمطى أمامه بحثاً عن الطرق المختصرة والمسالك القريبة . رحم الله عبقري الاسكندرية وألهم أهلها متابعة دربهم العظيم لاحياء مكتبتها وريادتها الحضارية.

الهوامش:

«١» قراءة. شلحد: «كل» انظر «الفضل المزيد ..» - الصفحة ١٣ . ومن المناسب ان نشير هنا إلى انه لاوجود للفواصل او النقاط في القطعة كلها، غير ان من الصواب إضافتها كما فعل د.شلحد.

«٢» هنا تلف واضح لكلمتين او ثلاث. لا ادري كيف تخطاها د. شلحد. واعترف بتعذر تقديرها . ولضرورة استقامة المعنى نقترح القراءة التالية : وتكسيره ان نقول طول كل قصبة حبل وعرضها كذلك».

وذلك عوضاً عن : «وتكسيره ذلك : طول كل قصبة حبل وعرضها كذلك» كما اورد د. شلحد .

وجدير بالذكر ان مفهوم «التكسير» يقابل مفهوم «المساحة» في ايامنا - راجع كتب الخوارزمي والعاملي وغيرهما.

«٣» إن قول الناسخ «وكل من هذه الاربع : اربعة قراريط..» لايستقيم من حيث المعنى ويغمره الالتباس» والمقصود وكل واحد من هذه الأربع المساحات».

«٤» هنا تلف واضح ولقد اخذنا بتقدير د. شلحد -«الفضل المزيد..»/ ص١٣.

«٥» هنا بلغت نقول د. شلحد.

«٦» مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن - الصفحة (٥٠٠) - مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء.

«٧» الفضل المزيد ..» الصفحة «١٤» - اصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء.

«٨» ورد في « دائرة المعارف الاسلامية» - المجلد التاسع/ الصفحة «٣٨٧» مايلي : «والمقياس الذي يتألف من ست قبضات يسمى ذراع العامة، اما الذي يتألف من سبع قبضات فيسمى ذراع الملك نسبة إلى ذراع احد ملوك الفرس الذي كان من سبع قبضات» - كتب هذه المادة «فولنتين» .. وترجمها: «الشنتناوي».

«٩» عن اثاره انظر « المستشرقون » - ص٤٧٣/ج٢/ نجيب العقيقي/ط٤/١٩٨٠- دار المعارف بمصر.

«١٠» في كتابه «صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة : تاريخ المستبصر» يقول جمال الدين ابي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي:

«عددت ابراج زبيد فوجدتها مائة برج وتسعة ابراج، بين كل برج وبرج ثمانون ذراعاً. ويدخل في كل برج عشرون ذراعاً الأ برج فانه مائة ذراع يصح دَوْر البلاد عشرة الآف ذراع وتسعمائة ذراع» - الصفحة ٧٤ - وكان الصواب هنا ان يقول ابن المجاور «١٠٩٨٠» ذراعاً وفقاً لحسابه وليس «١٠٩٠٠» ذراع .

والجدير بالملاحظة ان الطريقة الهندسية ليست مامونة العواقب . فالغرض من معرفة عدد اذرع المعاد إنما هو بالتحديد إظهار الحقيقة الاصطلاحية وليس التقدير الرقمي التقريبي.

«١١» تاريخ ابن المجاور / ص١٢. «ذكر المعاملات ».

«١٢» عبارة مضطربة في الأصل.

«١٣» ان هذا الفعل يوحي بشكل مثير بثلاث مراحل للذراع اليمني.

كان في «الاولى» مثيلاً للذراع المصري، ثم نقص في «الثانية» وعاد إلى حالته الأولى في «الثالثة». ولو لم تكن هذه المراحل في ذهن ابن المجاور لقال «واصبح» وهو كفعل اقرب إلى وصف الانتقال بين حالتين لاغير. ولست ادري لماذا تخطاها د. شلحد واعتبرها مرحلتين حين قال : «واصبح يعادل الذراع المصري» بالاستناد إلى هذا النص - الذي عدت إليه - من نصوص ابن المجاور.

«١٤» الصفحة «٣٣٢» : قرة «العيون » تحقيق العلامة محمد بن علي الأكوع.

«١٥» المصدر السابق / الهامش الثالث / ص٣٣٢

«١٦» الصفحة «٢٠» «الفضل المزيد..» - مصدر سابق.

«١٧» الموسوعة العربية الميسرة / ص١٢٧٨.

«١٨» سياتي ذكرها في هذه المقدمة. راجع الهامش التالي «١٩».

(١٩) «خلاصة النتائج النهائية للتعداد الزراعي في محافظات الجمهورية» - إصدار وزارة الزراعة والثروة السمكية «صنعاء» مشروع الاحصاء الزراعي، الصفحة العاشرة/ إبريل-١٩٨٣م.

(٢٠) «دور العرب في تكوين الفكر الاوربي» - د. عبد الرحمن بدوي/ الصفحة ٢٥١ - ط٣/١٩٧٩م.

• لايمكن اعتبار نتائج الجدول «١» في الفقرة (١-٧-حـ) اساسا للعلاقة بين المتر والذراع بنوعيه، فهذا الجدول محصور التطبيق على وحدة مساحية معينة ومحافظة محددة «الحديدة».

(٢١) «من تراثنا المنظوم في الرياضيات» - المجلة العربية للعلوم» - العدد ٦/ السنة ٤ - يوليو/ تموز ١٩٨٥/ الصفحة ٩٣.

(٢٢) المصدر السابق - الصفحة ٩٤ - وقد اعدنا نشر الجدول المذكور في الملحق «٣».

(٢٣) «التكملة في الحساب» - لعبد القاهر بن طاهر البغدادي - مع رسالة في المساحة - الصفحة ٣٧٧/ط١ - الكويت ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

(٢٤) لاشك ان هذا خطا مطبعي. والصواب «مئة وستة عشر» - الصفحة ٣٧٧ - المرجع المذكور في الهامش السابق.

(٢٥) منشورات جامعة حلب/ معهد التراث العلمي العربي/ ط ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢٦) «رسالة في المساحة» لابن طاهر في كتاب «التكملة في الحساب». تحقيق د. احمد سعيدان. الصفحة «٣٤٠ - ٣٤١» / مرجع سابق. ومايشرحه ابن طاهر البغدادي هنا وينسبه إلى الفرس هو ذاته مايسمى بطريقة القسي.

(٢٧) هذا الشرح خاص بطريقة التجذير. وفحوى الطريقة ان تضرب اطوال الرباعي في بعضها، ثم تاخذ جذر الناتج.

(٢٨) يعني بالفضول ان نحسب نصف مجموع الاضلاع ثم ننقص منه كل ضلع على حده.

(٢٩) لم يذكر إبن طاهر الخطوة التالية بعد ايجاد «الفضول». وكان ينبغي ان يقول ناخذ جذر مضروب الفضول الناتجة، أي ٦×٨×١٠×١٢ = ٧٥,٨٩.

(٣٠) المصدر السابق.

(٣١) سنرى لاحقا ان هذه الطريقة لاتجوز إلا إذا كان رباعي الاضلاع دائريا بالتحديد.

(٣٢) راجع باب المثلث «٢-٣». والحلول الرياضية الاربعة التي وضعناها لمناقشة حالة مثلث «عام» أوردها الاشخر، ولم يكشف براهينه فيها - الحاشية (٥) الحالة «٢».

(٣٣) «مجلة تاريخ العلوم العربية» المجلد الثالث - العدد الاول/ ربيع ١٩٧٩م - القسم العربي/ الصفحة «٥٠»: أ.س. كنيدي ومصطفى موالدي - جامعة حلب. معهد التراث العلمي العربي. وكان الباحث الاستاذ موالدي قد أرسل الى الكاتب مستلة بحثه وأرخ إهداءه في ١٩٧٩/١٢/١. وللمرة الثانية اكرر شكري له وللباحثين الاول في المعهد.

(٣٤) المرجع السابق/ القسم الانجليزي - الصفحة ٢٩.

(٣٥) المرجع السابق.

(٣٦) المرجع السابق - القسم الانجليزي - الصفحة ٢٢.

(٣٧) مفيد ان نشير هنا إلى ان شكل العلاقة «٣» في الملخص العربي للبحث خاطئة، لانها تقود إلى جذر عدد سالب - الصفحة «٥١»/عربي. ولكنها صحيحة في النص الانجليزي / الصفحة «٢٩».

(٣٨) المرجع السابق / الصفحة «٥٠» / القسم العربي.

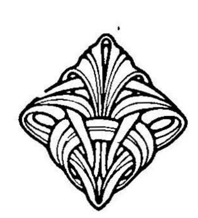
(٣٩) المرجع السابق - القسم الانجليزي «ص٢٨». وقد أصلحنا الحد الثاني كما هو في «الملحق الرياضي» من هذا الكتاب.

(٤٠) Ahistory of Mathematics - Wiley International edition
Copy right : 1968 - Page 242. By : Carl Boyer.

(٤١) «العلوم البحتة في الحضارة العربية الاسلامية» - مؤسسة الرسالة - سورية/ط١/١٤٠١هـ/١٩٨١م - الصفحة ٢١٨. وقد تكرر الخطا السابق في كتاب اخر للدكتور الدفاع ضمنه المعلومات السابقة بالفاظها. وعنوان الكتاب الثاني «المدخل إلى تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين» - الصفحة ١٤٣ - ١٤٤، ط١/ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م/ مؤسسة الرسالة.

(٤٢) لمزيد من الإيضاح الرياضي انظر «الملحق الرياضي»/ الحالة الثانية.

(٤٢) انظر «الملحق الرياضي»/ الحالة الثانية.



عادات وتقاليد الزواج في شبام

د. رجاء باطويل

الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات/ عدن

يتكون إقتصاد شبام من العمل بالتجارة والزراعة والحرف، فقد كان الإقتصاد بضائعى على أساس شبام القديمة، كما أن هناك الزراعة حيث تروى هذه الأرض من الماء الذي يأتي من الوديان مثل وادي سرو ووادي عمد ووادي الكروه تصب وتروي أرض شبام الغربية..

إلي جانب هذا اشتهرت شبام بصناعة الحرف مثل صناعة الأحزمة الجلدية وغيرها وقد أشتغل فيها بعض العاملين في شبام وهم الطبقة الثانية.

ولان الاقتصاد في شبام إقتصاد تجاري فإن هذا يعني بأنهم قاموا بدور الوسطاء بين تجارة شبام الداخلية والخارجية ولم يقتصر دورهم فقط على دور الوسيط وإنما كانوا يقومون بدور إصلاحي بين القبائل المتنافرة، اضافة الى عملهم بالنجارة في المدينة..

وقد كان التجار والزراع والحرفيون (أصحاب الحرف اليدوية) والصاغة وصانعو الاشياء الصغيرة المحتاجون لها في التجارة والزراعة وفي البيوت. والدلا لون السماسرة يمثلون جزءاً مكوناً للمجتمع الشبامي إلى جانب هذه الفصائل المكونه للمجتمع الشبامي.هناك طبقتان هما:-

١- الامراء أو السلاطين

٢- العلماء

مع ملاحظة عدم وجود السادة وانما هناك علماء دين معروفين أمثال الشيخ المعروف: معروف عبدالله باجمال وهو معروف (بالشيخ القديم).

فقد كان تقسيم المجتمع حسب الطبقات من حيث العمل والسلطة والتأثيرات الاجتماعية.

١- الامراء او السلاطين.

٢- التجار

٣- الدلالون

٤- العلماء

٥- المزارعون

٦- الحرفيون

٧- الصناع الصغار

٨- الضعفاء (أمثال الخدم واسرى الحرب (العبيد) وهم عبيد الامراء فقط).

يتغير الوضع ليصبح

١ العلماء

٢- التجار

٣- لدلالون

٤- الحرفيون

٥- الصناع

٦- الضعفاء.

اما الناحية الاجتماعية والدينية:-

فنجدها متشددة حيث دخلت عليها حركات كثيرة مثل الاباضية والعلوية حيث كانوا متناحرين وفي حرب دائم حتى فقدت الاباضية مركزها وسلطتها الدينية في القرن

السابع ولكن بقى تأثيرهم الديني حتى القرن الثامن.

أما بالنسبة للزواج بين هذه الطبقات فممكن التزاوج بين ابناء الدلالين والحرفيين والصناع لانهم من نفس الطبقة..

اما الطبقات الاخرى فالزواج محدد بينها.

إذن وعلى هذه الأرضية الاقتصادية انتصب الهرم الطبقي - الاجتماعي والذي كان يتشكل من تلك الطبقات التي ذكرناها.

هذا الهرم والذي لايختلف عن بقية السلطنات والإمارات والمشيخات سابقاً.

لقد أمتلكت القوى الاستغلالية (السلطة، المال) والقوة

وبهذه الادوات كانت القوى الكادحة تعاني كثيراً حيث عملت هذه القوى الاستغلالية على تكريس العادات والتقاليد بما يتناسب ومصالحها الطبقية والتي وبحكم التخلف الفكري واستغلال المشاعر الدينية في انفس قوى المجتمع المنتجة - أستطاعت ان تبثها وكأنها من حكم الزمن، ولايمكن لأحد أن يمسها والا فهو خارق مارق عن طبيعة المجتمع.

ونحن هنا لن نتطرق إلا الى جانب واحد من هذه العادات والتقاليد ألا وهو جانب الزواج، حيث كونت في المجتمع الشبامي كغيره من المجتمعات، مفاهيم العلاقات الزوجية المغلقة حيث لايجب التزاوج إلا في إطار الطبقة او الفئة نفسها وإن وجدت المبررات الطبقية الدينية، الا أن أساسها الاقتصادي يبقى هو المحرك للبقاء على هذه الانطلاقه، حتى لايحدث أي خلل في هذا الجانب نتيجة التداخل الذي يمكن ان يطرأ على مجالات الاقتصاد وبالتالي تحدث الخلخلة في التركيب الطبقي - الاجتماعي. فالسادة لايمكن ان يتم التزاوج الإ بين أبنائهم وبناتهم، حتي لايتسرب دم طبقة او فئة أخرى اليها وبالتالي تلوث دمها. وكذا بالنسبة للطبقات والفئات الأخرى. هذه هي القاعدة وإن وجد استثناء فهو لايذكر.

والان لنتحدث عن عادات وتقاليد الزواج في شبام ولنتلمس تأثير هذه الاوضاع الاقتصادية - الاجتماعية عليها بطريق مباشر وغير مباشر..

إلا اننا قبل ان نتحدث عن عادات وتقاليد الزواج في شبام وجب علينا ان نقف امام ذلك البناء الرائع لنعرف ان اناس تلك الفترة التي نتحدث عنها، وهي اكثر من ٨٠ الى ٩٠ عاماً خلت لم يكونوا ليعرفوا أزمة السكن او استقلالية الزوجين المقبلين على حياة زوجية، وان الآباء قد فكروا قبل ان يولد لهم الابناء وفكروا ايضاً في صالات الافراح والسمر التي اتصفت بها تلك الفترات، ولم تصبح العملية بحثاً عن صالة او ناد لاقامة حفل الزواج مشكلة بل اصبح من تركيب المبنى نفسه ولنتكلم الان ولو قليلا عن هذا التقسيم لهذه المباني حتى نعطي صورة حية وواقعية عن الاستعدادات وعن توظيف الادوار واغراضها علماً بأن السكن او المبنى يتكون من سبعة طوابق:-

الدور الاول:- ويسمى غيل والمفرد غيلة ويسمى الباب ضيقة حيث يستخدم هذا الدور كمخزن تخزن فيه كل المواد الغذائية التي تحتاجها الاسرة وكذا الفحم والحطب وكذا المواد المستغنى عنها المراد إستخدامها فيما بعد..

الدور الثاني:- يسمى (سطوح) والمفرد (سطح) ويستخدم للحفاظ على الحيوانات بعد ان ترعى في الخارج اي بمثابة زريبه.. الدور الثالث:- ويسمى هابطية ويكون خاصاً بالرجال فقط توضع فيها جميع أغراضهم اليومية وغيرها وتستخدم للحياة اليومية للرجال فقط، بها حماماتهم وهو الدور الخاص بالرجال الزائرين، ومنهم المسافرون من مكان لأخر

الدور الرابع:- ويسمى (طالعية) وهو يقوم بنفس وظيفة الدور الثالث إلا أنه خاص بالنساء فقط ولوازمهن، ويمكن ان يبقى في هذا الدور الرجال ولكن من اهل الدار فقط، يتناولون فيه الطعام ويبقون يتولهون فيه في فترة الظهيرة وهذا الدور يحتوي على غرفة كبيرة واسعة تسمى (محضرة كبيرة) والغرفة الصغيرة (محضره صغيرة) ملحق بهذا الدور حمامات - النساء

الدور الخامس:- ويسمى مراويح والمفرد (مرواح) وهذا الدور خاص بالنساء الزائرات ويتبع هذا الدور سطوح يسمى (ريم) والحمام الملحق بها يسمى (طهارة) ويتبع هذا الدور مخزن لما تحتاج اليه الاسرة في فترة العصرية وتقديمه للضيوف وخلافه من أغراض اخرى والمخزن في هذا الدور بالذات يسمى (غرفة)

الدور السادس:- ويسمى بن طيبرة ويزوج في هذا الدور الابناء ويكون عباره عن غرف مقسمة كالتالي:

غرفة بملحقاتها مع سطوح والذي يسمى السطوح (ريم) وفي وسط هذه الغرف غرفة تسمى مرواح وبجانبها طبيرة واحدة ومعها ريم..

الدور السابع:- ويسمى (قرح) والمفرد (قرحة) وهو عبارة عن سطوح واسعية ويتم فيه تجفيف الحبوب ويستخدم لأغراض أخرى ايضاً..

يتم الزواج في هذه الدار حيث تكون النساء منفصلات عن الرجال فالنساء في دورهن الخاص (السادس) والرجال في (الخامس) ..

الدعوة للزواج:- وهناك جماعة من الناس تسمى (عبيد جلوة) يقومون بدعوة الناس الى العريس شفهياً يذهبون الى منازل المدعوين بعد ان يتم تحديد المدعوين من قبل اهل العروسين قبل الزواج بثلاثة ايام وتسمى هذه الدعوة (وكاد).

عدد أيام الزواج هي اربعة ايام.

والان لندخل ونعش مع هذه اللحظات السعيدة والتي يتم فيها الاستعداد للزواج. تكون الفتاة الشبامية حرة طليقة حتى تقارب التاسعة من عمرها، حيث تبدأ بلبس الحجاب وعليها الا تدخل او تقترب او تظهر ووجهها سافر على النساء المتزوجات من غير أقاربها. اما الرجال فيمكن ان تظهر على محارمها، أما دونهم فلإبن العم او ابن الخال، وغيرهم وحتى تنتقل الى الحياة الزوجية لايمكنها ان تظهر على النساء بشكل عام، وهنا يجب التنويه بأن اهالي شبام يحبذون الزواج المبكر وعند الثانية عشرة للفتاة ومن الاقارب اي من ذوي القرابة في الدم.

ولكن هذا لايمنع من الزواج من غير الاقارب وذلك عند إصرار الاب او الأم مثلاً على زواج ابنهما من فتاة لاتقرب لهما وهنا وعند زواج الاقارب تكون مسألة الإرث أو وحدة تجارة العائلة سبباً في ذلك وقد تكون هناك أيضاً أسباب أخرى.

خطوات واجراءات الزواج:- يمكن ان نقسمه الى مرحلتين في عملية الزواج

المرحلة الاولى:- وتختص بالخطوات والتي يمكن من خلال ترتيب الامور بين العائلتين التي تنتهي بالإتفاق على الزواج.

اما المرحلة الثانية:- فتشتمل اساساً على مراسيم الزواج. ففي المرحلة الاولى وبحكم أن الشاب لايملك حق الاختيار في من تكون زوجة له، ولكن الام تقوم بهذا الدور بعد الاتفاق مع والد الشاب (زوجها) حيث تختار الفتاة المناسبة لإبنها منطلقة من الوضع الإجتماعي وظروف الحياة المعيشية لكل من الاسرتين..

وكذا وبعد نصب العين على الفتاة المحددة، تذهب الام لمقابلة والدة الفتاة لتخبرها عن كنه أمرها، وعادة مايكون الحديث بعد تبادل كلمات الترحاب وشرب الشاي. وهنا تدخل والدة الشاب في طلب الموضوع قائلة «رغبنا في الزواج منكم» فترد والدة الفتاة اهلاً وسهلاً وإنما بنشوف أبوها» وبنرد عليكم... وهكذا وعند تواجد الاب تخبره زوجته برغبة الاسرة المعينة في الزواج من ابنتهم، وهنا يتحدد الموقف باجابة الزواج والموافقة بإعتباره صاحب الكلمة العليا، فإذا لم يوافق تقوم هذه العائلة بإرسال شخص يسمى (رسول) يخبر الاسرة الطالبه للزواج بأن إبنتهم لازالت صغيرة ويعتبر هذا رفضاً مؤدباً وتعرف مقصده الاسرة الخاطبه. وعادة يتم الرفض لأسباب مختلفه، منها رغبه هذه الاسرة بتزويج ابنتهم من اسرة اكثر غنى من تلك الاسرة، او عدم توفر بعض الصفات المحببة لدى الشاب، وفي حالة الموافقه يتم إشعار الاسرة الخاطبة..

هكذا وعلى ضوء الموافقه يتحدد يوم معين يجتمع فيه رجال الاسرتين وبعض من ذوي المكانه الاجتماعية - الدينية وذلك في منزل والد العروس (الزوجه) وفي هذا التجمع عادة ماتسير الامور في اتجاهين:-

إما ان يتم الاتفاق على تحديد ميعاد الزواج وفيه يتم تسليم المهر (المقدم) والمحدد (بعشرة ريالات مارتيريزا) وذلك حسب القانون في تلك الفترة ١٩٢٠م في المدن. وفي الأرياف أستمر إستخدام هذا الريال حتى عام ١٩٤٠م بينما في شمال الوطن سابقاً حتي قيام الثورة. ويسمى المهر هنا (قباض). او ان التجمع فقط للتعارف على ان يحدد فيه يوم أخر للقباض. وفي هذا المجال لابد من الإشارة الى عادة تسليم (القباض) عند أهالي شبام، والذي له مكانة خاصة في حياتهم والذي له اعراف خاصة يترتب عليها حضور او عدم حضور الزواج من قبل البعض لاحقاً.

يتم لف (القباض) في منديل معطر بعطر عربي غالٍ

ثم يوضع بعد ذلك في صندوق صغير خصص لذلك، جميل النقش والنوع، يجب ان يفتح ويكشف مابداخله ويلف به على كل الحاضرين، والذي يردد كل منهم عندما يأتي دوره عبارة (قباض العافية) وذلك تبركاً بزواج ميمون. وفي حالة عدم رؤية البعض من الحاضرين لهذا القباض فإنهم لايحضرون مراسيم الزواج فيما بعد إذا وجهت اليهم الدعوة. لماذا؟ لان هؤلاء يعتقدون بأن اصحاب العرس يتشاءمون منهم ولايرغبون في حضورهم معتقدين بالعين وهذا يدخل ضمن التأثيرات الريفية.

اما عن تحديد يوم الزواج فيتم تحديده لفترة قد تطول لمدة سنتين سنة او تقصر الى ثلاثة اشهر او ستة اشهر او اقل وذلك حسب إمكانية الزوج المرتبط بإمكانية الحصول على موعد من قبل المطبلين رجالاً ونساء (المشترحون) وهذه الفترة التي تسبق يوم الزواج يتم اعداد وتجهيز العروس من الملابس والحلي والمساحيق وغيرها.

إن عدد أيام الزواج هي أربعة أيام سواء أكانت أسرة غنية او فقيرة وانما الاختلاف فقط في التجهيزات للعروس من الملابس والحلي وغيرها وكذا في الولائم والتحضيرات الاخرى.

المرحلة الثانية:

وتبدأ قبل ثمانية أيام من عملية الزواج حيث يحدد موعد للقاء في منزل العروس ويسمى هذا الموعد «قهوة» فمن جانب يجتمع الرجال والاقارب وذوى المكانه الاجتماعية ـ الدينية وتوزع فيه القهوة المسكره اي المعمولة بالسكر وتوزع عليهم والتي وحسب عادة اهالي شبام ان يقوم العريس والمسمي (كلان) والذي لزاماً عليه أن يقوم بإحضار مكونات القهوة وهي:

رطلين ونصف رطل من البن وربع رطل من الزنجبيل، وهكذا بالمثل لكل من حضر من الرجال من أقارب العروس والعريس ان يجلب معه نصف ما أحضره العريس. وهنا وعند الاستفسار عن هذه العادة يترفع اهالي شبام في ذكر الاسباب والتي على اساسها يحضر العريس واقاربه هذه المستلزمات، ولكن قد يكون السبب ان هذه هي عادة بدوية توارثها الاهالي عن الاجداد واصبحت هي السائدة وهي عادة موجودة إلى الآن..

ومن جانب آخر يجتمع النساء بوجود والدة العريس وقريباتها في بيت العروس ويتم شرب القهوة. وهنا لايأتي النساء بشيء مكتفيات بما احضره الرجال من مستلزمات القهوة..

وفي خضم هذه الفرحة التي تغمر أفراد الأسرتين واقاربهم لانجد أثراً للعروس في المنزل، سواء بين المجتمعات او في إحدى الغرف الاخرى من الدار، وفي معظم الاحيان لاتعرف العروس بما يدور في دارها متعلق بزواجها. فكيف يكون مثل هذا الامر؟ تحت حجة ان خالها او عمها او جدتها مشتاقون لرؤيتها فعادات وتقاليد الزواج في شبام تلزم اهل العروس قبل اللقاء المحدد والذي ذكر آنفاً بنقل ابنتهم الى عند اقاربهم اواي مكان اخر غير منزلهم وذلك قبل يومين اوثلاثة ايام. وهنا يظهر حظ الفتاة فإذا كانت وحيدة او المؤهلة دون اخواتها واللواتي يصغرنها في السن فتعرف بالحدس من ان مايدور في الخفاء يخصها..

وهنا وفي هذا الوضع تتصور كل من هذه الأخوات انها المعنية بالأمر، ويبقى حالهن هكذا ليحل فيما بعد، وبعد الاتفاق على العقد من قبل جلساء القهوة من الرجال، ففي ذلك اللقاء يتم الموافقة النهائية على مراسيم الزواج وقد يتم عقد القران في هذا اليوم او يؤجل الى يوم الزفاف، والى جانب ذلك وفي هذا اليوم يتم تحديد يوم معين من قبل اهالي العروس لاهل العريس وذلك لنقل أدوات ومستلزمات العروس والذي يحدد ويسمى عفش العروس (الماعون)

والمحدد بالتالي:

١ - صندوق خشبي (بوتيا) تحتوي طبقته السفلى على عود، وشوك يزم حق النخل من اجل الحنى، بخور (معسله) ورس، زعفران، هيل صابون لتنظيف الثياب (قطع) شب - شينز. وفي الطابق الاعلى من الصندوق يحتوي على مختلف انواع العطور وغيرها من مستلزمات العروس.

٢ - صندوق خشبي ساج وذلك للملابس (كوتع) بمثابة الدولاب في وقتنا الحاضر مع احضار قميص للصلاة بنص (محرمه) وهذا مهم جداً. حيث نلاحظ التزام جميع الاسر بملابس الصلاة حاملين ابنتهم

على الالتزام بفرائض الدين.

٣ - ٦ أوعيه منخل - ابريق شاي معقده اربع مخدات ، مخدة للحنى (سراج) بطانيه (كمبل) مسرفه للاكل ، مراوح يد وعدة شاي كاملة من ملاعق واواني زجاجيه (بلوج) غافقي . طبقة (وعاء الخبز من الخشب).

وتعتبر هذه الاشياء مساعدة من أهل العروس للعريس وبعد الانتهاء من ذلك ، وفي ثاني يوم تعود العروس الى دار اهلها وذلك بعد ارسال وردها الشخصي (رسول) يطلبها و يؤكد على عودتها ، بينما يتمسك الاقارب الذين كانت عندهم ببقائها ومن معها ، وذلك حتى لاتشك في الامر ، ولكن وبالرغم من هذا تتحرك للعودة تحت اصرار الرسول .

وعند عودتها ومن معها اذا كان هناك اخريات الى الدار يكون الدار في وضع كما هو عليه في العادة حيث تتوجه الى غرفتها المخصصة في العادة ، ولكن امها تعترض عليها بالدخول لوجود الضيوف في هذه الغرفة وتشير عليها الى التحرك الى غرفه أخرى يكون والدها مختبئاً فيها.. وعند ولوجها الغرفة يفاجئها بوضع غطاء (مغشى) على جسمها بالكامل بادئاً (بسم الله الرحمن الرحيم) انت عروسه على (فلان بن فلان) لتزغرد أمها أو قريباتها ، كاشارة لدق الطبول والتي يبدأ صداها يزداد في الدار وفي تلك الاثناء يحمل الاب ابنته متوجهاً بها الى الغرفة الخاصة بالنساء والتي تكون قد اكتظت بالنساء وهنا وبالضرورة ان يكون اهل العريس متواجدين وذلك لمراقبه حالة العروس عند وصولها هل يجب على الفتاة ان تكون باكيه أو أن تصمت لان هذا يعنى انها خجول طيبه ومطيعة، وهذا يعنى انها لم تكن عارفه بموضوع زواجها بل تفاجأت به واذا كان العكس فوصلت والفرحه تملأ وجهها ، فإن ذلك يعنى انها لا تتميز بالصفات السابقه وانها قد علمت بزواجها . وهذا يعني ان الاسرة اسرة العريس تأخذ فكرة ثابته على الفتاة ويجب التعامل معها على اساس هذه النظرة، ويمكن ان تعير الفتاة فيما بعد بأنها وقحة حتى في يوم زفافها.

كل هذه العملية تسمى عند اهالي شبام **(الحكي)** والذي يعنى ابلاغ فتاتهم بزواجها ، **ويجب التأكيد هنا** الى انه في حالة عدم وجود الاب **يمكن ان يقوم بهذه** المهمة احدى قريباتها (الجده، الخاله، **العمه) وذلك** مشروط بأن تكون احدى هذه القريبات **لم تطلق ولم** تعرف زواجاً ثانياً، وذلك حسب معتقداتهم الخاصه في الانتقال معاناة تلك القريبه .. العروس فتنكد حياتها وتكون معرضه للطلاق والمشاكل وهذا يدخل من ضمن بعض التأثيرات غير الواعيه والعائد سببها دائماً الى التمسك بالعادات الشعبيه والحياة المغلقه للفتاه.

وفي ليلة (الحكى) تؤخذ العروس الى الحمام ويغسل جسمها بالغسل باعتباره مادة مطهرة، وتنقل على إثر ذلك الى وسط التجمع النسائي ووجهها مغطى بقطعة سوداء منقشة بنقوش حمراء تسمي **(مقنع الحنه)** وتبدأ أربع محنيات في تنقيشها موزعات على اليدين والقدمين وذلك من اجل التفنن في اعدادها بالشكل المطلوب. وقد تميزت نساء حضرموت بالابداع في هذا المجال . ويرافق الحنه دق الطبول والذي يبدأ منذ تنقيش العروس لتنتهي بإنتهاء النقش .

وفي الجانب الاخر وفي دار العريس وعند سماعهم لدقات الطبول في دار العروس يبدأ المطبلون بالقرع على طبولهم في الساحة امام الدار ويسمى ذلك (السمره) حيث يغنون فيها الاغاني الشعبية وهنا يتم زف العريس من الدار الى ساحتها وذلك بغرض تحنيته. وعند الانتهاء من ذلك يزف مرة أخرى الى الدار ليغسل الحنه من يديه وقدميه ثم يتعشى مع الضيوف (هذا اذا كان اهل العريس مقتدرين على العشاء) واذا لم فلا تقام مثل هذه الولائم. وتحنية العريس لاتعنى النقش مثل الفتاة، وانما وضع الحنه فقط على اليدين والقدمين وهي عادة متوارثه في الارياف الى الان بينما انتهت في المدن .

ثم ينقل الماعون بعد تحديد يوم القهوة وهناك اناس متخصصون يسمون عبيد جلوه يقومون بنقل هذا (الماعون) ويكون مرسلاً من قبل اهل العروس

وشغالتين مرسلتين من قبل اهل العريس ثم ينقل الماعون مع هؤلاء الى دار العريس ويبقى الى ان تحضر خالة العروس أو اختها مع اثنتين اخريات ليقمن بترتيب هذه الاشياء في غرفة العروس و تسمى هذه (ليله الصفه). بالمقابل يدعو أهل العريس اقاربهم لحضور الصفه هذه، ويبدأ الطبل بالدق وتبدأ الزغاريد والاغاني ويوزع الشاي السماور مع السمسم والسكر والتي هي عبارة عن جلجل وسكر ثم تصعد قريبات العروس فقط الى غرفة العروس المخصصة ويبدأون ترتيب هذه الاشياء. وبعد الانتهاء من الصفه يسمح لاهالي العريس و قريباتهم بالصعود ليشاهدوا ما احتوته الغرفة مع استمرار دق الطبول.. بعد الانتهاء من رؤية الغرفه تغلق الغرفة بمفتاح يأخذه اهل العروس حتى يوم الزفاف مع تأكيد ان الصفه لاتحضرها ام العروس.

أما عن ثاني يوم (للحكى) والذي يسمى (المشطى) فتبدأ مراسيمه منذ الساعه السادسه صباحاً، حيث تغسل العروس ثم تغطى ويحضر المطبلون وتوزع القهوه ثم تحنى مرة أخرى بواسطة المحنيات الاربع، وذلك من اجل ان يزداد حمرة، وعند الانتهاء يغادر الضيوف الدار ليعودوا ظهراً للغداء معه مصطحبين (الطرح) والذى يختلف من شخص الى آخر وحسب الامكانية كالذهب والنقود، والهدايا البسيطة وعند اكتمال حضور الضيوف المحدد بحضور اهل العريس، يقوم اهل العروس باحضار المبخرة التي تفوح برائحة العود وكذا المقص من اجل قص جزء من شعر العروس من الامام والخلف. وعادة مايقوم بهذه المهمه الاخ أو الاخت الصغرى للعروس، وذلك تبركاً بطهارة الطفل وخلو من الذنوب وبما أن الطفل لايستطيع ان يقوم بالمهمة بالشكل المطلوب فتقوم الام أو الجده او احدى القريبات بتحسين ماقصه الطفل، وبانتهاء هذه العملية يقوم الضيوف بتقديم الطرح (الهدية) يسبقهم اهل العروس واهل العريس ويتوجهون لتناول طعام وجبة الغداء.

وبعد الانتهاء من وجبة الغداء يتوجهون لتأدية الصلاة ثم التوجه الى دار العريس ويسمى (العرض)، وما أن يحضر والد العروس بغرض الطرح للعريس حيث يطرح المبلغ نفسه الذى طرحته والدة العريس لعروس ابنها. وهنا نؤكد على مسألة الدين وتأثيره تأثيراً كبيراً في هذه المجتمعات المعقدة والسبب في ذلك للعامل الاقتصادي.

وبعد الانتهاء من مراسيم الطرح يؤخذ العريس ليحلق شعر رأسه كاملاً ليتحرك بعد ذلك الى ساحة الدار ليتحنى في يديه ورجليه، وبعد الانتهاء يتم زفه الى الاعلى بالطبول و يكون ذلك عادة في الساعة الثانيه عصراً متجهين به الى وسط النساء مغطين راسه (بالسباعيه) وهنا تقوم النساء بالنعش حوله ويسمى ذلك (هداني).

وبعد الانتهاء من الهداني يذهب العريس ليغتسل ويجهز نفسه لموكب الزواج.

بعد ادائه لصلاة العصر مع غيره يتحرك وضيوفه متوجهين صوب دار العروس لتناول وجبة العشاء ويكون والد العروس في مقدمة المستقبلين عند بوابه الدار تقديراً للعريس وموكبه الرفيع المستوى حيث كما اشرنا ان من بين المجتمعين رجال الدين وذوى المكانه الاجتماعية في المجتمع.

هذا وتتكون وجبه العشاء في يوم الزواج من ارز اوفتة خبز أحمر يصب عليها المرق و اللحم، ويكون بالضروره من نصيب العريس، القلب والكبد وشريحة طيبه من اللحم وهذه عادة لاهالي شبام ان تعطى للعريس هذه القطع المميزة من اللحم.

وبعد الانتهاء من تناول العشاء، يغادر أهل العريس الدار مودعين من قبل والد العروس وذويها ويكون ذلك عادة في الساعة الرابعة او الخامسه عصراً لتنقل المراسيم الى دار العريس، وهناك يقام (الدان) والذي يبدأ في الساعة الثامنه مساء، حيث يحضر أهل العروس للسمر يتخلله توزيع القهوه مع السكر اي القهوه ذات الطعم الحلو.

وفي الساعة الحادية عشره مساً أيقوم اهل العريس بعملية ذبح المواشي وتكون بحضور ومشاركة والد العروس الذى يدعونه لهذا الغرض ثم يغادر والد العروس الى منزله وبعد مغادرته منزل العريس يتبعه العريس طالباً عمه بالسماح بحضور عروسه اليه قائلاً عبارة (نريد الغزال يأتوا) وهذه عبارة تحمل في

طياتها الادب والاحترام حيث لايتجرأ العريس طالباً العروس بالاسم، مع استمرارية دق الطبول الشرح في كلا الدارين . وهنا يغادر قريبات العريس الي منزل العروس للمشاركة في السمر المقام في بيت العروس، والذي في أثنائه تتم عملية تجهيز العروس، حيث ترتدي العروس ثوباً من الحرير يسمى (مسح) بلون أحمر غامق او أصفر فاتح ويوضع على رأسها شيء بمثابة التاج يسمى (المبقل). المصنوع من غزل الصوف مزين بالفضه واللؤلؤ متخذاً الشكل الهرمي توضع عليه المقرمه والطرحه وهى شبهة بالزي الفرعوني وقد يؤكد هذا وجود علاقات قديمة بينهم. وهذا (المبقل) أصبح الان بحوزة شخصين او ثلاثه فقط يقدمونها للعرائس دون مقابل كما توضع على جبينها عصابة اما الحلي التي تتزين بها تتكون من مريه وقرح وهلال ورقاء (عبارة عن قطعة عريضه من الفضة) وعلى خصرها (حزام من فضة) وعلى رقبتها سلس مقوى وعلى أذنيها حلق وشعرها مزين بالفضة طبعاً نحن هنا نلاحظ نستنتج ان وجود مثل هذه العبارات المغلقة مثل (نريد العيال يأتوا) انها تنطلق من واقع احترام المرأه ومكانتها في مثل هذه المجتمعات.

بعد الانتهاء من تزيينها تذهب للجلوس في غرفة لاستقبال غرفة الجلوس أو الضيوف وهى مغطاة الوجه وهناك تردد الكوبرى (المكديه) (صلي على محمد لكل من قام بتقبيلها)..

أما ماتبقى من أغراض العروس يقوم أهلها بارساله مع اهل العريس يسمى أصل العروس ومن معهم « ضمانين دخول » وهنا يوزع اهل العروس الماء فقط. وبقدوم لحظات تحركها الى خارج الدار الى منزلها الزوجي تزف في موكب نسائي (سله) من غرفه الاستقبال ويكون ذلك حوالي الساعة الواحدة مساءً وما ان تطأ قدماها خارج باب دارها حتى يغلق الباب بقوة من خلفها مرددين عبارة « خرجه بلا عوده » على اساس ان تكون حياتها مستقرة في بيت عريسها لتتواصل الزفة الى ان تصل الى دار زوجها، وهناك عند عتبة الباب يقوم اهل العريس بذبح افضل الاغنام وكسر اناء من الفخار على شكل دلة « قله » مرددين عبارة «ضد شر الحاسدين » وعند اجتياز الباب تستمر الزفة الى الطابق السادس حيث تجلس وتلبس لباساً عادياً الى ان تصل الى بيت عريسها لتتزين مرة اخرى بمساعدة (المعربة) وبعد الانتهاء من عملية التزين يدعى اليها عريسها الذي يكون منتظراً مع الرجال في طابق اخر وقبل دخول العريس الى العروسه تقرأ له والدته او احد اقاربه سورة قرآنيه (سوره النصر) إنا فتحنا لك فتحاً مبينا. وعند ولوجه الى الغرفة تكشف الكوبرى عن وجه العروس ويعطى العريس للكوبرى مقابل ذلك مبلغاً بسيطاً من المال لتغادر الغرفة تاركة العريس والعروس لبعضهما. طبعاً نلمس ان في كل خطوة من الزواج واجراءاته تكون هناك التاثيرات الشعبية.

وفي خلوتهما يقوم العريس بلف ماتحتاجه عروسه قطعة ويضعها في صندوق خاص وكل هذا يكون في وقت متأخر من الليل اي مايقارب الساعة الثالثه صباحاً او اكثر .

وفي الصباح حوالى الساعة السادسه يقوم الاهل بايقاظ العروسين ليفطروا مع بعض ثم يقوم العريس بتجهيز نفسه ومقابلة ضيوفه بعد ان يقبل ام العروس دون اعطائها شيئاً .

ويتم التعارف بين العروس واهل العريس أثناء قدومهم في يوم الصباحيه « الصبحيه ».

الساعة التاسعة صباحاً يتجمع الرجال في دار العريس لتناول طعام الغداء، وقبل ذلك يذهب رجال من عبيد جلوه « يلوى» لدعوة اهل العروس للغداء بعد ان يكونوا قد سلموا على العريس والعروس وباركوا لهما صباحاً وكذا يتم غداء للنساء في نفس هذا اليوم.

وبعد الانتهاء من الغداء يدعو والد العروس عريس ابنته ضيوفهم الى بيته لشرب الشاى ولمزيد من التعارف وحتى يصبح الجو خالياً لاحتفال النساء عصراً في دار العريس .

ونجد ان العلاقة بين الاسرتين تكون رسمية يلتزم فيها كل عريس من الأسرتين بما عليه من واجبات حتى لدى الاسر الغنية تبقى هذه العلاقة في ظل الرسميات .

وفي الساعة الحادية عشرة ظهراً يتغذى النساء وبعد

الانتهاء من الغذاء يذهبن الى بيوتهن ليعود العريس في الساعة الواحدة ظهراً ليصعد الى عروسه وفي اثناء دخوله الباب يطبق الباب خلفه بقوة مرددين عبارة «عين الحسود تخرج».

وفي العصر تبدأ مراسيم الحفل النسائي ويسمى «النقض» تجهز العروس وتلبس افخر ثيابها وحليها ويغطي وجهها ثم تزف [illegible] وحتى العرفه المخصصة للصرف وهي مغطاة الوجه بغطاء خفيف رقيق ثم تشارك في الرقص مع أقرب المقربات لها في رقصتها الاولى ويخلع عنها الغطاء ثم يضعون عليها الفلوس ويسمى «نقط» و تذهب هذه الفلوس للمشترحات وتسمى «الدائر» الدائرة التي ترقص فيها العروس «المداري» ويسمى النقط «دريه» العروس وبعد الرقص والغناء تخرج النساء جميعاً لاداء صلاة المغرب في منازلهن..

ثم يعمل اهل العريس عشاء صبحيه ويكون مقصوراً على الاسرتين.

تأتي يوم الصبحية تسمى «قهوه» يذهب فيه العريس مع والده ووالدته الى بيت عمه ((ابو العروس)) ويقول له عباره ((غداكم اليوم عندنا.)) واطلبوا من تريدون فاذا كان لديهم ضيوف اي اهل العروس توجب على اهل العريس ان يقوموا بدعوة الاقارب وهذا نوع من الاحترام والتقدير لاهل العروس من قبل اهل العريس.

وفي الظهيرة ياتي المطبلون و يتغدون ايضاً ويكون الغذاء عبارة عن بر ولحم ورز بدون الفتة وهذه الوجبة يلتزم بها كل الاسر بمختلف فئاتها وطبقاتها.

اما في فترة العصر فيسمى « ريحه» تأتي النساء ويزغردن ويطبلن وتوزع القهوة وترقص النساء الى وقت المغرب حيث يغادرون ويبقى فقط اهل العروس للعشاء.

ثالثاً يوم الصبحية ياتي اهل العروسه (ابوها امها اخواتها) الى بيت العريس للغذاء ويكون محصوراً فقط للأسرتين من دون مدعوين اخرين.

لتنتهي ايام الزواج الاربعة التي أعدت لها الاسرتان منذ سنتين او اقل ولتبقى العروس في دار زوجها حتى ياتي الشهر وبعد الظهر يعمل احتفال ايضاً ويسمى هذا الاحتفال ((نقض العقد)) ومعناه ان تفتح ضفائر عقد شعر العروس ويعملون لها عقد ضفائر.

وفي هذا اليوم يحدث [illegible] يقوم اهل [illegible] الدعوة لاهل العريس وفيها تدق الطبول وتزف العروس مع اهل زوجها الى الاعلى ويسمى «النقضه».

وفي العصر يسمى الاحتفال « ريحه» وترقص العروس وتشارك النساء في الرقص إلى المغرب حيث يغادر المدعوون الحفل الى بيوتهم.

أخير أتمنى ان اكون قد وفقت في نقل صورة حية عن عادات وتقاليد الزواج في شبام ويعتبر هذا اول موضوع كتب عن عادات وتقاليد الزواج في شبام منوهين الى ان العودة الى هذه العادات والتقاليد عادت تمارس و بشكلها القديم..

المراجع:

١. الرواه:

أ- تم الاعتماد على ماروا ه الناس من اهالي شبام في كتابة الموضوع كاملاً.

ب- الاستاذ المرحوم علي عقيل بن يحيى.

أ- الحكمة - فبراير ١٩٨٠م العدد ٨٤ ص ٥

ب- صفة جزيرة العرب ، الهمداني ص ١٧ تحقيق محمد علي الاكوع.

ج- موجز تاريخ الجزيرة العربية ، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة عدن. الطبعة الثانية ١٩٦٦، ص٥٢

د- انوار التاريخ الحضرمي، محمد بن احمد بن عمر الشاطري . الجزء الاول ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م ، ص (٢٩).

هـ- تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، الطبعة الثانية - ١٩٥٦م الجزء الاول، الطبعة ص ٧٥، ٨٦، ١٢١.

و- نفس المرجع ، الجزء الثاني ، ص ١١٤ - ١٢٩.

ز- عادات وتقاليد بالاحقاف، عبدالقادر محمد الصبابة ص، ١٣٦ - ١٥٨، منشورات المركز اليمني للابحاث الثقافية والاثار والمتاحف فرع - حضرموت - المكلا.

■ ■

مع الباحث مطهر الإرياني في

((اللغة والتراث))

عرض:
عزيزه محمد عبد القادر

بين أيدينا مؤلف قيم سيرى النور في القريب العاجل. وأستطيع القول إن هذا الكتاب كنز وجب علينا الإطلاع عليه نظراً لأهميته في حياتنا الثقافية والاجتماعية.

هذا الكنز ما أحوجنا إليه في أيامنا هذه خاصة ونحن الجيل الذي جاء في عصر تداخل اللهجة بالكلمة الأجنبية الدخيلة على لساننا. إذ نكاد نكون غرباء عن هذا القاموس الذي يحتوي على كلام آبائنا وتاريخ حياة مجتمعنا اليمني في ماضي لهجاته وحاضرها.

في (اللغة والتراث) هو اسم الكتاب لمؤلفه المؤرخ والأديب الشاعر مطهر الإرياني ولا أعتقد ان احداً له علاقة بالتاريخ اليمني القديم أو الشعر العربي بصفة عامة والشعر اليمني الحميني منه بصفه خاصة. أوله علاقة بالثقافة من قريب أو بعيد لايعرف اسم ومكانة الاستاذ مطهر الإرياني العلمية والأدبية.

هذا الرجل القدير.. عندما ادرك فقرنا وحاجتنا لهذا الكنز قدمه مقدراً للحال الذي وصلت إليه لهجاتنا اليمنية ومنطلقاً من حرصه وخوفه الشديدين على هذا الكنز كي لايندثر.. إذ ان انتهاءه أو ضياعه يعني إنكار تاريخ حضارة، خاصة ان بعض هذه اللهجات منها مايزال متداولاً ومنها ماتراكم عليه غبار النسيان، فطغت مفردات جديده لعصر جديد ولكن جديدنا هذا غريب وبعيد عنا فهو ليس متواصلاً بجذورنا. وهذا يعني ان هذا الجديد ليس أساسنا ومن لا أساس له لاحياة له.

نستطيع أن نعتبر هذا الكنز قاموساً خاصاً بحياتنا اليمنية المتفردة بتعدد لهجاتها.. لأنه يربطنا بماضينا وتاريخ لهجاتنا ويعرفنا بمفردات ماتت في مناطق ومازالت تستعمل في مناطق أخرى من اليمن.

فقد تناول مؤلفنا هذا القاموس بأسلوب مشوق سلس لاتمل من قراءته حيث انه لم يرصد المفردات ومعانيها بشكل رتيب بل قدمها مدعمه بالأمثال وشرح قصة كل مثل .. وجاء الكتاب متسلسلاً في كتابته متخذاً تبويبات بالحروف الأبجدية. عندما يورد لفظة من لهجاتنا يذكر مثيلتها في قاموسنا العربي، أي أنه كلما شرح لفظة نوه الى وجود أصل لها في قاموس اللغة العربية الفصحى وان لم يجد لها اصلاً ذكر ذلك.

وقد احتوى هذا الجزء على أحد عشر حرفاً ابتداه بحرف الألف ومختتماً إياه بحرف الزاي.

علاوة على ذلك ضمن بعض هذه الأبواب التي ساقها على نسق الحروف الأبجدية استطرادات احياناً تاتي بشرح موسع لنفس مفردة الباب الذي يكتب عنه.

أحياناً يقدم المؤلف استطرادات في مواضيع أخرى، ولايعني هذا أن هذه المواضيع التي تناولها المؤلف أقل أهمية من قاموسنا بل على العكس من ذلك فقد قدم مواضيع هامة في العلم والحياة وعن العلماء العرب وغير العرب.

كما عرض شروحاً لبعض النصوص المكتوبة بالخط

المسند القديم كاستشهاد لبعض مواضع الحياة في زمن محدد ذاكراً اسم الملك أو الشخصيات المهمة أثناء حدوث المعارك وراصداً اسماء الأماكن... حتى الأساطير اليمنية لم يهملها بل سردها في ثنايا أبواب هذا المؤلَّف.

أما الحكم والمقولات الشعبية والأهازيج المغناة فإن المؤلف قد اهتم بها كثيراً حيث افرد لها استطراداً خاصاً، تناول فيه الشعر الحميني وشعر العاميه وفسر استخدامات بحور الشعر العربي منوهاً الى ان الشعر الحميني مأخوذ من جملة بحور الخليل السته عشر مع جوازات كثيرة تخدم مجال القصائد بأغراضها ومواضيعها المعهودة منها الحماسة، المرح والحزن.أيضاً الزراعة ومواسم الحصاد ونجوم الزراعة وتعدد اسماء القطع الزراعية بالنسبة لتفاوت أحجامها، والآلات والأدوات المستخدمة في الزراعة وفي البيت لم ينس ذكرها في قاموسه القيم.

وقد وعدنا المؤرخ بتقديم جزئه الثاني مستوفياً الحروف السبعة عشر المتبقية من الابجدية طالبا منا عدم التفريط بموروثنا الثقافي الضخم.

إنه رجل وطني مبدع، غيور ومتشدد في ضرورة نهلنا من هذا المورد العذب والإرتواء منه..

❋❋❋

نبذة عن حياة الفقيد المؤرخ اليمني عبدالله محيرز

الاسم الكامل: عبدالله أحمد محمد عوض محيرز.
تاريخ الميلاد: ٣ أغسطس ١٩٣١م.
مكان الميلاد: كريتر/ عدن.
مراحله التعليمية:

- درس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مدرسة السيلة في كريتر - تعرف حالياً « بالمتحف الحربي».
- أنهى الدراسة الثانوية وحصل على الشهادة الثانوية في أمتحان كامبردج عام ١٩٤٩م.
- بعد التخرج من الثانوية دخل معهد تدريب المعلمين وحصل على شهادة تؤهله التدريس في المدارس عام ١٩٥٠م.
- التحق بالتدريس في الثانوية الحكومية في كريتر عام ١٩٥١م.
- قدم استقالته من التدريس لغرض الدراسة وغادر عدن في منحة دراسية من قبل الجمعية الاسلامية للدراسة العليا في باكستان مايو ١٩٥١م.
- كان أستاذاً في القسم العالي لكلية اللغة العربية الحديثة في كراتشي من يونيو الى ديسمبر ١٩٥١م.
- عمل مترجماً لدى المفوضية السورية في كراتشي. من ديسمبر ١٩٥١م الى أغسطس ١٩٥٢م.
- ترك باكستان وعاد الى اليمن في ٢٠ أغسطس ١٩٥٢م.
- أعيد تعيينه مدرساً في إدارة المعارف وعين مدرساً في كلية عدن سبتمبر ١٩٥٢م.
- أرسل في منحة للدراسة العليا في بريطانيا في إطار «ميزانية» تطوير المستعمرات يومذاك. وكانت المنحة للحصول على شهادة الدبلوما في الرياضيات في أكتوبر ١٩٥٣م.
- حصل على شهادة من كلية «كلهام» في بريطانيا لتدريب معلمي المدارس على فن التعليم والعلوم العامة والرياضيات ونجح فيها بتفوق في يوليو ١٩٥٤م.
- اجتاز امتحاناً في الرياضيات البحتة والتطبيقية للمستوى العالي. أغسطس ١٩٥٦م.
- حصل على الدبلوما في الرياضيات من جامعة إكستر. في أغسطس ١٩٥٧م.
- أعيد للتدريس مرة أخرى في كلية عدن لتدريس الرياضيات التطبيقية في أكتوبر ١٩٥٧م
- أرسل مرة أخرى الى بريطانيا على حساب ميزانية الكمنولث في مجال البحوث في الانظمة التربوية وكذلك علم النفس التربوي يوليو ١٩٦٠م.
- خلال دراسته في بريطانيا أنجز بحوثاً حول النظم التربوية والمناهج المدرسية وطرق استخراج المعلومات من المعطيات الاحصائية.
- درس في كلية عدن في الفترة من ١٩٦١م - ١٩٦٥م.
- شغل مهام نائب عميد كلية عدن ١٩٦٥م - ١٩٦٦م».
- أصبح عميداً في كلية الاتحاد في مدينة الشعب «١٩٦٦م-١٩٦٧م.
- شغل مديراً للعلاقات الثقافية والخارجية في وزارة التربية والتعليم. «١٩٦٧م-١٩٦٨م».
- عين وزيراً مفوضاً في سفارة اليمن «الديمقراطية الشعبية سابقاً بلندن وقائماً بالاعمال غير مقيم في باريس «١٩٦٨ - ١٩٧٦م».
- عين مندوباً دائماً لدى اليونسكو. «١٩٦٨- ١٩٧٥م».
- قام بجولة في مكتبات أوربا وأمريكا لحصر وجمع المخطوطات والوثائق. «١٩٧٥م».
- أصبح مديراً عاماً للمركز اليمني للابحاث الثقافية والآثار والمتاحف. «١٩٧٦-١٩٩٠م».
- قام بعملية فهرسة المخطوطات اليمنية في متاحف ومكتبات أوربا وتصويرها بالميكروفيلم للمركز اليمني.
- عين نائباً لرئيس الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية. ١٩٩٠م.
- عين مديراً لتحرير مجلة الاكليل ١٩٩٠م.
- أسهم في عدد من المؤتمرات والندوات الخاصة باليونسكو والمنظمة العربية والامم المتحدة.
- حصل على شهادات تقديرية في مجال التربية والثقافة والعلوم.. ١٩٧٩م.
- حصل على وسام العلوم من الدرجة الاولى. ١٩٨٩م.
- حاز شهادة تقديرية من اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين ١٩٩٠م.
- كرم من قبل اتحاد المؤرخين العرب ومنح وسام المؤرخ العربي ١٩٩٢م.

مؤلفاته:

نشرت أربعة كتب منها :-

١- صهاريج عدن ١٩٨٧م
٢- الآداب المحققة في معتبرات البندقية عام ١٩٨٩م.
٣- العقبة. ١٩٩٠م.
٤- صيره «نشر بعد وفاته» ١٩٩٢م.

- توفي أستاذ الرياضيات وعاشق التاريخ في ٢١ سبتمبر ١٩٩١م.

أخبار

ندوة حماية المخطوطات اليمنية في صنعاء

انعقدت في صنعاء في الفترة من السابع حتى التاسع من شهر سبتمبر ١٩٩٢م ندوة المخطوطات العربية، التي نظمتها الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات بالاشتراك مع اللجنة الوطنية للمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)

الندوة تضمنت عدداً من المحاور كان من أهمها : طرق ترميم المخطوطات، وأساليب جمع المخطوطات وفهرستها، والتعرف الى المخطوطات وتحقيقها ونشرها.

شارك في الندوة عدد من العلماء والمؤرخين والمحققين من اليمن وسوريا ومصر وألمانيا الاتحادية وتركيا والاردن والمغرب والعراق والنمسا كما شارك فيها مندوبون عن بعض المنظمات الدولية كاليونسكو والاسسكو والاليسكو ومعهد المخطوطات العربية.

وقد ألقيت في الجلسة الافتتاحية للندوة كلمة عن المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة - ايسيسكو - القاها الدكتور حسن السائح : أكد فيها على أن قضية الحفاظ على التراث من المسلمات البديهية في بناء كل نهضة تسعى إلى ضمان استمرارها وحيويتها . وقال إن ابرز محتويات التراث هي المخطوطات التي تعتبر سجلاً لهندسة البناء الحضاري ومستودعاً لاسرار استمراريته . وأشار إلى أن المخطوطات الإسلامية لاتزال تغمر المكتبات العامة والخاصة في مختلف القارات، مؤكداً على ان المنظمة مستعدة لنشر ذخائر المخطوطات بالتعاون مع مختلف الخزائن والعلماء والباحثين والمتخصصين .

كما القى الاستاذ حسن اللوزي وزير الثقافه والسياحة كلمة أكد فيها على أن المخطوطات هي جانب هام وغني وثري من ذلكم التراث العظيم الذي ورثه الأسلاف لنا وللبشرية، وقامت على اساس منها مؤسسات ثقافية وحضارية ذات أهداف وأبعاد مختلفة أهمها وأخطرها معاً مؤسسة الاستشراق بكل حالها وبكل ماتعنيه وتدل عليه . وقال إنه يتعين علينا الاستفادة الكاملة من المخطوطات دراسة وتمحيصاً واستثماراً وتطويراً وليس مجرد الحفاظ عليها. وفي معرض حديثه عن المخطوطات اليمنية أكد الاستاذ اللوزى على اهميه الحفاظ على هذه المخطوطات وحمايتها ونشرها باعتبارها جزءاً هاماً من تراث اليمن، هذا التراث الذى يعد فرعاً من شجرة التراث العربى والاسلامى، وثمرة من ثمار التراث الانسانى المتنوع. كما اكد على أن الهوية الثقافية المعاصرة لاتقتصر على ذلك الارث الحضاري والثقافي الذي تتناقله الاجيال منذ فجر التاريخ اليمني وانما هي فعل ثقافي يتغذى باستمرار بما يبدعه الانسان اليمنى عبر كفاحه الطويل في سبيل نيل مبتغاه.

هذا وقد ألقيت في الندوة عدد من الكلمات والمداخلات، كما تمت مناقشات ثرية حول واقع المخطوطات وقيمتها الفكرية والحضارية.

❋❋❋❋ ❋❋❋❋

أربع حقائق عن:

واقع المخطوطات وضرورة إنقاذها

عبد الوهاب علي المؤيد

لانعتقد أن المخطوطات التراثية الفكرية، بحاجة الى توضيح لأهميتها وقيمتها الفكرية والحضارية والتاريخية والوطنية والقومية والانسانية .. وخاصة في مثل هذه الندوة التي تضم أساتذة وخبراء ومختصين ومثقفين في هذا المجال. على الرغم من أن اقتناعنا بأهمية وقيمة المخطوطات، لايزال في معظمه حتى الآن ، اقتناعاً نظريا، لم يترجم الى فعل يعطي هذه المخطوطات حقها في مختلف الجوانب .ويكفي أن نجد بلدانا مثل فرنسا وألمانيا وانجلترا، تؤكد في كل مناسبة، على أن الحضارة الحديثة. مالم تكن مستمدة هويتها من ماض حضارى، فانها تظل حضارة بلا هوية وبلا ثوابت، وتظل مؤقتة ومتوقفة على عوامل خارجية، ما ان تتأثر أو تزول حتى تهتز هذه الحضارة وتتداعى. وأن الشعوب تظل تائهة خارج ماضيها الحضارى، مالم ترتبط به عبر روابط تراثه الفكرى (١). ولعدم الجدوى من الدخول في مثل هذه البديهيات، أخلص الى موضوع هذه الورقة.

حول المخطوطات التراثية.. أركز هذه الورقة، في حقائق أربع. وأسميها حقائق باعتبارها ثابتة أو راجحة لدى الجميع، وبصرف النظر عن تفاوتها فيما بينها من جهة، وتفاوتها في منظور المهتمين من جهة ثانية..

وبصرف النظر عن حيثيات كل منها. وهي حيثيات مكانها البحث ومنهجها الاستقراء والاستدلال، وليس مكانها مثل هذه الورقة المركزة التي تقتصر بطبيعتها على تحديد عناصر أو موضوعات معينة لغرض النقاش ضمن الاطار العام لموضوع الندوة.

الحقيقة الأولى: تميز اليمن بالمخطوطات.

هذه الحقيقة نعتبرها ثابتة: بصرف النظر عن كونها حقيقة عامة أو نسبية.

وسواء أكانت صفة التميز في الحجم أو النوع أو الزمن أو الموضوع، أو في اكثر من واحد من هذه العناصر.

ولانريد اطلاق صفة التميز على اليمن في المخطوطات، اطلاقا على علاقه مما يكون مصادرة للحكم على الواقع وتجاوزا للاستدلال وتجاهلا لمعنى الحقيقة. وأقل مايجب تسجيله حول هذه الحقيقة، هو أن لإطلاق صفة التميز هنا، مفهومين لعلهما أبرز مفاهيمها:

أولهما: مفهوم التميز بواحد أو أكثر من العناصر السابق ذكرها. (تميز في الحجم أو النوع أو الزمن أو الموضوع). على المستوى العربي أو الاسلامي.

وهذا المفهوم أو الجانب، يحتاج الى دراسة واسعة،

تتوفر لها أكثر المعلومات الممكنه عن المخطوطات في الاقطار الواقعة ضمن اطلاق هذا المفهوم. وفي حدود معرفتي التي ليست حجة، فإن دراسة في اليمن من هذا النوع، لم توجد بعد.

ثانيهما: مفهوم التميز من حيث اتصاف اليمن بالتميز ضمن الأقطار المشاركة في هذه الصفة، من جهة. ويكون التميز بالمخطوطات، واحدا من المعالم اليمنية المميزة لها.

وهذا المفهوم هو المقصود بهذه الحقيقة. وهي حقيقة لا أرى داعيا للاستدلال من اجل اثباتها، بوصفها قد اصبحت من المسلمات. نظراً لشهرة اليمن بالمخطوطات في الداخل والخارج، ووجود آلاف من المخطوطات اليمنية في كثير من متاحف ومكتبات المخطوطات المنتشرة في البلدان العربية والاسلامية والاوربية وغيرها.

حجم المخطوطات في اليمن

وأعود الى العناصر الأربعة سالفة الذكر، خارج اطار التميز، أو في مفهومه الثاني ان صح ذلك.

الأول: الحجم. وأعني به الحجم الكلي للمخطوطات الذي يعنى العدد أو الكثرة. وفي هذا العدد:

١ - نلاحظ ان من جوانب الاهمال للمخطوطات اليمنية، أنه لم يوجد بعد، (أيضاً حسب معرفتي) إحصاء للمخطوطات في الجمهورية اليمنية ولا في أحد الشطرين قبل الوحدة.

٢ - والذي يوجد، هو فقط الإحصاء الذي احتوته فهارس المكتبات العامة الثلاث. مكتبة وزارة الاوقاف ومكتبة الهيئة العامة (الغربية والشرقية بالجامع الكبير) ومكتبة " الأحقاف " بتريم. (٢).

اضافة الى ما احتواه كتاب الدكتور حسين العمرى (التراث اليمني في المتحف البريطاني) من أسماء الكتب المخطوطة اليمنية في المتحف البريطاني (٣).

٣ - فيما يتعلق بالمكتبات الخاصة في اليمن، فلم يتناولها أى احصاء من اى نوع. وهي تحتوى كما هو معروف، النسبة الكبرى من المخطوطات، بحيث أنها قد تتجاوز ٧٠٪ من مجموع المخطوطات اليمنية في الداخل ويجب الأخذ في الاعتبار أن فهارس المكتبات الثلاث العامة، ليست دقيقة بالقدر المطلوب، سواء في جانب المنهج. أو نظام البطاقة التعريفية، أو في جانب الاحصاء أو الابجدية برغم الجهود العظيمة الذي بذلت في كل منها. الا أنها كانت بداية. والبداية دائما تشوبها الهنات. ولذا يعلق المختصون في مكتبة الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف، (الغربية بالجامع الكبير).. على إعداد فهرست أو دليل جديد واسع يتلافى كل مافات ويرقى الى مستوى المنهج الحديث مستوعبا كل المخطوطات بالمكتبة. هذا ماسمعته عن بعض المختصين فيها.

٤ - وهناك فهرست مكتبة الجامع الكبير، للعلامة محمد احمد الحجرى كتب عام ١٣٦١ هـ. وهو فهرست نقرؤ عنه ولم نطلع عليه (٤). وهو من الأهمية والقيمة بمكان لايخفى على العارفين. سواء من حيث كونه مبادرة رائدة تحوز فضل السبق،

أما من حيث كونه وثيقة قد تكشف بحكم السبق، معلومات ومخطوطات تفيد مكتبة المخطوطات اليمنية. أو من اعتباره مخطوطة نادرة في حد ذاتها. وقد حاولت البحث عنه في بعض نطاق وجوده، ولم أصل الى شىء منه ولا من المعلومات عنه. وهي محاولة أعترف أنها قاصرةومحدودة.

٥ - والذي سمعنا عنه أو قرأناه من تقديرات لعدد المخطوطات اليمنية بصفة عامة .. هو أرقام مجردة تظهر فيها المجازفة من ناحية ، والمبالغة من ناحية ثانية ، لانها لاتعتمد على حيثيات أو دراسات أو مصادر معينة ، فضلاً عن المراجع أو الوثائق أو نحوها . وقد سمعت وقرأت تقديرات تضع رقم المليون مخطوط ،حدا ادنى لما تتخيله من أرقام . والذي قد يهمنا منها هنا ، نموذجان:

أولهما : ماسمعته من البرفسور الألماني (فريد آر . بوان) . (٥) في منتصف الثمانينات .. بان في اليمن مايقدره هو ، باكثر من مليون مخطوط . ومع ثقتنا بهذا الباحث وتقديرنا لحصافته ، الاانه لم يحدد ركائز أوصلته الى هذا الرقم ، وهو لم يقل هذا جازماً ، وانما تخميناً ربما اعتمد فيه علي قراءاته واطلاعه على بعض المكتبات الخاصه أثناء وجوده في اليمن خبيراً - متطوعاً في مجال المخطوطات بمكتبه الجامع الكبير. وبرغم لقاءاتي المتعددة معه وما تخللها من أحاديث كثيرة

في المخطوطات، سجلت أكثر من حديث منها للصحافة المحلية والعربية .. الأانني لاأتذكر أنه حدد أساساً لتقديراته .

وثانيهما : ماقرأته في احدى الصحف المحلية (٦) . من معلومات بعضها في أحاديث وبعضها في تحقيقات صحفية ، تقدر عدد المخطوطات في اليمن ، باكثر من مليون مخطوطة . ومثلها في الخارج تقريباً . والغريب أن بعضها استند في ما أورده من أرقام للمخطوطات في الداخل والخارج ، الى كتاب الدكتور العمري (٧) . بينما لم ترد فيه كما أثبتها هذا الصحفي .

وأنبه هنا ، الى أنني قد استندت في بعض الكتابات الصحـ٧٥،٥،في مقدمة عرض لبعض المكتبات الخاصة .. الى البرفسور الألماني في تقديراته ، ولكن في شكل معلومة أرويها عنه ، أكثر من كونها لغرض الاستدلال على صحة الرقم .

٦ - من كل هذا ومن غيره ، يظهر كثير من المجازفة والمبالغة في التقديرات التي تضع المليون مخطوط وتتجاوزه . ولكن هذا في مجموعه ، يؤكد أهمية الاحصاء الدقيق بحسب الامكان طبعاً ، للمخطوطات اليمنيه .

ولاشك أن غياب الإحصاء البسيط أو الببليوغرافي ، لايعني التوقف عن وضع أرقام تقديرية تقريبية لعدد المخطوطات في الداخل ، ولايعفي منه .. بل أن العكس هو الصحيح ، هو أن غياب الاحصاء ، هو المبرر الوحيد والكافي لوضع التقديرات التي ليست مطلوبة ولا مقبولة إلا في غيابه . هذا من ناحية . ومن أخرى .. فطبيعي أن يظهر إختلاف وتفاوت بين التخمينات أو التقديرات .

ولكن غير الطبيعي ، هو أن توضع التقديرات رجماً بالغيب ، دون أن تكون قائمة على أكبر قدر ممكن من المقدمات والركائز التي تسوغها وتبررها .

٧ - وعند الضرورة الى التقديرات، وهي (الضرورة) قائمة حتى الآن.. يمكن أن نضع أرقاماً تقريبية لعدد المخطوطات في اليمن، ملخصاً طريقة التوصل الى الارقام، في الخطوات التالية:

الأولى : تحديد المناطق اليمنية المشهورة بالمخطوطات وبوجود المخطوطات فيها حتى الآن، بكثافة نسبية مميزة .

وبالامكان تحديد هذه المناطق ، من مجموع مصادر ذاتية وموضوعية اربعة أمكن لي تحقيق قدر متواضع من كل منها حتى الان :

١ - زيارات لكثير من المناطق اليمنية ، والمدن بصفة خاصة ..

٢ - الاطلاع على فهارس المكتبات العامة الثلاث (الخاصة بالمخطوطات في صنعاء وتريم - وحضرموت) ، ثم حققت هذه الفهارس تحقيقاً عاماً في ما يقرب من ٤٠ صفحة إضافة الى الاطلاع العام على محتويات هذه المكتبات إطلاعاً جزئياً .

٣ - إستقراء متنوع عام لتاريخ ومواقع المدارس والحوزات والأربطة العلمية في اليمن ، وبعض من التراجم والمعلومات ، عن أبرز أعلامها ومؤلفيها . اضافة الى الاستقراء السماعي .

٤ - الاطلاع على عدد من المكتبات الخاصة ، لغرض تسجيل المعلومات وتوثيق بعض التحقيقات والدراسات التي أمكن وضعها في هذا المجال .

الثانية : من هنا ، يمكن تحديد أولى مناطق المخطوطات في اليمن ، بخمس مناطق هي بحسب الأولوية في حجم محتوياتها في أرقام متوسطه :

١- منطقة صنعاء ٥٠,٠٠٠ خمسون ألف مخطوط .

٢- منطقة حضرموت ، ومنطقة صعده ٢٠,٠٠٠ عشرون ألف لكل منهما .

٣- منطقة ذمار ١٥,٠٠٠ ألف خمسة عشر ألف مخطوط.

٤- منطقة زبيد ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف مخطوط .

الثالثة : تقدير نسبة المخطوطات اليمنية في كل مجموع هذه المناطق ، بانها قد تصل الى ثلاثة أرباع المخطوطات اليمنية في الداخل = ٧٥٪ . وهذا يعني أن عدد المخطوطات في اليمن ، يمكن أن يقدر برقم في حدود مائة وخمسين ألف مخطوط .

وهذا مجرد مثال قد ألجأ اليه عند الضرورة ، وأنا حتى الآن متمسك به ، مع التجاوز عن الزيادة أو النقص المعقول ..

لانه كل ماأستطيع التوصل اليه بحسب معرفتي المتواضعة . ولا أطالب أحدا بالتقيد به كما أنني لا أستبعد أن يظهر الاحصاء أرقاماً تبتعد عن هذا الرقم .

إلا أنه كما قلت ، كل ما أستطيع تحديده اعتمادا على ما توفر لي من معلومات متواضعه . (و من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله..) صدق الله العظيم

الثاني :النوع

وأقصد به هنا ، نوع المخطوطات من حيث الجودة والندرة في المستوى العام لخطها . ومن خلال النظرة العامة لعدد من هذه المخطوطات اطلاعا وقراءة وتتبعاً .. يمكن تلخيص النتيجة في نقط ثلاث .

الأولى : أنها في مجموعها ، ذات خط متزن ومقبول الى حد ما .

الثانية : أن نسبة المخطوطات ذات الجودة العالية في خطها ، قد تكون قليلة بحيث تتراوح نسبتها مابين ١٠ - ١٥ ٪ وهي نسبة منخفضة ، ولكن لا نستطيع تحديدها مقارنة بالمخطوطات في الأقطار الأخرى في هذا الجانب .

الثالثة : أن خط (النسخ) هو النوع الغالب على المخطوطات اليمنية ، من بين أنواع الخطوط الأخرى .

وهذا جانب موضع وموضوع بحوث ودراسات واسعة، يقوم بها مختصون ، لتحديد غايات مثل أنواع الخطوط والعجم والشكل والتزويق ووضع الهوامش ورسم الحروف وطرق الاملاء .. الخ.

الثالث : الزمن :

والمقصود به ، هو الجانب التراثي لقدم المخطوطة . ولعل المخطوطات اليمنية متفوقة في هذا الجانب . ويؤيد هذا عدة أدلة ضمن مصادر رئيسية ثلاثة :

أولها :

تاريخ أعلام الفكر الإسلامي في اليمن ، من اليمنيين وممن دخل اليمن أو استقر بها . ويرجع بداية هذا التاريخ إلى وقت مبكر من سني الاسلام الأولى ، ثم يتسلسل ويتسع عبر القرون دون توقف ويرجع هذا الى استجابة اليمنيين للدعوة الإسلامية عند بزوغ فجرها . وبالتالي : ماأدت اليه هذه الاستجابة من الاهتمام بتدوين القرآن الكريم وتفسيره والأحاديث الشريفة وتعاليم الاسلام عامة ، ثم تطور التعاليم وأدلتها الى فقه وفكر له مدارسه وأعلامه ومؤلفاته . وهناك نموذجان في مثالين نضربهما على هذا المصدر :

أحدهما : وفود الرسول الأعظم الى اليمن لنشر تعاليم الاسلام .

ومن رعيلهم الاول ، الامام علي بن ابي طالب . ثم معاذ بن جبل ومعه مجموعة من الصحابة منهم : عبدالله ابن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة ومن اشهر اليمنيين فروة بن مسيك المرادي الذي ينسب اليه تأسيس مسجد مسيك في حارة مسيك شرق صنعاء القديمة (٨) .

وثانيهما : الفقهاء المحدثون التابعون من رجال الفقه والحديث والتأليف . في أواخر القرن الأول ثم القرن الثاني للهجرة ، وحظ اليمن غير قليل منهم . امثال طاووس اليماني ، (١٠٦هـ) وعائذ بن عبدالله الخولاني ، وحنش بن عبدالله الصنعاني ، شراحيل بن شرحبيل الصنعاني ، وعطاء ووهب بن منبه وغيرهم (٩) .

وهؤلاء، لاشك كانوا بداية تدوين القرآن والسنة في كتب الفقه والمسندات ، وفي مكتبة الجامع الكبير «الشرقية» ، المصحف الشهير بخط الإمام علي وزيد ابن ثابت . «مكتبه الاوقاف» .

ثانيهما :المخطوطات الموجودة. ومنها مخطوطات كثيرة يعود تاريخ نسخها الى ا لقرون الستة الواقعة بين القرنين الثالث والثامن ا لهجريين.

وقد اطلعت على عدد غير قليل منها ، في مكتبات خاصة، منها على سبيل المثال «التحرير» للأمام أبي طالب الهاروني «١٠».

منسوخ في القرن السادس الهجري . و«المنتخب» «١١» للامام الهادي ، منسوخ سنة ٥٤٩هـ و«الاقليد» للعلامة الجندي «بفتحتين» على الجيم والنون، نسبته الى الجند بمنطقة تعز» «١٢» منسوخ عام ٧٢٩هـ . وغيرها .

وهناك مخطوطات نفيسة ونادرة، وترجع قيمتها المعنوية، إلى أنها بخط أحد أعلام الفكر في اليمن . مثل اجزاء من كتاب «الانتصار» بخط مؤلفه الأمام يحيى بن حمزة «١٣» وكتاب «البيان» لابن مظفر بخط العلامة صالح بن المهدي المقبلي . «١٤»

ثالثها : تاريخ وتراجم المدارس الفقهية وأعلامها في اليمن .

وكلها مصادر واسعة لامجال هنا للاستطراد فيها .

الرابع : الموضوع .
وفي هذا العنصر أيضاً، تتفوق المخطوطات اليمنية، ونتناوله من جانبين:
اولهما : تعدد موضوعات المخطوطات اليمنية. وكما هو معروف فانها متعددة راسياً وافقياً. بمعنى كثرة الموضوعات وتعدد المخطوطات في كل موضوع. وعلى سبيل المثال ، فهناك الموضوعات الرئيسية في الفقه أو الفكر الإسلامي. وتسيطر على معظم المخطوطات . ومن الموضوعات الرئيسية هذه :
- علوم القرآن
- علوم الحديث «المسندات والصحاح»
- علم أصول الدين «علم الكلام».
- علم أصول الفقه (علم الاستدلال).
- علم الفقه . (الفروض والواجبات والسنونات والمحظورات والمحرمات والمعاملات والعلاقات الاجتماعية وأسس وشروط بناء الدولة والعلاقات بين الحاكم والمحكومين) الخ .
- علم الفرائض (المواريث).
- علوم اللغة العربية . (نحو وصرف وبلاغة وعروض ومنطق) .
ثم هناك علوم في موضوعات أخرى عامة، مثل التاريخ والأدب والفنون والسير والتراجم والمعاجم والقواميس الطب والزراعة والفلك والفلسفة والنبات، الخ.
والجانب الثاني : تعدد الأراء والاجتهادات بحسب تعدد طرق الاستدلال والاستنتاج ومناهج الاجتهاد، في كل موضوع على حدة.
وهي كذلك مجالات واسعة للبحث. ولعل جانب أن عنصر الموضوع في المخطوطات اليمنية، من أكثر الجوانب التي حظيت بالبحث والدراسة مقارنة بغيرها، وخاصة علم الكلام.

الحقيقة الثانية :

عزلة المخطوطات

تعيش المخطوطات اليمنية في الداخل، في عزلة، مستحكمة تمنع الإفادة منها إلا في القليل النادر جداً، وبصورة لاتتجاوز الافراد الأولى من أرقام النسبة المئوية، الى مايمكن أن تفيده هذه المخطوطات لو قدر لها ان تخرج من عزلتها.
وقد كتبت في مقدمة إحدى المخطوطات التي يجري طبعها حالياً (١٥) ماملخص معناه : أن المخطوطات اليمنية، تعيش في اليمن أكثر من عزلة .

فهناك عزلتها لوضعها الحالي مخطوطات لم تجد الطريق الى التحقيق والطبع عدا القليل جدا هذا اولاً . وثانياً : عزلتها في المكتبات الخاصة، ووجودها هنا، يكاد يتساوى مع عدمها لانه لايوجد إحصاء بعدد المكتبات الخاصة في اليمن وبمحتوياتها ، وثالثاً : عزلتها من حيث قرائتها .. اذ أنها لم تعد تدرس ضمن أى منهج للتعليم في المدارس أو المعاهد .
أنبه هنا، الى أنني لا أقصد بهذا تحبيذ تدريس هذه المخطوطات أو استنكار عدم تدريسها . لان هذا أمر غير وارد ، سواء لتغير المناهج اليوم عما كانت في الماضي، أو لأن هذه المخطوطات أصبحت تحفاً ثمينة لايجوز تداولها أو التدريس فيها، كون ذلك متناقضا مع قيمتها الذاتية ووجوب الحفاظ عليها
وانما أقصد أنها كانت تدرس فعلاً، ثم جاء الوقت الذى تغيرت فيه المناهج من جهة، وأصبحت فيه المخطوطات تراثا بعيداً عن القرائة والاطلاع.
ورابعاً : عزلتها من حيث بعدها عن الباحث، اذ لايستطيع الحصول على صور لبعض منها ، الا بصعوبات كبيرة وشاقة وتكاليف باهضة .. وأحيانا يستحيل ذلك . وأقول هذا عن تجربة ..
هذه العزلة المضاعفة من ناحية . ومن ناحية أخرى .. فان مكتباتنا العامة للمخطوطات، لاتتوفر فيها وسائل الاستفادة الا في حدود ضيقة وصعوبة شديدة كما أشرت الى ذلك آنفاً.
فلا قاعات خاصة بالاطلاع في هذه المكتبات . ولاصور للمخطوطات يمكن استخدامها داخل قاعة المكتبة، ولا وسائل تصوير حديث يمكن ان يحقق رغبة وحاجة الباحث . وقد يقال بان آلات للتصوير الحديث موجودة في بعض هذه المكتبات. نعم قد قيل لي هذا . ولكن لم أجد

شيئاً . فمرة قيل بأن آلة التصوير احترق جزء منها وأخرى بان استخدامها غير ممكن لعدم وجود الفنى المتخصص . وثالثة بأن التصوير ممنوع لأنه يفسخ المجلدات.

الحقيقة الثالثة :

خطورة وضعها

فالمخطوطات في بلادنا، تعيش وضعا يمكن ان تتعرض فيه لكل واحد من احتمالات الخطر وأقربها وأسرعها . وهو وضع تكاد تستوى فيه المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة .

اولاً : في المكتبات العامة .. تتلخص صورة وضع المخطوطات ، في :

١ - ظهور الأرضة وشيء من التفسخ في المجلدات وأوراقها .

٢ - ظهر تسيح في الحبر علي بعض المخطوطات ، نتيجة الرطوبة .

٣ - عدم توفر شئ من المضادات للرطوبة والحشرات والأرضة ونحوها.

٤ - وكذا عدم وجود أية وسائل لمكافحة الحريق.

٥ - لا توجد حراسة على المكتبات العامة ومخطوطاتها، سوء لمنع السطو أو السرقة لشئ منها، أو لكشف أى زائر يحاول تسريب مخطوطة أثناء ساعات العمل الرسمي.

هذه نماذج من أهم الأخطار وثغرات الاحتمال لتسربها الى مخطوطات المكتبات العامة.

ثانياً : في المكتبات الخاصة، يتلخص وضعها العام في :

١ - كل الأخطار واحتمالاتها المشار اليه في المكتبات العامة . وهي أكثر في المكتبات الخاصة، وان كان الخطر أقل ، من حيث قلة المخطوطات التي قد توجد في كل مكتبة خاصة على حدة، فاحتراق مكتبة خاصة مثلاً، قد يأتي الحريق على خمسين أو مئة مخطوط، بل أقل ، اذ أن أصحابها لا يجمعونها في مكان واحد، ثم إن أمكنتها بيوت ملاكها، حيث يظل وجودهم طول الوقت في البيت. أما المكتبة العامة، فان تلك المصيبة والعياذ بالله، تتحول الى كارثة حضارية يمنيا وعربيا واسلاميا، بل وعلى مستوى الفكر والتراث العالمي، بوصفها تراثاً إنسانياً .

٢ - ان كثيرا من المكتبات الخاصة، ورثها من لايعرفون قدرها وحق العلم فيها، فهم يخزنونها في مخازن الحبوب أو نحوها، ومن هنا .. يهملونها حتى تتعرض للأتربة والأرضة والحشرات والجرذ (الفئران) والرطوبة وكل الأخطار الأخرى. ثم يكتشفونها بعد فوات الأوان. وهذا حدث في أكثر من مكتبة خاصة.

٣ - ثم أن هؤلاء الورثة الذين لايعرفون قدرها وأهميتها، يتعرضون اليوم ، ربما لاخطر ما تعرضت له المخطوطات في اليمن طيلة الماضي . وهو أن جهات مجهولة حتى الآن ، لدى عامة الناس على الأقل .. تسلط وسطاء محليين لشراء المخطوطات وتبذل مبالغ خيالية مغرية تصل الى عشرين ألف ريال للمجلد الواحد من القطع المتوسط . وأمام كثير من أصحاب المكتبات الخاصة ذوي الظروف المعيشية الصعبة نسبياً يسهل بيع المخطوطات لهذه الجهات أو للجهة الخارجية المجهولة، عن طريق الوسطاء.

٤ - إضافة إلى أن الجهل بالمخطوطات ، يقلل الاهتمام بها لدى بعض أصحابها ، فيتركونها تتمزق وتتفسخ وتضيع أوراق وملازم وكراريس منها ، عند نقلها من مكان الى آخر أو ماشابه هذا دون أن يسارعوا لتدارك مايحدث.

الحقيقة الرابعة :

واجب الدولة تجاهها.

وهذه الحقيقة الأخيرة في هذه الورقة ،هي واجب الدولة تجاه المخطوطات ولانبالغ إذا قلنا ، أن المخطوطات اليمنية تعيش اليوم أزمة لم تشهد مثلها في الماضي ربما أنها أزمة تزداد حدة وتفاقماً يوماً بعد يوم.

وهي أزمة رباعية الأركان .

- أزمة العزلة الكثيفة المضاعفة .
- أزمة الاخطار التي تتهددها .
- أزمة الضياع الى خارج البلاد .
- وأزمة الاهمال من قبل الدولة .

ولعل هنالك أزمات أخرى لم نتذكرها أو نعرف عنها

حتى الان .

توصيات في نداء :

وفي نهاية هذه الورقة الملخصة ، لأرى ان هناك ضرورة لوضع مقترحات لتغيير وضع المخطوطات اليمنية الى الوضع اللائق بها ، وتحديد الضمانات والحلول للاخطار والمشاكل المحيطة اذان مقترحات في هذا الباب معروفة لدى المختصين اكثر منها لدينا المهم ان تتوافر النية والغرض والوسائل للقيام بهذا العمل فنحن نعرف ان النيات الصادقة متوافرة لدى المعنيين بالمخطوطات ولكنها وحدها لاتكفي ، اذ ان تتوفر لهذه النيات الامكانيات اللازمة .

ولكني اضع بعض التصورات العامة لتكون على الاقل تطبيقا للمنهج التقليدي المتبع في المداخلات والدراسات ، وموضوعاً للمناقشة ، ولتكن في شكل واطار نداء عام لانقاذ تراثنا الفكري.

واركزها في الاتي :

اولاً : اعتبار المخطوطات من قبل الدولة عامة والوزارات والاجهزة المعنية خاصة .. منطقة منكوبة . نعم .. بهذا القدر من الاهتمام كما يحدث تجاه المناطق التي تتعرض للكوارث. وذلك من اجل ان يتوجه الدعم ويتواصل للمخطوطات حتى يتوفر لها الاهتمام اللائق بصفة استثنائية وخاصة وللفترة اللازمة . وقضية كيف يتم هذا ؟ تعود للمختصين المشرفين والمباشرين في الاجهزة المعنية.

ثانياً : تشكيل لجنة انقاذ بقرار من السلطات العليا تضم مجموعة من المختصين في الجهات المعنية ، اضافة الى عناصر من المهتمين وذوي الخبرات المتنوعة في هذا المجال .. على ان تؤدي عملها في جانبين رئيسيين متوازيين :

اولهما : القيام بحملة دولية تستهدف الحصول على مساعدات ومساهمات المنظمات الدولية في هذا المشروع الذي يمكن أن يطلق عليه : مشروع إنقاذ المخطوطات التراثية في اليمن .. على غرار الحملة الدولية لحماية المدن الاثرية .

ثانيهما : العمل [illegible] بقاً لبرنامج زمني واسع لعملية الانقاذ، يستوعب مايترتب على المرتكزات الرئيسية الثلاثة :

١ - اهداف البرنامج .

٢ - الوسائل البشرية والمادية والفنية .

٣ - طريقة وأسلوب التنفيذ ضمن فترة زمنية محددة.

ثالثاً : القيام بعملية احصاء شاملةتستوعب المكتبات الخاصة ومحتوياتها من المخطوطات ، في منهج متكامل ثم البدء بتصويرها بالميكروفيلم في عملية متزامنة معها .

رابعاً : وبناء على بيان يصدره العلماء يحرم بيع المخطوطات الى خارج البلاد يصدر قرار من الحكومة بمنع خروج المخطوطات الى الخارج منعا قاطعا ويبلغ تنفيذه الى السلطات في المداخل البرية والجويه والبحرية هذا من جهة .. ومن جهة ثانية .. يرافق هذا القرار اعلان استعداد الحكومة (ممثلة في الاجهزة المختصة) لشراء اي مخطوط ينوي مالكه بيعه وبأثمان مجزية إضافة الى إصدار وسائل تقدير معنوية تمنح لمن يقدم اكبر قدر من المخطوطات للاجهزة المعنية او يبذل جهوداً في سبيل شيء من هذا القبيل .

خامساً : العمل على الاسراع باصدار قانون المخطوطات بحيث ينص عل حظر تداولها وبيعها وخروجها من اليمن مثلها مثل التحف والقطع الاثرية الاخرى.

الهوامش:

١ - جاء معنى هذا في كلمات للرئيس الالماني فايتسكر، اثناء زيارته للمخطوطات والآثار في صنعاء وحضرموت ومأرب في زيارته لليمن خلال شهر يونيو الماضي.

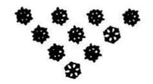
٢ - (فهرس مخطوطات الجامع الكبير) صنعاء ، ٤ مجلدات و١١ فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع . مجلد . و (فهرس مكتبة الاحقاف). ٣ أجزاء وأربع خاص بالمؤلفين اليمنيين.

٣ - مجلد طبعة ١٩٨٠م.

٤ - مقدمة فهرس مكتبة الأوقاف بقلم القاضي علي السمان ج ١ ص ٨ .

٥ - عمل في مكتبة الجامع الكبير لحوالي ٣ سنوات

في النصف الاول من الثمانينات .
٦ - صحيفة (الثورة) في العدد الصادر في اغسطس ١٩٩٢م.
٧ - نفس الكتاب المشار اليه .
٨ - راجع كتاب(سيرة النبي ص) لابن هشام .ج ٤ص ٢٣٠ . وتاريخ مساجد صنعاء .
٩ - طبقات الفقهاء وطبقات الشافعية ، للشيرازي.
١٠ - يحيى بن الحسين الهاروني . ت ٤٢٤ هـ.
١١ - الهادي يحيى بن الحسين . ت ٢٩٤ هـ.
١٢ - كتاب (المفصل المسمى بالاقليد) في النحو.
١٣ - توفى في نمار عام ٧٤٩ هـ.
١٤ - البيان في الفقه ٤ مجلدات هذه النسخة بخط المقبلي عام ١٠٧٥هـ.
١٥ - كتاب (الانتصار) للامام يحيى بن حمزة ١٨ جزءا تحت الطبع.



مساهمة في دراسة الوثائق الدولية لليمن

د. عبد الهادي التازي

اكاديمية المملكة المغربية

اذا كان النقد قد وجه الينا من قديم - نحن العرب - على أننا أهملنا توثيق تاريخنا المحلي فإن الشعور بوجاهة هذا النقد يزداد صدقاً عندما يتعلق الأمر بحديثنا عن تاريخ علاقاتنا مع الأمم الأخرى.

واننا اذ نشيد بجهد مؤرخينا القدامى ممن دونوا أيامنا من امثال الطبري في المشرق (٢١٠ - ٩٢٢) وابن حيان في المغرب (٤٦٨ - ١٠٧٦).

فانه لابد من تسجيل ملاحظتين اثنتين : احداهما ترجع لاولئك المؤلفين السابقين وثانيتهما ترجع الينا نحن اللاحقين.

الملاحظة الاولى : ان اسلافنا - رحمهم الله - مع كل ما قدموه لنا من افادات جد عامة حول تعامل الدولة الاسلامية مع غيرها الا اننا نشعر بان فضاء تلك المعلومات ظل محدوداً.

الملاحظة الثانية : اننا - نحن اللاحقين - لم نعمل على إثراء تلك الافادات كما يجب الاثراء.

وهكذا فانه بالرغم من المحاولات المشكورة التي قام بها عدد من الباحثين اثناء هذا القرن، ممن وقفنا على تاليفهم وتحقيقاتهم وابحاثهم بمختلف اللغات .. اقول بالرغم من ذلك ، فاننا مانزال - وسنظل - مطالبين بالبحث بين ثنايا المجاميع وبين رفوف الارشيفات المتناثرة في مختلف المكتبات العامة والخاصة سواء في العالم العربي او في العالم الغربي كذلك.

فعلا لقد اخذت البحوث المستجدة والاطاريح التي تظهر بين الفينة والاخرى تكشف عن دنيا من الوثائق والحقائق، دنيا من الوفادات والسفارات المتبادلة، دنيا من الاتفاقيات المبرمة بين هذا الطرف أو ذاك.

نكرت كل هذا لأبراز الحاجة الى المزيد من البحث عن ثنايا ذلك التاريخ لأن البحث فيه بحث عن أنفسنا، بحث عن التجربة التي عاشها اسلافنا في علاقاتهم مع أخوانهم وأصدقائهم الأخرين والأبعدين... وإن مما يسهل مهمتنا أن تاريخنا مشترك يكمل بعضه بعضاً..

لنتصور أن سراً من اهم الاسرار التي كانت وراء اغتيال أول ملك من ملوك المغرب ادريس بن عبدالله عام ١٧٧ = ٧٨٢ من طرف هارون الرشيد، كان ذلك السر موجوداً في مخطوطة من المخطوطات اليمنية التي كشفت في ذات الوقت عن الصلات المنتظرة بين المغرب واليمن.. (1).

ونحن نتحدث عن المخطوطات اليمنية ماذا يستوقفنا من وثائق تتحدث عن التاريخ الذي يربط هذه البلاد بغيرها من الأمم ؟

سؤال كبير وعريض : وسأقول منذ البداية بأن محاولة الجواب عنه تبقى مجرد إدعاء لأن الموقع الجغرافي المتميز لليمن، ولأن العطاء الحضاري لليمن كلا هذين العنصرين يجعلنا نحتار في تقديم الجواب الشامل الكامل عن ذلك السؤال ..

اليمن يطل على بحرين من ابرز بحار الدنيا ..

وهما معاً ناقدتان مفتوحتان على مصراعيهما، ومن هنا أمكـــن لليمـــنيين أن يسجلـــوا حضـــورهـــم فـــي كـــل بـــقـــعـــة مـــن بـــقـــاع الـــعـــالـــم

واعـتـرف بأنني - وأنا من سكان ساحل المحيط الاطلسي، اي من ابعد البلاد عن اليمن - اعتـرف بأنني لا استطيع ان افتح كتاباً أو بحثاً حول تاريخ المغرب دونما أجد امامي إسما لأحد رجال اليمن [٢] ؟

إنك لاتقرأ تاريخ طنجة مثلاً الا اذا مررت بفقرة تتحدث عن ان الذين وصلوا طنجة أول الامر كانوا ينتسبون الى لخم: وقد عرف الناس في الغرب الاسلامي عن قبيلة صنهاجة التي لم تكن غير فصيلة من حمير [٣] ...

وان ذلك اليمن الذي عرفنا عن موقعه الجغرافي المتميز وجدناه من جهة أخرى يجتذب انظار الناس إليه من مختلف جهات الدنيا .ومن هنا امكن ان نتصور رصيده الهائل على الصعيد الدولي ذلك الرصيد الذي يتمثل في السفارات التي كانت تتردد على موانئ اليمن من البلاد الاخرى، كما يتمثل في الوفود التي كانت تنطلق من الساحل اليمني الى الجهات النائية .. ولابد ان يكون لأمة بحرية كاليمن تقاليد بحرية وقوانين ملاحية اصبحت مرجعاً لكل الذين يخوضون لجج البحار..

وامامنا ابن المجاور في كتابة (تاريخ المستبصر) وهو يتحدث عن رسو مابين سبعين وثمانين مركباً كل عام، وانه كان يرفع من عدن الى تعز خزانه عند قدوم المراكب من الهند وشرق افريقيا، وخزانة عند سفرها من عدن، وان مقدار كل خزانة يبلغ مائة وخمسين الف دينار - وامامنا الى جانب ابن المجاور - مؤرخ آخر ينتسب الى بلاد المغرب الاقصى، هو ابن بطوطة الذي يتحدث عن ميناء عدن الذي تقصده الاساطيل من كل جهة، كما ولا يتردد في تعداد جنسيات تلك الاساطيل واحده واحدة، فيذكر كنباية (Cambay)(تقع في الكجرات (Gudjray) وتانة (Tana) (على مقربة من بومباي) وكولم (Qutlon)(على الطرف الجنوبي للهند)وقـاليـقـوط(Calicut) وفـنـدرايـنـة (pandalayini)(شمـال قـاليـقـوط) والشـاليـات (peypare) ومنجلور(mangalore) (جـنـوب قـالـيـقـوط)وفـاكنور(Baccanore) وهنور(Honarar)(وسندابور (Goa) وغيرها ...

وان كل هذه الشهادات ترسم اكثر من هذا صورة صادقة لما كانت عليه الملاحة باليمن..

وان حديث ابن المجاور .. عن طريقة استقبال المراكب:.

واحتفاظه بكلمة (هيريا)..(هيريا) التي يعلن بها الناظور عن وصـول المركب الى الميناء يعطي فكرة ايضاً عن الجو الذي يتم فيه استقبال السفن..

وأهم من هذا ان نقرأ عن سابقة حضارية عرفها التاريخ البحري لليمن، تلك التي تجلت بوضوح في التشريع الذي اتخذه الرؤساء البحريون لمقاومة القرصنة في المنطقة بدون هوادة طائفة من الاعراف التقطناها من خلال التاريخ مكنتنا من الوقوف على مدى مساهمة اليمن في بسط الأمن بأعالي البحار.

وان من أقوى الدلالات على مركز اليمن في العصر الوسيط أن نجد صدى الدينار القنابطي وهو عملة مغربية قديمة - كان لها تاريخها الطويل في عالم العملات، أقول نجد صدى هذا في عدن وبالضبط عام ٥٤٠ = ١١٤٥ على ما ورد في ذيل لكتاب المسالك والممالك لأبي القاسم ابن حوقل [٤] .

ثروة عظيمة من المحامد والمناقب في هذا التاريخ الذي نسميه *التاريخ الدولي*.... ليس فقط على الصعيد الدبلوماسي ولكن كذلك على الاصعده الاخرى.. فنحن عن طريق معالجة هذا التاريخ، نقف على ضرب من حوار الحضارات بعضها مع بعض..ونعرف عن القضايا التي كانت مشغلة للناس.. وعن طريق معالجة هذا التاريخ نعرف عن العملة التي كانت وسيلتنا للتبادل التجاري، وعن دلالات الهدايا المتبادلة بين القادة والزعماء كما نعرف عن حياة رجالاتنا في عالم السياسة عن طريق *القريض* ...

نحن لا ننسى الرسالة الشعرية التي حملتها السفارة من اليمن عام ٥٦٩ هـ / ١١٦٦م الى الخليفة ببغداد يصف فيها ما آل اليه امر التنافس المحزن بين قادة اليمن ويطلب اليه اعطاء الاسبقية لانقاذ اليمن من التمزق قبل ان يتوجة الى الجهاد في بلاد الروم !!.

فدع عنك أرض الروم وانهض لمكة
فسيفك فيه مضرب وذباب

فما في قتال الروم فخر، وهذه
بأظهركم ما في الكلام كذاب !!

إن ماتون عن تدخل بني أيوب في اليمن ابتداء من توران شاه يكون وحده ثروه هائلة في تاريخنا الدولي. [٥] ولابد ان تذكرنا هذه الرسالة الشعرية الدبلوماسية في الرسائل الشعرية المتبادلة بين القسطنطينية وبغداد قبل ازيد من قرنين [٦] ...

ونحن في ذكر ماتدل عليه المبادلات الدبلوماسية تستوقفنا اخبار السفارة التي ارسلها الملك المظفر الى ملك فارس حوالي سنة ٦٧٨هـ - ١٢٧٩م وما كانت تحمله من هدايا جليلة كما ينعتها ابن الديبع الزبيدي، هذه الهدايا التي اغرت صاحب ظفار الحبوضي انئذ فاستولى عليها، وهنا كانت المراسلات التي نستشف فيها ايضاً التقاليد الدبلوماسية الرفيعة التي تستند الى محاولة انهاء المشاكل عن طريق المفاوضات قبل ان نفكر في المواجهات [٧] ... ونقرأ من خلال هذا وذاك عن عظمة الاسطول اليمني بما كان يضمه من قطع ومن يتحكم في تلك القطع من فرق حربية ورؤساء بحريين حيث تثبت الحقيقة التالية

«تكون الدولة حيث يكون لها اسطول ولا تكون دولة عندما لايكون هناك اسطول» تلك بعض ماتوحي به هذه الحركة الدبلوماسية مما يتطلب منا ان نتتبع اصداءه في الجهات الأخرى..

ولا يجهل احد تلك المعلومات الدقيقة والهامة التي استأثر بذكرها ابن بطوطة عن اليمن عام ٧٣١هـ / ١٣٣١م هو ولو انه لم يزر البلاد بصفته سفيراً للمغرب، لكن حواره مع سيد البلاد نور الدين ابن رسول ينم عن شخصية الرحالة المغربي الذي قدم لنا اليمن تقديماً جميلاً اثيلاً وخاصة على الصعيد الخارجي.. فمن خلال ابن بطوطة تصورنا مدى العواصم الكبرى التي كان لها نفوذ في عالم الملاحة البحرية.

ونحن نذكر عهد الدولة الرسولية الذي استمر اكثر من قرنين لابد ان نشير الى السفارة التي وردت عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦ - ١٣٦٧م من ملك الهند الى الملك الافضل الرسولي...

نذكرها لانها اولاً تؤكد - ان كان الامر يحتاج الى تأكيد - عن ذلك المركز الذي قلنا ان اليمن كانت تنعم به في ذلك العهد، ثم انها، اي السفارة، تكشف لنا عن لائحة الهدايا...

ولم تشهد هذه السنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م السفارة الهندية فقط... ولكنها شهدت ايضاً وصول سفارة من مصر برئاسة القاضي جمال الدين الفارقي، وكانت كذلك مصحوبة بطائفةمن الهدايا فيها عدد من المماليك.. هذا الى سفارة اخرى من صاحب كنباية (cambay) التي وصفها ابن بطوطة في السفر الثاني من رحلته.

وبعد سنتين من هذا التاريخ، وبالتحديد عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨/ ١٣٦٩م ارسل ملك قالقوط اشهر مواني بلاد المليبار (moutqtpty) او (Malabar) بلاد الفلفل الذي وصفه ابن بطوطة كما يجب الوصف.. ارسل الى الملك الافضل وفداً كبيراً يحمل من جملة ما يحمل من هدايا بعض الطيور النادرة التي احتفظ بها العاهل في حديقة الحيوانات وفسائل لبعض الاشجار الغريبة، التي قام بغرسها في الحقول- وهو الامر الذي اشادت به مصادر تاريخ بني رسول الذين كانوا يهتمون بالفلاحة [٨]

وقد شهدت اليمن عام ٧٩٨ - ١٣٩٦ وفادةً اخرى من ملك مصر الظاهر برقوق... وجواباً عن هذه، بعث صاحب اليمن انذاك يخبر بان مطالب البعثة المصرية قد ارضيت وفي مقابلة هذا سيبعث اليمن ايضاً برسله الى مصر... ويحتفظ (القلقشندي ٨، ٧٢) بالنص الكامل للرسالة اليمنية...

ومن الطريف ان نجد في ابرز الهدايا طائفة من الصقور للقنص بصحبة نفر من الصقارين وهي اول وثيقة دبلوماسية حسب علمي- تشير لوجود رياضة الصقور في الجزيرة العربية...

ومن المعلوم ان اهداء الصقر في الاصطلاح الدبلوماسي يعني ان العلاقات بلغت قمتها علاوة على ما تعبر عنه هواية القنص بالصقر من رفاه ورفعة ذوق[٩].

وفي اعقاب هذا، اي عام (٨٠٠ - ١٣٧٨ - ١٣٧) وصلت سفارة ملك سيلان الى بلاد اليمن... وقد كان في جملة الهدايا التي حملت الى الملك الاشرف عدد من التحف، الى جانب فسائل من اشجار (الساند) التي تسميها المصادر العربية (العنبة)، وقد صحبت كل هذه الهدايا هدية من نوع غريب كثيراً ما تهدي من اسيا

وافريقيا..

لقد اعطانا الرحالة المغربي ابن بطوطة صورة صادقة لما كانت عليه التقاليد عند السلام على السلطان... وقد كان هذا الرحالة لبقاً كيساً فوجدناه يحترم عادة اهل البلاد. قال: «كيفية السلام على السلطان ان يمس الانسان الارض بسبابته ثم يرفعها الى راسه ويقول: «ادام الله عزك» قال ابن بطوطة: «فعلت كمثل ما فعله القاضي»...

لكن الذي حصل بالنسبة للمبعوث الصيني انه لم يمس الارض بل اكثر من ذلك خاطب ملك اليمن قائلاً: « سيدك صاحب الصين يسلم عليك ويوصيك بالعدل في رعيتك» فلم يأبه الناصر بمثل هذه المخالفات التي يمكن ان تحدث من غريب: وقال للسفير: (مرحباً بك ونعم المجيء جئت) واكرمه واسكنه دار الضيافة...

وقد كتب الناصر لامبراطور الصين كتاباً يقول فيه على سبيل المجاملات والمكايسات المعروفة بين القادة: «الامر امرك والبلد بلدك»

ومن الطريف ان نذكر هنا ان ابن الديبع - وهو الرجل الذائع الصيت الكثير التجول واليمني القح لم يفته التعليق على سلوك الدبلوماسي الصيني بالرغم من ان الملك تجاوز عنه، وهكذا وجدناه ينعت قول السفير بانه «عار عن اللطافة متسربل بالكثافة، وانه يصدق القولة الدائرة على الالسنة من ان ملك الصين يظن ان كل الناس عبيده» ويختم ابن الديبع قائلاً: انهم جاهلون باحوال البلاد وملوكها والا فالادب موجب لمن تحقق من نفسه الكمال ان لا يخاطب غيره الا باللطف والاجمال...

وان كل هذه المعلومات في نظري مما يؤكد ما قلناه منذ البداية بان التاريخ الدولي لامة ما هو الوحيد الذي يعكس خبرتها وكفاءتها وقوتها...

ساكتفي بهذا التقديم دون الحديث عن العلاقات مع زيلع... وسفارات الحبشة ووفادات اشراف مكة، ودون السفارات السرية التي تجري العادة بارسالها وتبقى تحت الظل... وسوف لا اتحدث عن دور المغرب في كسر شوكة البرتغال في المشرق عندما أجهز اي المغرب على (دون سياسيتان ملك البرتغال) عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨هـ في وقعة وادي المخازن، واثر ذلك الدور في اليمن مثلاً، ولا عن السفارات التي راحت من اليمن الى المغرب ايام المد العثماني الاول عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م طلباً للمساعدات، (١٠) ولا عن الشخصيات كذلك التي التجأت الى المغرب فراراً من الترك.(١١) ساكتفي بالاشارة الى ذلك... لاقدم هنا وثيقة دبلوماسية اعتقد انها تسد فراغاً في التاريخ الدولي لليمن.. وخاصة في تاريخ العلاقات العربية العربية... وقد شعرت من خلال ما امكنني الاطلاع علية من مصادر ومراجع ان من المفيد تقديمها بهذه المناسبة اثراً للبحث حول هذا التاريخ.

بين سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٧٨م التي يحدثنا فيها ابن الديبع عن ورود سفارة من ملك سيلان على الملك الاشرف اسماعيل، وبين سنة ٨٢٣/ ١٤٢٠م التي يحدثنا فيها كذلك عن ورود سفارة من ملك الصين على الملك الناصر احمد ابن اسماعيل، بين هذين التاريخين توجد رسالة وردت من ملك مصر على اليمن، وبالضبط بعيد تاريخ ٨١٥هـ/ ١٤١٢م الذي شهد تنصيب الملك شيخ المحمودي..

فماذا عن هذا الخطاب وظروفه وموضوعه؟

لقد حدث في بداية القرن التاسع الهجري - القرن الخامس عشر الميلادي ان تعرضت تجارة اليمن في مصر وفي الايالات التابعة لها.. لبعض المعوقات...

وهنا وجدنا سفارة من الملك الناصر احمد بن اسماعيل سالف الذكر تتوجه من اليمن الى مصر التي كانت تعيش ظروفاً مضطربة قلقة بسبب التنازع على السلطة بين الامراء... ذلك التنازع الذي تمخض بعد معارك طاحنة عن جلوس الملك المؤيد ابي النصر شيخ إبن عبدالله المحمودي الظاهري على كرسي الحكم...

وللتذكير فقد كان شيخ هذا في بدايته مقدم الف في دولة الناصر فرج بن برقوق، ثم عين نائباً لطرابلس فنائباً في الشام كله.. لكنه لم يلبث بعد مصرع الملك الناصر فرج ان تمكن من الجلوس على عرش مصر على ما سنقرأه في الرسالة.. وقد كان من اعماله هدم السجن الذي كان قد حبس فيه بمصر من قبل الناصر، وبنى مكانة جامع الملك المؤيد وهو الباقي الى اليوم داخل باب زويلة.. ويقولون عنه: انه كان عارفاً بالموسيقى ويضع الالحان ويغني بها في ساعات لهوه: ويقول ابن اياس:

ان له اشياء كثيرة من الفن دائرة بين المغنين الى الان، اي الى سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م (١٢) . ويذكر العصامي المكي في (السمط) ان السلطان المحمودي هذا كان مبتلي بالم المفاصل . فكان يحمل على الاكتاف او يركب المحفة...

وكما اشرت فانني لم اعثر- حسب علمي- على اثر لهذه الوثيقة في المصادر التي توفرت عليها لحد الان وخاصة منها التي اهتمت بالتوثيق في المجال السياسي والاداري...(١٣)

وقد نص (المجموع) على ان محرر الرساله هو الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي الذي كان اماماً للادب في عصره من مخطوطه (قهوة الانشاء في صناعة الانشاء)، وهو الذي استصحبه معه عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م الملك المؤيد بعد تحقيق النصر على «فرج»... وهو ايضاً الذي قال من قصيدة يمدح المؤيد فيها :

وجمعت باللجون جم عساكر
دارت عليهم من شطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة
فكأن هاتيك السروج مقابر:

ويتحدث ابن اياس في احداث ٨١٢هـ/ ١٤١٠م عن تزايد جور الملك الناصر فرج فيذكر انه كان يتولى ذبح مماليك ابيه بيده حتى قيل انه ذبح نحواً من الفي مملوك... حيث وجدنا ان عدداً كبيراً منهم يلتحق بالشام، حيث خلايا المعارضة التي كان يتزعمها شيخ المحمودي ونوروز الحافظي صهر الناصر!.. الامر الذي ادى الى ملاحقة الثوار في عقر ديارهم فكانت نكسته باللجون (في ضياع الشام) بينه وبين الرملة مدينة في فلسطين اربعون ميلاً وهي النكسة التي ادت لسجنه ثم لمقتله ليلة ٦ صفر ٨١٥هـ/ ١٨ مايو ١٤١٢م وتم الاتفاق على تولي الخليفة العباس نفسه للسلطنة ايضاً ويبقى كل من الشيخ ونوروز مديرين للحكم بمصر والشام...

فماذا عن (المجموع) الذي يحتضن هذه الوثيقة؟

يوجد بالمكتبة المذكورة تحت رقم ٤٤٤٠ ARABE وهو يحتوي على اوراق تبلغ مائتين وعشرة اوراق:

لقد عرفت ممن اهتم به من المستشرقين الزميل الراحل الاستاذ جورج كولان الذي استعان به منذ سنة ١٩٣٥م عندما كتب بحثاً عن العلاقات الدبلوماسية بين مسلمي الاندلس وبين مصر في القرن الخامس عشر.

وقد ابرز كولان اهمية كتاب (ديوان الانشاء) في معرفة الحقائق التاريخية ليس فقط من حيث انهم يعطون فكرة عن الحالة الادبية والادارية للبلاد، ولكن كذلك لانهم يسجلون احداثاً تتصل ايضاً بالجغرافية والاقتصاد السياسي على نحو ما نجده عند علي بن الصير في تـ ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م وابن مماتي (تـ ٦٠٩هـ/ ١٢٠٦م) وابن فضل الله العمري (٤٧٩هـ/ ٧٤٩هـ والقلقشندي (٨٢١هـ/١٤١٨م) وخليل الظاهري (٨٧٣هـ/١٤٦٨)

على ان هناك يقول كولان، مصنفات اخرى تقتصر فقط على جمع نصوص بعض الرسائل والوثائق لكتاب السر... تكون اي تلك المصنفات، غفلاً لاتحمل اسماء للذين الفوها او جمعوها..

وقد وقفت على هذا المجموع بالمكتبة الوطنية بباريز وهو يحتوي على طائفة من الرسائل الموجهة او المتوصل بها من لدن كتاب السر في مصر اثناء القرن الرابع عشر وعلى الخصوص الخامس عشر.

وهذا المجموع لايحمل عنواناً ولا اسماً لجامعه ولا حتى تاريخاً لجمعه بيد أن احدث وثيقة توجد فيه ترجع لتاريخ ٨٧٢ - ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م ويرى دوسلان في فهرسه القيم للمكتبة: ان المخطوط ذاته يرجع للقرن الخامس عشر.

وبعض محرري تلك الرسائل منصوص على اسمائهم، مثلاً سنجد اسماء عدد من الكتاب المعروفين على ذلك العهد امثال البدر الدماميني (تـ ٨٢٧هـ/١٤٢٤م) او ابن مكانس (٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) وابن نباته (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) والنواجي (تـ ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م) والصفدي (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) وابن العطار (٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) وابن حجة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) محرر الوثيقة التي نتحدث عنها ...

كثير من الرسائل ذات طابع شخصي لكن باقيها يحتوي على خطابات موجهة الى مصر من لدن حكام سوريا مثلاً او من لدن بعض امراء الجزيرة الفراتية (Lamesopotamie) وهناك الى جانب هذا خمس رسائل تتعلق بالصلات التي كانت تربط مصر

بالغرب الاسلامي، رسالتان من مملكة تونس ويتعلق الامر برسائل تعبر عن مشاعر الصداقة لحكام مصر وتطلب الى جانب هذا حماية وفود الحجاج المتجهين نحو مكة.

وهناك رسالتان اخريان صادرتان عن ملوك غرناطة الذين كانوا في ضيق شديد وطلبوا من مصر ان تنجدهم، احدى هاتين الرسالتين كانت بالغة التاثير (١٤) .... اما الرسالة الخامسة فهي صادرة بعض المدجنين الذين كانوا بالبرتغال...

ويظهر أن الزميل كولان لم ينتبه إلى الخطاب الجوابي الذي وجهه ملك مصر إلى ملك اليمن، لماذا؟ لان المجموع أو المخطوط أدرجه بطريقة من شأنها أن تحمل بعض القراء وبالأخص المستروحين منهم على عدم متابعتها!

فلقد ورد بعض ذلك الخطاب في الورقة (٨٨ ألف) و (٨٨ باء) لكنه اي المصنف وقد شعر ان هناك فقرات تتفق مع أخرى - مما خاطب بها ملك مصر صاحب تونس في رسالة سابقة ورقة ٨٧ أ و ٨٧ ب، أقول وقد شعر أن هناك تشابهاً أحال على الجواب هكذا: إلى أخر القضية بنصها مثل ما تقدم في جواب صاحب الغرب إلى قوله: (لا يكن أمركم عليكم غمة)

فاعتقد أن كولان تجنب عملية الجمع بين الرسالتين سيما ومنشىء الرسالتين معا واحد هو ابن حجة (١٥).

وهذا الصنيع من صاحب المجموع هو الذي دفع بي إلى أن أجعل لنفسي نسخة خاصة لايكون فيها هذا الاجحاف .

وقد اهتم الدكتور أحمد دراج عام ١٩٥٨ بنشر رسالتين من مخطوطه باريز في مجلة معهد المخطوطات العربية، وقد كانتا متبادلتين بين سلطان مالوة وبين الأشرف قاتيباى او يظهر أن الاستاذ دراج لم يقف على عمل سلفه كولان.(١٦)

والاستاذ دراج على حق عندما يؤكد ان نشر مثل هذه الذخيرة من المراسلات سيؤدي الى تصحيح الكثير من المعلومات ولاسيما في ناحية العلاقات الخارجية والعالم الاسلامي على ذلك العهد .

واني لاذكر بهذه المناسبة الموضوع الشيق الذي اهتم به المؤتمر العالمي المنعقد في كولورادو في غشت ١٩٧٩ كنت وقتها مقيماً في طهران عندما وصلتني اصداء ذلك المؤتمر ولا اخفيكم انني استغربت في بادىء الأمر من عنوان الموضوع وهو «مستقبل الماضي» The future of the past

فهل يكون للماضي مستقبل؟! لكن حيرتي لم تلبث ان زالت بعد اطلاعي على التقرير الذى كشف لي ان المؤتمر كان يهدف - في جملة ما يهدف اليه - تصحيح بعض الاخطاء التي دأبنا عليها اعتماداً على ماكتبه السابقون في الماضي بعد ان ظهرت وثائق تبرر ذلك التصحيح.

وقد حاولت ان اجد تاريخاً مضبوطاً للرسالة او بالحري للوفادة اليمنية التي حلت بمصر او الوفادة التي نقلت الجواب المصري الى اليمن، لكن المصادر خذلتني في ذلك بما فيها المصادر المصرية و اليمنية كذلك .. وكل الذي وصلت اليه ان الحركة كانت بعيد عام ٨١٥ هـ /١٤١٢ - ١٤١٣م كما اسلفت.

وهكذا ارتدى شيخ - بعد الاستخارة - زي السلطنة ... وهنا اخذ في ادارة مصالح الامة رافعاً عنها الغمه وتناهت الاخبار إلى ملوك ا لاسلام ا لذين اخذوا في ارسال وفود التهاني من الشرق والغرب ... ويتضمن الجواب لما سبق ان عرضته الوفادة اليمنية من التوصية" برجال الاعمال والتجارة اليمنيين وبخاصة عندما يتوجهون للحجاز في موسم الحج حيث يتعرضون لمضايقة من بيدهم مقاليد الأمور ... وبعد ان يشير الجواب الى تصفية الخلافات الناشبة ويعد بالوقوف الى جانب الانصاف كما يعد بردع المخالفين . يختم الخطاب بالاخبار بارسال سفارة من مصر برئاسة احد الخواص الذي كان يصحب معه هديه تقصد الى ازالة وحشه المقاطعة ... وينتهي بالدعاء لممالك اليمن بالحفظ والرعاية.

ذلك مضمون الخطاب ونرى من المفيد ان نقف عند بعض المحطات منه لنستجلى بعض الحقائق التي لامناص من معرفتها حتى نكون في الصورة.

فهناك وقفة مع الانشاء الادبي للرسالة ... لقد تجلى ان الذي قام بتصنيف المجموع الذي تحتوي عليه تلك الرسائل لم يكن هدفه اظهار القيمة السياسية لتلك الوثائق بقدر ماكان هدفه الى

مقارنة اسلوب كبار الكتاب باسلوب المعاصرين له ممن تولوا كتابة هذه الرسائل بديوان الانشاء وممن وصفوا - او معظمهم على الاقل - بالجهل وقلة الدراية - وهكذا فان الاسلوب جدير بالالتفات اليه للحديث عن الحركة الادبية في ديار المشرق على عهد المماليك والجراكسة..

وبعد هذا لننتقل الى وضع الملك الناصر فرج الذي نعرف عن صداه الواسع في كل البلاد الاسلامية ونذكر منها المغرب الاقصى الذي - كما نعلم - توجه برسالة اليه للتهنئة بما تسنى له من ايقاف الزحف التتري ضد بلاد الشام - هذا الملك الناصر اضحى في منطق الاحداث مكروهاً مطالباً بالتخلي عن الحكم .. وهنا نترك التفاصيل للرسالة التي تصف بدقة غرور الناصر وعدم استجابته لما كان يطلب منه .. ولا اعتقد ان هناك شاهد عيان وصف المعركة التي دارت رحاها بين الطرفين..

وبعد تحقيق النصر - التحق ركب شيخ بمصر حيث احتل القلعة التي سار سلاطين المماليك على سنة الايوبيين في سكناها..

وتشير الرسالة الى لقطة اعتاد القادة في ذلك العهد ان يشاهدوها ويتعلق الامر بتزكية الخليفة امير المؤمنين الذي اعتمد على تأييد القضاة الاربعة وفتاوي العلماء...

ويسوق ابن إياس هنا رواية تفصل بعض ما أجمل في الرسالة ، فبعد ان اتفق شيخ ونوروز على اسناد السلطنة للخليفة العباسي خرج هذا في اتجاه مصر حيث استقبل هناك استقبالاً عظيماً وحمل شيخ على راسه القبة والطير.. وسكن الخليفة في القلعة بينما سكن شيخ في باب السلسلة .. واستمر الامر على ذلك مدة يسيره ثم بدا لشيخ ان ينزع السلطنة من الخليفه ويقصره على الخلافة.. فاحضر القضاه الاربعه والعلماء لذلك واستمر الخليفة منعزلاً بالقلعة ... مدة يسيره قبل ان يخلع من الخلافة كذلك... فكانت مدة سلطنته سته اشهر الا اياماً « فما كان اغناه عن هذه السلطنه» يقول ابن اياس ... ومن الطريف ان نرى مشهداً لتزكية يتكرر عند تولية الملك لاشرف قاتيباى الذي يضيف الى هذا انه «قبل ما فوض اليه من قبل امير المؤمنين عملا بقول النبي «ص» ياعبدالرحمن لاتسأل الامارة، فانكا ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها.

وتتحدث الوثيقة عن زي السلطنة والحديث عن الزي في مصر المملوكية حديث مطرف.. فانه لكثر ماكان الزي مقنناً معروفاً بالنسبة لكل طائفه طائفه ولكل طبقه وطبقه من طبقات المجتمع حتى اصبح الزي بمثابة البطاقة الوطنية التي يحملها الناس .. واعتقد انه من هنا نشأ سؤال إخواننا في مصر ايه زيك فكانهم يقولون من اي طبقة في المجتمع انت ؟!

وزي السلطان حين توليه السلطنه هو ماكان يسمى بالسواد الخليفتي او الخلعة الخليفية او خلعة السلطنة أو حتى قماش الخدمة وذلك لان الخليفة العباسي، الذي اقامه المماليك في مصر كان هو الذي يلبسهم اياها في احتفال كبير ، وقد تميزت الخلعة باللون الاسود لان هذا اللون شعار لمذهب الخلافة العباسيه السُني الذي هو مذهب مصر الرسمي منذ ان سقطت خلافة الفاطميين الشيعية في مصر على عهد الايوبيين .. فكان السلطان يلبس عمامة صغيرة سوداء مدورة على الراس تسمى التخفيفه وتكون بعذبة ترسل بين كتفيه قدر ذراع «١٧».

وقد اخذت لنفسي صورة للوحه التي توجد في متحف اللوفر بباريز وهي صورة بقلعة مصر اثناء استقبال سفارة وردت من البندقية على القاهرة وهي التي حملت رسالة الى الملك الناصر فرج في آخر ايامه عام ٨١٤ هـ/ ١٤١٢م وقد اثبتها القلقشندي في صبح الاعشى...

وعندما تتحدث رسالة الملك المؤيد عن ملوك الاسلام الذين توجهوا بتهانيهم الى مصر ... وخاصة عندما تذكر المغرب فإن القصد الى الملك الحفصي بتونس أبي فارس عبد العزيز «ت٨٣٧/١٤٣٤م» الذي نجد في هذا المجموع خطابا خاصاً موجهاً اليه جواباً على تهنئة لملك مصر ... وقد كان العاهل التونسي من المع ملوك بني حفص الذين ظلوا على صلة بالمماليك وليست هذه اول مره ولا اخرها يكاتب فيها الحفصيين حكام مصر فقد اثبت القلقشندي

مثلاً رساله من صاحب تونس احمد بن ابي بكر الى الظاهر برقوق عام ٧٩٢ هـ / ١٣٩٠م ق.[18] كانت الشكوى اليمنية بما يعانيه التجار ورجال الاعمال في موسم الحج كانت في الواقع ، تاكيداً لكل الشكاوي التي كانت تنهال على البلاط المصري الذي كان يبسط سيادته على مكه والمدينة[19] لقد كان الديوانيون يستغلون الحجاج ابشع استغلال فيأخذون منهم حسب هواهم واشباعاً لجشعهم ونحن نعلم ان ابن المجاور[20] هو الذي حكى عن اولئك المستغلين انهم يقولون ان الحج جفنة الله اى ان على الصادر والوارد ان ياكل منها!!

ويقدم الوعد بازالة تلك العوائق.

إشارة الى الخلاف المعروف بين اليمنية والقيسية فقد عرف تاريخ العرب في الجاهلية والاسلام الكثير عن الصراع بين الجهتين.. واصل الاولين من جنوبي الجزيرة العربية كانوا ينتمون الى قحطان، نافستهم القيسية المنتمون الى قيس عيلان في مضر، واصلهم من اوساط الجزيرة وشمالها، قامت المنازعات بين الفريقين في بلاد الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وافريقيا والاندلس ولبنان، وتزاحم الفريقان على السيادة، واختلفت قوتهما باختلاف رغبة الامراء او الخلفاء او العمال...

وان مجرد ذكر «وحشة المناقضة والمقاطعة» ليعبر عن اختلاف وجهات النظر التي كانت تقع احياناً بين الطرفين، ولم يكن غريباً لمن يتتبع تطور العلاقات بين اليمن وبين مصر ان يسمع هذا التعبير سيما اذا كان على علم بما كانت عليه صلات هزبر الدين بن الملك المظفر مع مصر على ما يستفاد من بعض المراسلات (٢١) وتورد الرسالة هنا اسمين اثنين احدهما لمتمرد على النظام في الحجاز يحمل اسم ابن جميع (بالتصغير على مايظهر) تدعو عليه الرسالة بالويل والثبور تتهدده اذا هو لم يقلع عن مضايقته للحكم عن نحو ماسيكون من الثائر نوروز الحافظي... والاسم الثاني هو عثمان ماجد الذي اختاره البلاط المصري ليكون سفيره الى اليمن.. والذي تنعته الرسالة بالخواجكي. وان من يهتم بالالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار سيجد ان القصد الى لقب يستعمل للتجار... وكذا الشأن في لقب الفخري بياء النسب على نحو الخواجكي(٢٢) وكذا لقب الخاص الذي قد يعبر بالخواصي وهو يعني انه من بطانة السلطان..

واذا كانت هذه الرسالة لم تفصح عن نوع الهدايا المرسلة من مصر الى اليمن فان التقاليد المصرية جرت، كما يستفاد من الوثائق المصرية الاخرى، على ارسال هدايا من صنع مصر وخاصة المخملات المذهبة والاقمشة الاسكندرية والدبابيس والسيوف المطعمة والدهون العطرية...

* * *

تلك مساهمتي المتواضعة، بهذه المناسبة... وساردد في النهايةماقلته في البداية من ان اي احد في دنيا العرب لا يمكنه ان لايجد اليمن حاضراً معه في كل فترات التاريخ، ولهذا فان اليمن مركز مؤهل للذين يتوقون لحماية التراث العربي...

نص جواب صاحب اليمن عن الشهيد الملك المؤيد ورقة ٨٧ (أ) - ٨٧ (ب) ورقة ٨٨ (أ) - ٨٨ (ب)

اعز الله تعالى انصار المقام العالي السلطاني الملكي الناصري الشهابي، لازالت/ بقاع ممالكة التي سقيت بماءالعدل تنبت العز، وكلمة الايمان تعلو ربه/ في اليمن وتعز، ووشى صنيعه بصنعاء لم ينسج على منواله، و[illegible] تلك/ المدينة يحفظ باحمد وآله، ولابرح كل مهاجر زبيدة ظافرأمن ضرعها الحافل بزبدته، مهتدياً با[illegible] شهابها الذي يعرف سهيل من بين النجوم/ بخد[illegible]، ولازالت اهل عدن في جنات عدن بعدله، وركنه/ اليماني يطوف الوافد حوله ويسعى لالتماس ركنه وفضله، اصدرناها الى المقام/ العالي بنسيم ثناء عرج عليه الركن اليماني حيث وجد هواه يمانيا، فلو تنسمه من/ رام الخلاص من الهوى لتلقاه بالقبول ولم يقل واخلص منه لا علي ولا ليا/ وتحية عاجلت بها صالح صلاته، فصلى في محراب الطرس وقال بعد التحية/ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وخالص وداد يشدو به الحادي به ويتحلى/ في البحر بذكره الملاح، ويملأ من سواد سطوره بياض الطروس ليحسن بها المكاتبة/ في المساء والصباح، وتبدى لكريم علمه ان فرجا كان على المسلمين شدة/وانه سل سيف البغي والزيادة في الحد نقص في المحدود،/ وما افلح من تعدى حده، وكم تعرض، للحزب المحمدي، وضاق بكثرة البينة/ الفضاء الى ان انتقم من

الحكم والعدل وانفذ به حكم القضاء، كم حمينا/ شامه بماضي سيفنا وكلما غضب نراضي، وهو مع ذلك لم يحفظ غير تلقين/ العناد ونسيان الماضي، وكم اهتضم جانب الشريعة المطهرة بثبوت/ متواتر، ونحن نصبر على ذلك ونخفيه مراعاة لابيه الظاهر، ونقول/ لعله يصحو من سكر الشبيبة ونجد الصبر على ذلك طعماً مراً، وهو لم يرجع عن/ اتراع كاسات الجهل ولم يزدد الا سكراً، هذا ومقل سيوقنا فريدة في اجفانها/ تتناوم عن فعاله، لعله يصاب في كنانة مصر بسهام من الادعية تطلق/ عن قسى الركوع لقتاله، الى ان بحث عن حتفه بظلفه، واعلنت الادعية/ المستجابة بحتفه، ومشى نحونا بعساكر طلبوا الربح بكثرتهم فكانوا في صفقة/ الحرب من الخاسرين، وتمسكنا بقوله «تعالى» كم من فئة قليلة غلبت فئة/ كثيرة باذن الله، والله مع الصابرين الى ان ابتسم لنا ثغر النصر الذي مافاته/ شنب بثنية اللجون، وقد خسفت بدور تلك الطوارق في سماء النقع الى ان/ عاد كل بدر كامل كالعرجون، ونحن نكتب بالهندي ونعجم بالخطي وننشيء سجعات/ ضرب تنشر بها الرؤوس ونقيم سوق الحرب التي كلما سعرت ارخصت بتسعيرها/ النفوس، الى ان كسر الناصر ووقع بعد بسط عساكره في قبضتنا الشريفة/ ورغبنا قبل الدخول الى الديار المصرية في ان تكون رسائل الملك مستقرة في/ الافاق عن نعم الخلف والخليفة، فلما حل ركابنا الشريف بمصر ونحن لنعم/ الله السابغة من الشاكرين، تلا لسان حال نصرها: ادخلوا مصر إن شاء الله امنين/ وتحصنا باستقرارنا بالقلعة المنصورة بالسماء ذات البروج وصفا قلب/ النيل وبالغ في الوفا وباهت بعدما شاب وبلغ الهرم بخضرة عوارض المروج/ وماجت بحار الوافدين الينا من كل فج عميق، وصار كل منهم ماشياً على الطريق/ ورعينا خواطر الرعايا، بالعدل الى ان صيرنا لهم في اهل الظلم امراً ونهياً/ وفي اكناف النيل سقياً ورعياً، فجنح ائمة الدين وعلماء المسلمين وارباب العقد/ والحل الى مبايعتنا بالسلطنه الشريفة ليبلغ كل منهم في مصالح الامةمرامه/ واعلنوا في تقليد إمامة الامة بالتكبير والاقامة وكرروا السؤال في ذلك؟ وقالوا: هذا امر ابى الله الا ان يفعل، فافتوا ان العذر عن قبول ذلك لم يقبل، وفوض الينا مولانا امير المؤمنين تفويضاً قرت به عينه وطاب في مهد الامن مقا مه، وقال: هذا نظم نظمه في بيتنا الشريف/ بديعة وانسجامه فلما كان مستهل شعبان سنة خمسة عشر: استخرنا/ الله تعالى ولبسنا شعار السلطنة الشريفة وجلسنا على كرسي ملكنا الشريف/ وقمنا على قدم الاجتهاد في مصالح هذه الامة، وكشفنا عنهم غمة الجهل والظلم قائلين: لا يكن امركم عليكم غمة/ وما برح الهنا بهذه النصرة من ملوك الشرق والغرب: صادراً وواردا/ واثر بالعلوم الكريمة بذلك ليصير الهنا عند ملوك الاسلام واحدا وقد/ تقدمت مفاوضة المقام بالوصيه بتجار اليمن فلم يبق الا اليمن وها ثمار/ :الأمن قد ذللت قطوفها للجاني وزالت وحشة المناقضه حتى صار/ اليمني يبتهج اذا قيل: رفيقك قيسي وانت يماني، واذا خلصوا من/ دوائر البحر المديد ودخلوا مكة ينظموا من عروته صاحبها في سلك/ ذلك البيت احسن نظام، وينبع لهم بالينبع ما يطفى هاجرة الخوف/ ويحصل لهم منه برد او سلام ليقابل كلامنا في مقابلة ذلك بالاكرام، ويتميز/ عند دخوله الى الحرم الاحمدي بالاحترام، ويحصل له باليمن بلوغ المنى ونيل الامل، ويجنى كل من الفريقين ثمر الجزاء من جنس العمل، ويردع ابن جُميع لاجمع الله له على ضرر المسلمين شملاً، ويهدد بالسطوات الناصرية، فان أبَ الى/ التوبة والا وقد جهزنا المجلس السامي الخواجكي الفخري عثمان ماجد/ الخاص الشريف وعلى يديه يقتنص بها من ادام المودة كل شارد وتضيء/ على اعراب ابيات المحبة اعظم شاهد، وتزيل وحشة المقاطعة ساعة الوصول/ وتهب عليها من النسمات اليمانية القبول، والله تعالي يجعل مناقبه/ الكريمة اشهر من المثل السائر، ولا برحت ممالك اليمن محروسة منه/ بقوة وناصر بمنه وكرمه.

الهوامش:

١) د. التازي: التاريخ الدبلوماسي المغرب ج .ج-٤١ ج ٨ص ٨٠ - ٨١ .

٢) من بين الأسماء الشهيرة التي تشملها اللائحة الطويلة لاهل اليمن، السفياني، الحضرمي، السراج، الخولاني ،القيسي، المالكي، الزبيدي،البريهي، الغساني ، اليمني

د. عبد الهادي التازي: تاريخ جامع القرويين المسجد الجامعة بمدينة فاس - طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٢، ج ص ٣٢٦ - ٤٩٩.

٣) ابن العباس: الاعلام في تاريخ مراكش ج ١١، ص ١٣ - ١٥.

٤) د. التازي : التاريخ الدبلوسي للمغرب ج٥ ، ص ٢٧١، رقم الايداع القانوني ٢٥ / ١٩٨٦. مطابع فضالة (المحمدية).

٥) توران شاه هو أخ السلطان صلاح الدين الإيوبي، وقد أرسله الى اليمن لضمها الى الدولة الأيوبية لاسباب أختلف حولها المؤرخون. ونتيجة للصدامات العسكرية العنيفة بين قواته واليمنيين ولشحة الموارد الاقتصادية لبلاد اليمن فقد طلب من السلطان صلاح الدين نقله من اليمن فاستجاب لطلبه وارسل بدلاً عن طغتكين بن أيوب. وقد توفي توران شاه في بلاد الشام قبل تحريرها من الوجود الصليبي.

٦) د. التازي : مراسلة ديلوماسية شعرية في العصر الوسيط بين القسطنطينية وبغداد حسب مخطوطة فريدة في فيينا (بحث أعد برسم تكريم د. ناصر الدين الاسد) بمناسبة بلوغه السبعين ١٩٩١م.

٧) كان من جملة ما تضمنته رسالة الملك المظفر لصاحب ظفار سالم بن إدريس (المكافاة بيننا غير أنا نتأدب لقوله تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً»، فعاد جواب سالم يقول: هذا الرسول فاين العذاب ؟ .. وهناك كان الاصطدام). ابن الديبع، قرة العيون، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ١٣٩٧ / ١٩٧٧، ج١١، ص ٤٠.

٨) إلى جانب اهتمام السلطان الاشرف بالشؤون الخارجية رأيناه. يجيز القاضي مجد الدين بمناسبة أنها تأليفه : «الاصعاد» وقد حمل القاضي الى باب السلطان مزفوفاً بالطبول وحضر سائر الفقهاء والقضاء والطلبة وساروا أمام الكاتب الى باب السلطان والكتاب عبارة عن ثلاثة اجزاء ويقول ابن الديبع الذي يذكر أن مبلغ الجائزة بلغ ثلاثة الاف دينار.

٩) د. التازي: القنص بالصقر بين المشرق والمغرب، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي - الرباط ١٤٠٠-١٩٨٠.

١٠) الاشارة الى ابي العباس أحمد اليمني الذي وصل مدينة فاس ١٠٧٦ / ١٦٦٨.. الكتاني : سلوة الانفاس ج ٢/٣٣٤.

١١) إبن اياس : بدائع الزهور في وقائع الزهور.. مطابع الشعب عام ١٩٦٠، ج٣، ص ٣١٨.

١٢) د. محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والادارية للعصر المملوكي ج ٦ - مؤسسة الرسالة ١٤٠٠ / ١٩٨٠، ص ٧٣ - ٤٣٥.

١٣) اهتم كولان بنشر الرسالتين كما سنرى. وممن استفاد مما نشره كولان الباحثة راشيل أريبي (Rachel Arie) في بحثها عن العلاقات الدبلوماسية والثقافية بين مسلمي أسبانيا ومسلمي المشرق في عهد بني نصر - المكتوب بالفرنسية ١٩٦٥ - ج ١، ص ٨٧.

G.S. COLin : COntributon a lEtude des Relations Diploma -Musultioue entre les Musuimans de 1"Occident et 1"Egypt au xve siecle in Memoire de linstitut Francais dArcheoiogie Orientale T. 68. (1)
La caire 1935 pp. 197 - 206.

١٤) مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الرابع، الجزء الأول، مايه ١٩٥٨ شوال ١٣٧٧ وكان الدكتور دراج يفكر في نشر المخطوطات، وقد اخبرني د. أيمن فؤاد سيد أن ذلك لم يتم ..

١٥) د. التازي : التاريخ الديلوماسي للمغرب ج ٧ ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

١٦) المصدر السابق ص ٧١ - ٧٢.

١٧) ج ٨، ١٢٣ - ١٢٤.

١٨) صبح الاعشى ج ٨، ص ٧ - ٨٤.

١٩) لقد جرت العادة سنويا بتعليق الكسوة على الكعبة، وكان ذلك رمزاً من رموز سيادة مصر على تلك ، البقاع.

٢٠) ابن المجاور: صفه بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ص ٥٢.

٢١) القلقشندي : الصبح ج ٦، ص٤٢ - ٤٢٦.

٢٢) د. حسن الباشا : الألقاب الاسلامية - دار النهضه العربية ١٩٧٨، ص ١٠٩.

●●●●

وثيقة رقم (٢،١)

جواب صاحب اليمن عز الشهيد الملك المؤيد

اعز الله تعالى انصار المقام العالي السلطاني الملكي الناصري الشهابي ولا زالت
بقاع ممالكه التي شيدت بماء العدل تنبت العزة وله الايمان تعلو به
في اليمن وتعز ووشي صنيعه نصنعا لم ينسج على منواله وحرم تلك
المدينة محفوظ باحمد واله ولا يبرح كل مهاجر اليه به ظافرا من ضرعها
الحافل بزبدة ممتديا بانوارها انما الذي يعرف سهيل من بين النجوم
بخدمته ولا زالت اهل عدن في جنات عدن برؤيته وركنه
اليماني يطوف الوفد حوله ويعين لا للناس بركته وفضله اصدرناها الى المقام
العالي بنسيم ثنا عرج عليه الركن اليماني حيث وجدهو يمانيا فلو تنسمه من
رام الخلاص من الهوى لتلقاه بالقبول ولم يفز خلص منه لا على ...
وتحية عاجلت لها صالح القلم صلاته فصلى في محراب الطرس وما بعد التحية
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وخالص ود اديشد دابه الحادي وتحلى
في البحر ذكر الملاح ويلاحظ سواد سطوره بياض الطرس لمحين ها المطالبة
في المساء والصباح وتبدي لكريم علمه ان فرجا كان على السلطين شرد
وانه سل سيف البغي والزياد في الحد نقص في المحدود
وما الفى من تعدى حده وكم تعرض للحزب المجدي وضاق كنزه البيضة
العضا الى ان انتقم منه الحكم العدل وانفذ فيه حد القضا وكم حمينا
شامه بما في سيفنا وكلما غضب تراضي وهو مع ذلك لم تحفظ عن تلقين
العناد ونسيان الماضي وكم اهتضم جانب الشريعة المطهرة بثبوت
متواتر ونحن نصبر على ذلك ونخفيه مراعاة لابيه الظاهر ونقول
لعله يصحو من سكر الشبيبة ويجد الصبر على ذلك طعما مرا وهو لم يرجع عن
انتزاع كاسات الجهل ولم يزدد الا سكرا وهذا دام يسوقنا فريق في ...

وثيقة رقم (١)

ادب بن عبدالله سلام الله عليه في رسالته الى اهل مصر اذ يقول:
بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فالحمد لله رب العالمين لا شريك له
الحي القيوم والسلام على جميع المرسلين وعلى اتباعهم وما بهم اجمعين
ايها الناس ان الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة وخصه
بالرسالة وحباه بالوحي فصدع بامر الله واثبت حجته واظهر دعوته
وان الله جل ثناؤه خصنا بولايته وجعل فينا ميراثه ووعده فينا وعدا
سنبين لمن قبضه اليه محمودا لا حجة لاحد على الله ولا على رسوله
صلى الله عليه وآله وسلم فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين فخلف الرجل
ثناؤه باحسن الخلافة فرعونا بنعمته صغارا واكرمنا بطاعته كبارا و
جعلنا الدعاة الى العدل القائمين بالقسط المجانبين للظلم ولم نزل ادفع
الجور طرفة عين من نصحنا امتنا والدعاء الى سبيل ربنا جل ثناؤه فكان
ما خلفته امته فينا ان سفكوا دماءنا واستهلكوا حرمتنا وايتموا صغيرنا
وقتلوا كبيرنا واثكلوا نساءنا وحملونا على الخشب ... دوابنا على
الاقتاب فلم نكل ولم نضعف بل نرى ذلك غنيمة من ربنا جل ثناؤه وكرامة
اكرمنا بها فمضت بذلك الدهور واستملت عليه الامور ونرى ...
عليه الصغير وهرم عليه الكبير في كلام طويل ذكره عليه السلام

اللوحة 72 حرف (ب) من المخطوطة اليمنية التي حصل عليها الإيطاليون أثناء اتصالهم
باليمن والتي زودني بها في بغداد السنيور أريوسطو بيرنارديني Ariosto Beraadini

عن لنا رسم الدبلوماسي للمغرب
تأليف د. عبدالهادي التازي ج ص ١/١

وثيقة رقم «٢ ب»

تتنادم عن نعاليه • لعله يصاب في كنانة مصر لسهام من الادعية تطلق عن قسي الركوع لقبالة • الى ان بحث عن حقيقة بنطاقه • واعلنت بشاير الادعية المستجابة بحتفه • ومني نحونا بعساكر طلبوا الربح بكثرتهم فكانوا في صفقة الحرب من الخاسرين • وتمسكنا بقوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين • الى ان ابتسم لنا ثغر النصر الذي ما فاته شنب بنيه المجون • وقد حمت بدور تلك الطوارق في سما النقع الى ان عاد كل بدر منها كالعرجون • ونحن نلتب بالهندي ونجم بالخطي ونمشي بخبيات ضرب تنثر نها الرؤوس • ونقيم سوق الحرب التي كلما تعددت ارخصت بالسعر فيها النفوس • الى ان كسر الناصر ووقع بعد بسط عساكره في قبضتنا الشريفة ورغبنا قبل الدخول الى الديار المصرية في ان يكون ربانا الملك مستقر في الامان عن نعم الخلف والخليفة • فلما حل ركابنا الشريف بمصر ونحن لنعم الله التابعة من الشاكرين • فلا لسان حال نصرها ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وخصصنا باستقرارنا بالقلعة المنصورة بالسما ذات البروج • وصفا قلب النيل وبالغ في الوفا وباهى بعد ما شاب وطلع الهرم عضرة عوارض المروج • وماجت بحار الوافدين الينا من كل فج عميق • وصار كل منهم ماشيا على الطريق ورعينا خواطر الرعايا • بالعدل الى ان صيرنا لهم في اهل الظلم اثرا وهبا • وفي اكناف النيل سقيا ورعيا • فجمع ائمة الدين وعلما المسلمين • وارباب العقد والحل الى مبايعتنا بالسلطنة الشريفة ليبلغ كل منهم في صالح الامة مرامه واعلنوا في تقليد امامة الامة بالتكبير والاقامة وكرروا السؤال في ذلك وقالوا هذا امر يابي الله الا ان يفعل • فاثنوا ان العذر عن قبول ذلك لم يقبل • وفوض الينا مولانا امير المومنين تفويضا قرت به عينه وطاب في عهد الامن مقامه • وقال هذا انتظم نظمه في جيدنا الشريف بديعه وانسجامه • فلما كان مستهل شعبان سنة خمسة عشر استخرنا

وثيقة رقم «٣ ج»

الله تعالى ولبسنا شعار السلطنة الشريفة وجلسنا على كرسي ملكنا الشريف وقمنا على قدم الاجتهاد في مصالح هذه الامة • وكشفنا عنهم غمة الجهل والظلم قايلين لا يكن امركم عليكم غمه •

وما برح الينا بهذه النصرة من ملوك الشرق والغرب صادرا وواردا وانا بالعلوم الكريمة بذلك ليصير الينا عند ملوك الاسلام واحدا • وقد تقدمت مفاوضه المقام بالوصية بتجار اليمن لم يبق الا اليمن وهاتما الامن قد دللت قطوفها للجاني • وزالت وحشة المنافسة حتى صار اليمني ينتهج اذا قيل له فيقال نفسي وانت يماني • واذا اخلصوا من دواير البحر المديد ود خلوا مكة ينظموا من عروة صاحبها في سلك ذلك البيت احسن نظام • ويبتغ لهم ما لينبغ ما يطه هاجرة الخوف ويحصل لهم منه بردا وسلام • ليقابل كادمنا في مقابلة ذلك بالاكرام • ويتميز عند دخوله الى الحرم الاحمدي بالاحترام • ويحصل له باليمن بلوغ المنى ونيل الامل • ويجني كل من الفريقين ثمر الجزا من جنس العمل • ويردع ابن جبيع رحمه الله له على ضرر المسلمين شملا • ويهدد بالسطوات لناصريه فان ابى الا التوبة والا • وقد جهزنا المجلس السامي الحواجكي الفخري عثمان ماجر الخاص الشريف وعلى يده هدية نقتنص بها من ارا المودة كل شارد • ونضر على اعراب المحبة اعظم شاهد • ونزيل وحشة المقاطعة ساعة الوصول وتهب علينا من النسمات اليمانية القبول • والله تعالى يجعل مناقبه الكريمة اشهر من المثل السايرة • ولا برحت ممالك اليمن محروسة منه بقوة وناصر ... بمنه ... وكرمه •

توصيات ندوة المخطوطات اليمنية

تمخضت الاسهامات المقدمة في الندوة من دراسات علمية وفنية وكلمات توجيهية ومناقشات عن التوصيات الآتية التي وافق عليها المشاركون في الندوة وهي كالتالي :

١ - توصي الندوة باصدار مجموعة من التشريعات العملية دعماً لقانون الآثار واستناداً إلى القانون النموذجي لحماية المخطوطات في البلاد العربية وفي ضوء الظروف والواقع والمتطلبات المحلية.

٢ - توصي الندوة الى دعم الادارة العامة للمخطوطات بالكادر المؤهل لتولي مهام التعامل مع المخطوطة ابتداء من عمليات الحصر والتوثيق و الترميم والتحقيق حتى النشر، وذلك ضمن خطة مدروسة.

٣ - توصي الندوة بتوفير التجهيزات والمواد اللازمة لدور المخطوطات مثل ورش الترميم ومعامل التصوير ووسائل التبويب والفهرسة والعرض.

٤ - توصي الندوة بضرورة توفير الأمان والحراسة لدور المخطوطات وتقييد الدخول اليها ولا تستخدم المخطوطات الا وفق لوائح وضوابط، تنظم ذلك.

٥ - توصي الندوة بأهمية دعم الدولة لمشروعات حماية المخطوطات اليمنية والعمل على الاستفادة من المساعدات والخبرات الدولية في هذا المجال.

٦ - توصي الندوة بتصميم مشروع مفصل للقيام بمسح شامل للمخطوطات يهدف الى التعرف على أماكن المخطوطات في الجمهورية وتوثيقها في سجل وطني عام على ان يشمل هذا المشروع الخطوات الضرورية اللازمة للمسح والتسجيل مثل تبيان حالة المخطوطة المادية، واقع الحيازة، مع ذكر الفرص المواتية لحمايتها في مواقعها بالاتفاق مع اصحابها على صيانتها وتوثيقها.

٧ - العمل على تشجيع الأسر المالكه للمخطوطات على وقف مكتباتها للصالح العام ووضعها في دور المخطوطات بأجنحة خاصة بها وباسمها على أن تتولى تلك الدور مسؤولية الاشراف على حفظها وصيانتها وفق أحدث السبل مع مراعاة ما يوصي بها أصحابها.

٨ - توصي الندوة بالعمل على تحصيل جميع فهارس المخطوطات المتعلقة بالمخطوطات اليمنية في المكتبات العربية والعالمية.

٩ - توصي الندوة بنشر كل الفهارس المعدة بعد تنسيقها وتبويبها ومراجعتها وإصدارها في سلسلة واحدة بعنوان (سلسلة فهارس المخطوطات اليمنية).

١٠ - توصي الندوة باعداد فهرس جديد بما لم يضمن الفهارس المعدة على ان يراعي فيها فكرة فهرس جديد وفق الشروط العلمية المطلوبة من اجل الوصول الى اصدار فهرس شامل وموحد للمخطوطات اليمنية يلملم ما تشعت من التراث المعرفي اليمني المخطوط والمطبوع مما أنتجته قرائح المبدعين والمفكرين من أهل اليمن.

ويستفاد في وضع هذا الفهرس من الدراسة القيمة التي أعدها الأستاذ عدنان درويش.

١١ - توصي الندوة باعداد برامج

تعليمية تثقيفية توضح أهمية المخطوطات كتراث وطني وعربي إسلامي يعدها مختصون بالتعاون مع الهيئة العامة للآثار في الجوانب المختلفة من صناعة المخطوط معنى ومبنى والاستفادة من كل الوسائل التربوية والاعلامية في بث ونشر التوعية بالمخطوطات وضرورة حمايتها، ومن الافضل لو ضمنت مناهج القراءة والتربية الوطنية والتاريخ نصوصا تعني بشرح موضوع التراث والمخطوطات وأهمية الحفاظ عليها.

١٢ - توصي الندوة بتشجيع الباحثين عامة وتهيئة المناخ المناسب لهم للبحث والدراسة والتحقيق والنشر للمخطوطات وبالأخص أقسام الآثار والتاريخ في مرحلة الدراسات العليا.

١٣ - توصي اللجنة باصدار مجلة للتراث تتناول فيما تتناوله قضايا وبيانات ودراسات علمية وميدانية عن المخطوطات والآثار والمجالات المرتبطة بذلك.

١٤ - توصي الندوة بتشكيل لجنة يمنية - دولية لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات ومناقشة الخطط السابقة ونتائجها.

□□ □□

